قوله ولان واسترا طما المسع في السع الموجوف قوله يتصدق بالزيادة يعني زيادة
لما نوى على الهدية المسلم الذي دفعها الى المالك وهذا على اخرجه للهادي لا على مذهبه قوله وعلى
لزم اوجب على السارق ان يتصدق بالربح وقال في الغاصب لا نوى عليه فصل الفرق
فصل انه فرق بينهما لان السارق لا يتملك المسروق فيكون الخراج بالضمان فلو
تعيب القطع فهو كالغاصب قوله ان يتحسي فساده فلو لم يتصدق به حتى فسد ضمنه للفقراء
فانه يجب التصدق به عندهم سواء تحسي فساده او لم يتحسي ولو اصاب لكه الاول قوله ولا يحل
له الكراء الا التصدق بما فضل من الربح عن العلف ونحوه وقال ع يلزمه الكراء والتصدق
بتصدق الكراء كزيادة المرباة الحرام يعني ثمن ما علفه او بقره او امته او نحو ذلك يعلف حرام
انه لا يجوز له الانتفاع بها وقال صلى لا يجوز له الانتفاع بذلك في مدة اكله الحرام بل يتصدق
بما استرا بالف عصب هو بالثمن في الفاو في الباء وقد صار الحكم في هذه المسئلة ان احد الالفين
مضمون عليه والالف الثاني وهو الربح يتصدق به على قول الاحكام فاذا استرا بالالفين
فضاع له الف فان استرا نصفها بالالف الزكي فملكه ونصفها بالالف الربح يتصدق بنصف
الالف الثاني وطاب له نصف الالف الثالث لانه ربح ملكه الالف الاول وان استرا الامة
بعبد بخمس الحلال والحرام فعلى انه يتصدق بالالف الثالث كله لانه لم يسترا الحلال
على الا يتصدق الا بنصفه مع الالف الثاني لانه ربح له وطاب له نصفه وهو ربح الالف الاول
فضاع في اليمن اما بعضها هنا بعني في الغصب فمعناه انه يخير بين ان يضمنها اما دامت معه وان يتصدق
بها سيام باعه وربح فيه وكذا اذا ضاع سائما معصوبا بيده ثم ابرأه بالربح سيا وباعه وربح فيه فانه
على قول الاحكام اذا كان الزكي استرا منه المعصوب جاهلا بعصبه لان منه كالمعصوب
ضاع اما بعضبه فان البراءة صارت منه الى البائع برضاه فطاب له ربحها واما بعد البراءة
احلف لا استرا بدراهم بعينه ثم استرا بها فانه يحنث ولا يتصدق بالربح حتى استرا
به ودفعها فاصاروا مستأجرا على الذمة ثم دفع دراهم معصوبة فقال ض بد لا يجب التصدق
بالربح الا بانه غير الهادي وح ومحمد انه يجب التصدق **فصل قوله** ملك
هذا قول القسم والهادي وح قال في البحر عن ح فلو طلب صاحبه مع ما نقص من قيمته
لانه ان حبس فساده ولذلك لانه لا يجوز له التصدق فيه ولا الانتفاع به ولا يصح تصرفه فيه توجه
عليه اضاه صاحبه واذا ساجرا فلا يفصل بينهما الا الحاكم اما يرده لصاحبه والا
كذا ذا حكم الحاكم بصحة الاستهلاك هل يجوز الانتفاع به قبل الضمان لصاحبه او لا يجوز الانتفاع
طلا فهم هنا وفي مسئلة الخلط سئل فقال سيدنا والاقرب الجواز فاذا حبس فساده قبل الاداء
في الفقراء فلو لم يتصل ضمنه للفقراء وقال ض لا يجوز الانتفاع به قبل الاداء اه قوله ولو
يصير الى المغصوب هكذا في اللمع والكافي وقال في البحر عن ح وسار السحاب
قوله استهلاكه حيث الانتفاع به قبل الاداء قوله ولذلك يجوز تخصيص السعر هذا مثل
قوله وسار الحب قيد بقوله اذا ذر له في الارض بذره او يابسه ثم سقاها هو واما
لو نبت الحب فانه تكون ماء على ملك صاحبه فلو سقاها غير الزارع فمثل تكون ماء
ايضا وقيل بملك السقاء واذا ذر بالحب في ارض يابسة فقد تعذر تسليمه لما لكه
اذا دفع له الضمان ثم وقع المجذر على الارض وتبت الزرع فما تي على قول م انه تكون الزرع
قوله ومن حمله الاستهلاك
على قول الهدوية تكون لمالكه فاذا سلمه له استرد ما ضمنه له ومن حمله الاستهلاك
والمجلاب وكذا اذا قلا الحب كذلك والاسصار وكذا اذا عجن الدقيق او خبز العجين
كل هذا لا جاحة اليه هنا لانها اذا طحنت صارت مستهلكة مطلقا فعل وكذا اذا
يطحنه لان قطعها من الفاصل ولا تكون استهلاكا قال سيدنا وهو محمل
قوله وسار الحب قيد بقوله اذا ذر له في الارض بذره او يابسه ثم سقاها هو واما
لو نبت الحب فانه تكون ماء على ملك صاحبه فلو سقاها غير الزارع فمثل تكون ماء
ايضا وقيل بملك السقاء واذا ذر بالحب في ارض يابسة فقد تعذر تسليمه لما لكه
اذا دفع له الضمان ثم وقع المجذر على الارض وتبت الزرع فما تي على قول م انه تكون الزرع
على قول الهدوية تكون لمالكه فاذا سلمه له استرد ما ضمنه له ومن حمله الاستهلاك
والمجلاب وكذا اذا قلا الحب كذلك والاسصار وكذا اذا عجن الدقيق او خبز العجين
كل هذا لا جاحة اليه هنا لانها اذا طحنت صارت مستهلكة مطلقا فعل وكذا اذا
يطحنه لان قطعها من الفاصل ولا تكون استهلاكا قال سيدنا وهو محمل
اذا ذر له في الارض بذره او يابسه ثم سقاها هو واما لو نبت الحب فانه تكون ماء على ملك صاحبه فلو سقاها غير الزارع فمثل تكون ماء
ايضا وقيل بملك السقاء واذا ذر بالحب في ارض يابسة فقد تعذر تسليمه لما لكه
اذا دفع له الضمان ثم وقع المجذر على الارض وتبت الزرع فما تي على قول م انه تكون الزرع
على قول الهدوية تكون لمالكه فاذا سلمه له استرد ما ضمنه له ومن حمله الاستهلاك
والمجلاب وكذا اذا قلا الحب كذلك والاسصار وكذا اذا عجن الدقيق او خبز العجين
كل هذا لا جاحة اليه هنا لانها اذا طحنت صارت مستهلكة مطلقا فعل وكذا اذا
يطحنه لان قطعها من الفاصل ولا تكون استهلاكا قال سيدنا وهو محمل
قد صار شبيها لحما وانما يعتبر كونها حبا للاكل اذا دخلها غلط فان كان

س ٠خ السراج المنير فى الاعانة على معرفة كلام ربنا العليم الخبير ، تأليف الخطيب الشربينى، محمد بن أحمد ـ ٩٧٧ هـ ٠ كتب فى سنة ١٢٤٢ هـ٠
٤ ج فى ٨ مجلدات (٢٢٦٧ ق) ٢٣ س
٥ر٢٢×٥ر١٦ سم ٠
نسخة حسنة ، خطها نسخ معتاد ، ناقصة الاول ، طبع
٢٢٣٥ الازهرية ١ : ٢٦٧ معجم المطبوعات ١ : ١١٠٩
١ ـ التفسير ، القرآن الكريم وعلومه ٠
أ ـ المؤلف ب ـ تاريخ النسخ جـ ـ تفسير الشربينى ٠

س ٠خ

السراج المنير فى الاعانة على معرفة كلام ربنا العليم الخبير ، تأليف الخطيب الشربينى ، محمد بن أحمد ـ ٩٧٧ هـ . كتب فى سنة ١٢٤٢ هـ.
٤ ج فى ٨ مجلدات (٢٢٦٧ ق) ٢٣ س
٥ر٢٢×٥ر١٦ سم .
نسخة حسنة ، خطها نسخ معتاد ، ناقصة الاول ، طبع

٢٢٣٥

الازهرية ١ : ٢٦٧ معجم المطبوعات ١ : ١١٠٩
١ ـ التفسير ، القرآن الكريم وعلومه .
أ ـ المؤلف ب ـ تاريخ النسخ ج ـ تفسير الشربينى .

فصل في الرجعة

في سفرها خرج وفيها وكان ذا انه سفر يوجب قصر ثم رجع الا انه لا يوجبه وراد لفيها

او رجع عن الاجتهاد في حكم فد فعله وله ثمرة مستدامه كالطلاق وذالك نحو ان يطلق

امرأته ثلاثا في دور تحلل رجعيه وهو يرى ان الطلاق لا يتبع الطلاق فراجعها ثم بان له ان الطلاق

يتبع الطلاق فخلاف بين العلماء في الصورتين معا فمنهم من قال ذا الاجتهاد الاول ليس

بمنزلة الحكم فينقضه الاجتهاد الثاني فيقضي بما وحرم نكاح المثلثه وهذا اصل قول ابي بكر

وقول الخفيني والمهدي وذكره ض بالله في المهذب القول الثاني انه بمنزلة الحكم فلا يعمل

بالثاني فيقضي فصل ولا تحرم المثلثه وهذا اخذ قول ض بالله وض بالله وهو قول ابن

محمد بن الحسن واختلفوا في الحاصل والاصح على ما

١٠٠٦٩٦
٥١٢

الجزء الثالث من الخطيب
المفسر على التمام والكمال
والحمد لله على كل
حال وصلى الله على
سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه
وسلم

المخطوطات
السراج المنير
محمد بن أحمد، شمس الدين الخطيب الشربيني
١٣٤٣
٣/٢٢٣٥
٣٦٥٨٢٢٥
٢١٤
تفسير

الجلد الثالث من الجزء الثالث

من من من من فضله على عبده
الفقير عبد الله الخالدي النقشبندي
المجددي ابن ابراهيم الجانكي
عفا عنهم في ذي القعدة

ملك الملوك الصلاح
عبد العطي الصلاحي
صاحب
سلاح من عبد العطي الصلاحي صاحب

بسم الله الرحمن الرحيم وصلي الله علي سيدنا محمد وآله وسلم
سورة الفرقان مكية الا قوله تعالي والذين لا يدعون
مع الله الها اخر الي رحيما فمدني وايتها سبع وسبعون اية وثمانمائة
واثنان وسبعون كلمة وعدد حروفها ثلاثة الاف وسبعمائة وثمانون
حرفا بسم الله الذي له الحمد المبالغة الرحمن الذي عم الخلق بنعمه
الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء تبارك قال الزجاج تفاعل من
البركة وهي كثرة الخير وزيادته ومنه تبارك الله وفيه معنيان
تزايد خيره وتكاثر وتزايده عن كل شيء وتعالي عنه في صفاته
وافعاله وعن ابن عباس كان معناه جاء بكل بركة وخير وقال
الضحاك تبارك تعاظم ولا يستعمل الا لله تعالي ولا يتصرف فيه ثم
وصف ذاته الشريفة بما يدل علي ذلك بقوله تعالي الذي نزل
الفرقان اي القرآن والفرقان مصدر فرق به بين الشيئين
اذا فصل بينهما وسمي به القرآن لفصله بين الحق والباطل لانه
لم ينزل جملة واحدة ولكن منجما مفصولا بين بعضه وبعض في
الانزال الا ترى قوله تعالي وقرآنا فرقناه لتقراه علي الناس علي
مكث علي عبده اي محمد صلي الله عليه وسلم واضافه الي نفسه
اضافة تشريف وفي عود الضمير ليكون ثلاثة اوجه احدها
انه يعود علي الذي نزل اي ليكون الذي نزل الفرقان نذيرا
الثاني انه يعود علي الفرقان اي ليكون الفرقان نذيرا واضاف
الانذار اليه كما اضاف الهداية اليه في قوله تعالي ان هذا القرآن
يهدي للتي هي اقوم قاله ابن عاذل وهو بعيد لان النذير هو
والنذير في موصوفات الفاعل المختار ووصف القرآن به مجاز
وحمل الكلام علي الحقيقة اولي الثالث انه يعود علي عبده اي
ليكون

ليكون عبده محمد صلي الله عليه وسلم للعالمين نذيرا اي ونبيا
وهذا احسن الوجوه معني وصناعة لقربه مما يعود اليه والضمير
يعود علي اقرب مذكور وللعالمين متعلق بنذيرا وانما قدم للاجل
الفواصل ونذيرا بمعني منذرا اي مخوفا ويجوز ان يكون مصدرا
بمعني الانذار كالنكير بمعني الانكار ومنه قوله تعالي فكيف كان
عذابي ونذر تنبيه المراد بالعالمين قالت المعتزلي اي المكلفين
كلهم من الجن والانس والملائكة الا ولكن في ارساله للملائكة
خلاف بين العلماء فقد نقل الجلال المحلي في شرحه علي جمع الجوامع
علي انه لم يرسل اليهم وغيره صرح بانه ارسل اليهم ومن حفظ حجة علي
من لم يحفظ فان قيل قوله تعالي تبارك يدل علي كثرة الخير والبركة
فالمذكور عقيبه لابد وان يكون مبينا لكثرة الخير والمنافع والانذار
يوجب الغم والخوف فكيف يليق ذكره بهذا الموضع اجيب بان
الانذار يجري مجري تاديب الوالد كما انه كما كانت المبالغة
في تاديب الولد اكثر كان رجوع الخلق الي الله تعالي اكثر وهم من
السعادة الاخروية اتم واكثر وهذا كالتنبيه علي الذلال التفات
الي المنافع العاجلة لانه تعالي لما وصف نفسه ان يعطي الخيرات
الكثيرة لم يذكر الا منافع الدين ولم يذكر منافع الدنيا البتة
وقوله تعالي الذي له ملك السموات والارض اشارة الي احتياج
هذه المخلوقات اليه سبحانه وتعالي حال حدوثها وانه تعالي هو
المتصرف فيها كيف شاء فلا انكار ان يرسل رسولا الي كل من فيها
تنبيه يجوز في الذي الرفع نعتا للذي الاول او بيانا او بدلا
او خبر المبتدا محذوفا او النصب علي المدح وما بعده يدل علي
الذي من تمام الصلة فليس اجنبيا فلا يمنع الفصل به بين الموصول

الاول والثاني اذ جعلنا الثاني تابعا له **ولم يتخذ ولدا** اي هو
الفرد ابدا ولا يصح ان يكون غيره تعالى معبودا وردا على الملك عنه
وهذا رد على النصارى **ولم يكن له شريك في الملك** اي هو
المتفرد بالالوهية واذا عرف العبد ذلك انقطع رجاؤه عن كل
ماسواه ولم يستنار قلبه الا برحمته واحسانه وهذا رد على الوثنية
والقائلين بعبادة النجوم والاوثان ولما نفى تعالى الشريك
فكانه قيل لا يقوله ههنا اقوام يعترفون بنفي الشريك والشركاء
والانداد ومع ذلك يقولون بخلق افعال انفسهم فرد الله تعالى
عليهم بقوله **وخلق كل شيء** اي من شانه ان يخلق ومنه افعال
العباد والخلق هنا بمعنى الاحداث اي احدث كل شيء احداثا
مراعا فيه التقدير والتسوية **فقدره تقديرا** اي هياه لما
يصلح له منالا انه خلق الانسان على هذا الشكل المقدر الذي
تراه فقدره للتكاليف والمصالح المنوطة به في باب الدين
والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد خلقه على الحيلة المستوية
المقدرة ويسمى احداث الله خلقا لانه لا يحدث شيا الحكمة الا
على وجه التقدير من غير تفاوت فاذا قيل خلق الله كذا
فمعناه لا قوله كن احدث واوجد من غير نظر الى وجه
الاستحقاق فكانه قيل واوجد كل شيء فقدره تقديرا في
ايجاده ولم يوجده متفاوتا ولو حمل خلق كل شيء على معناه
الاصلي من التقدير لصار الكلام وقدر كل شيء فقدره فالمعنى
لا كبير تفاوت وقيل يجعل له غاية ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء
الى امد معلوم واختلف في عود الضميرين في قوله تعالى **واتخذوا من**
دونه اي الله اي غيره **الهة** على ثلاثة اوجه احدها انه يعود على

الكفار

الكفار الذين تقدمهم لفظ العالمين ثانيهما انه يعود على من ادعى لله
شريكا وولدا والدلالة قوله تعالى ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك
ثالثها انه يعود على المشركين لدلالة النذير عليهم ولما وصف نفسه سبحانه
وتعالى بصفات الجلال والنزه والعلو اردفه بتزييف مذهب من
يبعد غيره من وجوه منها انها ليست خالقة للاشياء بقوله تعالى **لا يخلقون**
شيا والاله يجب ان يكون قادرا على الخلق والايجاد ومنها انها مخلوقة
بقوله تعالى **وهم يخلقون** والمخلوق محتاج والاله يجب ان يكون غنيا
وغلب العقلاء على غيرهم لان الكفار كانوا يعبدون العقلاء كعزير
والمسيح والملائكة وغيرهم كالكواكب والاصنام التي يختونها
ويصورونها ومنها انها لا تملك لانفسها ضرا ولا نفعا بقوله تعالى
ولا يملكون اي لا يستطيعون **لانفسهم ضرا** اي دفعه **ولا نفعا**
اي جلبه ومن كان كذلك فليس باله ومنها انها لا تقدر على موت
ولا حياة ولا نشور بقوله تعالى **ولا يملكون موتا ولا حياة** اي اماتة
لاحد واحياء لاحد **ولا نشورا** اي بعثا للاموات فيجب ان يكون
المعبود قادرا على ايصال الثواب للمطيعين والعقاب الى العصاة
فمن لا يكون كذلك يجب ان لا يصلح للالهية تنبيه احتج اهل
السنة بقوله تعالى لا يخلقون شيا على ان فعل العبد مخلوق لله
تعالى لانه تعالى عاب هؤلاء الكفار من حيث عبدوا ما لا يخلق
شيا وذلك يدل على ان من خلق يستحق ان يعبد فلو كان العبد
خالقا لكان معبودا الهيا ولما تكلم تعالى اولا على التوحيد
وثانيا في الرد على عبدة غير تكلم ثالثا في مسئلة
النبوة وحكى شبهة الكفار في انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
الشبهة الاولى قوله تعالى **وقال الذين كفروا** اي منكرو الرسول

الذين حملهم على هذا القول وهو سير ما ظهر لهم ولغيرهم كالشمس
والاجتهاد في اخفايه ان اي ما هذا اي القرآن الا افك اي كذب
مصروف عن وجهه افتراه اي اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم
واعانه عليه اي القرآن قوم اخرون اي من غير قومه وهم اليهود
فانهم يلقون اليه اخبار الامم وهو يعبر عنها بعبارته وقيل عداس
مولى حويطب بن عبد العزى ويسار مولى العلاء بن الحضرمي وابو
فكيهة الرومي كانوا بمكة من اهل الكتاب فزعم المشركون انه محمدا
ياخذ منهم فرد الله تعالى عليهم بقوله فقد جاءوا اي قابلوا هذه
المقالة ظلما وهو جعل الكلام المعجز افكا مختلقا مستلقفا من اليهود
وجعلوا العزيز يتلقف من البحر الرومي كلاما عجوبيا معجزا
بفصاحته جميع فصحاء العرب وزورا اي بهتوه بنسبته ما هو بري
منه اليه وقرا ابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الدال والباء
قوله بالادغام تنبيه جاءوا في يستهلان في معنى فعل غير بنا
بقربه وظلما مفعول به وقيل انه على اسقاط الخافض اي
جاءوا بظلم الشنعة الثانية قوله تعالى وقالوا اساطير الاولين
اي ما سطره الاولون من اكاذيبهم جمع اسطورة بالضم كاحدوثة
او اسطار اكتتبها اي بطلت كتابتها له من ذلك القوم واخذها
والمعنى ان هذا القرآن ليس من الله تعالى انما هو مما سطره
الاولون الاولكاحاديث استكتبها واستقدبها انتسخها محمد من اهل
الكتاب فهي اي فتسبب عن تكلف ذلك انما تملى عليه اي تقرا عليه
ليحفظها بكرة قبل ان تنتشر الناس واصيلا اي عشيا حين ياوون
الى مساكنهم اوداءما التكلف حفظها بالانتساخ لانه امي لا يقدر
ان يكون من الكتاب او ليكتب وهذا كما ترى لا يقوله من له مسكة

في

في عقل او مروة كيف وهو يدعو عربيا الى المعارضة ولو بسورة من مثله في نظم
الكتاب والشعراء والبلغاء والخطباء وهم اكثر منه مالا واعظم اعوانا والقدرة
على شيء منه فان قيل كيف قيل اكتتبها في تملى عليه وانما يقال
استملت عليه فهو يكتبها اجيب بوجهين احدهما اراد اكتتابها وطلبه
في تملى عليه الثاني انما كتبت له وهو امي فهي تملى عليها اي تلقى عليه من
كتاب ليحفظها لان صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب
وقرا النبي قالون وابو عمرو والكسائي بسكون الهمزة والباقون بكسرها
لما امر الله تعالى نبيه بجوابهم بقوله تعالى قل اي يا اعلى بطلان ما قالوه وتهديدا
لهم انزله الذي يعلم السر اي الغيب في السموات والارض لذلك اخر لكم
عذابكم بفصاحته وتضمنه اخبارا عن مغيبات مستقبلة واشياء
مكنونة لا يعلمها الا عالم الاسرار فكيف يجعلونه اساطير الاولين
مع عالمكم انما تقولوه باطل وزور وكذلك باطن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وبراءته مما تمتحنونه وهو يجازيكم على ما علم منكم
وعلم منه فان قيل كيف يطابق هذا قوله تعالى انه كان اي ازلا
وابدا غفورا رحيما اجيب بانه لما كان ما يقدمه من معنى الوعيد
عقبه بما يدل على العدالة عليه لانه لا يوصف بالرحمة والمغفرة
الا القادر على العقوبة او هو تنبيه على انهم استوجبوا بكبائرهم
هذا ان يصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم لانه غفور
رحيم يمهل ولا يعاجل السبيعة الثالثة قوله تعالى وقالوا مال هذا
الرسول اي ما لهذا الذي يزعم الرسالة وفيه استهانة وتهكم به
وتقبير لشانه وتسميته بالرسول سخرية منهم كقولهم قالوا ما لهذا الكذاب
انه رسول وزعموا قرئ ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اي
ان صح انه رسول الله فما باله حاله مثل حالتنا ياكل الطعام اي كما ناكل

ويمشي اي يتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نمشي فلا يجوز ان يمتاز
ان يمتاز عنا بالنبوة يعنون انه يجب ان يكون ملكا مستغنيا عن
الاكل والشرب والتعيش وكذلك كانوا يقولون له لست انت بملك
لانك تاكل الطعام والملك لا ياكل ولانك لا يتسوق وانت تتسوق
وهاتان الواو فاسدتان اكله الطعام لكونه آدميا ومشيه في الاسواق
لتواضعه وكان ذلك صفته في التوراة ولم يكن سخابا في الاسواق
وليس شيا من ذلك بنافي النبوة ولانه لم يدع انه ملك من الملوك
ثم انزلوا عن اقتراحهم ان يكون ملكا الى اقتراح ان يكون انسانا ما
معه ملك حتى يشاهد في الانذار والتخويف فقالوا لولا اي هلا
انزل اليه ملك اي ليصدقه ويشهد له فيكون معه نذيرا اي
داعيا ثم انزلوا ايضا الى انه لم يكن مرفودا بملك فليكن مرفودا
بكنز فقالوا او يلقى اليه كنز اي ينزل عليه كنز من السما ينفقه
فلا يحتاج الى المشي في الاسواق لطلب المعاش ثم انزلوا فاقترحوا
بان يكون رجلا له بستان فقالوا او تكون له جنة اي بستان
ياكل منها ان لم يلق اليه كنز فلا اقل ان يكون له بستان كالمياسير
فيتعيش بريعه وقرا حمزة والكسائي بالنون اي ناكل نحن منها
فيكون له حزبة علينا بها والباقون بالياء وقوله تعالى وقال
الظالمون وضع فيه الظاهر موضع المضمر اذ الاصل وقالوا
تسجيلا عليهم بالظلم فيما قالوا ان اي ما تتبعون الا رجلا
مسحورا اي مخدوعا مغلوبا على عقله وقيل مسحورا عن الحق
والما النبي تعالى ما ذكر من اقوالهم المناسبة عن ضلالهم التفت
سبحانه وتعالى الى رسوله صلى الله عليه وسلم مسليا له بقوله
تعالى انظر اي يا افضل الخلق كيف ضربوا لك الامثال اي بالسجود

والمحتاج

والمحتاج الى ما ينفعه والى ملك يقوم معك بالامر فضلوا اي بذلك عن جميع طرق
الهدى فلا يستطيعون اي في المحال ولا في المال بسبب الضلال سبيلا اي
سلوك سبيل من السبل الموصولة الى ما يستحق ان يقصد بل هم في محال
وحشة وفيافي مهلكة والحاصل انهم لا علم لهم ولا قدرة ولا يمن ولا بركة
اثبت لنفسه سبحانه وتعالى ما يستحق من الكمال الذي يتميز به على من
سواه من عباده مما شاء بقوله تعالى تبارك اي ثبت ثباتا مقترنا باليمن والبركة
لا ثبات الا هو الذي ان شاء فانه لا مكره له جعل لك اي في الدنيا ان
خيرا من ذلك اي من الذي قالوه على طريق التهكم من الكنز والبستان
وقوله تعالى جنات بدل من خيرا ويجوز ان يكون منصوبا باضمار اعني
ثم وصفها بقوله تعالى تجري من تحتها الانهار اي تكون ارضها عيونا
نابعة اي في موضع ان يدر منه اجرا مثل جري نهر لا تنزال ريا تغني
صاحبها عن كل حاجة ولا تتوجه في استمرارها الى مستمد ويجعل لك
وقصورا اعيانا وهي جمع قصر وهو المسكن الرفيع قال المفسرون
القصور هي البيوت المشيدة والعرب تسمي كل بيت مشيد قصرا ويحتمل
ان يكون لكل جنة قصر فيكون مسكنا ومستمتعا لها ويجوز ان تكون
القصور مجموعة والجنات مجموعة وقال مجاهد ان شاء جعل جنات في
الاخرة وقصورا في الدنيا ولم يشا الله سبحانه وتعالى ما اشار اليه
في هذه الاية الشريفة في هذه الدنيا الفانية واخره الى الاخرة
الباقية وقد عرض عليه سبحانه وتعالى عليه الصلاة والسلام
ما شا من ذلك في الدنيا فاباه روي انه عليه الصلاة والسلام
قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحا مكة ذهبا فقلت لا يا رب ولكن
اشبع يوما واجوع يوما او قال ثلاثا او نحو هذا فاذا جعت تضرعت
اليك واذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك وعن عايشة رضي الله تعالى

عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت لسارت معي جبال
الذهب جاءني ملك فقال ان ربك يقرأ عليك السلام ويقول ان شئت نبيا
عبدا وان شئت نبيا ملكا فنظرت الى جبريل عليه السلام فاشار الي ان
ضع نفسك فقلت نبيا عبدا قالت وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا ياكل
بعد ذلك لا ياكل متكيا ويقول اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد
وعن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وجبريل
عليه السلام معه فقال جبريل عليه السلام هذا ملك قد نزل من السما
استاذن ربه في زيارتك فلم يلبث الا قليلا حتى جا ملك فسلم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ان الله يخيرك ان
يعطيك مفاتيح كل شي ولا يعطيه احدا قبلك ولا يعطيه احدا بعدك
من غير ان ينقصك مما اداك شيا فقال صلى الله عليه وسلم بل
يجمعها لي في الاخرة فنزل تبارك الذي ان شاء الاية وقرا ابن كثير
وشعبة برفع اللام من يجعل وفيه وجهان احدهما انه مستانف
والثاني انه معطوف على جواب الشرط لان الشرط اذا وقع ماضيا
جاز في جوابه الجزم والرفع كقوله ۰ وان اتاه خليل يوم مسغبة ۰
يقول لا غايب مالي ولا حرم ۰ والباقون بالجزم ويجوز في يجعل لك
اذا ادغمت ان تكون اللام في تقدير الجزم والرفع ثم اضرب
سبحانه وتعالى عن كلامهم في حق رسوله صلى الله عليه وسلم
بقوله تعالى بل اي لا يظن انهم كذبوا بما جيت به لانهم لا يعتقدون
فيك كذبا بل كذبوا بالساعة اي القيامة فقصرت انظارهم على
الحطام الدنيوي وظنوا ان الكرامة انما هي بالمال فلا يرجون ثوابا
ولا عقابا فلا يتكلفون النظر والفكر ولهذا لا ينتفعون بما يورد
عليهم من الدلايل واعتدنا اي والحال انا اعتدنا اي هيانا بما لنا من

العظمة

لمن كذب من هولا وغيرهم بالساعة سعيرا اي نارا شديدة الاتقاد و
تباعهم وعن الحسن ان السعير اسم من اسما جهنم تنبيه احتج اهل السنة
على ان الجنة مخلوقة بقوله تعالى اعدت للمتقين وعلى ان النار دار
العقاب مخلوقة بهذه الاية اذا راتهم من مكان بعيد وهو اقصى ما يمكن
رؤيتها منه وقال الكلبي والسدي من مسيرة عام وقيل من مسيرة
مائة سنة روي انه صلى الله عليه وسلم قال من كذب علي متعمدا
فليتبوا بين عيني جهنم مقعدا قالوا وهل من عينين قال نعم الم تسمع
قوله تعالى اذا راتهم من مكان بعيد وقال البيضاوي تبعا للزمخشري
اذا كانت بمراى منهم كقوله عليه الصلاة والسلام لا تتراءى ناراهما
اي لا تتقاربا بحيث تكون احداهما بمراى من الاخرى على المجاز اهـ
هذا تاويل للمعتزلة بنا منهم على ان الرؤية مشروطة بالحياة بخلاف ف
الاشاعرة فانهم يجوزون رؤيتها حقيقة كتغيظها وزفيرها في قوله
تعالى سمعوا لها تغيظا اي غليانا كالغضبان اذا غلا صدره من الغضب
وزفيرا اي صوتا شديدا اذ لا امتناع في ان تكون رائية مغتاظة
زافرة واشار البيضاوي الى ذلك بعد ما ذكر بقوله هذا وان الحياة
لما لم تكن مشروطة زايدة عندنا بالبنية امكن ان يخلق فيها حياة فترى
وتتغيظ وتزفر وقال الجلال المحلي وسماع التغيظ رؤيته وعلمه اهـ
قال عبد الله بن عمر تزفر جهنم يوم القيامة زفرة فلا يبقى ملك مقرب
ولا نبي مرسل الا خر لوجهه وقيل اذا راتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا
غضبا على الكفار للانتقام منهم فنسب اليها على حذف مضاف واذا القوا
اي طرحوا طرح اهانة منها اي النار مكانا ثم وصفه تعالى بقوله تعالى
ضيقا زيادة في فظاعتها قال ابن عباس يضيق عليهم كما يضيق الزج
في الرمح مقرنين اي مصفدين زيادة قد قرنت ايديهم الى اعناقهم

من الاغلال وقد قيل الكرب مع الضيق كما ان الروح مع السعة وكذلك
وصف الله تعالى الجنة بان عرضها السموات والارض وجاء في الاحاديث ان
لكل مومن من القصور والجنات كذا وكذا ولقد جمع الله تعالى على اهل
النار انواع الضيق والازهاق حيث القاهم في مكان ضيق يراعون
فيه تراصيا كما مر عن ابن عباس انه يضيق عليهم كما يضيق الرمح في
الزج وهو منقول ايضا عن ابن عمر وسيل النبي صلى الله عليه وسلم عن
ذلك فقال والذي نفسي بيده انهم يستكرهون في النار كما يستكره الوتد
في الحائط ومع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت
ايديهم الى اعناقهم وهل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة في
ارجلهم تنبيه مكانا منصوب على الظرف ومكانا في محل نصب على الحال اي
مكانا لانه في الاصل صفة له ومقرنين حال من مفعول القوا وقرا ابو بكر
ضيقا بسكون الياء والباقون بكسر الياء مشددة دعوا هنالك اي
في ذلك المكان الضيق البعيد عن الرفق ثبورا قال ابن عباس ويلا
وقال الضحاك هلاكا يقولون وا ثبوراه هذا حينك وزمانك لانه لا
منادم لهم غيره وليس يجد احد منهم سواه قال النبوي وفي الحديث
ان اول من يكسى حلة من النار ابليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها
من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول يا ثبوراه وهم ينادون يا ثبورهم
حتى يقفوا على النار فينادي يا ثبوره وهم ينادون يا ثبورهم حتى
يقفوا على النار فيقال لهم لا تدعوا اليوم اي ايها الكفار ثبورا واحدا
لانكم لا تموتون اذا حللتم بكم اسباب العذاب والهلاك وادعوا ثبورا
كثيرا اي هلاكا كثيرا فان لكم ان تدعوا مرة واحدة وادعوا ادعية كثيرة
وقال الكلبي نزل هذا الكلام في ابي جهل والكفار الذين ذكروا تلك
الشبهة والمراد صف تعالى العقاب المعد للملكذبين بالساعة اتبعه

بما

بما يؤكد الحسرة والندامة بقوله تعالى قل اي لهم لا البعد البغيض اذلك
اي العذاب المذكور من الوعيد وصفة النار خير ام جنة الخلد اي الاقامة
الدائمة التي وعد المتقون اي وعدها الله تعالى لهم فالراجع الى الموصول
وهو ها اي وعدها هم ميزوا فان قيل كيف يقال العذاب خير ام جنة الخلد
وهو يحزن ان يقول السكر احلا ام الصبر اجيب بانها تحسن في معرض الترغيب
كما اذا اعطى السيد عبده مالا فتمرد وابى واستكبر فضربه وقال له هذا
خير ام ذلك قال ابو مسلم جنة الخلد هي التي لا ينقطع نعيمها والخلد والخلود
سواء كالشكر والشكور قال تعالى لا نريد منكم جزاء ولا شكورا فان
قيل الجنة اسم للدار المخلوقة فاي فائدة في قوله تعالى لجنة الخلد اجيب
بان الاضافة قد تكون للتبيين وقد تكون لبيان صفة الكمال كقوله
تعالى الله الخالق البارئ وهذا من هذا البيان او للتميز من جنات الدنيا
ثم حقق تعالى امرها تاكيدا للبشارة بقوله كانت لهم جزاء اي ثوابا على
اعمالهم بفضل الله تعالى وكرمه ومصيرا اي مرجعا فان قيل ان الجنة
ستصير للمتقين جزاء ومصيرا الكمها بعد ما صارت كذلك تعلم قال تعالى
كانت اجيب من وجهين الاول انها وعد الله تعالى فهو في تحققه
كالواقع الثاني انه كان مكتوبا في اللوح المحفوظ قبل ان يخلقهم الله
تعالى بازمنة متطاولة ان الجنة جزاؤهم ومصيرهم فان قيل لم جمع
تعالى بين الجزاء والمصير اجيب بان ذلك كقوله تعالى نعم الثواب وحسنت
مرتفقا فمدح الثواب ومكانه كما قال تعالى بئس الشراب وساءت مرتفقا
قدم العقاب ومكانه لان النعيم لا يتم للمتنعم الا بطيب المكان وسعته
وموافقته للمراد والشهوة والا تنغص وكذلك العقاب يتضاعف بفظاعة
الموضع وضيقه وظلمته فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء تنبيه
المتقي يشمل من اتقى الكفر وان لم يتق المعاصي وان كان غيره اكمل

ذكر تعالى بينهم فيها بعد ان ذكر بينهم بقوله تعالى لهم فيها اي الجنة ما
يشاؤن من كل ما تشتهيه انفسهم كما قال تعالى وفيها ما تشتهيه
الانفس قال قيل اهل الدرجات العالية اذا شاهدوا الدرجات
العالية لابد وان يريدوها فاذا سالوها ربهم فاذا اعطاها لهم لم
يبق بين الناقص والكامل تفاوت في الدرجة فانه لم يعطها لهم فدفع
ذلك في قوله تعالى لهم فيها ما يشاؤن واجيب بان الله تعالى يزيل
هذه الخواطر عن قلوب اهل الجنة ويشغلهم بما هم فيه من اللذات
عن الالتفات الى حال غيرهم وقوله تعالى خالدين منصوب على
الحال اما من فاعل يشاؤن واما من فاعل لهم كقوله جنات
والعامل على ما مجاز وفي اي لهم فيها الذي يشاؤنه خالدين
وقوله تعالى كان على ربك اي وعدهم ما ذكر وعدا يدل على ان الجنة
حملت لهم بحكم الوعد والتفضل لا بحكم الاستحقاق وقوله تعالى
مسئولا اي يطلبوها اختلف في المسايل فالاكثر على ان المؤمنين
سالوا ربهم في الدنيا حين قالوا ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك
روي انه صلى الله عليه وسلم قال ما منكم من يدعو بدعوة ليس
فيها اثم ولا قطيعة رحم الا اعطاه بها احدى ثلاث اما ان يعجل له
دعوته واما ان يصرف عنه من السوء مثلها قالوا اذا نكثر قال الله اكثر روي
انه يدعي بالمؤمن يوم القيمة حتى يوقفه الله تعالى بين يديه فيقول
عبدي فيقول لبيك يا رب فيقول اني امرتك ان تدعوني ووعدتك
ان استجيب لك فهل كنت تدعوني فيقول اني كنت ارجو ان
استجيب لك فيقول الله تعالى لبيس دعوتني يوم كذا وكذا الغم نزل بك فاذا انت
عنه فرجت عنك فيقول نعم يا رب فيقول اني عجلتها لك في
الدنيا ودعوتني يوم كذا وكذا الغم نزل بك فاذا انت عنه فلم ترج

وما ان لهم فيها
الى في الآخرة تم

فرجا قال نعم يا رب فيقول اني ادخرت لك ما في الجنة كذا وكذا
ودعوتني في حاجة اقضيها لك في يوم كذا فقضيتها فيقول نعم يا رب
فيقول اني عجلتها لك في الدنيا ودعوتني يوم كذا وكذا في حاجة
اقضيها لك فلم ترقضاها فيقول نعم يا رب فيقول اني ادخرت لك بها
في الجنة كذا وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يدع الله
عز وجل عبدا مؤمنا دعاني بها ان يكون عجل له في الدنيا
واما ان يكون ادخره له في الآخرة فيقول المؤمن في هذا المقام يا ليته
لم يكن عجل لي شيئا من دعايه وردي لا تعجلوا في الدعا فانه لا يهلك
مع الدعا احد وردي ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة وردي
يستجاب لاحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي وردي لا يزال
يستجاب للعبد ما لم يدع باثم او قطيعة رحم ما لم يستعجل قيل يا رسول
الله ما الاستعجال فيقول قد دعوت فلم ليستجب لي فيستحسر عند ذلك
ويدع الدعا فليدع الانسان وهو موقن بالاجابة
وقال محمد بن كعب القرظي الطلب من الملايكة للومنين سالوا
ربهم للومنين يقولهم ربنا وادخلهم جنات عدن التي وعدتهم
وقيل ان المكلفين سالوه بلسان الحال لانهم لما عملوا المشقة
الشديدة في طاعة الله تعالى كان ذلك قايما مقام السوال
قاله المتنبي وفي التفسير حاجات وهنك فطانة وسكن في كلام عدها وخفاء
ولما ذكر تعالى حالهم في السلعة عقبه بذكر حالهم مع معبوداتهم
من دونه بقوله تعالى ويوم اي واذكر لهم يوم نحشرهم اي المشركين
وقرا ابن كثير وحفص بالياء والباقون بالنون واختلف في المراد بقوله
تعالى وما يعبدون من دون الله اي غيره فقال الاكثرون من
الملايكة والجن والمسيح وعزير وغيرهم وقال عكرمة والضحاك

والكلبي من الاصنام فقيل لهم كيف يخاطب الله تعالي الجماد يومئذ فقال
فيقول ءانتم اضللتم عبادي هؤلآء اي اوقعتموهم في الضلال بامركم
اياهم بعبادتكم ام هم ضلوا السبيل اي طريق الحق بانفسهم فاجابوا
بوجهين احدهما ان الله تعالي يخلق الحياة فيها ويخاطبها الثاني ان يكون
ذلك بالكلام النفساني لا بالقول اللساني بل يلسان الحال كما ذكرهم
بعضهم في تسبيح الجماد وكلام الايدي والارجل ويجوز ان يكون السؤال
عاما لهم جميعا فان قيل كيف صح استعمال ما في العقلاء اجيب
علي الاول بانه اريد به الوصف كانه قيل ومعبودهم الا ترا كم
تقول اذا اردت السؤال عن صفة زيد ما زيد تعني اطويل ام
قصير فقيه ام طبيب وقد قال والسماء وما بناها ولا تقل
عابد زيدا عبد واما علي القول الثاني فواضح واما علي القول
الثالث فغلب علي غير العقلاء لغلبة عباده او تحقيرا لشانهم
فيل ما فائدة هذا السؤال مع ان الله تعالي كان عالما في الازل
بحال المسؤل عنه اجيب بان هذا سؤال تقريع للمشركين كما
قيل لعيسي عليه السلام ءانت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين من دون الله وقرا ابن عامر فيقول بالنون والباقون
بالياء وقرا انتم نافع وابن كثير بتسهيل الثانية وادخال الف
بينها وبين همزة الاستفهام وورش وابن كثير بتسهيل
الثانية بلا الف بينها وبين الاولي ولورش وجه آخر وهو
ابدال الثانية الفا وهشام بتسهيل الثانية وتحقيقها مع
الادخال والباقون بتحقيقهما وقرا ام مم نافع وابن كثير وابو
عمرو في الوصل بابدال الهمزة ميما لقربها والباقون
بتحقيقها قالوا سبحانك اي تنزيها لك عما لا يليق بك او تعجبا

مما

قبلهم لانهم اما ملائكة او انبياء معصومون فما ابعدهم عن الضلال الذي
هو مختص بابليس وجنوده او جمادات وهي لا تقدر علي شيء او اشعار
بانهم الموسومون بتسميته وتوحيده فكيف يليق بهم اضلال
عبيده ما كان ينبغي اي يستقيم لنا ان نتخذ اي نتكلف ان نأخذ باختيارنا
من غير ارادة منك من دونك اي غيرك من اولياء للعصمة او لعدم
القدرة فكيف يستقيم لنا ان نامر عبادتنا فان قيل ما فائدة انتم
وهم وهلا قيل اضللتم عبادي هؤلآء ام هم ضلوا السبيل اجيب
بان السؤال عن الفعل وفاعله لانه لولا وجوده لما توجه هذا القتا
وانما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وايلائه حرف الاستفهام حتي
يعلم ان المسؤول عنه تنبيه من اولياء مفعول اول ومن زائدة
لتاكيد النفي وما قبله المفعول الثاني ولما تقدم من كلامهم انا لم نضلهم
ولم نحملهم علي الضلال حسن الاستدراك بقولهم ولكن متعتهم
وآباءهم وهو ان ذكرى اسبابه اي التمت عليهم وعلي اباءهم من
قبلهم بانواع النعم والصحة وطول في العمر في الدنيا فجعلوا ذلك
ذريعة الي اضلالهم بعكس القضية حتي نسوا الذكر اي تركوا
الايمان بالقران وقيل تركوا ذكرك وغفلوا عنه وكانوا اي
في علمك بما قضيت عليهم في الازل قوما بورا اي هلكي وهو مصدر
وصف به وهو يستوي فيه الواحد والجمع او جمع بائر كعابد وعوود
وقوله فقد كذبوكم فيه التفات الي الحجة بالاحتجاج والاكرام
علي هذا القول والمعني فقد كذب المعبود دون دون العابدين
بما اي بسبب ما تقولون اي ايها العابدون من انكم يستحقون
العبادة وانتم سيئفنون لكم وانتم اضلوكم وما تسبب عن تضليلهم
عن عبدتهم انه لا نفع في اليدهم ولا ضر قال تعالي فما يستطيعون

اي المعبود دون صرفا اي لشيء من الاشياء عن احد من الناس لا النفع ولا الضر
من عذاب ولا غيره بوجه حيلة ولا شفاعة ولا نصرا اي منعا لكم من الله
ان اراد بكم سوأ وهذا من قول الله تعالى لا يملكون كشفا عنكم ولا تحويلا
بالياء على الغيبة وقرأ حفص بالتاء على الخطاب والباقون بالياء على الغيبة ومن
يظلم اي بالشرك منكم اي ايها المكلفون نذقه اي بما نلحقه من العظيمة
عذابا كبيرا اي شديدا في الدنيا بالقتل والاسر وضرب الجزية
وفي الاخرة النار روى العوفي عن ابن عباس انه قال لما عير
المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث لهم ما لهذا الرسول
الي اخرها انزل الله تعالى وما ارسلنا قبلك اي يا اشرف الخلق احدا
من المرسلين الا وانهم ليأكلون الطعام كما تأكل ويأكل غيرك
من الادميين ويمشون في الاسواق كما تفعل فهذه عادة مستمرة
من الله تعالى في كل رسله وهم يعلمون ذلك بالسماع من اخبارهم وهذا
تأكيد من الله تعالى لانهم لا يكذبونه صلى الله عليه وسلم وقيل معنى
الاية وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا قيل لهم مثل هذا انهم ياكلو
الطعام ويمشون في الاسواق كما قال تعالى في موضع اخر ما يقا
لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك وجعلنا اي بالعطاء والمنع بحالنا
من العظمة بعضكم اي ايها الناس لبعض فتنة اي بلية والمعنى
انه تعالى ابتلى المرسلين بالمرسل اليهم وبنا صبتهم لهم العداوة
واقاد بلهم الخارجة عن حد الانصاف وجعل الغني فتنة للفقير
والصحيح فتنة للمريض والشريف فتنة للوضيع يقول الثاني
في كلما اي لا اكون كالاول وقال ابن عباس جعلت بعضكم بلاء
لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم وتتركون من خلافهم وتتبعوا
المهدي وقال مقاتل نزلت هذه الاية في ابي جهل والوليد

ابن

ابن عقبة والعاصي بن وايل والنضر بن الحارث وذلك انهم راوا
ابا ذر وابن مسعود وعمار وبلال وصهيب وعامر ابن فهيرة
ورهطهم قد اسلموا قبلهم فقالوا لو كان نبيا لكنا نحن اسبق الناس
جعلناك فتنة لانك لو كنت غنيا صاحب كنوز وجنات لكان يسلم
اليك وطاعتهم لك للدنيا او تمزوجة بالدنيا فانما ابتليناك ففقيرا
لتكون طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي
وقوله تعالى اتصبرون اي على ما تسمعون مما ابتليتم بد استفهام بمعنى
الامر اي اصبروا وكان ربك اي المحسن اليك احسانا لم يحسنه الى احد
سواك لا سيما بجعلك نبيا عبدا بصيرا اي بكل شيء فهو عالم بالانسان
قبل الافتتان فلم يفده ذلك علما لم يكن عنده ولكن يعلم ذلك شهادة
كما يعلم علم الغيب لتقوم عليهم بذلك الحجة فلا يضيقن صدرك ولا
يستخفنك اقاويلهم فان صبرك عليهما سعادتك وفوزك في الدارين
روي انه صلى الله عليه وسلم قال اذا نظر احدكم من فضل عليه في
المال والجسم فلينظر الى من هو دونه في المال والجسم وردي
النظر الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم جدير
ان لا تزدروا نعمة الله عليكم السبهة الرابعة لمنكري نبوة محمد صلى
الله عليه وسلم قوله تعالى وقال الذين لا يرجون لقاءنا اي لا يخافون
البعث قال الفراء الرجاء يجيء الخوف لغة تهامة ومنه قوله تعالى
ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون لله عظمة لولا اي هلا
ولم لا انزل اي علي اي وجه كان من اي منزل كان علينا الملائكة
كما انزلت عليه فيما يزعم فكانوا رسلنا الينا او فتخبرنا بصدقه او
نرى ربنا بما له علينا من الاحسان وبما لنا نحن من العظمة بالنبوة
بالاموال يامرنا بما يريد من غير حاجة الي واسطة قال الله تعالى

عليهم لقد استكبروا اي تعظموا في شان انفسهم اي اضمروا الاستكبا
عن الحق وهو الكفر والعناد عن الكفر في قلوبهم واعتقدوه
كما قال تعالى ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه وعتوا اي
تجاوزوا الحد في الظلم عتوا كبيرا اي بالغا اقصى مراتبه حيث
عاينوا المعجزات القاهرات فاعرضوا عنها وافترحوا الاقتراحات
الكبيئة اسرت دونه طامح النفوس القدسية واللام جواب
قسم محذوف وفي تخويف هذه الافعال دليل على التعجب من غير
لفظه والمعنى الذي يدل عليه ما اسد استكبارهم وما اكبر عتوهم
ثم بين تعالى لهم حالهم عند بعض ما طلبوا بقوله تعالى يوم
يرون الملائكة اي يوم القيمة وقال ابن عباس عند الموت لا
بشرى اي من البشرى اصلا يومئذ وقوله تعالى للمجرمين اي
الكافرين اما ظاهر في موضع ضمير وانما لانه عام فقد تناول لهم
بعمومه تجلى الموصوفين فلهم البشرى بالجنة تنبيه في نصب
يوم اوجه احدها انه منصوب باضمار فعل يدل عليه قوله تعالى
لا بشرى اي يمنعون بها يوم يرون الثاني ان يكون مفعولا
به الثالث ان يقدر اذكر مقدرا ولا يجوز ان يعمل فيه نفس البشرى
لوجهين احدهما انها مصدر والمصدر لا يعمل فيما قبله والثاني
انها منفية بلا وما بعد لا لا يعمل فيما قبلها وقوله ويقولون اي في
ذلك الوقت حجرا محجورا عطفا على المدلول ويقولون الكفرة عند
رؤية هذه الكلمة استعاذة وطلبا من الله تعالى ان يمنع لقاء الملائكة
عنهم بما انهم كانوا يطلبون نزول الملائكة ويعتقدون انهم اذا
رأوهم عند الموت او يوم القيمة كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لانهم
لا يلقونهم الا بما يكرهون وقالوا عند رؤيتهم ما كانوا يقولونه

عند

عند لقاء العدو والشدة النازلة او نحو ذلك حجرا محجورا يعنون عند فرض
الاستعاذة فهم يقولون ذلك اذا عاينوا الملائكة قال سيبويه يقول
الرجل للرجل تفعل كذا وكذا فيقول حجرا وذي من حجره اذا منعه
لان المستعيذ طلب من الله ان يمنع المكروه عنه فلا يلحقه
وكان المعنى اسال الله ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا وقال
ابن عباس تقول الملائكة حراما محرما ان يدخل الجنة الا من
قال لا اله الا الله وقيل اذا خرج الكفار من قبورهم تقول الملائكة
لهم حرام محرم عليكم ان تكون لكم البشرى ولما كان المريد للطال
شيئ لشدة كراهته له لا ينفع في ابطاله بغيره بل يأتيه بنفسه
فيبطله عبر تعالى بقوله وقدمنا اي وعمدنا بما لنا من العظمة
الباهرة في ذلك اليوم الذي يرون فيه الملائكة سواء كان في
الدنيا ام في الاخرة الى ما عملوا من عمل اي من مكارم الاخلاق
من الجود وصلة الرحم واغاثة الملهوف ونحو ذلك فجعلناه
لكونه لم يؤسس على الايمان وانما هو للهوى والشيطان هباء
وهو ما يرى في شعاع الشمس الداخل من كوة مما يشبه الغبار
منثورا اي من قال اي مسلك في عدم النفع اذ للثواب تمام
شرطه ويجازون عليه في الدنيا فتكون النار مستقرهم
ومقيلهم ولهذا بين حال احدهم ولهم الموصوفون بقوله تعالى
اصحاب الجنة يومئذ اي يوم يرون الملائكة خير مستقرا
من الكفار واحسن مقيلا منهم والمستقر المكان الذي يكون
فيه في اكثر اوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون والمقيل
المكان الذي يأوون اليه للاستراحة اي ارواحهم والتمتع بخلال الجنة
وملاذها ونساؤهم كما ان المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك

الترتيب ردي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فقيل اهل
الجنة في الجنة واهل النار في النار قال ابن مسعود لا ينتصف
النهار يوم القيمة حتى يقيل اهل الجنة في الجنة واهل النار في
النار وقال ابن عباس في هذه الاية الحساب في ذلك اليوم في
اوله وقال يوم القيمة يقصر على المؤمنين حتى يكون ما بين الظهر
الى الغروب للشمس تشبيه في افعل هاهنا وقولان احدهما اما على
بابها من التفضيل والمعنى ان المؤمنين خير والاخرة مستقر امن
مستقر الكفار واحسن مقيلا من مقيلهم ولو فرض ان يكون
لهم ذلك او على انهم خير في الاخرة منهم في الدنيا والثاني ان يكون
لمجرد الوصف من غير مفاضلة وفي ذلك المعنى قوله تعالى اذا اصحاب
الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم في ظلال على الارائك
متكيون ذكر وابي تفسير الشغل انتفاض الابكار وانما سمي
بكارة عيبهم واستراحهم اكثر معتبلا مع ان لا نوم في الجنة
على طريق التشبيه ثم عطف تعالى على قوله يوم يرون قوله
تعالى ويوم تشقق السما اي كل سما بالغمام اي كما تشقق الارض
بالنبات يخرج من خلال سقوفها وهو غيم ابيض رقيق مثل الضبا
ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم تنبيه في هذه الباء الثالثة اوجه
احدها انها سببية اي بسبب الغمام يعني بسبب طلوعه منها ونحوه
السما منظر به كما ان الذي تشقق به السما الثاني انها للحال اي
ملتبسة بالغمام الثالث انها بمعنى عن اي عن الغمام كقوله تعالى يوم
تشقق الارض عنهم سراعا والباء عن تبعيضية فانه تقول رميت عن
القوس وبالقوس وقرا ابو عمرو والكوفيون بتخفيف الشين والباقون
بتشديدها ثم اشار تعالى الى جمل من طلب نزول الملائكة

دفعة

دفعة واحدة بقوله تعالى ونزل الملائكة اي بالتعريج بامر حتم لا يمكنهم
التخلف عنه بامر من الامور ولغيره من الذين طلبوا ان يروهم في
حال واحد تنزيلا في اليهم صحايف الاعمال قال ابن عباس تنشق
السما الدنيا فينزل اهلها وهم اكثر ممن في الدنيا من الجن والانس ثم
تنشق السما الثانية فينزل اهلها وهم اكثر من اهل سما الدنيا واهل
الارض جميعا وانسالم كذلك حتى تنشق السما السابعة واهل كل
سما يدورون على السما التي قبلها ثم تنزل الكروبيون ثم حملة العرش
فان قيل ثبت ان نسبة الارض الى سما الدنيا كحلقة في فلاة
فكيف تسع الارض هؤلاء اجاب بعض المفسرين بان الملائكة تكون
في الغمام والغمام يكون مقر الملائكة ويجوز ان الله تعالى يوسع
الارض حتى تسع الجميع وقرا ابن كثير بتنزيل الاولى مضعفة والثانية
ساكنة وتخفيف الزاي ورفع اللام ونصب الملائكة والباقون بنون
واحدة مشددة ونصب اللام ورفع الملائكة ثم بين تعالى ان ذلك
اليوم لا يقتضي فيه غيره بقوله تعالى الملك يومئذ اي اذ تشقق السما
بالغمام ثم وصف الملك بقوله تعالى الحق اي الثابت بيانا لا يمكن
زواله ثم اخبر عنه بقوله تعالى للرحمن اي العام الرحمة في الدارين
ومن عموم رحمته وحقيقة ملكه ان يسر قلوب اهل وده بتعذيب اهل
عداوته الذين عاندوهم فيه لتضييعهم الحق باتباع الباطل ولولا
القاعدة بالرحمة لم يدخل احد الجنة فان قيل مثل هذا الملك لم
يكن قط الا للرحمن فما الفائدة في قوله تعالى يومئذ اجيب بان في
ذلك اليوم لا مالك له سواه لا في الصورة زائلة في المعنى فتضمحل له
الملوك وتعنوا له الوجوه وتذل له الجبابرة بخلاف سائر الايام وكان
ايمذ ذلك اليوم الذي تظهر فيه الملائكة هو الذي طلب الكفار رؤيتهم يوما

على الكافرين عسيرا اي شديد العسر والاستفهام تنبيه هذا الخطاب يدل على انه لا يكون على المؤمنين عسيرا حتى في الكفرين انه يهون يوم القيمة على المؤمن حتى يكون اخف عليه من صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا وقوله تعالى ويوم يعض الظالم اي المشرك لفرط تاسفه لما يرى فيه من الاهوال معمول لمحذوف اي واذكر معطوف على يوم تشقق والمراد في الظالم تحمل العهد والجنس لكن قال ابن عباس اراد بالظالم عقبة بن ابي طالب بن امية بن عبد شمس كان لا يقدم من سفر الا صنع طعاما ودعا اليه جهرا جيرانه واشراف قومه وكان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم ويعجبه حديثه فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما ودعا الناس ودعا النبي صلى الله عليه وسلم فلما قرب الطعام قال النبي صلى الله عليه وسلم ما انا باكل طعامك حتى تشهد ان لا اله الا الله وانى رسول الله فقال عقبة اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاكل صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان عقبة صديقا لابي بن خلف فلما اتى ابي بن خلف قال له يا عقبة صبات قال لا ولكنه لما صبات ولكن دخل علي رجل فابى ان ياكل طعامي الا ان اشهد له فاستحييت ان يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم والشهادة ليست في نفسي فقال ما انا بالذي ارضى منك ابدا الا ان تاتيه وتبصق في وجهه وتطاه ففعله وتلطم رحمه وعينه فوجده ساجدا في دار الندوة فعلم ذلك عقبة فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا القاك خارجا من مكة الا علوت راسك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبرا امر عليا رضي الله عنه فقتله وقيل عاصم بن ثابت بن الفلح الانصاري واما ابي بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم

بيده يوم احد طعنه في المبارزة فرجع الى مكة ومات قال الضحاك لما بصق عقبة في وجه النبي صلى الله عليه وسلم عاد بصاقه في وجهه فاحترق خداه فكان اثر ذلك فيه حتى مات وقال الشعبي كان عقبة خليلا لامية فاسلم عقبة فقال امية وجهي من وجهك حرام ان بايعت محمدا فكفر وارتد فانزل الله تعالى ويوم يعض الظالم اي عقبة على يديه قال الضحاك يأكل يديه الى المرفقين ثم تنبت ولا يزال هكذا اكلما اكلهما تنبت وقال المحققون هذه اللفظة للحسرة والغم يقال عض على يديه وهو لا يشعر حال الكونه مع هذا الفعل يقول اي يجدد في كل لحظة قوله

ل

ياليتني اتخذت اي ارحمت نفسي وكلفتها ان اخذ في الدنيا مع الرسول اي محمد صلى الله عليه وسلم سبيلا اي طريقا الى الهدى وكما تاسف على مجانبة الرسول ندم على مصادقة غيره بقوله يا ويلتى اي يا هلاكي الذي ليس من ندامي غيره لانه ليس يحضرني سواه ليتني لم اتخذ فلانا اي ابيا خليلا اي صديقا اوثقه في امر دنياي لما علمت من سوء عاقبتها وكني عن اسمه وانما اريد به الجنس وكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم عليه لا محالة فيجعل كناية عليه وقرا ابو عمرو بفتح الياء والباقون بالسكون واظهر الذال عند التاء ابن كثير وخفض وادغمها الباقون ثم استانف قوله الذي يقرع كل سامع ان يقوله لقد اي والله لقد اضلني عن الذكر اي عن عمي على طريق القرآن الذي لا ذكر في الحقيقة غيره وصرفني عنه وبالجملة موضع العلة لما قبلها بعد اذ جاءني ولم يكن لي منه مانع رد في عن الايمان به وقرا نافع وابن ذكوان وعاصم باظهار الذال والباقون بالادغام وقوله تعالى وكان الشيطان اشارة الى خليل سماه شيطانا لانه اضله كما يفعل الشيطان او الى كل من كان سببا للضلال من عتاة الجن والانس

للانسان خذولا اي شديد الخذلان يورده مع بعيد الى الكفر ما يكون لا ينصره ولو اراد ما استطاع بل هو في شر من ذلك لانه عليه احمد في نفسه ومثل امم من اضله تنبيه حكم هذه الاية عام في كل خليلين ومتحابين اجتماعا على معصية الله تعالى قال صلى الله عليه وسلم مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك اما ان يحذيك واما ان تبتاع منه واما ان تجد ريحا طيبة ونافخ الكير اما ان يحرق ثيابك واما ان تجد ريحا خبيثة وقال صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل وقال صلى الله عليه وسلم لا تصاحب الا مؤمنا ولا يأكل طعامك الا تقي ولما ذكر تعالى اقوال الكفار ذكر قول رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى **وقال الرسول يارب** اي يا ربي المحسن الي بإدامة الاحسان وعبر بإداة البعد هضما لنفسه ومبالغة في التضرع **ان قومي** اي قريشا الذين لهم قوة ومنعة **اتخذوا هذا القرآن** اي المقتضي للاجماع عليه والمبادرة اليه **مهجورا** اي متروكا بعيدا لم يؤمنوا به ولم يقبلوه واعرضوا عن استماعه تنبيه اشار بصيغة الافتعال الى انهم عالجوا انفسهم في تركه علاجا كثيرا لما يرونه من حسن نظمه وبديع رقومه من كذلك معانيه ورائق اساليبه ولطيف عجائبه وبديع غرائبه واكثر المفسرين على ان هذا القول رفع من النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو مسلم بل المراد انه يقوله في الآخرة كقوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد الآية والاول اولى لان قوله تعالى **وكذلك جعلنا** اي كما جعلنا لك عدوا من مشركي قومك **لكل نبي** من الانبياء قبلك **عدوا من المجرمين** اي من المشركين تسلية له صلى الله عليه وسلم

كانه

كانه تعالى يقول فاصبر كما صبر اولو العزم من قبلك الا اذا ارتفع القول منه **وكفى بربك** اي المحسن اليك **هاديا** اي يهدي بك من تقضي بسعادته **ونصيرا** اي ينصرك على من حكم بشقاوته تنبيه اجمع اهل السنة بهذه الاية على انه تعالى خالق الخير والشر لانه قال تعالى لكل نبي عدو وايد ذلك علي ان تلك العداوة من جعل الله تعالى وتلك العداوة كفر فان قيل قوله تعالى يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا اكتفى نوح عليه السلام ربي اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا كما ان المقصود من هذا انزال العذاب فلذلك ما هنا فكيف يليق هذا بمن وصفه الله تعالى بالرحمة في قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين اجيب بان نوحا عليه السلام لما ذكر ذلك دعا عليهم واما النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر هذا لم يدع عليهم بل انتظر فلما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا فكما ان ذلك كالامر له بالصبر على ذلك وترك الدعاء عليهم فاقترفا البشهة الخامسة لمنكري النبوة ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله تعالى **وقال الذين كفروا** اي غطوا عداوة وحسدا ما تشهد عقولهم بصحته من ان القرآن كلام الله تعالى لاعجازه لهم معترفا فضلا عن كونه بمجتهد **لولا** اي هلا **نزل عليه القرآن** اي النزل الكثير بمعنى اخير ليلا نيا فعن قولهم **جملة** واحدة بقولهم **واحدة** اي من اوله الى آخره كما انزلت التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود ليتحقق الامر من عند الله ويزول عنا ما ينتفي لهم من انه الذي يريده قليلا قليلا ولهذا الاعتراض في غاية السقوط لان الاعجاز لا يختلف بنزوله جملة او متفرقا مع ان للتدريج في ايراد ما اشار اليه بقوله تعالى **كذلك** اي انزلناه تثبيتا على هذا الوجه العظيم الذي انكروه **لنثبت** اي نقوي

به فوادك اي تثبيتك تفهيمه وتحفظه لان المتلقف انما يقوي قلبه
علي حفظ العلم شيأ فشيأ بعد شيء وجزاء عقب جزاء ولوالي عليه
جملة واحدة لتعسر بحفظه والرسول صلي الله عليه وسلم فارقت حاله
حالة الوارد وموسي وعيسي حيث كان امياً لا يقرأ ولا يكتب وهم كانوا
قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقين والتحفظ فانزله الله عليه
منجماً في عشرين سنة وقيل في ثلاث وعشرين وايضا فكان ينزل علي
حسب الحوادث وجوابات السائلين ولان بعضه نسوخ وبعضه
ناسخ ولا ياتي ذلك الا نجماً نزل معرقاً فان قيل ذلك ينبغي
ان يكون اشارة الي شيء تقدمه والذي تقدم هو انزل جملة فكيف
يتسرب ذلك انزلناه معرقاً اجيب بان الاشارة الي الانزال معرقاً
لا الي جملة والدليل علي فساد هذا الاعتراض انهم عجزوا عن
ان ياتوا بمثل واحد من يحي حه وكتد والسورة واحدة من اقصر
السور فابرزوا صحيفة عجزهم وسجلوا به علي انفسهم حين لاذوا
بالمناصبة ونزعوا الي المجاذبة ثم قالوا هلا نزل جملة واحدة كانهم
قدروا علي بقاريته حتي يقدروا علي جملته وقوله تعالي ورتلناه
ترتيلا معطوف علي الفعل الذي تعلق به كذلك كانه قال كذلك
نزلناه ورتلناه ترتيلا ومعني ترتيله قال ابن عباس بيناه بيانا
والترتيل التبيين في ترتل وتثبت وقال السدي فصلناه تفصيلا
وقال مجاهد بعضه في اثر بعض وقال الحسن نزلناه اية بعد اية
ورتلناه عجباً وقيل ويجوز ان يكون المعني وامرنا بترتيل قراءته
وذلك قوله تعالي ورتلناه ترتيلا تل القرآن ترتيلا اي اقرأه
بترتيل وتثبت ومنه حديث عايشة في صفة قراءته لو كسرد كم
هذا الوارد السامع ان يعد حروفه لعدها وقيل لها وان نتزله مع

كونه

كونه مترقاً علي تمكن ويمتد في مدة متباعدة وهي عشرون سنة ولم
نفرقه في مدة متقاربة ولما كان التنزيل وقد بطل ما اتوا به من هذا
الاعتراض عطف عليه ولا يأتونك يا اشرف الخلق اي المشركون بمثل
اي باعتراض في ابطال الامر كوه يخيلون به العقول الضعيفا يحمدون في
تمشيه وتحسينه وتلفيقه حتي يصير عندهم في غاية الحسن والرشاقة
لفظاً ومعني الا جيناك في جوابه بالحق اي الذي لا محيد عنه فنزهو ما
اتوا به لبطلانه فسمي ما يوردون من الشبه مثلاً وسمي ما يقع به الشبه
حقاً واحسن اي من مثلهم تفسيراً اي بياناً وتفصيلاً ولما كان التفسير
هو التكشف عما دل عليه الكلام وضع موضع معناه فقال التفسير هذا الكلا
كتبت وكتبت كما قيل معناه كذا وكذا ولا يأتونك بمثال وصفة عجيبة يقولون هل
كانت لهذه صفتك وحالتك حتي اذا تقترن بك معلك بينه رسولك او يلقي اليك
كنز او يكون نسجة او ينزل عليك القرآن جملة واحدة الا اعطيناك بحق من
الاحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيئتنا ان تعطاه وما هو احسن تكشيفا
لما لبعث عليه ودلالة علي صحته ثم بين تقاصي حال هؤلاء المعاندين
في الاخرة بقوله تعالي الذين اي هم الذين يحشرون اي يجمعون ثم يساقون
مغلولين علي وجوههم مسحوبين الي جهنم كما انهم لم ينظروا في الدنيا بعين الانصاف
فان الاخرة مراة الدنيا فيما عملوا هناك كما ان الدنيا مزرعة
الاخرة فيما عملوا فيها حين عرضوا هناك روي البخاري ان رجلاً قال يا نبي
الله كيف يحشر الكافر علي وجهه يوم القيمة قال الذي امشاه علي الرجلين
في الدنيا قادر ان يمشيه علي وجهه يوم القيمة وروي البيهقي
يحشر الناس يوم القيمة علي ثلاثة اصناف صنف علي الدواب
وصنف علي الوجوه وصنف علي الاقدام وكما وصفهم الله تعالي بالكفر قبل
في امر القرآن بهذا الوصف استانف الاخبار عنهم بقوله تعالي اولئك

اي البعدة البغضاء شر اي سر الخلق مكانا هو جهنم واضل سبيلا اي اخطا
طريقا من غيرهم وقولك لغيرهم ولما قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا
من المجرمين وذكر ذلك في معرض التسلية له صلى الله عليه وسلم
ذكر قصص جماعة من الانبيا وعرفه تكذيب امتهم زيادة في تسليته
القصة الاولى قصة موسى عليه السلام المذكورة في قوله تعالى
ولقد اتينا اي بما لنا من العظمة موسى الكتاب اي التوراة وجعلنا
معه اخاه هارون وزيرا اي معينا فان قيل كيف ذكر وزيرا الكمالي
لكونه من بكاله في النبوة والرسالة اجيب بانه لا منافاة بين النبوة
والرسالة والوزارة فقد كان يبعث في الزمن الواحد انبيا ويؤمر
بان يوازر بعضهم بعضا تنبيه هارون بدل او بيان او منصوب على
القطع ووزيرا مفعول ثان وقيل حال والمفعول الثاني محذوف
ويدل عليه رسالة هارون عليه السلام قوله تعالى فقلنا اذهبا
الى القوم اي الذين فيهم قوة وقدرة على ما يمانعون به ويدفع القبط
فرعون وقومه الذين كذبوا بايانتا فذهبا اليهم بالرسالة فكذبوهما
فدمرناهم تدميرا اي فاهلكناهم اهلاكا ايي فانت يا محمد ليس اولك
من كذب من الرسل فلك اسوة بمن تقدمك فان قيل الغا للتعقيب
والاهلاك لم يحصل عقب بعثة وهارون اليهم بعده بمدة مديدة اجيب
بان فا التعقيب محمولة على هذا الحكم باهلاكه على الوقوع او على
انه على ارادة احتضار القصة فاقتصر على حاشيتها اولها واخرها
لانها المقصود ان من القصة بطولها اعني الزام الحجة ببعثة الرسل
واستحقاق التدمير بتكذيبهم تنبيه قوله تعالى كذبوا باياتنا ان
جعلنا تكذيب الايات على الالهية فهو ظاهر وان جعلناه على
تكذيب ايات البينة فاللفظ وان كان للماضي فالمراد به المستقبل

القصة

القصة الثانية قصة نوح عليه السلام المذكورة في قوله تعالى وقوم
اي ودمرنا قوم نوح لما كذبوا الرسل كانهم كذبوا نوحا ومن قبله
من الرسل صريحا او كان تكذيبهم لواحد منهم تكذيبا للجميع بالقوة
لان المعجزات هي البرهان على صدقهم وهي متساوية الاقدام في
كونها خوارق لا يقدر على معارضتها فالتكذيب لبعض منها تكذيب
للجميع او لم يرد ببعثة الرسل اصلا كالبراهمة وهم قوم يمنعون
بعثة الرسل نسبوا الى رجل يقال له برهام قد كمله لهم ذلك
وقرر له في عقولهم ولانهم عللوا تكذيبهم بانه من البشر ثم ابين
تعالى تدميرهم بقوله تعالى اغرقناهم قاله الكلبي امطرنا عليهم من السما
اربعين يوما وفجر ما الارض عيونا فالتقى الماءان على امر قد قدر في تلك الاربعين فصارت
الارض بحرا واحدا وجعلناهم اي قوم نوح في ذلك للناس اية اي
لمن بعدهم عبرة فليعتبر كل من سلك طريقهم واعتدنا اي هيانا فانفي
الاخرة للظالمين اي الكافرين وكان الاصل لهم وكذا تعالى اظهر
تقبيحهم وتعليقا للحكم بالوصف عذابا اليما اي موجعا سوى ما
عجل لهم في الدنيا القصة الثالثة قصة هود عليه السلام المذكورة
في قوله تعالى وعادا اي ودمرنا عادا قوم هود بالريح العقيم
القصة الرابعة قصة صالح عليه السلام المذكورة في قوله تعالى وثمودا
اي ودمرنا ثمودا قوم صالح بالصيحة القصة الخامسة المذكورة
في قوله تعالى واصحاب الرس اي البير التي هي غير مطوية اي مبنية
قال ابن جرير والرس في كلام العرب كل محفور مثل البير والقبر
اي ودمرنا هم بالخسف واختلف في نبيهم فقيل شعيب وقيل غيره
كانوا اقتسموا اهلها فاثارت بهم وبمنازلهم فهلكوا اجمعين وقال
الكلبي الرس بير بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فاهلكهم الله تعالى

وفتح بفتح الفاء واللام وتكسر قرية عظيمة بناحية اليمن من مساكن عاد
وتسكن اللام وادٍ قريب من البصرة وقيل الاخدود وقيل بير
بانطاكية قتلوا فيها حبيب النجار وقيل اصحاب حنظلة بن صفوان
كانوا مستقرين بالعقاد وهي اعظم ما يكون من الطير سميت بذلك
لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له فتح قيل هو تباء
من قرية مخا معجمة وميملة وتباء مثناة فوقية وجيم وهي تشتمل على
صباعهم فتخطفهم اذ اعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة فاصابتها
الصاعقة ثم انهم قتلوه فاهلكوا وقرونا اي وبين ما قرونا بين
ذلك اي الامر العظيم المذكور وبين كل امتين من هذه الامم
وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة ثم يشير اليها بذلك ويحسب الحاسب
اعداد امتكاثرة ثم يقول فذلك كيت وكيت على معنى فذلك
المحسوب او المعدود ثم قال كثيرا وناهيك بما يقول فيه سبحانه
وتعالى كثيرا استدل البغوي في تفسيره بحديث وساطاني البيهقي
عن ابي سعيد الخدري قال قام فينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوما بعد صلاة العصر فلم يترك شيئا الى يوم القيمة
الا ذكره في مقامه ذلك حتى اذا كانت الشمس على رؤس النخل
واطراف الحيطان قال انه لم يبق من الدنيا فيما مضى الا كما
بقي من يومكم هذا الا وان هذه الامة توفى سبعين امة هي
اخرها واكرمها على الله عز وجل ثم ان الله تعالى قال تسلية
لنبيه صلى الله عليه وسلم وتاسية وتبيانا لشريعته بالعفو
عن امته وكلا اي من هذه الامم ضربنا له اي بما لنا من العظمة
له الامثال حتى وضح له السبل وقام من عين شبهة الدليل وكلا
تبرنا تتبيرا اي اهلكنا اهلاكا وقال الاخفش كسرنا تكسيرا

وقال

وقال الزجاج كل شيء كسرته وفتته فقد تبرته ولقد اتوا اي هؤلاء
المكذبون من قومك على القرية التي امطرت اي وقع امطارها
ممن لا يقدر على الامطار سواه بالحجارة ولذا قال تعالى مطر السوء
مصدر سآء يسوء قرية قوم لوط قال البغوي كانت خمس قرى فاهلك
الله تعالى اربعا منها لعملهم الفاحشة وبقيت نصر واحدة منهم
وهي صغر وكانوا لا يعملون العمل الخبيث فان قيل لم عبر
تعالى بالقرية وهي قرى اجيب بانه تعالى قال ذلك تحقيرا لشانها
في جنب قدرته تعالى واهانة لمن يريد عذابه ودلالة على جمع
الفاحشة لهم حتى كانوا كانهم شيء واحد وقوله تعالى افلم يكونوا
يرونها بل كانوا لا يرجون نشورا اي لا يخافون نشورا اي بعثا بعد
الموت لانه استقر في انفسهم اعتقاد لهم التكذيب بالاخرة
واستمروا عليه قرنا بعد قرن حتى تمكن ذلك منهم تمكنا لا ينفع
معه الاعتبار الا لمن شاء الله واذا رأوك اي مع ما يعلمون من
صدق حديثك وكرم فعالك ولو لم تأتهم بمعجزة فكيف وقد
اتيتهم بما بهر العقول ان اي ما يتخذونك الا هزوا اي يهزؤا
بك وعبر تعالى بالمصدر اشارة الى مبالغتهم في الاستهزاء مع
سذاجة نبينا صلى الله عليه وسلم عن ذلك يقولون اهذا الذي
بعث الله رسولا اي في دعواه محتقرين له ان تاتيه الرسالة
ويقولهم ان مخففة من الثقيلة اي انه كاد ليضلنا اي يصرفنا
عن آلهتنا اي عن عبادتها بفرط اجتهاده في الدعاء الى التوحيد
وكثرة ما يورد مما سبق الى الذهن امثاله في وعجبا ان لولا ان
صبرنا اي بما لنا من الاجماع والتعاضد عليها اي على التمسك
بعبادتها قال الله تعالى وسوف يعلمون اي في حال لا ينفعهم فيه العلم

وان طالت مدة الامهال في التمكين حتى يرون العذاب عيانا في الاخرة
من اضل سبيلا اي اخطا طريقا امم المومنون ولما كان صلى الله
عليه وسلم حريصا على رجوعهم ولزوم ما ينفعهم واجتناب ما يضرهم
سلاه تعالى بقوله تعالى معجبا من حالهم ارايت اي اخبرني من
اتخذ الهه هواه اي اطاعه وبنى عليه دينه لا يسمع حجة ولا ينظر
دليلا فان قيل لم اخر هواه والاصل قولك اتخذ الهه هواه اجيب
بانه هو الاصل تقديم المفعول الثاني على الاول للعناية كما تقول تحملت
منطلقا زيدا انكر عنايتك بالمنطلق ولما كان لا قدر على صرف
الهوى الا الله تعالى تسبب عن شدة حرصه على هدايتهم قوله
تعالى افانت تكون عليه وكيلا اي حافظا تحفظه من اتباع هواه
لا قدرة لك على ذلك ام تحسب ان اكثرهم اي هولاء المدعين ان
يسمعون اي سماع من يتأثر ولو كان غير عاقل او يعقلون اي
كالبهائم ما يرون وان لم يكن لهم سمع حتى تطمع في رجوعهم باختيار
من غير قسر فان قيل انه تعالى لما نفى عنهم السمع والعقل
تكليف ذمهم على الاعراض عن الدين وكيف بعث اليهم الرسول
فان من سلم حالة التكليف العقل اجيب بانه ليس المراد انهم
لا يعقلون سائر المراد انهم لم ينتفعوا بذلك العقل فهم
كقول الرجل لغيره اذا لم يفهم انما انت اعمى واصم فان قيل لم خص
الاكثر بذلك دون الكل اجيب بانه كان فيهم من آمن وفيهم
من عقل لكن وكابر استكبارا وحوفا على الرياسة وبما كان
هذا الاستفهام مقيد اللنفي استانف ما افهمه بقوله تعالى ان
اي ما هم الا كالانعام اي في عدم انتفاعهم بشرع الايات ادلتهم
وعدم تدبرهم فيما شاهدوا من الدلايل والمعجزات بل هم اضل

اي

اي منها سبيلا لانها تنقاد لمن يتعهدها ويميز من يحسن اليها ممن
يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها
ومشاربها وهولا لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم
من اشاة الشيطان الذي هو عدوهم ولا يطلبون الثواب الذي
هو اعظم المنافع ولا الحق الذي هو المشرع المهيع والعذب الروي
ولما بين تعالى جهل المعرضين عن دلايل التوحيد وبين فساد
طريقتهم ذكر انواعا من الدلايل على وجود الصانع اولها الا
ستدلال بالنظر الى حاله الظل مخاطبا راس المخلصين الناظرين
هذا النظر حتى الاهل ورده على مسترشد ذلك بقوله تعالى الم تر
الى ربك اي صنعه وقدرته كيف مد الظل وهو ما بين طلوع
الفجر الى طلوع الشمس يجعله ممدودا لانه ظل لا شمس معه
كما قال تعالى في ظل الجنة وظل ممدود اذ لم يكن معه شمس وان
كان بينهما فوق وهو الليل لان ظل الارض الممدود يعلى قريب
من نصف وجهها مدة تجيب نور الشمس مما قابل قرصها من
الارض حتى امتدت ببساطه وضرب بسطاطه كما تجيب ظله
ظلالهم انوار عقولهم وعقلة طباعهم نفوذ اسماعهم ولو شا
لجعله اي الظل ساكنا اي دايما ثابتا لا يزول ولا تذهبه الشمس
لاصقا باصل كل مظل من جبل وبناء وشجر غير منبسط فلم
ينتفع به احد سمي انبساط الظل وامتداده تحركا منه وعدم ذلك
سكونا لكنه تعالى لم يشا بل جعله متحركا كما يسوق الشمس له وقال
ابو عبيدة الظل ما نسخته الشمس وهو بالغداة والفيء ما نسخ
الشمس وهو بعد الزوال سمي فياء لانه فاء من جانب المشرق الى
جانب المغرب ثم جعلنا الشمس عليه اي الظل دليلا اي ان الناس

يستدلون بالشمس واحوالها في مسيرها على احوال الظل من كونه
ثابتا وزايلا ومتسعا ومتقلصا فلو لم تكن الشمس لما عرف الظل
ولولا النور لما عرفت الظلمة ولا شيا تعرف باضدادها ثم قبضناه
اي الظل الينا اي الي الجهة التي اردنا لا يقدر احد غيرنا ان يحوله
الي جهة غيرها والقبض جمع المنبسط من الشيء معناه ان الظل
بعم جميع الارض قبل طلوع الشمس فاذا طلعت قبض الله
الظل قبضا يسيرا اي علي مهل وفي هذا القبض اليسير شيا
بعد شيء من المنافع مالا يعد ولا يحصى ولو قبض دفعة واحدة
لتعطلت اكثر مرافق الناس بالظل والشمس جميعا وقيل المراد من
قبضها يسيرا قبضها عند قيام الساعة وذلك بقبض اسبابها وهي
الاجرام التي تلقي الظلال وقوله تعالي يسيرا كقوله تعالي حشر
علينا يسير فان قيل ثم في هذين الموصفين كيف موقعها
اجيب باتا موقعها بيان تفاضل الامور الثلاثة كان الثاني
اعظم من الاول والثالث اعظم منهما تشبيها لتباعد ما بينهما
في الوقت ولما تضمنت هذه الاية الليل والنهار وهو النوع الثاني
قال تعالي مصرحا بهما وهو اي ربكم المحسن اليكم وحده الذي
جعل دليلا علي الحق واظهارا للنعمة علي الخلق لكم الليل اي الذي
تكامل به مد الظل لباسا اي ساترا للاشيا شبه ظلامه
باللباس في ستره والنوم سباتا اي راحة للابدان بقطع الاعمال
المشاغل هو عبارة عن كونه موتا اصغر طبا وبالمكان من
الاحساس قاطعا مما كان من الشعور والتقلب فيه دلائل
لاهل البصائر قال البغوي وغيره واصل السبت القطع وفي جعله
تعالي لذلك من الفوائد الدينية والدنيوية مالا يعد ولا يحصى

وكذا

وكذا في قوله تعالي وجعل النهار نشورا اي مبعوثا اليه للابتغاء الرزق
وغيره وفي ذلك اشارة الي ان النوم واليقظة انموذج للموت والنشور
يحكي ان لقمان قال لابنه يا بني كم تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر ثم
ذكر النوع الثالث بقوله تعالي وهو اي وحده الذي ارسل الرياح
وقراءة ابن كثير بالافراد لارادة الجنس وقراءة الباقون بالجمع
لكونها تارة صبا وتارة دبورا وتارة شمالا وتارة جنوبا وغير ذلك
وليس الدعا عند هبوب الريح وكره سبها لخبر الريح من روح
الله تاتي بالرحمة وتاتي بالعذاب فاذا رايتموها فلا تسبوها
واسالوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها رواه ابو داود وغيره باسناد حسن وقوله تعالي بشرا قراءة نافع وابن كثير
وابو عمرو بضم النون والشين اي ناشرات للسحاب وقراءة ابن
عامر بضم النون وسكون الشين علي التخفيف وقراءة عاصم بالبا
الموحدة مضمومة وسكون الشين جمع بشور بمعني مبشر وقراءة
حمزة والكسائي بفتح النون وسكون الشين علي انه مصدر وصف
به بين يدي رحمته اي قدام المطر والمكاثات الماء مسببا عما تحمله
الريح من السحاب اتبعه به بقوله تعالي وانزلنا اي بالنا من العظمة
من السماء اي من السحاب او الكرم المحمود ماء اي بليغا في بيانا للنعمة
به فقال تعالي طهورا اي طاهرا في نفسه مطهرا لغيره كما قال
تعالي في اية اخري ليطهركم به كالوضوء لما يتوضا به فهو اسم لما
يتوضا به ولما يتطهر به كالسحور اسم لما يتسحر به والفطور اسم لما
يفطر به قال صلي الله عليه وسلم في البحر هو الطهور ماره الحل ميتته
اراد به المطهر قالا المطهر لانه يطهر الانسان من الحدث والخبث وذهب
بعض الائمة الي ان الطهور هو الطاهر حتي جوز ازالة النجاسة

بما الجار ان الة الحدث بما وذهب بعضهم الي ان الطهور ما يتكرر
منه التطهير كالصبور اسم لما يتكرر منه الصبر والشكور اسم لما
يتكرر منه الشكر حتي جوز الوصف بالماء الذي يتوضا به مرة بعد
مرة وردبان نقول بان في اسماء الالة كسحور لما يتسحر به كما مر
فيجوز ان يكون طهور كذلك ولو سلم اقتضاؤه التكرر فالمراد
جمعا بين الادلة فان الصحابة رضي الله عنهم لم يجمعوا الماء في اسفارهم
القليلة الماء او في المحل الذي كان يمر عليه فانه يطهر كل جزء منه
لنحيي به اي بالماء بلده ميتا بالنبات وذكر ميتا باعتبار المكان
ونسقيه اي بالماء وغيرهن اسقاه من بيد سقاه وسمع الفتان قال
ابن العطا سقيتك سؤلا واسقيتك والله تعالي اسقي عباده
وارضه مما خلقنا انعاما اي ابلا وبقرا وغنما وانا سي كثيرا
جمع اسان واصله اناسين فابدلت النون ياء وادغمت فيها الياء
او جمع انسي وقدم تعالي النبات لانه به حياة الانعام والانعام
علي الانسان لانه بها كمال حياته فان قيل لم خص الانعام من
بين ما خلق من الحيوان اجيب بان الطير والوحش بعيدة في طلب
الماء فلا يعوزها السراب بخلاف الانعام ولانها قنية الانسان
وعامة منافعهم متعلقة بها فكان عليهم بسقي انعامهم كالا
نعام بسقيهم فان قيل لم نكر الانعام والاناسي ووصفهما
بالكثرة اجيب بان جل الناس مشتغلون بالقرب من الاودية
والانهار ومنافع الماء فيهم غنية عن سقي الماء وانعامهم وهم
كثير منهم لا يعيشون الا بما ينزل الله من رحمته وسعة سمائه
وكذلك قوله تعالي لنحيي به بلدة ميتا يريد بعض بلاد هو لا المستبعد
عن مطال الماء واختلف في عود الهاء في قوله تعالي ولقد صرفناه

بينهم

بينهم علي ثلاثة اوجه اولها قال المجمعون اراد ما تر جع الي المطر
اي صرفنا نزوله في الماكن وابل وطل وغير ذلك مرة ببلد ومرة
ببلد آخر قال ابن عباس ما عام بامطر من عام ولكن الله يصرفه
في الارض وقرا هذه الاية وهذا كما روي مرفوعا ما من ساعة من
ليل او نهار الا والسماء تمطر فيها فيصرفه الله حيث شاء وروي عن
ابن مسعود يرفعه قال ليس من سنة بامطر من اخري ولكن الله قسم
هذه الارزاق فجعلها في السماء في هذا الغيث ينزل منه كل سنة
بكيل معلوم ووزن معلوم واذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك
الي غيرهم فاذا عصوا جميعا صرفه الله ذلك الي الفيافي والبحار
وروي ان الملايكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لانه
لا يختلف ولكن يختلف فيه البلاد ثانيها قال ابو مسلم الضمير راجع
الي المطر والسحاب والاظلال وسائر ما ذكر من الادلة
ثالثها صرفنا هذا القول بين الناس في القران وفي سائر الكتب
والصحف التي انزلت علي الرسل عليهم الصلاة والسلام وهو
ذكر انشاء السحاب وانزال المطر ليذكروا اي ليتذكروا ويعلموا كمال
القدرة وحق النعمة ويقوموا بشكره تنبيه اصله يتذكروا ليتذكروا
ادغمت التاء في الذال وقراة حمزة والكسائي بسكون الذال
وتخفيف الكاف مخففة والباقون بفتح الذال والكاف مشددة بتاء
فابي اي لم اكثر الناس اي بعباداتهم الا كفورا اي بجحود النعمة
وقلة الاكتراث لها وكفرهم قولهم اذا مطروا قالوا مطرنا بنوء
كذا وهو بفتح وهمزة آخر وقت النجم الغلابي علي عادة العرب في
اضافة المطر الي الانواء فنبه بذكره انه يقول ذلك لا يفهمه ان النوء
فاعل المطر حقيقة فان اعتقده انه الفاعل حقيقة كفر وكيف يريد

ابن خالد الجهني قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة
الصبح بالحديبية في اثر سماء كانت من الليل فلما انصرف اقبل على
الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله اعلم
قال اصبح من عبادي مومن بي وكافر فاما من قال امطرنا بنوء كذا
وكذا فذاك كافر بي مومن بالكواكب واما من قال امطرنا بفضل
الله ورحمته فذاك مومن بي وكافر بالكواكب وافاد تعليق الحكم
بالباء انه لو قال امطرنا في نوء كذا لم يكره ونقل الشافعي عن بعض
اصحابه انه قال يقول عند المطر مطرنا بنوء الفتح ثم تقرا ما يفتح
الله للناس من رحمة فلا ممسك لها ولوشئنا لبعثنا اي بما لنا
من العظمة ونفوذ الكلمة في كل قرية نذيرا اي رسولا ينذرهم من
البشر او الملائكة او غيرهم كما قسمنا العمل عليهما وانما فضلنا الامر
عليك وعظمناك به واجللناك وفضلناك على سائر الرسل فلا
تطع الكافرين فيما قصدوا من التغيير على الدعا به بما يبدونه من
المقترحات او يظهرونه من المداهنة او من القلق من صادع
الامر اذ يخيلون ذلك لانك لو قللت منه رجوا ان يوافقوك
وقابل ذلك بالتشدد والتصر وجاهدهم اي بالدعا به اي
القرآن الذي تقدم التحدي عنه في قوله تعالى ولقد صرفناه الخ
بترك طاعتهم المدلول عليه بقوله تعالى فلا تطع او بالسيف
والاقرب الاول لان السورة مكية والامر بالقتال ورد بعد الهجرة
بزمان جهادا كبيرا اي جامعا لكل المجاهدات الظاهرة والباطنة
لان في ذلك اقبال كثير من الناس اليك واجتماعهم عليك فيقوى
امرك ويعظم خطبك وتضعف شوكتهم وتنكسر سورتهم فان
مجاهدة السنهما بالحجج اكبر من مجاهدة الاعدا بالسيف ثم ذكر

النوع

النوع الرابع بقوله تعالى وهو الذي مرج البحرين اي ارسلهما الواسعين
الكثيرين بان خلاهما متجاورين متلاصقين وهو بقدرته تعالى
يفصل بينهما وبين التمازج هذا عذب اي حلو سايغ فرات اي
شديد العذوبة بالغ الغاية فيها حتى يجذب الى الحلاوة لاذرق
ما كان منه على وجه الارض وما كان في بطنها وهذا ملح اي
شديد الملوحة اجاج اي مر يحرق بملوحته ومرارته لا يصلح للسقي
ولا شرب تنبيه اشار تعالى باداة القرب في الموصفين تنبيها
على وجود الوصفين مع شدة المقاربة لا يلتبس احدهما بالاخر في
انه اذا حفر على شاطي البحر الملح بالقرب جدا منه خرج الماء عذبا
وجعل اي الله تعالى بينهما برزخا اي حاجزا من قدرته مانعا من
اختلاطهما ثم انه تعالى اتم تقرير النعمة في منعهما الاختلاط بالكلمة
التي جرت عادتهم بقولها عند التعوذ تشبيها بكل منهما بالتعوذ
بقوله تعالى وحجرا محجورا فكان كل واحد من البحرين يتعوذ من
صاحبه ويقول له ذلك كما قال تعالى لا يبغيان اي لا يبغي احدهما
على صاحبه بالملوحة فانتفى البغي ثم كالتعوذ هاهنا جعل كل
واحد منهما في صورة الباغي على صاحبه فهو يتعوذ منه وهو من
احسن الاستعارات واسمى هاعلى البلاغة فان قيل لا وجود
للبحر العذب فكيف ذكره الله تعالى هنا اجيب بان المراد منه ما
الاودية العظام كالنيل وجيحون ومن البحر الاجاج البحار الكبار
ثم ذكر النوع الخامس بقوله تعالى وهو اي وحده الذي خلق من
الماء اي المني من الرجل والمراة بشرا اي انسانا فجعله اي بعد
ذلك بالتطوير في اطوار الخلقة والتدبير في ادوات التربية
نسبا اي ذكرا ينسب اليه وصهرا اي انثى يصاهر بها فتسمى هذا

انما بعد التطويل الي ذكر واثنى كما جعل ذلك اقساما تقسيم عذاب وملحا
ونحو هذا قوله تعالي فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وقيل النسب
ما لا يحل نكاحه والصهر ما يحل نكاحه فالنسب ما يوجب الحرمة والصهر
ما لا يوجبها قال البغوي وقيل وهو الصحيح النسب من القرابة والصهر
الخلطة التي تشبه القرابة وهو النسب المحرم للنكاح وقد ذكر الله
تعالي انه حرم بالنسب سبعا في قوله تعالي في النساء حرمت عليكم
امهاتكم وكان ربك اي المحسن اليك بارسالك وانزال هذا الذكر
اليك قديرا حيث خلق من مادة واحدة بشرا اعضاء مختلفة وطبايع
متباعدة وجبلة قسمين ذكرا وانثى فمنهم بوفق من يشاء فيجعله عذب
المذاق سهل الاخلاق ويجعل من يشاء فيجعله مرير الاخلاق
كثير الشقاق عزيقا في النفاق ولما ذكر تعالي دلايل التوحيد عاد
الي تهجين سيرتهم فقال تعالي ويعبدون اي هؤلاء الكفرة من دون
الله اي ممن يعلمون انه في الرتبة دون الله المستجمع لصفات الكمال
والعظمة بحيث انه لا ضر ولا نفع الا وهو بيده ما لا ينفعهم بوجه من
الوجوه ان عبدوه في ان الة كربة ولا يضرهم في ان الة نعمة من نعم
الله تعالي عليهم ان تركوه وكان الكافر مع عمله بضعفه وعجزه على ربه
اي المحسن اليه لاعنه ظهيرا اي مجينا للشيطان من الانس والجن
على اولياء الله روي انها نزلت في ابي جهل ويجوز ان يراد بالظهير
الجماعة لقوله تعالي والملائكة بعد ذلك ظهير كما جاء في الصديق
والخليط وعلي هذا يكون المراد بالكافر الجنس فان بعضهم
ظاهر لبعض علي اظهار دين الله قال تعالي واخوانهم يمدونهم
في الغي وهذا اولي لان خصوص السبب لا يقدح في عموم اللفظ
ولانه اوفق لظاهر قوله تعالي ويعبدون من دون الله وقيل معناه

وكان

وكان الذي يفعل هذا اللفظ وهو عبادة ما لا ينفع ولا يضر علي ربه
هينا مهينا من قولهم ظهرت به اذا خلفته كخلف ظهرك لا يلتفت
اليه وهو نحو قوله تعالي اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله
ولا ينظر اليهم ولما كان هذا التقدير تسلية لرسول الله صلي الله عليه وسلم فالزم
ما انا مركك تهول ولا يزول لهمك بردهم عما هم فيه فانما ارسلناك
عليهم وكبلا عطف عليه قوله تعالي وما ارسلناك يا اشرف الخلق
بما لنا من العظمة الا مبشرا بالثواب علي الايمان والطاعة ونذيرا اي
منذرا بالعقاب علي الكفر والمعصية ثم كانه قيل فماذا اقول لهم اذا
طعنوا في الرسالة فقال تعالي قل اي لهم يا اكرم الخلق حقيقة واعدد
لهم طريقة محتجا عليهم بان الة ما يكون موصفا للمهمة ما اسالكم عليه
اي علي تبليغ ما ارسلت به من اجر فتتهموني في ان ادعوكم للاجل
اذ لا اجر لي الا نفعكم ثم اكد هذا المعني بقوله تعالي مستثنيا لان
الاستثناء معيار العموم الا من اي الا اجر من شاء ان يتخذ اي يكلف
نفسه ويخالف هواه ويحمل له الي ربه سبيلا فانه اذا اهتدي
بهدايته ربه كان لي مثل اجره لانفع لي من جهتكم الا هذا فان كيتم
هذا اجرا فهو مطلوبي ولا مرية في انه لا ينفعكم احد شيا من
دنياه فانا دفانا بين الاولي انه لا طمع لي اصلا في شي ينفعهم
والثانية اظهار الشفقة البالغة حيث لم يقصد بمنفعتهم الا وصلة
لهم الي ربهم لا ابا لنفسه وقيل الاستثناء منقطع اي لكن من
شاء ان يتخذ الي ربه سبيلا فليفعل وجري علي هذا ابو بلال المحلي
وقال ابن عادل في الاول نظر لانه لم يسند السوال المنفي في
الظاهر الي الله تعالي انما اسنده الي المخاطبين فكيف يصح هذا
التقدير اهـ وقرا قالون والبزي وابو عمرو باسقاط الهمزة

الاولي مع المد والقصر وسهل ردش وقبل الثانية ولهما ايضا ابدالها
الفا والباقون بتحقيق الهمزتين ولما بين الله تعالي ان الكفار يثيطا لهود
علي ايذايه وامرهان لايطلب منهم اجرا امره ان يتوكل عليه في دفع
جميع الضرار وفي جلب جميع المنافع بقوله تعالي وتوكل اي اظهر العجز
والضعف واستسلم واعتمد في امرك كله وكلا سيما في مواجهتهم بالاذا
والي ردهم عن عنادهم علي الحي الذي لا يموت فلا ضياع
لمن توكل عليه فانه تحقيق بمن يتوكل عليه دون الاحيا الذين يموتون
فانهم اذا ماتوا ضاع من توكل عليهم وعن بعض السلف انه قرأها
فقال لا يصح لذي عقل اي يثق بعدها بمخلوق وسبح ملتبسا بحمده
اي نزهه عن كل نقص مثبتا له كل كمال وقيل صل له شكرا علي
نعمه وقيل قل سبحان الله والحمد لله وعلي هذا اقتصر الجلال
المحلي وكفي به بذنوب عباده اي ما ظهر منها وما بطن وكل ما
سواه عبد خبيرا اي عالما مطلقا فلا يخفي عليه خافية شيأ منها
وانت قد علمت ان امنوا او كفروا وهذه الكلمة ترادف ما هو
المبالغة فيقال كفي بالعلم كما لا وكفي بالادب مالا وهو معني حسبك
اي لا يحتاج معه الي غيره لانه تعالي خبير باحوالهم قادر علي مكافاتهم
وهذا وعيد شديد ولما امر تعالي رسوله صلي الله عليه وسلم
ان يتوكل عليه وصف تعالي نفسه بامور منها انه هي لا يموت ومنها انه
عالم بجميع المعلومات ومنها انه قادر علي كل الممكنات وهو قوله
تعالي الذي خلق السموات والارض علي عظمها وما بينهما من
الهفا والعناصر وانتم لعبادهم وعالمهم من الذنوب وغيرها الا يعلم
من خلق وقوله تعالي في ستة ايام اي من ايام الدنيا بتجيب للنبي
بما هل وتدريب للمخاطبين العالم في الحلم والاناة والصبر علي عبادة

الله تعالي في دعوتهم فان قيل الايام عبارة عن حركة الشمس في
السموات فقبل السموات الايام فكيف قال تعالي خلقها في ستة ايام
اجيب بانه تعالي خلقها في مدة مقدارها هذه المدة فان قيل يلزم
علي هذا قدم الزمان وهو ممنوع اجيب بان الله تعالي خلق هذه
المدة اولا ثم خلق السموات والارض فيها بمقدار ستة ايام فلا يلزم
من ذلك قدم الزمان وقيل في ستة ايام من ايام الاخرة كل يوم منها
الف سنة وهو بعيد لان التعريف لابد وان يكون بامر معلوم لا بامر
مجهول فان قيل اقدر الخلق والايجاد بهذا المقدار اجيب بانه
يجب علي المكلف ان يقطع الطمع عن مثل هذا فانه مجرد لا ساحل لم من
ذلك تقدير الملائكة الذين هم اصحاب النار بتسعة عشر وحملة العرش
والشهور اثني عشر والسموات بالسبع وعدد الصلوات ومقادير
النصب في الزكوات والحدود والكفارات فالاقرار بالكل ما قاله الله
حق هو الدين والواجب ترك البحث عن هذه الاشياء وقد نعي الله تعالي
علي ذلك في قوله عز وجل وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكة وما
جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب
ويزداد الذين امنوا ايمانا ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون
وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا
مثلا ثم قال تعالي وما يعلم جنود ربك الا هو وهذا جواب ايضا في انه
لم لم يخلقها في لحظة وهو قادر علي ذلك وعن سعيد بن جبير انما
خلقها في ستة ايام وهو يقدر ان يخلقها في لحظة واحدة تعليما لخلقه
الرفق والتثبت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعة فخلقها الله تعالي عيدا
للمسلمين وعن مجاهد اول الايام يوم الاحد واخرها يوم الجمعة
ولما كان تدبير هذا الملك امرا باهرا اشار اليه بادارة التراخي بقوله

تعالى ثم استوى على العرش اى مر بيانى التقدير لهذا الملك الذى اخترعه
وابدعه ولا يجوز ان يفسر بالاستقرار لانه يقتضى التغير الذى هو
دليل الحدوث ويتقضى التركيب وكل ذلك على الله محال فان قيل
يلزم من ذلك ان يكون خلق العرش بعد السموات وقد قال تعالى
وكان عرشه على الماء اجيب بان كلمة ثم ما دخلت على خلق
العرش بل على رفعه على السموات وهو فى التفسير الملك وفى
رفع قوله تعالى الرحمن اوجه احدها انه خبر الذى خلق او خبر مبتدا
مضمر اى هو الرحمن وبهذا اجاز الزجاج وغيره الوقف على العرش
ثم يبتدئ الرحمن اى هو الرحمن الذى لا ينبغى السجود والتعظيم الا
له او يكون بدلا من الضمير فى استوى وعلى هذا اقتصر الجلال
المحلى واختلف فى معنى الباء فى قوله تعالى فاسال به على قولين
احدهما ان على باباها وهى متعلقة بالسؤال والمراد بقوله خبيرا
اى عالما يخبرك بحقيقته فهو اسم تعالى ويكون من التجريد كقولك
رايت به اسدا والمعنى فاسال الله الخبير بالاشياء قال الزمخشرى
او فاسال بسؤاله خبيرا كقولك رايت به اسدا اى بروايته اه قال
الكلبى فقوله به يعود الى ما ذكر من خلق السموات والارض والاستوا
على العرش والباء فى صلة الخبير وذلك الخبير هو الله تعالى لانه
لا دليل فى العقل على كيفية خلق السموات والارض والاستوا
على العرش ولا يعلم احد الا الله تعالى والثانى ان تكون الباء بمعنى
عن اى ما طلقا او امع السؤال خاصة كهذه الاية وكقوله علقمة
ابن عبدة • فان تسالونى بالنساء فانى • خبير بادواء النساء طبيب
والضمير فى به لله وخبيرا من صفات الملك وهو جبريل عليه السلام
وعن ابن عباس ان ذلك الخبير هو جبريل وانما قدم لرؤس الآى

وحسن النظم وقال ابن جرير الباء فى به صلة والمعنى فاسال خبيرا
يخبرك عن الله تعالى وقيل به يجرى مجرى القسم كقوله تعالى واتقوا الله الذى
تساءلون به وقيل فاسال بهذا الاسم من يخبرك من اهل الكتاب حتى
تعرف من ينكره ومن ثم كانوا يقولون ما نعرف الرحمن الا الذى
باليمامة يعنون مسيلمة الكذاب وكان يقال له رحمن اليمامة وقيل
فاسال بسبب سؤالك اياه حتى اخبرك عن هذه الامور وكل امر تريده
فيخبرك بحقيقة امره ابتداء وحالا ومآلا فلا يضيق صدرك بسبب
هؤلاء المدعوين فانما ارسلناك الا وهو عالم بهم فسيطلعك
عليهم ويحسن لك العاقبة وقرا ابن كثير والكسائى بالنقل وكذا ابن
عامر فى الوقف والباقون بسكون السين وفتح الهمزة ولما ذكر
تعالى احسانه اليهم وانعامه عليهم ذكر ما ابدوه من كفرهم فى
موضع شكرهم بقوله تعالى واذا قيل لهم اى من اى قائل قال ابو
الذين يتقلبون فى نعمه اسجدوا اى اخضعوا بالصلاة وغيرها للرحمن
الذى لا نعمة لكم الا منه قالوا وما الرحمن متجاهلين فى معرفته تضللا
عن كفر نعمته معبرين باداة ما لا يعقل وقال ابن عرفة انما عبروا بذلك
اشارة الى جهلهم بالصفة دون الموصوف ثم عجبوا من امره بذلك
منكرين عليه بقولهم انسجد لما تامرنا فعبروا عنه بعد التجاهل فى
امره والانكار على الداعى اليه الهنا باداة ما لا يعقل وزادهم اى
هذا الامر الواضح المقتضى للاقبال والسكون شكر النعمة وطمعا
فى الزيادة نفورا اى عن الايمان والسجود تنبيه هذه السجدة من
عزائم سجود التلاوة سن للقارئ والسامع ان يسجد عند تلاوتها
قرانها او سماعها وقرا واذا
وهم القاف مع سكون التاء
قيل لهم هشام والكسائى بالا
والباقون بكسر القاف وقرا الما

تمام

تامرنا بحمزة والكسائي بالياء التحتية والباقون بالتاء الفوقية وابن كثير
والسوسي بالهمزة وقفا ووصلا وحمزة وقفا لا وصلا ولما حكى تعالى
عن الكفار من ابد النفرة عن السجود وذكر ما لو تذكروا فيه لعرفوا
وجوب السجود والعبادة للرحمن قال عز من قايل تبارك اي ثبت ثباتا
لا نظير له الذي جعل في السما الذي تقدم انه احتوى عليها واختلفوا في
معنى قوله تعالى بروجا فقال الزجاج ومجاهد وقتادة هي البروج
الكبار سميت بروجا لظهورها وقال عطية العوفي هي القصور فيها
الحرس كما قال تعالى ولو كنتم في بروج مشيدة وقال عطا عن ابن عباس
هي الاثنا عشر التي هي منازل الكواكب السيارة وهي
الحمل والثور والجوزا والسرطان والاسد والسنبلة والميزان
والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت فالحمل والعقرب
بيتا المريخ والثور والميزان بيتا الزهرة والجوزا والسنبلة بيتا
عطارد والسرطان بيت القمر والاسد بيت الشمس والقوس
والحوت بيتا المشتري والجدي والدلو بيتا زحل وهذه البروج مقسمة
على الطبايع الاربعة فيكون نصيب كل واحد منها ثلاثة بروج
تسمى المثلثات فالحمل والاسد والقوس مثلثة نارية والثور
والسنبلة والجدي مثلثة ارضية والجوزا والميزان والدلو مثلثة
هوايية والسرطان والعقرب والحوت مثلثة مايية وجعل فيها
اي السما وقيل البروج سراجا اي شمسا وقرا حمزة والكسائي بضم
السين والراء على الجمع للتنبيه على عظمته بحيث انه اعظم من الوان
من السرج ممن قايم مقام الوصف كما في الذي بعده كما سياتي وقيل
المراد بالجمع الشمس والكواكب الكبا ... والباقون بكسر السين
وفتح الراء والف بعدها على التوحيد وقمرا منيرا اي مضيا بالليل

ولما

ولما ذكر تعالى هاتين الايتين مع ذكر ما فيهما اتبعاه بقوله تعالى وهو
الذي جعل الليل اي الذي اتيه القمر والنهار اي الذي اتيه الشمس
خلفة اي ذو كل حاله معروفة في الاختلاف فياتي هذا خلف ذاك
بعد ما له من الاوصاف وقاله ابن عباس والحسن يعني خلفا وعوضا
يقوم احدهما مقام صاحبه فمن فاته عمله في احدهما قضاه في الاخر قال
سبويه كما رجل الي عمر بن الخطاب قال فاتتني الصلاة الليلة قال
ادرك ما فاتك من ليلتك في نهارك فان الله عز وجل جعل الليل
والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر اي يتذكر الا ادلة ويتفكر في صنعته
فيعلم انه لا بد له من صانع حكيم واجب الذات رحيم على العباد وقرا
حمزة وحده يذكر بالذال وضم الكاف مخففة من ذكر يعني تذكر والباقون
بفتح الكاف والذال مشددتين او اراد شكورا او يشكر نعمة ربه
عليه منا الايتان بكل منهما بعد الاخر لاجتماعهما ولو جعل احدهما
دايما لفاتت مصالح الاخر ولحصلت السامة والملل والتواني في
الامور المقدرة بالاوقات وفترا العزم الذي يتدارك كما يحول
وقت اكل وغير ذلك من الامور التي احكمها الله تعالى الكبير وعن ابن عباس
من فاتته عمله من التذكر والشكر بالنهار كان له في الليل
مستعتبه ولما ذكر تعالى عباده الذين حذرهم بتسليط الشيطان
عليهم فصاروا حزبا ولم يضفهم الى اسم من اسمايه ايذانا بانهم
لم يوالهم عنه اشار الى عباده الذين اخلصهم لنفسه بقوله تعالى
وعباد الرحمن فاضافتهم اليه رفعة لهم وان كان الخلق كلهم عباده
واضافتهم الى وصف الرحمة الابلغ الذي انكره اولئك بشر الهم
ثم وصفهم بضد ما وصف به المستكبرين عن السجود واشارة الى
انهم تخلقوا من هذه الصفة التي اضيفوا اليها بصفات كثيرة الصفة

الاولي قوله تعالي الذين يمشون وقال تعالي علي الارض تذكيرا لما يضيفون
اليه وحثا علي التسمي في تعالي الاخلاق هونا اي هينين او حيثما
هينا مصدر وصف به مبالغة والهون الرفق واللين ومنه اكرمي
اخيبك حبيبك هونا ما وقوله المؤمنون يمشون والمثل اذا عز اخوك
فهن والمعني اذا عاسروا ياسروا والمعني انهم يمشون بسكينة وقوا
وقال لا يفزعون باقتدارهم ولا يخرقون بفعالهم اسرا وبطرا
ولذلك كرهوا جمعهما الركوب في الاسواق لقوله تعالي ويمشون
في الاسواق تنبيه عباد مرفوع بالابتداء وفي خبرهم وجهان احدهما
الجملة الاخيرة في آخر السورة وليكن يجري وهو بدا الزمخشري
والذين يمشون وما بعده صفات للمبتدا والثاني ان آخر الذين
يمشون الصفة الثانية واذا خاطبهم الجاهلون اي بما
يكرهون قالوا سلاما اي تسلما منكم لا نجاهلكم ومتاركة لا خير
بيننا ولا شر اي نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسليم
وقيل قالوا سدادا من القول اي يسلمون فيه من الاثم والايذاء وليس
المراد التحية لان المؤمنين لم يؤمروا بالسلام علي المشركين وعن
ابن العالية نسختها اية القتال ولا حاجة الي ادعاء النسخ بآية
القتال ولا غيرها لان الاعراض عن السفهاء وترك المقابلة
مستحسن في الادب والمروة والشريعة اسلم للعرض والدين
واطلق الخطاب اعلاما بان اكثر خطاب الجاهل وهو الذي
يخالف العلم والحكمة بالجهل وهو السفه وقلة الادب من قوله
الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا ولما ذكر
تعالي ما بينهم وبين الخلق ذكر ما بينهم وبينه وهي الصفة الثالثة
بقوله تعالي والذين يبيتون من البيتوتة قال الزجاج كل من

ادركه

ادركه الليل قيل بات وان لم ينم كما يقال بات فلان قلقا والمعني يبيتون
لربهم بالمحسن اليهم سجدا علي وجوههم في الصلاة وقدمه لانه اتمي الخضوع
واخلص منه قوله تعالي وقياما اي علي اقدامهم وان كان تطويل القيام
افضل للردي وتخصيص البيتوتة لان العبادة بالليل اشق وابعد من
الرياء قال الزمخشري والظاهر انه وصف لهم باحياء الليل اكثره وقيل
من قرأ شيأ من القرآن في صلاة وان قل فقد بات ساجدا وقائما وقال
ابن عباس من صلي بعد العشاء ركعتين فقد بات ساجدا وقائما
وقيل لهما الركعتان بعد المغرب والركعتان بعد العشاء وعن عثمان
ابن عفان قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم من صلي عشا
الاخرة في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلي الصبح في جماعة كان
كقيام ليلة ولما ذكر تعالي تمدحهم للخالق والخالق وصفهم الله تعالي انهم
مع ذلك خائفون وجلون وهي الصفة الرابعة بقوله تعالي والذين
يقولون ربنا اي المحسن الينا اصرف عنا عذاب جهنم قال ابن
عباس يقولون في سجودهم ربنا فيجعل هذا القول ثم علل سؤالهم
بقوله تعالي ان عذابها كان اي كون ناحيلت عليه غراما اي هلاكا
وخسرانا ملحا لازما لا ينفك عنهم قال ابن عباس ما فارق غريم غريمه
بعط جزيله فالمطلوب الي وصفه العظيم لملازمته والحاجة فيهم يسألون
الي الله تعالي ان يصرف العذاب عنهم لعدم اعتدادهم باعمالهم ورؤيتهم
علي سمة ازواجهم ولما ثبت لهم هذا الوصف اتبع قوله تعالي انها
ساءت اي بئست هي في كل ما يحصل منه سوء وهي في معني بيست
في جميع المذام مستقرا اي موضع استقرار ومقاما اي موضع اقامة
تنبيه في حكم بيستكما مرفيهما خمس مسائل ذكرها بعضهم بقوله
بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي

ربط الجملة باسم ان وصلها حينئذ لما يجوز ان تكون نساء بمعنى احرنت فيصلها بمعنى
اسم ان مستقرا حال او تمييز والتقليل ان يجعل ان يكونا متداخلين ومتزايدين
وان يكون من كلام الله تعالى وحكاية لقولهم ولما ذكر تعالى قولهم وافعالهم
اتبع ذلك بذكر اضدادهم وهو الصفة الخامسة بقوله تعالى والذين اذا انفقوا
اي للمخلوق او للخالق فيما واجب او مستحب او مباح لم يسرفوا اي لم يجاوزوا الحد
في النفقة بالتبذير فيضيعوا الاموال في غير حقها ولم يقتروا اي لم
يضيقوا فيضيعوا الحقوق وكان اي انفاقهم بين ذلك اي الاسراف
والاقتار قواما اي وسطا تنبيه اسم كان ضمير يعود على الانفاق
المفهوم من قوله تعالى انفقوا وخبرها قواما وبين ذلك معمول له وقيل
غير ذلك وذكر المسرود في الاسراف والتقتير وجوها احدها قال
الزاذي وهو الاقوى وصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير
وبمثله امر صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك ولا تبسطها كل البسط اذ يقال ما عال من اقتصد وسئل
رجل بعض العلماء عما لا بد منه الذي لا اسراف فيه فقال ما ستر عورتك من الشمس
واكنك من المطر قال فما الطعام الذي لا اسراف فيه قال ما سد الجوعة
قال فما اللباس الذي لا اسراف فيه قال ما ستر عورتك وادفأك من
البرد ثانيها وهو قول ابن عباس الاسراف النفقة في معصية الله
تعالى والاقتار منع حق الله تعالى وقال مجاهد لو انفق احد مثل جبل
ابي قبيس ذهبا في طاعة الله تعالى لم يكن سرفا وقال الحسن لم
ينفق في معاصي الله ولم يمسك عما ينبغي والسداد ذهاب المال
في حمد وخير ذهاب لا يقال له ذهاب وسمع رجل رجلا يقول لا خير
في الاسراف فقال لا اسراف في الخير وعن عمر بن عبد العزيز انه
شكر عبد الملك عمر وانحين زوج ابنته واحسن اليه فقال

وصلت

وصلت الرحم ونعلت وصنعت رجا بكلام حسن فقال ابن لعبد الملك انما
هو كلام اعده لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد ايام دخل عليه
والاسم حاضر فساله عن نفقته واحواله فقال النفقة بين الشيئين
فعرف الملك انه اراد ما في هذه الاية فقال لابنه يا بني هذا الفقه فاعده
وثالثها السرف مجاوزة الحد في التنعم والتوسع في الدنيا وان كان من
حلال لانه يودي الى التميلا وكسر قلوب الفقراء وكانت الصحابة لا ياكلون
ولا يلبسون ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا ياكلون مما يسد جوعتهم
ويبقيهم على عبادة ربهم من الخبز والبرد وقال عمر بن الخطاب كفى
سرفا ان لا يشتهي الرجل شيئا الا اشتراه فاكله وقرا نافع وابن
عامر يقتروا بضم التحتية وكسر الفوقية والكوفيون بفتح التحتية
وضم الفوقية ولما ذكر تعالى ما تحلوا به من اصول الطاعات
اتبعه بذكر ما يخلو عنه من امهات المعاصي التي هي الفحشاء والمنكر
وهي الصفة السادسة بقوله تعالى والذين لا يدعون اي رحمة للانعام
واستعمالا لا تحتشمهم للعدل مع الله اي الذي اختص بصفات الهها آخر
اي دعا جليا بالعبادة ولا خفيا بالرياء ولما نفى عنهم ما يوجب قبله
انفسهم بختار رحمهم اياها اتبعه نفي قتل غيرهم بقوله تعالى ولا
يقتلون النفس رحمة للخلق وطاعة للخالق ولما كان من الانفس
ما لا حرمة له بين المراد بقوله تعالى التي حرم الله اي منع من قتلها
الا بالحق اي باذن يقتضي ما يبيح قتلها وما ذكر القتل الجلي اتبعه الخفي
بتضييع نسب الولد بقوله تعالى ولا يزنون اي رحمة للمرتكبي بما ولا قاربوا
اي بمنك حرمانهم مع رحمته لنفسه على ان الزنا ايضا جار الى
القتل والفتنة وفيه التسبب الى ايجاد نفس الباطل
كما ان القتل تسبب الى اعدامها بذلك وقد روي في الصحيح عن

عبد الله بن مسعود انه سال النبي صلى الله عليه وسلم اي الذنب اعظم
وفي رواية اكبر عند الله قال ان تدعو لله ندا وهو خلقك قال ثم اي قال
ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قال ثم اي قال ان تزني بحليلة جارك
فانزل الله تصديق ذلك والذين لا يدعون مع الها آخر الاية واستشكل
تصديق الاية للخبر من حيث ان الذي فيه قتل خاص وزنا
خاص والتقييد بكونه اكبر والذي فيهما مطلق القتل والزنا من غير
نظر الى عظم ولا اشكال لانهما نطقت بتعظيم ذلك من جهة ان
الاول له الاعتراض بين الابتداء الذي هو وعباد وما عطف عليه
والخبر الذي هو اولئك يجزون الغرفة على احد الروايتين بذكر هذه
الثلاثة خاصة وذلك دال على مزيد الاهتمام الدال على الاعظام
الثاني الاشارة باداة البعد في قوله تعالى ومن يفعل ذلك اي
هذا الفعل العظيم القبيح مع ترتب المذكور اذ قد دل على ان البعد في
رتبتها فهو اشارة الى جميع ما تقدم لانه بمعنى ما ذكر فلذلك
وحده وادغم لام يفعل في الدال ابو الحارث والباقون بالاظهار
الثالث التعبير بالمضي مع المضارع لمزيد الدال على زيادة المعنى
في قوله تعالى يلق اثاما دون يأثم ويلق اثاما اي جزاء اثامه الرابع
التقييد بالمضاعفة في قوله تعالى مستانفا يضاعف بالاسهال امر له
العذاب جزاء ما اقتضاه نفسه هو الخامس التهويل بقوله تعالى
يوم القيمة الذي هو اهول من غيره بالاتفاق السادس الاخبار
بالخلود الذي اقل درجاته ان يكون مكثا طويلا بقوله تعالى ويخلد
فيه وقرا يضاعف ويخلد ابن عامر وشعبة برفع الفا والدال و
الباقون بجزمهما واسقط الالف من يضاعف مع تشديد
العين ابن كثير وابن عامر فالجزم على انهما بدل من يلق بدل
اشتمال

اشتمال والرفع على الاستيناف السابع التصريح بقوله تعالى مهانا فلما
عظم الامر من هذه الاوجه علم ان كلا من هذه الذنوب كبير واذا كان
الاعم كبيرا كان اللحق المذكور اعظم من مطلق الاعم لانه زاد عليه
بما صار به خاصا فثبت بهذا انها كبائر واذا قتل الولد والزنا بحليلة
الجار اكبر مما ذكر فوجد تصديق الاية للخبر وقرا حفص مع ابن كثير
يضاعف لها بالياء من فيه فقتل مهانا فان قتل ذكر ان من صفات عباد
الرحمن صفات حسنة فكيف بعد ذلك ان يظهر هم عن الامور العظيمة
مثل الشرك والقتل والزنا فلو كان الترتيب بالعكس كان اولى واجب
بان الموصوف بتلك الصفات السابقة قد يكون متمسكا بالشرك
تدينا وبقتل الموؤدة تدينا وبالزنا تدينا فبين تعالى ان المراد لا يصير
بتلك الخصال واحدها من عباد الرحمن حتى يجتنب تلك الكبائر
واجاب الحسن بان المقصود من ذلك التنبيه على الفرق بين
سيرة المسلمين وسيرة الكفار كانه قال تعالى وعباد الرحمن الذين
لا يدعون مع الها آخر وانتم تدعون ولا يقتلون وانتم تقتلون
الموؤدة ولا يزنون وانتم تزنون وما بين تعالى تهديد الفجار
على هذه الاوزار ليتعد ترغيب الابرار الى العزيز الغفار بقوله
تعالى الا من تاب اي رجع عن كل شيء مما كان فيه من هذه النقايص
وامن اي اوجد الاساس الذي لا يثبت عمل بدونه وهو الايمان واكد
رجوعه بقوله تعالى وعمل عملا صالحا اي موسسا على اساس الايمان
فان قيل العمل الصالح يدخل فيه التوبة والايمان فذكرهما قبل العمل
الصالح يستغني عنه اجيب بانهما افردا بالذكر لعلو شانهما تنبيه
اختلفوا في هذا الاستثناء على وجهين احدهما انه استثناء متصل
وهو ما دل عليه الجملة لانه من الحبشي والثاني انه منقطع ورجحه

ابو حيان معللا بان المستثنى منه محكوم عليه بانه يضاعف له
العذاب فيقدر التقدير الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فلا هيضاعف
له العذاب ولا يلزم من انتفاء التضعيف انتفاء العذاب عين المضعف
بخلافه في المنقطع فان التقدير لكن من تاب الخ فلا يلزم عذابا
البتة ووجه كلام ابي حيان ما ذكر ليس بلازم اذ المقصود الا
خبار بان من فعل كذا فانه يحل به ما ذكر الا ان يتوب واما اصابة
اصل العذاب وعدمه فلا تعرض من في الاية له ثم زاد تعالى في الترغيب
بالاتيان بالقارن بالجزا بالشرط دليلا على انه سببه فقال
تعالى فاولئك اي العالو المنزلة يبدل الله اي الذي له العظمة
والكبريا سيئاتهم حسنات قال ابن عباس ومجاهد هذا التبديل
في الدنيا يبدل الله تعالى قبايح اعمالهم في الشرك بمحاسن الاعمال
في الاسلام فيبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المومنين قتل المشركين
وبالزنا احصانا وعفة فكانه تعالى يبشرهم بتوفيقهم لهذه الاعمال
الصالحة فيستوجبوا بها الثواب وقال الزجاج السيية بعينها
لا تقلب حسنة فالتاويل ان السيئة تمحى بالتوبة والكافر يحبط
عمله وتثبت عليه السيئات وقال سعيد بن المسيب ومكحول ان الله
تعالى يمحو السيئة عن العباد ويثبت له بدلها الحسنة بحكم هذه
الاية وهذا هو ظاهر الاية ويدل له ما روى ابو هريرة ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال اني لاعلم آخر رجل يخرج من النار رجل
يوتى به يوم القيمة فيقال له اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه
كبارها فيعرض عليه صغارها فيقال له عملت يوم كذا وكذا وكذا
وكذا وعملت يوم كذا وكذا وكذا فيقول نعم فلا يستطيع
ان ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه ان تعرض عليه فيقال له اذ لك

مكان

مكان كل سيية حسنة فيقول يا رب قد عملت اشيا لا ارا ها ها هنا قال
ابو هريرة فلقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه
وكان الله اي الذي له الجلال والاكرام على الاطلاق ازلا وابدا غفورا
اي يستر الذنوب كل من تاب بمجرد الشرط رحيما به بان يعامله بالاكرام
كما يعامل المرحوم فيعطيه مكان كل سيية حسنة روى البخاري عن ابن
عباس ان هذه الاية نزلت في اهل الشرك لما نزل صدرها قالوا فقد عدلنا بالله وقتلنا النفس التي حرم الله واتينا الفواحش فانزل
الله الا من تاب الى اخر رجه البخاري في التفسير ان ناسا من اهل
الشرك كانوا قتلوا واكثروا وزنوا واكثروا فاتوا محمدا صلى الله
عليه وسلم فقالوا ان الذي تقول وتدعو اليه لحسن لو تخبرنا ان لما
عملنا كفارة فنزلت هذه الاية ونزل قل يا عبادي الذين اسرفوا
على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ومن تاب اي عن ذنوبه عما ذكر
وعمل بعد توبته الاعمال الصالحة وان كان كل من نيته وعمله
صالحا ورغب سبحانه في ذلك بقوله تعالى معللا انه يصل الى الله فانه
يتوب اي يرجع راجعا الى الله اي الذي له صفات الكمال فهو يقبل
التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات متقلبا اي رجوعا مرضيا الى
الله تعالى في الاعمال الصالحة فلا يزال كل يوم في زيادة بينه وعمله
فيخف عليه ما كان ثقيلا ويتيسر عليه ما كان عسيرا ويسهل
عليه ما كان صعبا كما مر في ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات
يهديهم ربهم بايمانهم ولا يزال كذلك حتى يحبه فيكون سمعه الذي
يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي
يمشي بها بان يوفقه للخير فلا يسمع الا ما يرضيه وهكذا واما
وصف سبحانه وتعالى عباده بانهم تحملوا باصوله الفاضلة وتخلوا

عن اعمالهن التفتا بك لما ذا يلوذ وعن في التوبة لان الانسان لعجزه
لا ينفك عن النقص مدحهم بصفة اخرى والصفة المذكورة في قوله
تعالى والذين لا يشهدون اي لا يحضرون الزور اي القول المحرف
عن الصدق كذبا كان او مقاربا له فضلا عن ان يتعمدوا به للخبر
فلا يسمح ان يقعوا عليه في مواعظ عيسى عليه السلام اياكم
ومجالس الخطايين ويحتمل انهم لا يشهدون شهادة الزور فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل
وعن ابي حنيفة اللهو والغناء وعن مجاهد اعياد المشركين ثم عطف
عليه بما هو اعم منه بقوله تعالى واذا مروا باللغو اي الذي ينبغي
ان يطرح من الكلام القبيح وغيره مروا كراما اي امرين
بالمعروف ناهين عن المنكر او تعالوا بهم امروا ومضوا اشارة الى
عبادة على حسب ما يرد منا فانا لم نتعلق بهم ذلك
كانوا معرضين عنه مكرمين انفسهم عن الوقوف عليه والخوض
عنه لقوله تعالى واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا
ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وعن ذلك الاغضاء
عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية مما يستهجن
التصريح به وعن الحسن لم تشتهم المعاصي وقيل اذا سمعوا
من الكفار الاذى اعرضوا عنه ثم ذكر الصفة الثامنة بقوله
تعالى والذين اذا ذكروا اي ذكرهم غيرهم كما يدل عليه من كان الاظهر
ان يقدر بحق نفسه لان يقابله بايات ربهم اي الذي وفقهم ليذكر
احسانه اليهم في احسن تربيتهم لهم بالاعتبار بالايات التكوينية
والمسموعة لم يخروا اي لم يسقطوا عليها صما اي غير واعين
لها وعميانا اي غير مستبصرين بما فيها كمن لا يسمع ولا يبصر كما في جهل

والاخرس

والاخرس بن شريق بل حرصوا سامعين باذان واعية مبصرين بعيون
واعية فالمراد من النفي نفي الحال وهي صما وعميانا دون العقود فيه
اكثر ورد فالمراد نفي القيد دون المقيد كما تقول لا يلقاني زيد مسلما
هو نفي الاسلام لا للقاء الصفة التاسعة المذكورة في قوله تعالى
والذين يقولون اي عملا منهم بعد اقتفائهم جميع ما مضى انهم اهل
للامامة ربنا هب لنا من ازواجنا اللاتي قرنتهن بنا كما فعلت
بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم فذهبت ازواجه في كلامك القديم
وجعلت مدحهن يتلى على تعاقب الازمان والسنين وذرياتنا قرة
اعين لنا بان نراهم مطيعين لك ولا شيء اسر للمؤمن من ان يرى
حبيبه يطيع الله تعالى وعن محمد بن كعب القرظي كيف لا تقر عين المؤمن
من ان يرى زوجته واولاده يطيعون الله وعن ابن عباس هو
الولد اذا راه يكتب الفقه وحضوا الاولاد والتزيين بولد ذرية
لان الاقتداء بالمعروف تنبيه من في قوله تعالى من ازواجنا
يحتمل ان تكون بيانية كانه قيل هب لنا قرة اعين ثم بينت
القرة وفسرت بقوله من ازواجنا وذرياتنا ومعناه اجعلهم
لهم قرة اعين وهو من قولهم رايته منك اسوا اي انت اسد واذا
تكون ابتدائية على معنى هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا
من طاعة واصلاح وانما جمع القلة في اعين لان المتقين الذين
يغلبون الطاعة ويسرون بها قليلون في جنب العاصين
وقيل سالوا ان يلحق الله بهم ازواجهم وذرياتهم في الجنة ليتم لهم
سرورهم ووحد القرة لانها مصدر في اصلها من البرد لان العرب
تعادي من الحر وترتاح الى البرد وتذكر قرة العين عند السرور
وسخنة العين عند الحزن ويقال دمع العين عند السرور بارد

وعنه اكرمت حاره وقال الازهري معنى قرة العين ان يصادف قلبه
من يرضاه فتقر عينه عن النظر الى غيره وقرا نافع وابن كثير
وابن عامر وحفص بالف بعد القاف على الجمع والباقون بغير الف
على الافراد واجعلنا للمتقين اماما اي ائمة يقتدون بنا في
امر الدين باضافة العلم والتوفيق للعمل فاكتفى بالواحد لدلالة
على الجنس ولعدم اللبس كقوله تعالى ثم يخرجكم طفلا او اراد واجعل
واجعل كل واحد منا اماما او اراد والجمع جمع امام كصايم وصيام او اراد
اجعلنا اماما واحدا لاتحادنا والتقائنا كلمتنا وعن بعضهم في
الاية ما يدل على ان الرياسة في الدين يجب ان يطلب ويرغب
فيها وقال يقتدي بالمتقين ويقتدي المتقون بنا وقيل هذا
من المقلوب اي اجعل المتقين لنا اماما واجعل لنا اماما
واجعلنا موتمين يقتدين بهم وهو قول مجاهد وقيل نزلت
هذه الاية في العشرة المبشرين بالجنة ولما بين تعالى صفات
المتقين المخلصين بين بغيته احسانه اليهم بقوله تعالى اولئك اي
العالون الرتبة العظيمة المنزلة يجزون اي تفضلا من الله
تعالى على ما وفقهم له من هذه الاعمال الزاكية والاحوال الصافية
الغرفة اي الغرفات وهي العلالي في الجنة فوحد تفخيما على
الواحد الدال على الجنس والدليل على ذلك قوله تعالى وهم في
الغرفات آمنون وقيل هي من اسماء الجنة ولما كانت الغرف
في غاية الشرف لما فيها لشهوات النفس وهواها وطبع
البدن رغب فيها بان جعلها سببا لهذا الجزا بقوله تعالى بما
صبروا اي اوقعوا الصبر على امر ربهم ومراقبة عن بتهم بين
اكباهلين في اعمالهم واقوالهم واحوالهم وغير ذلك من معالي

حلا لهم

خلالهم وتحاكاة المنزل لا يطيب الا بالكرامة والسلامة قال تعالى
ويلقون فيها اي الغرفة تحية اي دعا الحياة من بعضهم لبعض
ومن الملائكة الذين لا يرد دعاؤهم ولا يمتري في اخبارهم لانهم
عن الله يبلغون وذلك على وجه الاكرام والاعظام لمكان مادة
اعدائهم عباد الشيطان وقيل ملكا وقيل بقاء ابدا وسلاما اي
من الله والملائكة وعنهم وسلامة من كل آفة فكان ما اصابوهم
بالمصايب اللهم وفقنا لطاعتك واجعلنا من اهل رحمتك
وارزقنا مما رزقتهم في دار رضوانك يا ارحم الراحمين وقرا
حمزة والكسائي وشعبة بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف
القاف من الغيث كما قال تعالى فسوف يلقون غيا والباقون
بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف اي يجعلهم الله تعالى لاقين
بايسر امر كما قال تعالى ولقاهم نضرة وسرورا خالدين فيها
اي الغرف لا يموتون ولا يخرجون فكان ما ازعجوهم من ديارهم
حتى هاجروا ورد لهم على اعلى امرها واعظم قدرها بابراز مدحهم
في مظهر التعجب بقوله تعالى حسنت اي ما احسنها مستقرا اي
موضع استقرار ومقاما اي موضع اقامة وهذا مقابل مسات
ومثله في الاعراب ولما شرح سبحانه وتعالى صفات المتقين
واثنى عليهم من اجلها وشرح ثوابهم امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم بقوله تعالى قل اي لكفار مكة ما يعبؤا اي ما يصنع بكم
اي بهما الكافرون من عبات الجيش او لا يعتد بكم ربي اي المحسن
اليكم برحمانيته المخصوص لي بالاحسان برحيميته وانما خصه
بالاضافة لاعتزازهم دونهم لولا دعاؤكم اي عبادتكم دعا
متضمنة لمعنى الاستهتام فهي في محل النصب وهي عبارة عن

المعبد كانه قيل واي عبا يبا بكم لولا عبادتكم وطاعتكم اياه كما قال
تعالى ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون فقد كذبتم بما اجئتكم به
حيث خالفتموه وهذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وقادة وقوم ما
يعبأ ما يبالي بمغفرتكم ربي لولا دعاؤكم معه الهة وما ينفعل بعذابكم
لولا شركم كما قال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين
له الدين وقوله تعالى فاخذناهم بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون
ويجوز ان تكون ما نافية ويجري على ذلك الجلال المحلي
اي فتسببهن تكذيبكم ان يجازيكم على ذلك ولكنه تمع قوله
وقدرته واختياره لا يعبأ جلكم بل يكون جزاء هذا التكذيب عند
الفقدان ما ضربه لكم من الاجال لزاما اي لازما يحيق بكم لا محالة
فاعتدادا بهيئوا لذلك اليوم فكل آت قريب وكل بعيد عندكم
قريب عنده وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وانه لو لزم بين
القتلى الزاما فقتل منهم سبعون واسر سبعون وعن ابن مسعود
خمس قد مضين الدخان والقمر والروم والبطشة واللزام
وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من ان من قرأ سورة الفرقان لقي الله وهو مؤمن
بان الساعة آتية لا ريب فيها وادخله الجنة بغير حساب حديث
موضوع سورة الشعراء مكية الا قوله والشعراء الى آخرها فمدنية
وهي مائتان وسبع وعشرون اية والف ومائتان وسبع وتسعون
كلمة وخمسة الاف وخمسمائة وارنعون حرفا روى البغوي
عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اعطيت
طه والطواسين من الواح موسى عليه السلام بسم الله
الذي دل كلامه على عظمة شانه وعز مرامه الرحمن الذي

لا يعجل

لا يعجل علي من عصاه الرحيم الذي يحيي قلوب اهل وده بالتوفيق لما
يرضاه طسم قال ابن عباس عجزت العلماء عن علم تفسيرها وفي
رواية عنه انه قسم وهو من اسماء الله تعالى وقال قتادة اسم من اسماء
القرآن وقال مجاهد اسم السورة وقال محمد بن كعب القرظي اقسم
بطوله وبنائه وملكه ولهذا الاختلاف قال الجلال المحلي الله اعلم
بمراده بذلك وقد قدمنا الكلام على امثال السور التي اولها حروف
التهجي وقرأ حمزة والكسائي وشعبة باماله الطاء والباقون بالفتح
واظهر حمزة النون من سين عندهما والباقون بالادغام
وعن عبد الله بن مسعود طس م مقطوعة من بعض تلك اي
هذه الايات العالية المرام الحائزة على مراتب الاتمام المؤلفة
من هذه الحروف التي القرائتنا طقوا بها وكلمات المسلم ايات
الكتاب اي القرآن الجامع لكل فرقان المبين اي الظاهر اعجازه
المظهر الحق من الباطل ولما كان عنده صلى الله عليه وسلم من
الشفقة على خلق الرحمة على قومه قال تعالى تسلية له لعلك باخع
اي قاتل لك نفسك غما واسفا من اجل ان لا يكونوا اي قومك
مؤمنين اي راسخين في الايمان اي لانتفاء في الحزن والاسف
فان الكتاب في غاية البيان في نفسه والابانة للغير وقد تقدم
في غير موضع انه ليس عليك الا البلاغ وقد بينا لهم الهدى بيانا هم
طوعا او كرها والبخع ان يبالغ بالذبح الخاع بالخاء والباء وهو
عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذابح ولعل للاستفتاء
اي استفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من ايمان
قومك وعيبهم وعزاه وعزفه ان همه وحزنه لا ينفع كما ان
وجود الكتاب وظهوره لا ينفع مع ان الله تعالى اعلمه بان كل ما هم

ق

فيه انما هو بارادته بقوله تعالى ان نشا ننزل عليهم وعبر بالمضارع
فيهما اعلاما بدوام القدرة وقرا ابن كثير وابو عمرو بسكون النون
الثانية واخفائها عند الزاي وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون
وتشديد الزاي ثم قال تعالى مخففا للمراد من السما اي التي جعلنا
فيها بروجا للكواكب واشار الى تمام القدرة بتوحيدها بقوله تعالى
اية اي قاهرة كما فعلنا بعض من قبلهم كشق الجبل ونحوه تنبيه
هنا همز تانيء مختلفتان ابدل نافع وابن كثير وابو عمرو الهمزة الثانية
المفتوحة بعد الكسرة ياء خالصة وحققها الباقون ثم اشار تعالى
الى تحقق هذه الاية بالتعبير بالماضي في قوله تعالى عطفا على
ننزل لانه في معنى انزلنا فظلت اي عقب الانزال من غير مهلة
اعناقهم اي التي هي موضع الصلابة وعنها تنشا حركات الكبر
والاعراض لها خاضعين اي منقادين تنبيه قوله خاضعين عن
اعناقهم واستشكل جمعه جمع سلامة لانه مختص بالعقلاء واجيب
عنه بوجه احدها ان المراد بالاعناق رؤساءهم ومقدموهم
سموا بالاعناق كما يقال لهم الرؤس والنواصي والصدور وقال
القائل في مخندق من رؤس الناس مشهور ثانيها انه على حذف
مضاف اي فظل اصحاب الاعناق ثم حذف ويبقى الخبر على ما
كان عليه قبل حذف المخبر عنه مراعاة للمحذوف وقالت فرقة
اضيف الي العقلاء اكتسب منهم هذا الحكم كما يكتسب التانيث
بالاضافة لمونث في قوله كما شرقت صدر القناة من الدم
رابعها قال الزمخشري اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فالخبر
الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على اصله كقولك
ذهبت اهل اليمامة كان الاهل غير مذكور ونوزع في الستظير

لان

لان الفعل ليس متحدا البتة لان المقصود بالحكم خاضعيتها انما هو صلة
العقلاء كقوله تعالى ساجدين خاضعين وطايعين بنو يوسف
والسجدة وقيل انما قال تعالى خاضعين لموافقة رؤس الاي ليكونوا
على لفظ واحد وما ياتيهم اي الكفار من ذكر اي موعظة او طايفة
من القرآن يذكرهم بنا به فيكونوا سبب ذكرهم من الرحمن اي
الذي انكروه مع احاطة نعمه بهم محدث اي بالنسبة الي تنزيله
وعلمهم به واشار تعالى الي دوام كبرهم بقوله تعالى الا كانوا عنه معرضين
اي اعراضا هو صفة لهم لازمة ولما كان حال المعرض عن الشيء حال
المكذب به قال تعالى فقد اي فتسبب عن هذا الفعل منهم انهم قد كذبوا
اي بالذكر بعد اعراضهم واعملوا في تكذيبه بحيث ادي بهم الي ان له
سيتهزا المخبر به عنهم ضمنا في قوله تعالى ينسيا تيهم اي اذا اصابهم
عذاب الله تعالى يوم بدر او يوم القيمة انبا اي عظيم اخبار وعواقب
ما اي العذاب الذي كانوا به يستهزؤن اي يوجدون منه كان
حقا او باطلا وكان حقيقا بان يصدق ويعظم امره او يكذب ويستخف
امره ثم قال تعالى معجبا منهم اولم يروا الي الارض اي على سعتها
واختلاف نواحيها ودلته على كثرة ما صنع من جميع الاصناف بقوله
تعالى كم انبتنا اي بما لنا من العظمة فيها بعد ان كانت يابسة ميتة
لا نبات فيها من كل زوج اي صنف مشتاكل بعضه لبعض فلم يبق
صنف يليق بهم في العاجلة الا اكثر نا من الانبات عنه كريم اي كثير
المنافع محمود العواقب وهو صفة لكل ما يحمد ويرضى وهو ضد اللئيم
وهاهنا يحتمل معنيين احدهما ان النبات على نوعين نافع وضار
فذكر كثرة ما انبت في الارض من جميع اصناف النبات النافع
وخلى ذكر الضار والثاني ان يعم جميع اصناف النبات نافعة

وصفاته ويصفهما جميعا بالكرم وبنه تعالي علي انه تعالي ما اثبت شيا
الا فيه فايدة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لحكمة بالغة وان عقل عنها
الغافلون ولم يعقل الي معرفتها العاقلون ولما كان ذلك باهرا
للعقل مبهجا له في كل حال علي عظيم اقتدار صانعه وبديع اختياره
وصل به قوله تعالي ان في ذلك اي الامر العظيم لاية اي لدلالة علي
كمال قدرة تعالي فان العقل حين ذكر الازواج دل علمها بكثرة
الكثرة والاحاطة وكان لا يحصيها الا عالم الغيب فكيف قال ان
في ذلك لاية وهلا قال لايات اجيب بوجهين احدهما ان يكون
ذلك مشارا به الي مصدر انشانا كانه قال ان في ذلك الانباء
لاية ثانيهما ان يراد ان في كل واحد من ذلك الازواج لاية والحال
انه لما كان اكثرهم اي البشر مؤمنين في علم الله تعالي وقضائه
فان ذلك لا ينفعهم مشار لهذه الايات العظام وقال سيبويه كان
زايدة وان اي والحال ان ربك اي الذي احسن اليك بالارسال
وسخر لك قلوب الاصفياء وزوي عنك اللدد والاشقياء هو العزيز
اي الذي له العزة تنتقم من الكافرين الرحيم يرحم المؤمنين ولما كان
مع ما ذكر في ذكر القصص تسلية للنبي صلي الله عليه وسلم
بما تقاسيه من الاذي والتكذيب وكان موسي عليه السلام
قد اختص بالكتاب الذي ما بعد القرآن مثله والايات التي
ما اتي بمثلها احد قبله بدا بذكره فقال تعالي واذ اي واذكر
اذ نادي ربك اي المحسن اليك بكل ما يمكن الاحسان به في هذه
الدار ثم ذكر المنادي بقوله تعالي موسي ابن عمران راي الشجرة
والنار واختلف اهل السنة في النداء الذي سمعه موسي عليه
السلام هو الكلام القديم او صوت من الاصوات قال ابو الحسن

الاشعري

الاشعري رضي الله تعالي عنه هو الكلام القديم فكما ان ذاته تعالي
لا تشبه سائر الذوات مع ان الدليل دال علي انها معلومة ومرئية
في الاخرة من غير كيف ولا جهة فكذلك كلامه منزه تعالي عن مشابهة
الحروف والصوت مع انه مسموع وقال الماتريدي هو من جنس الحروف
والاصوات واما المعتزلة فقد اتفقوا علي ان ذلك الكلام
بحروف واصوات علم بها موسي من جبل الله تعالي فصار معجزا علم
به موسي ان الله تعالي خاطبه فلم يحتج مع ذلك الي واسطة ثم
ذكر تعالي مقاله الذا بقوله تعالي ان ائت القوم اي بان ايت القوم
منهم فقه اي يتوقع الظالمين رسولا ووصفهم بالظلم لكفرهم واستعبادهم
بني اسرائيل وذبح اولادهم وقوله تعالي قوم فرعون اي حمله بدل
او عطف بيان للقوم الظالمين وقوله تعالي الا يتقون استيناف
ارتجعه رسالة الهم للانذار تعجبا من انهماكهم في الظلم واجترائهم
عليه ولما كان من المعلوم ان من اتي الناس بما يخالف هواهم لهم
يقبل قال رب اي ايها الرفيق اني اخاف ان يكذبون اي فلا تترك بي
علي اتياني اليهم امرا فاجعل لي قولا وهيئة تحترسني بهما ممن يريد بي
سوءا وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو بفتح الياء والباقون بالسكون
ويضيق صدري من تكذيبهم لي ولا ينطلق لساني باداء الرسالة
للعقدة التي فيه بواسطة تلك الجمرة التي اذعتها في الطفولية فارسل
اي فتسبب عن ذلك الذي اعتذرت به عن المبادرة الي الذهاب عند
الامر الي هارون اي ليكون لي عضدا علي ما عسي ان يعرض لي من الرسالة
فيحتمل ان تكون تلك العقدة باقية عند الرسالة وان تكون قد زالت
عند الدعوة ولكن لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصاحة
المصالح الذي اوتيها بملاطفة الالسنة وبسطة المقال وهارون

كان تلك الصفة فاراد ان يتردد به ويب لعليه تو له تعالى واخي هارون
هو افصح مني لسانا ومعني فارسل الي هارون ارسل اليه جبريل واجعله
نبيا وازرني به واشدد به عضدي وهذا الكلام مختصر وقد بسطه في
غير هذا الموضع وقد احسن في الاختصار حيث قال فارسل اليه
هارون فجاءهما يقين معنى الاستثناء ومثله في تعبير الطويلة
في الحبس تو له تعالى فقلنا اذهبا الي القوم الذين كذبوا باياتنا
فدمرناهم تدميرا حيث تقصر علي ذكر طرفي القصة الطويلة تكملها
وهو انهم قوم كذبوا باياته فاراد الزام الحجة عليهم فبعث اليهم
رسولين فكذبوهما فاهلكناهم فان قيل كيف يسأل موسي عليه
السلام ان يامره ربه بامر فلا يقبله بسبب وطاعة من غير توقف
وتثبت بعلل وقد علم ان الله عليم بحاله اجيب بانه قد امتثل
وتعبك ولكنه التمس من ربه ان يعضده باخيه حتي يتيارنا علي
تنفيذ امره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه عذرا فيما التمس
ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر في التماس المعني علي تنفيذ الامر
ليس بوقوف في الامتثال للامر ولا يتعلل فيه وكفي بطلب العون
دليلا علي التقبل لا علي التقلل ثم زاد في الاعتذال في طلب
العون حوفا من ان يقتل قبل تبليغ الرسالة بقوله ولهم علي ذنب
اي تبعة ذنب مجازا في المضاف او سمي باسمه كما يسمي جزاء السيئة
سيئة وهو قتله القبطي وسماه ذنبا علي زعمهم وهذا اقتصار
قصته المبسوطة في مواضع فاخاف بسبب ذلك ان يقتلون اي
يقتلوني به قال الله تعالى كلا اي ارتدع عن هذا الكلام فانه
لا يكون مني بما خفت لا قتل ولا غيره وكانه لما كان التكذيب
مع ما قام عليه من الصدق من البراهين المقوية لصاحبها السائغ
لصدره

لصدره العلية لامره عند ما وقد اجبناك وقد اجبناك الي الاعانة باخيك
فاذهبا اي انت واخوك متصاحبين متعاضدين الي ما امرتك به مؤيدين بايا تنا
الدالة علي صدقكما بتبيته فاذهبا عطف علي ما دل عليه حرف
الردع من الفعل كانه قيل ارتدعا عما تظنان فاذهب انت واخوك بايا تنا
انا ايها بما لنا من العظمة معكم مستمعون اي سامعون لانه تعالي لا يوصف
بالمستمع علي الحقيقة لان الاستماع جار مجري الاصغاء والاستماع من
السمع بمنزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع
نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا ويقال استمع الي حديثه
وسمع حديثه اصغي اليه وادركه بحاسة السمع ومنه قوله عليه الصلاة
والسلام من استمع الي حديث قوم وهم له كارهون صب في اذنيه الرصاص
وهو كحمل المذاب ويروي ويروب البيهم وهو بن بادة اليماني فان
قيل لم قال معكم بلفظ الجمع تغليبا لهما او معكما ومع بني اسرائيل
يسمع ما يجيبكم فرعون فاتيا اي فتسببا عن ذهابكما ما ذكرتما
لحراسته والمحافظة اني اقول لكما اتيا فرعون نفسه وان عظمت مملكته
وجلت جنوده فقولا اي ساعة وصولكما له ولمن عنده انا رسول
رب العالمين اي المحسن الي جميع الخلق المدبر لهم مصالحهم فان قيل
هلا ثني الرسول كما ثني في قوله تعالى انا رسولا ربك جيب بان
الرسول يكون بمعني المرسل فلم يكن بد من تثنيته واما ها هنا
فلانه مصدر بمعني الرسالة والمصدر يوحد من مجي رسول
بمعني رسالة قوله لقد كذب الواسؤن ما قمت عندهم بشر ولا ذكر لكم
برسول اي برسالة والواسؤن الساعون بالكذب عند ظالم وما قمت
بمعني ما تكلمت واما الاتيان فذو سرعة واحدة فنزل منزلة رسول
واما الانه من وضع الواحد موضع التثنية لتلازمهما فصارا كالشيئين

المتلازمين كالعينين واليدين وقال ابو عبيدة يجوز ان يكون الرسول بمعنى الاثنين ويجمع تقول العرب هذا رسولي وكيلي وهذان رسولي وكيلي وهؤلاء رسولي وكيلي كما قال تعالى وهم لكم عدو ذكر لهم ما قصد من الرسالة اليه فقال معه ابادانا ثم لما تقرر ان الرسول فيه بمعنى الرسالة التي تتضمن القول ان ابي بان ارسل اي خل واطلق واعاد الضمير على متبعي رسول فقال معنا بني اسرائيل اي قومهم الذين استعبدتهم ظلما ولا سبيل لك عليهم فدعهم يذهبوا بهم الى الارض المقدسة التي وعدنا الله تعالى بها على السنة الانبياء عن اباءنا عليهم السلام وكان فرعون استعبدهم اربعمائة سنة وكانوا في ذلك الوقت ستمائة الف وثلاثين والعاشر ويد ان موسى رضع مصر وعليه جبة صوف وبيده عصاة وشكتاه معلق في راس العصى وقيه زاده فدخل داره نفسه واجرها ودنا باذن الله تعالى ارسلني الى فرعون ارسل اليك حتى تذهب معي الى فرعون الى الله تعالى فخرجت اليهما وصاحت وقالت ان فرعون يطلبك ليقتلك فلو ذهبتما اليه قتلكما فلم يمتنع بقولها وذهبا الى باب فرعون ليلا ودقا الباب فتزع البوابون وقالوا من بالباب وروي ان البواب اطلع عليهما وقال من انتما فقال موسى انا رسول رب العالمين فذهب البواب الى فرعون وقال ان مجنونا بالباب يزعم انه رسول رب العالمين فقال فرعون ايذنوا له لعلنا نضحك منه ونتعجب وقيل لم يوذن لهما الى سنة فدخلا عليه وادى رسالة الله عز وجل فعرف فرعون موسى لانه نشا في بيته فلما عرفه قال له شكرا عليه الم نربك حذف فاتيا فرعون فقالا له ذلك لانه معلوم لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير في القرآن فينا اي

في

فينا ولبثت اي لبث فينا عينا باعتبار انتفاعك الينا وتعززك بنا من عمرك سنين ثلاثين سنة مما تعد علينا من حقوق ما ينبغي ان يمنعك من مواجهتنا بمثل هذا وكانه عرض بنعمة التكفل كناية عن منة تقاضاه عنه بانها كانت تكفلا لانه وضع فيما كان يخافه وقاية ما يحتاط به من ذبح الاطفال وكان فرعون يلتمس قتله لانه ربي في مهاده وتربى في مراكبه وكان يسميه ابنه وقرانا مع وابن كثير وعاصم باظهار الثاء المثلثة عند التاء والباقون بالادغام ولما ذكره بما يجمل على الحياء منه ذكره ذنبا خافه من عاقبته فقال وهو لا لم بالكفار وفعلت فعلتك اي من قتل القبطي ثم اكد نسبته الى ذلك مشيرا الى انه عامله بالحلم تجهيلا له فقال التي فعلت وانت اي والحال انك من الكافرين قاله احسانا والنسبة من الكافرين بالهك ومعناه على ديننا هذا الذي تعيبه وقال اكثر المفسرين ابي بجاهد بن لنعمتي عليك بالتربية وعدم الاستعباد بقولك ربيناك وكافيتنا ان قتلت منا نفسا وكبرت بنعمتنا وهذا رواية العوفي عن ابن عباس وقال ان فرعون لم يكن يعلم ما الكفر بالربوبية قال لموسى مجيبا على طريقة الشرط المؤنس واتقا بوعد الله تعالى بالسلامة فعلتها اذا اي اذ قتلته وانا من الضالين اي من الجاهلين بان ذلك يودي الى قتله او المخطئين لكن لا يتيسر خطا من عين تعهد للتشر قال ابن جرير والعرب تضع الضلال موضع الجهل والجهل موضع الضلال وقيل لا اعرف ذنبا فانا ما ادين من كل وجهة حتى يوحي ربي الي ما شاء ففررت اي تنسب عن تعلمها التي فررت منكم اي حذركم لما طلبتم ومن قومه لا عن امهم اياك على لما خفتكم على نفسي ان تقتلوني بذلك القتيل الذي قتلته خطا وانا ابن اثني عشر سنة مع كونه كافرا

لهذه الدم فوهب لي ربي الذي احسن الي بتربيتي عندكم حكما كيف اهي
امنة علي مما احدثتم من الظلم حكما اي علما وفهما وفيل نبوة وجعلني
من المرسلين اي فاتعهد الان حميدة فاني لا اخافكم لقتل ولا
غيره ومما اجمع في كلام من عوف حسن وتقرير بداءة يجوابه عن التقرير
لانه الاخير فكانه اقرب ولانه اهم وهو تعيين ما تقدم من انه علي
طريقة الشيء المحسوس بما يفيد ابا الاخير قتل الاول ولهذا اكد علي
استناده علمه بالتربية فاجمله من اجمله فوبخه لم يمكنه انكار علمه بتربيته
انه حذف الانكار اجمالا الي القول واحسانا الي اكظاء بدوالي ان تشتمي
نعمته الا نعمة تقوله وتلك اي التربية التي تنعتم العظيمة والشاقة
تمنني نعمة تمنها علي ان عبدت اي تعبيدكم وتذليلكم فوني
بني اسرائيل اي جعلتهم عبيدا اظلما وعدوانا ولهم ابناء الانبياء واستخدمتهم
يوسف عليه السلام عليكم من المنة ما هي مسلكم اولا وعتقهم ثانيا
ما لا تقتدرون له علي جزاء اصلا ثم ما كان ذلك حتي فعلت
ما لم يفعله مستعبد فاضرت بقتل ابنائهم فكان ذلك سببا لوقوعي
البكم لا سلم من ظلمكم ولو لم تفعلوا ذلك لتركتني اتعلى ولم يلحقني
اليم فلم تمنن علي بذلك وقيل معناه انكم عددتني ان بني اسرائيل عبيدك
وامتهنتهم للمولي علي العبد في تربيته وقال الحسن انكم استعبدتم
بني اسرائيل فاخذتم اموالهم وانفقتم منها علي فلا نعمة لكم
بالتربية وقيل ان الذي تولي تربيتي هم الذين استعبدتهم فلا منة
لكم علي لان التربية كانت من قبل امي وحق قومي ان يمن لكم الا بعد
الاسلم وهذا ما بعد انها ما كان قيل لم جمع الضمير في خلقكم وحشركم
مع افراده قلت ثمنها وعبدت راجع الي ان يخوف والمعاد لم يكونا
وحده ولكن منه ومن ملايه المؤمنين بعثتم كما مرت الاشارة اليه

بد لكم ليل

بد ليل تولد تعالي ان الملايا عتروذبكم ليقتلوكم واما الاحسان فمنه
وحده وكذلك لم لتقييد ولما قال له ابواه ان ههنا من يزعم انه رسول
رب العالمين وادخلا عليه قال له فرعون عند دخوله جاريا عن جوابه
سكر الي لقد علي سبيل التجاهل كما انكر هولاء الرحمن تجاهلين وهم
عرفوا الناس بغالب افعاله كما كان في عوف يرد لقول موسي عليه السلام
لقد علمت ما انزل هولاء الا رب السموات والارض وما رب العالمين اي
الذي زعمتما انكما رسوله وانما اتي بما ورد من لانها لا يسأل بها عن
طلب الماهية كقولك ما العنقاء ولما كان جواب هذا السؤال لا يمكن تتميمه
الا بلوازمه الخارجية للاشتراك التعريف بنفسه وبما هو داخل فيه لا
بمجموع التركيب بين ذاته عدل موسي عليه السلام الي جواب ممكن فاجابه
بعض ما تقابلهم قال تعالي اجابا عنه قال رب اي خالق ومبدع ومدبر
السموات كلها والارض وآثار ما عدت اجزاءها بعضها من بعض وما بينهما
اي بين السموات والارض فاعاد ضمير التثنية علي تعني اعتبارا بالكثرين
وخصه بهذه الصفات لانها اظهر في مواضعه واثاره وفيه ابطال لدعواه
الاهية وقيل قوله ان كنتم موقنين انكاري يرجع منكم الايمان الذي
يودي اليه النظر الصحيح فعلكم هذا الجواب والالم ينفع او ان كنتم
موقنين بشيء قط فهذا اولي ما توقنون به لظهوره وانارة دليله
ولما ذكر موسي عليه السلام هذا الجواب الحق قال فرعون لمن حوله
من اشراف قومه قال ابن عباس وكانوا خمسمائة رجل عليهم الاسورة
وكانت للملوك خاصة الا تستمعون جوابه الذي لم يطابق السؤال
سالته عن حقيقته وهو يجيبني بافاعليته ولما كان يمكن ان يعتقد
ان السموات والارضين واجبة لذاتهما وغنية عن الخالق قال لهم
موسي زيادة في البيان ربكم ورب اباءكم الاولين فعدل عن التعريف

بخالقية السموات والارض الى التعريف بكونه خالقا لهم ولابايهم اذ لا يمكن
ان يعتقد في نفسه ولبني ابايه واجداده كونهم واجبين لذواتهم لان
المشاهدة دلت على انهم وجدوا بعد العدم وعدموا بعد الوجود
وما كان كذلك استحال ان يكون واجبا لذاته واستحال وجوده الا بالغير
فكان التعريف بهذا الامر ظاهرا ولكن فرعون لم يكتف بذلك ولهذا قال
ان رسولكم على طريق التهكم باشارة الى ان الرسول ينبغي ان يكون اعقل
الناس كما ان الامر بقوله الذي ارسل اليكم اي وانتم اعقل الناس
لمجنون لانهم السؤال تضللا عن ان يجيب عنه تكيفا ليصلح للرسالة من
المملوك فلما قال ذلك عدل موسى عليه السلام الى طريق اوضح من
الثاني بان قال رب المشرق والمغرب اي الشروق والغروب وقتيهما
وكوضعهم وما بينهما من المخلوقات لان التدبير المستمر على هذا الوجه
العجيب لا يتم الا بتدبير مدبر قادر وهذا البيان طريقة ابراهيم عليه
السلام مع نمروذ فانه استدل اولا بالاحياء والاماتة وهو الذي
ذكره موسى عليه السلام بقوله ربكم ورب اباءكم الاولين فاجابه
نمروذ انا احيي واميت فقال ان الله ياتي بالشمس من المشرق
فات بها من المغرب فبهت الذي كفر وهو الذي ذكره موسى عليه
السلام بقوله رب المشرق والمغرب واما قوله ان كنتم تعقلون
فكانه عليه السلام قال ان كنت من العقلاء عرفت انه لا جواب
عن سؤالك الا ما ذكرته لك لانك طلبت مني تعريف حقيقته
ولا يمكن تعريف حقيقته بنفس حقيقته ولا باجزاء حقيقته فلم
يبق الا ان اعرف حقيقته باثار حقيقته وقد عرفت حقيقته
باثار حقيقته فمن كان عاقلا تقطع بانه لا جواب عن سؤالك الا ما
ذكرته لك فلما انقطع فرعون عن الجواب ولزمته الحجة تكبر عن الحق

وعدل

وعدل الى التخويف قال لئن اتخذت الها غيري لاجعلنك من المسجونين
اي واحدا منهم ممن يعلم في سجني على ما تعلم من حالي في اقتداري ومن
سجوني وقطاعتها ومن حال من فيها من شدة الحصر والغلظ في الحجر
قال الكلبي كان سجنه اشد من القتل لانه كان ياخذ الرجل فيطرحه
في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق وحد بترها لا يسمع ولا
يبصر فيها شيء وقيد ابن كثير وحفص وعاصم باظهار الذال عند التاء
والباقون بالادغام ثم ان موسى عليه السلام كلما جهلا ليعلق
فرعون قلبه به فيعدل الى وعيده بان قال مدافعا بالتي هي احسن
ارخاء للعنان لارادة البيان معنى لا يبقى عذرا للنسيان لان من
العادة الجارية السكوت الى الانصاف والرجوع الى الحق والاعتراف
اولو اي اتسجنني ولو جيتك بشيء مبين اي هل يحسن ان تذكر
هذا مع اقتداري على ان اتيك بشيء يدلك دلالة على وجود
الله وعلى انه ارسلني فعند ذلك قال فات به اي بتسبب عن تولك هذا اني اقول اتيت بذلك
الشيء ان كنت من الصادقين اي فيما ادعيت من الرسالة تنبيه الواو
في اولو لجيتك واو الحال وليتها الهمزة بعد حذف الفعل كما علم من
التقرير فان قيل كيف قطع الكلام عما لا تعلق له بالاول وهو قوله اولو
جيتك بشيء مبين اجيب بانه بدل مما اراد ان يظهره من انقلاب العصى حية
على الله وعلى توحيده وعلى انه صادق في ادعاء الرسالة فالذي
فتم بكلامه ما تقدم فالقى اي فتسبب عن ذلك وتعقبه باذا القى
موسى عصاه التي تقدم في غير سورة انه تعالى اراه اياها ولم تهم
باسمه اكتفاء بضميره لانه غير ملتبس فاذا هي ثعبان اي حية في غاية

هم حية الكبر مبين اي ظاهر لمن رآها انها اعظم حية اذا تلقفت
الى السماء قدر ميل ثم انحطت مقبلة الى فرعون تقول يا موسى امرني
بما شئت ويقول فرعون اسالك بالذي ارسلك الا اخذتها فاخذ ها
فعادت عصي فاذا قيل كيف قال هنا ثعبان مبين وفي رواية اخرى
فاذا هي حية تسعى وفي رواية ثالثة كانها جان والجان دابة
الى الصغر والثعبان الى الكبر اجيب بان الحية اسم الجنس ثم الكبرها
صارت ثعبانا وشبهها بالجان لخفتها وسرعتها ويحتمل انه شبهها
بالشيطان لقوله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم ويحتمل
انها كانت صغيرة كالجان ثم عظمت فصارت ثعبانا ثم ان موسى عليه
السلام لما راى اية العصي قال لفرعون هل غيرها قال نعم ونزع يده
الى التي كانت احترقت لما اخذ الجمرة وهو في حجر فرعون وبدل فرعون
جلده في علاجها بجميع من قدر عليه من الاطباء فعجز واخرج ابراهيما
يده من جيبه بعد ان راه اياها على ما يعهده منها ثم ادخلها
في جيبه فاذا هي بيضاء للناظرين يعني الوادي من شدة
بياضها من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس يغشى البصر
ويسد الافق فشد هذا الراد فرعون تتميما لهذه الحجة على قومه لئلا
امروا اولها ان قال للملا حوله لما وضح له الامر وهم على عتوهم
هو فاما من ايمانهم ان هذا لساحر عليم اي شديد المعرفة بالسحر حوله
حال من الملا ومفعول القول قوله ان هذا الساحر عليم وما اوتيهم
يا جيلهم به اجابهم لانفسهم فقال سلفيا الجلباب الا انفة لما فهمن
من سلطان المعجزة يريد ان يخرجكم من ارضكم اي هذه الجهة التي تراها
بسحره اي بسبب ما اتى به فانه يوجب استتباع الناس فيتمكن من
يريد ثم قال لقومه الذين كان يزعم انهم عبيده وانه الههم حاذل على

انه حادث قواه فحط عن مناكبه كبريا الربوبية وارتقدت في اليه
كما استرق لي عليه من الدهيش وراجزه حتى حبل نفسه ما مر رابه
ان كان يدعي كونه امر ايل اليها قال فماذا تامرون اي في مدافعته
عما يريد بنا قالوا اي الملا الذين كانوا حوله ارجه واخاه اي اخر
امرهما وماظرتهما الى اجتماع السحرة ولم يامر بقتلهما ولا بقتالهما
فسبحان من يلقي الروح من امره على من شاء من عباده فيهابه كل شي
ولا يهابه هو غير خالقه وقرا قالون بغير همز واسباغ حركة كسرة الهاء
وابن كثير وهشام بالهمزة الساكنة وصلة الهاء مضمومة وابو عمرو
بالهمزة وضم الهاء مقصورة وابن ذكوان بالهمزة وكسر الهاء مقصورة
وعاصم وحمزة بغير همز واسكان الهاء وابعث في امدائن حاشرين
اليها رجالا يحشرون السحرة واصل الحشر الجمع بكره وقيل ان فرعون
لما اراد قتل موسى قالوا له لا تفعل فانك ان قتلته دخلت الناس
شبهة في امره ولكن احبسه واجمع له سحرة لتبارموه ولا يثبت له
عليك حجة وعارضوا قوله ان هذا لساحر عليم بقولهم يا توك بكل
سحار اي بليغ في السحر فعال بالكلمة الاحاطة وصيغة المبالغة ليطابق
من نفسه وسيكنوا عن بعض ما قلته عليم اي مبتناه في العلم به
بعد ما تناهي في التجربة وعبر بالبناء للمفعول في قوله فجمع السحرة
اشارة الى عظمة ملكه اي بامر امر لما له عندهم من العظمة ميقات
يوم معلوم اي في زمانه ومكانه وهو صبيحة يوم الزينة كما مر في
طه وعن ابن عباس وافق يوم السبت من اول يوم في سنتهم
وهو يوم النيروز وقيل اي يقول من يقبل لكونه عن فرعون
للناس اي عامة وقوله هل انتم مجتمعون فيه استبطاء لهم في
الاجتماع والمراد من استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه

هل انت منطلق اذا اراد ان يحرك منه ويحثه على الانطلاق انما يقيل له ان الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم اي هل انت باعث دينارا لحاجتنا او عبد ربه اخا عوف بن محراق اي هل انت حاث على ارسال دينار او عبد ربه اسمح رجلين والثاني مقصور على محل الاول واخا عوف منادى او عطف بيان له وعليه اقتصر الكشاف لعلنا نتبع السحرة اي في دينهم ان كانوا هم الغالبين لموسى في دينه ولا نتبع موسى في دينه وليس غرضهم اتباع السحرة وانما الغرض اتباع لكلهم اذ لا يتبعوا موسى فسياق الكلام مساق الكناية لانهم اذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى وقيل اراد وا بالسحرة موسى وهارون وقالوا ذلك محلى طريق الاستهزاء وعبر بالمضارع في قوله فلما جاء السحرة اي الذين كانوا في جميع بلاد مصر اذ انا سرعة حشرهم لفخامة ملك وفرط عظمته قالوا لفرعون مستفهمين الاجر في حال الحاجة الى الفعل ليكون ذلك اجدر بحسن الوعد ومجاز القصد ائن لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين موسى وانوا باداة الشك مع جزمهم بالغلبة تنزيلا لمبادئه اذ لم يجسن فيما وعدهم لم ينفعوا له قال نعم لكم ذلك وفتح الكسائي بكسر العين والباقون بالفتح وزادهم عما لا احسن منه عند اهل الدنيا مؤكدا بقوله وانكم اذا اي اذا غلبتم لمن المقربين اي عندي وزاد اذا هنا زيادة في التاكيد ولما قالوا لهم فرعون ذلك قالوا لموسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال لهم موسى اي مريدا لا بطال سحرهم لانه لا يمكن صنه الا بالقائهم القوا ما انتم ملقون فان قيل كيف امرهم بفعل السحر اجيب بانه لم يرد بذلكه امرهم بالسحر والتوبيخ بل الاذن بتقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به

الى

الى اظهار الحق فالقوا اي فنتسبب عن قول موسى عليه السلام وتقديم ان القول احبالهم وعصيهم اي التي اعدوها للسحر وقالوا مقسمين بعزة فرعون وهي من ايمان الجاهلية وهكذا كل حلف بغير الله ولا يقع في الاسلام الا الحلف بالله تعالى او باسم من اسمائه او صفة من صفاته كقولك والله والرحمن ورب العرش وعزة الله وقدرة الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بابائكم ولا بامهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا بالله الا وانتم صادقون ولقد استحدث الناس في هذا الباب في اسلامهم جاهلية تنسيت لهما الجاهلية الاولى وذلك ان الواحد منهم لو اقسم باسمائه الله كلها وصفاته تعالى كي لم يحنث ولم يعتد بما حتى يقسم برأس سلطانه فاذا اقسم به تمثلك عندهم اليمين التي لا يسع ولا يراها حالف عما انهم اكدوا يمينهم بانواع من التوكيد بقولهم انا لنحن اي خاصة لا نستثنى الغالبون وذلك لفرط اعتدادهم في انفسهم وقلة اكتراثهم بما قصدهم ما يمكن ان ياتي به من السحر فالقى اي فتسبب عن صنع السحرة وتقديمه بان القى موسى عصاه التي جعلت آية اله وتسبب عن الغاية قوله تعالى فاذا هي تلقف اي تبتلع بما لا يسعه في الحال لسرعة وهمهم ما يافكون اي يقلبونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويزورونه ويخيلون في حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى بالتمويه على الناظرين اوتا فكهم تسمى تلك الاشياء افكا مبالغة وقرا حمزة بسكون اللام وتخفيف القاف ومن الباقون بفتح اللام وتشديد القاف وشدد البزي التاء الوصل وحذفها الباقون فالقي السحرة اي عقب فعلها من غير تلبث ساجدين اي تسجد وا بسرعة عظيمة حتى كان ملقيا القاهم من

قوة اسرارهم علما منهم بان هذا من عند الله فاصروا التغلب بزعمهم بعد
ما جاوا في صبح ذلك اليوم سحرة كفرة روي انهم قالوا ان ذلك ما جا
به موسى سحرا فلن نغلب وان ذلك من عند الله فلن يخفى علينا
فلما قذف عصاه فتلقفت ما ائتوا به علموا انه من عند الله فاصروا
وعن عكرمة اصبحوا سحرة فاصروا شهدا واما عبر عن الحدوث
بالافتعال لانه ذكر مع الافتعالات فسلك به طريقة المشاكلة وفيه
ايضا مع مراعاة المشاكلة انهم حين راوا ما راوا لم يتمالكوا ان
رموا بانفسهم الى الارض ساجدين كانهم اخذوا فطرحوا طرحا
فان قيل فاعل الالقاء ما هو لو صرح به اجيب بان الله تعالى
بما حولهم من التوفيق او ايمانهم وما عاينوا من المعجزة الباهرة
قال الزمخشري ولك ان لا تقدر فاعلا لان القوم معنى حزروا
وسقطوا ولما كان كانه قيل هذا فعلهم فما كان قولهم قيل قالوا
آمنا برب العالمين اي الذي دعا اليه موسى عليه السلام اول
ما تكلم وقولهم رب موسى وهارون عطف بيان لرب العالمين
لان فرعون كان يدعي الربوبية واراد ان يعزلوه ومعنى
اضافته اليهما في ذلك المقام انه الذي دعا اليه موسى وهارون
عليهما السلام ولما امن السحرة باجمعهم لم يأمر فرعون ان يقول
قومه ان هؤلاء السحرة علي كثرتهم وتبحرهم لم يروا الا عن
معرفة بحجة امر موسى عليه السلام فيسلكون طريقهم فلبس
على القوم وبالغ في التنفير عن موسى من وجوه احدها ان
قال آمنتم له اي لموسى قبل اذ آذن اي اتا لكم فسارعتم الى
الايمان به دالة على ميلكم اليه بتنبيه ههنا همزتان مفتوحتان
قرا الجميع بابدال الثانية الفا وحقق الثانية حمزة والكسائي

وشعبة

وسهلها الباقون غير حفص فانه اسقط الاولى والثانية
عنده على الجمع بينهما في قوله انه لكبيركم الذي علمكم السحر وهذا
تقريع بما رموه به اولا وتعريض منه بانهم فعلوا ذلك عن مواطاة بينهم
وبين موسى وتقرروا في السحر ليظهروا امر موسى والا ففي قوة السحر
ان تقطع امثال ما يفعل ثانيها قوله فلسوف تعلمون وهو وعيد ولهذا يد
شديد رابعها قوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف اي يد كل
واحد اليمنى ورجله اليسرى ولاصلبنكم اجمعين وهذا الوعيد من
اعظم الاهلاكات ثم انهم اجابوا عن هذه الكلمات من وجهين الاول
قولهم قالوا لاضير اي لا ضرر علينا وحذف لانه معلوم فقد يرد في ذلك
انا اي بفعل ذلك فينا ان قد ركب الله تعالى عليه الى ربنا الذي
احسن الينا بالهداية بعد موتنا باي وجه كان منقلبون اي راجعون
من الاخرة الثاني قولهم انا نطمع اي نرجو ان يغفر اي يستر ستر
بليغا لنا ربنا خطايانا اي التي قد مناها علي كثرتها وعظمها
طمعهم مع كثرة الخطايا بقولهم ان كنا اي كوننا هو كاملة اول
المومنين اي من اهل زماننا هم هذا المشهد او من رعية فرعون
او من اهل زمانهم وانما ظهر من امر فرعون ما شاهدوه وخيف
ان يقع منه بني اسرائيل وهم الذين امنوا وكانوا في قوم فرعون
عليه السلام ما يودي الى الاستيصال امره الله تعالى ان يسري
بهم كما قال تعالى واوحينا اي بما لنا من العظمة حين اردنا فضل
الامر واحكام الموعود الى موسى ان اسر ليلا بعبادي وذلك
بعد سنين اقام بين اظهرهم يدعوهم الى الحق ويظهر لهم الايات
فلم يزيدوا الا عتوا وفسادا وقرا نافع وابن كثير بكسر النون
ووصل الهمزة بعدها من سرى وقرا الباقون بسكون النون وقطع

الجمعة بعد ها هم؟ علل امره لهم بالسير في الليل بقوله تعالى انكم متبعون
اي لا يظن انهم لكثرة ما رأوا من الايات يكفون عن اتباعكم فاسرع
بالخروج ليبعدوا عنهم الى الوصف الذي مذكورة في الازل ان يظهر
بحري والمراد لو افقهم عند البحر ولم يكفهم اتباعهم عن موسى لعدم
تأثره به والمعنى الى بينت له ميزا مركم واهويتم على ان تقتدوا
ويتبعوكم حتى يدخلوا معكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر
فاطبقه عليهم ردي انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم
ولدان فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه ردي ان الله
اوحى الى موسى ان اجمع بني اسرائيل كل اربعة ابيات في كل
بيت ثم اذبحوا الكبار واضربوا بدمائها ابوابكم فانى سامر الملا
ان لا يدخلوا بيتا عليه بابه دم وامرهم بقتل ابكار القبط واختزروا
خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسري بعبادي حتى تنتهي الى البحر
فيأتيك امري وردي ان قوم موسى قالوا لقوم فرعون انا لنا
في هذه الليلة عيدا ثم استعاروا منهم حليهم بعد ان السبب
ثم خرجوا بتلك الاموال في الليل الى جانب البحر فلما سمع فرعون
ذلك جمع قومه وتبعهم كما قال تعالى فارسل فرعون اي لما اصبح
وعلم بهم في المدائن حاشرين اي رجالا يجمعون الجنود بقوة وسلطنة
وان كرهوا ويقولون تقوية لقلوبهم وتحريكا لهممهم ان هؤلاء اشارة
باداة القرب تحقيرا لهم الى انهم في الغاية وان بعدوا لما بهم
من العجز وبال فرعون من القوة فليسوا بحيث يخاف قوتهم لشرذمة
اي طائفة وقطعة من الناس قليلون اي بالنسبة الى ما لنا
من الجنود التي لا تحصى فذكرهم اولا بالاسم الدال على القلة
بالشرذمة ونبي الطائفة القليلة وعنا قوتهم نوب بوب شرذم

للذي

للذي يلي وتقطع قطعا من جيلهم قليلا بالوصف ثم جمع القليل لخصل كل
حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو للقلة مع انهم كانوا
ستمائة الف وسبعين الفا وسمائهم بشرذمة قليلين وذلك بالنسبة
لما ارسل خلفهم فان الذي ارسله فرعون في اثرهم الف الف وخمسمائة
الف ملك مسور ومع كل ملك الف وحزب فرعون في جمع عظيم وكان
عقد مقدمته سبعمائة الف كل رجل على حصان وعلى راسه بيضة
وعن ابن عباس حزب فرعون في الف الف حصان سوى الاناث
فلذلك استقل قوم موسى قال الزمخشري ويجوز ان يريد بالقلة
الذلة والهامة ولا يريد قلة العدد والمعنى انهم لقلتهم لا يبالى
بهم ولا يتوقع عليهم غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا
وتضيق صدورنا كما قال تعالى عنهم وانهم لنا لغائظون اي عما نحوطهم
به من انفسهم وبما استعاروه من الزينة من الاواني والاواني الذهب
والفضة وفاخر الكسوة ولا رحمة في قلوبهم بحميهم وانا لجميع حذرون
اي من عادتنا التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج
علينا خارج سارعنا الى جسم فساده ونفذ معاذيره اعذارنا الى
اهل المدائن ليلا يظن به ما ليس من شهرته وسلطانه
وقرا ابن ذكوان والكوفيون بالف بعد الحاء والباقون بغير الف قال
ابو عبيدة والزجاج هما بمعنى واحد يقال رجل حذر وحذر ورجل
بمعنى وقيل بل بينهما فرق بالحذر المتيقظ والحاذر الخائف
وقيل الاول للمتجدد لانه اسم فاعل والثاني للثبات لانه صفة
مشبهة وقيل الحاذر المستلح الذي له شوكة السلاح وهو ايضا
من الحذر لان ذلك انما يفعل حذرا مما يحكى انه كان يقصر في خراج
مصر وانه يجزيه اربعة اجزاء احدها لوزه وكتابه وجنده

ذر

والثاني لحفر الانهار وعمل الجسور والثالث لدلوله والرابع
يغرق في المدن فاذن لحقهم ظلما وعلوا واستجارا وفساد علة او
مرت عجوا حمل قوائمهم به ويريد انه قصده توهم فقالوا نحتاج
الي تحفر خليجا لنعمر هنيا عافاذن في ذلك واستعمل عليهم عاملا
فاستكثى ما حمل من خراج تلك الناحية الي بيت المال فسال
عن مبلغ ما انفقوه في خليجهم فاذا هو مائة الف دينار
وامر بحملها اليهم فامتنعوا من قبولها فقال اطرحوها عليهم
فان الملك اذا استغني بمال الرعية يعني رعيته افتقر
وان الرعية اذا استغنت بمال ملكهم استغني واستغنوا
ولما كان التقدير فاطاعوا امره ونفذوا علي كل صعب وذلول
عطف عليه قوله تعالي بما ال اليه امرهم **فاخرجناهم** اي فرعون
وجنوده بما لنا من القدرة من مصر ليلحقوا بموسي وقومه اخرا ج
حيثما لا يسمح احد بالخروج منه **من جنات** اي بساتين كانت
علي جانبي النيل يحق لها ان تذكر **وعيون** اي انهار جارية
في الدور من النيل وقيل عيون تخرج من الارض لا يحتاج
معها الي نيل ولا مطر **وكنوز** اي اموال ظاهرة من الذهب
والفضة وسميت كنوزا لانه لم يعط حق الله تعالي منها وما لم
يعط حق الله تعالي منه فهو كنز وان كان ظاهرا قيل كانت
لفرعون ثلثمائة الف غلام كل غلام علي فرس عتيق
في عنق كل فرس طوق من ذهب **ومقام** من المنازل **كريم**
اي مجلس حسن للامراء والوزراء يحمد اتباعهم وعن الضحاك
المنابر وقيل السرر في الحجال وذكر بعضهم انه كان اذا قعد
علي سريره وضع بين يديه ثلثمائة كرسي من ذهب يجلس

عليها

عليها الاشراف عليهم الاقبية من الديباج مخوصة بالذهب
كذلك اي اخراجا كما وصفنا **واورثناها** اي تلك النعم السنية
بعد خروجهم بالقوة وبعد اغراق فرعون وجنوده بالفعل **بني**
اسرايل اي جعلناهم بحيث يرثونها لانا لم نبق لهم حائلا بينهم وبينها
ان كانوا مستعبدين بعد ايدي اربابها واستشكل ارثهم لها
بالفعل لقوله تعالي في الدخان قوما اخرين وسياتي الكلام علي
ذلك ان شاء الله تعالي في ذلك المحال بل قيل ان بني اسرايل لم يخرجوا
الي مصر بعد ذلك ولما وصف تعالي الاخراج وصف اثره بقوله تعالي
مرتبا عليه بالفعل وعلي الايراث بالقوة **فاتبعوهم مشرقين** اي
داخلين في وقت اشراق الشمس يطلوعها صبيحة الليلة التي سار
فيها بنو اسرايل ولو لا تقدير العزيز العليم بخرق ذلك للعادة لم تكن
لهلاك علي حكم العادة في اقل من عشرة ايام فانه تجهز الملوك عن
مثله واستمر الي ان لحقهم عند بحر القلزم **فلما تراي الجمعان**
اي راي كل منهما الاخر **قال اصحاب موسي** ضعفا وعجزا استقصارا لما
كانوا فيه من الذل ولانهم اقل منهم بكثير بحيث يقال ان طليعة
الي فرعون كانت علي عدد بني اسرايل وذلك تحقق لتقليل
فرعون لهم وكانه عبر عنهم باصحاب دون بني اسرايل لانه كان
قد آمن كثير من غيرهم **انا لمدركون** اي يدركنا فرعون وقومه وقد
صرنا بين سدين العدو وراءنا والبحر امامنا ولا طاقة لنا بهذا
قال اي موسي عليه السلام وثوقا بوعد الله تعالي له **كلا** اي لا يدركون
اصلا لعلل ذلك تسكينا لهم بقوله **ان معي ربي** اي بنصره فكانهم
قالوا وما عساه يفعل وقد وصلوا قال **سيهدين** اي يدلني
علي طريق النجاة روي ان موسي كان بين يدي موسي

عليه السلام فقال اين تذهب فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون
قال امرت بالبحر ولعلي اومرت بما اصنع فاوحينا اي فشبهت عن
كلامه الدال على المراقبة انا اوحينا ونوه باسم الكليم جزاله على
ثقته به سبحانه وتعالى فقال تعالى الى موسى وفسر الوحي الذي
فيه معنى القول بقوله تعالى ان اضرب بعصاك البحر اي الذي امامكم
وهو بحر القلزم الذي يتوصل منه الى الطور والى مكة
المشرفة وما والاها وقيل النيل فضربه فانفلق بسبب ضربه امتثالا لامر ربه وصار اثني عشر فرقا على عدد اسباطهم
فكان كل فرق اي جزو قسم عظيم منهم كالطود اي الجبل في اشرافه
وطوله وصلابته بعد السيلان العظيم المتطاول في السما الثابت
في قعره لا يتزلزل لان الماء كان منبسطا في ارض البحر فلما انفلق
وانكشف فيه الطريق انضم بعضه الى بعض فاستطال وارتفع
في السما بين تلك الاجزا مسالك سلكوها لم يبتل منها سروج
الراكب قال الزجاج لما انتهى موسى الى البحر هاجت الريح والبحر
يرمي بموج كالجبال قال يوشع يا كليم الله يا ابن امرت فقد غشينا
فرعون والبحر امامنا فقال موسى ها هنا فخاض يوشع الماء وجاز
البحر هاربا حتى دانى دابته الماء وقال الذي يكتم ايمانه يا كليم الله
اين امرت قال ها هنا فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من
شدقيه ثم اقتحم البحر فارتسب في الماء وصنع القوم مثل ذلك
فلم يقدروا لجهل موسى لا يدري كيف يصنع فاوحى الله اليه ان
اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فصار فيه اثني عشر طريقا
لكل سبط طريق فان الرجل على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده
روي ان موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شيء والمكون لكل

شيء

شيء والكائن بعد كل شيء وهذا معجز عظيم من وجوه احدها ان تفرق
ذلك الماء معجز وثانيها ان اجتماع ذلك الماء بعد تفرقه كذلك معجز
كالجبل معجز ايضا وثالثها انه ثبت في خبر الله تعالى ارسل على فرعون
وقومه من الرياح والظلمة ما حيرهم فاحتسبوا القدر الذي تكامل
معه عدد بني اسرائيل وهذا معجز ثالثها ورابعها ان خبر الله تعالى في تلك
الحدود الماتية كوى ينظر بعضهم الى بعض وهذا معجز رابع وخامسها
ان بقي الله تعالى تلك المسالك حتى ترتب الى فرعون وظنوا انه تخلص
من البحر كما تخلص موسى عليه السلام وهذا معجز خامس فانه
لكل من جميع العقلا في الدنيا من فرق التوفيق والتفهم والمكان
التقدير وادخلنا كل شعب منهم في طريق من تلك الطرق عطف
عليه وازلفنا اي قربنا بعظمتنا ثم اي هناك الاخرين اي فرعون
وقومه حتى سلكوا مسالكهم وقال ابو عبيدة وازلفنا اخلفنا ومنه
ليلة المزدلفة اي ليلة الجمع عن عطا بن السايب ان جبريل عليه
السلام كان بين بني اسرائيل وقوم فرعون وكان يسوق بني
اسرائيل ويقول للبطي آخر كرما دلكم ويستقبل المتطاول ويقول
رويدكم ليلحق آخركم اولكم وانجينا موسى ومن معه وهم من
تبعوه من قومه وغيرهم اجمعين اي لم يفقد رجلا واحدا منهم الهلاك
بل اخرجناهم من البحر على هيئته المذكورة ثم اغرقنا الاخرين
اي فرعون وقومه اجمعين بانطباق البحر عليهم لما تم دخولهم البحر وخرج
بني اسرائيل منه وقيل ادخل هذا البحر بحر القلزم وقيل هو بحر من
وراء مصر يقال له اساف ان في ذلك اي الامر العظيم العالي المرتبة
من تفلقه موسى وفرعون وما تلاها من العظات لاية اي علامة عظيمة
دالة على قدرة الله تعالى لان احدا من البشر لا يقدر عليه وعلى حكمة

وكونه ورثوه مصلحة في الدين والدنيا او على صدق موسى لكونه معجزة
له وعلى التحذير عن مخالفة اوامر الله تعالى ورسوله عليه السلام وفي ذلك
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه قد يلقى بتكذيب قومه مع
ظهور المعجزات عليه فنبه الله تعالى بهذا الذكر على ان له اسوة
بموسى وغيره **وما كان اكثرهم** اي اهل مصر الذين شاهدوا وعاصروا الذين
وعظوا بسماعهم **مؤمنين** اي متصفين بالايمان الثابت اما القليل منهم
ممن آمن كالسحرة وهو من آل فرعون وامرأة فرعون والمرأة
التي دلتهم على عظام يوسف عليه السلام واما بنو اسرائيل فكانوا
كثيرا لكنهم لم تزل لا يثبت لهم قليل ويقوله ويفعل ما هو كفر حتى
بدل كلهم الله تعالى على يد موسى عليه السلام ومن بعده واما
ما كان من ذلك سوالهم ابراز هذه المعجزات بجعل لهم الها كالاصنام
التي مروا عليها واما غيرهم ممن تاخر عنهم فالهم مفروض وحالهم
مشاهد مكشوف فقد سالوه بقرة يعبدونها فاتخذوا العجل
وطلبوا رؤية الله جهرة **وان ربك** اي المحسن اليك بما علا مركه
وانقاذ الناس من ظلمات الجهل على يدك **لهو العزيز** اي القادر
على الانتقام من كل فاجر **الرحيم** بعباده لانه تعالى افاض عليهم
نعمه وكان قادرا على ان يهلكهم فدل ذلك على كمال رحمته وسعة
جوده وفضله ولما امر سبحانه وتعالى ما اراد من قصة موسى
عليه السلام محمدا ليعرف محمدا صلى الله عليه وسلم ان ذلك المحن
مثل التي اصابته كانت حاصلة لموسى اتبعه دلالة على رحمة
وزيادة في تسليته بنبه قصة ابراهيم عليه السلام وهي
القصة الثانية بقوله تعالى **واتل** اي اقرا قراءة متابعة يا اكمل
الخلق **عليهم** اي كفار مكة وقوله تعالى **نبا** اي خبر ابراهيم قراءة

نافع وابن كثير وابو عمرو وفي الوصل بتسهيل الهمزة الثانية وحقها
الياء وقرئ وقي الابتدا بالثانية الجميع يحققون ويبدل منه **اذ** اي
حين **قال لابيه وقومه** مبينا لهم على طلب التهم للمستعلى الانكار
عليها بحقيقة حالهم ولكنه سالهم بقوله **ما** اي اي شيء **تعبدون**
اي تواظبون على عبادته لزعمهم ان ما يعبدونه ليس من جنس
العبادة في شيء كما يقوله الرقيق جادا وليس بمال **قالوا** في جواب **نعبد**
اصناما فان قيل قوله عليه السلام ما تعبدون سوال عن
المعبود فحسب فكان الجواب ان يقولوا اصناما كقوله تعالى
ويسيلونك ماذا ينفقون قلت المعنى وكقوله تعالى **ماذا** قال ربكم
قالوا الحق وكقوله تعالى **ماذا** انزل ربكم قالوا خيرا فجيء بان يقولوا
فتاجابوا بقصة امرهم كاملة كالمتحيرين بمالوا المتخيرين فاستحسن
على جواب ابراهيم عليه السلام وعلى ما قصد به من اظهار ما
بين نفوسهم من الابتهاج والافتخار لاتراهم كيف عظموا امرها على
قومهم بقولهم نعبد **فنظل لها عاكفين** ولم يقتصروا على زيادة نعبد
وحده ومثاله ان يقول لبعض السلاطين ما تلبس في بلادك فيقول
البس البرد الاخضر فاجد ذيله بين جواري اخي واما قالوا
نظل لانهم كانوا يعبدونها بالنهار ردد الليل يقال ظل يفعل
كذا اذا فعل بالنهار والعكوف الاقامة على الشيء **قال** ابراهيم
عليه السلام قالها على فساد مذهبهم **هل يسمعونكم** اي
يسمعون دعاءكم او يسمعونكم تدعون فحذف ذلك لدلالة **اذ** اي
حين **تدعون** عليه فعلى الاول هي متعدية الى واحد وعلى
الثاني هي متعدية لاثنين قامت الجملة المقدرة مقام الثاني
وهو قوله الفارسي وعند غيره الجملة المحذوفة حال وقرا نافع

وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الذال عند التاء والباقون
بالادغام او ينفعونكم ان عبدتموهم او يضرونكم ان لم
تعبدوهم ولما قام ابراهيم عليه السلام عليهم هذه الحجة البالغة
وهو ان الذي يعبد دونه لا يسمع دعاءهم حتى يعرف مقصودهم ولو
عرف ذلك لما صح ان يبذل النفع ويدفع الضر فكيف يعبد ما هذا
صفته ولم يجدوا ما يدفعون به حجته الا التقليد قالوا بل وجدنا
اباءنا كذلك اي مثل فعلنا هذا الفعل العالي الشان ولم يكن عند
من نعبدهم شيء من ذلك ثم صرحوا حالة اباءهم في نفوسهم تنبيها
له عليهم بقولهم يفعلون اي فنحن نفعل كما فعلوه فانهم حققوا عندنا
بما لا مجال لنفي صحة نسبتهم لنا الى الوجود فهم ارضنى عندنا عقولا واعلم
تجربة فلولا انهم راوا ذلك حسنا ما واظبوا عليه وهذا تقليد مخض
فالى اي دين نظر كما فعل البهيم والطير في تبعهما الاولى هما ان ابراهيم
عليه السلام قال معرضا عن جواب كلامهم لما راه ساقطا لا يرتضيه
عاقل افرايتم اي تسببت عن قولكم هذا الذي اقوله لكم ارايتم اي ان لم
تكونوا رايتموهم رؤية موجبة لتحقق امرهم فانظروهم نظرا شافيا
ما كنتم تعبدون اي مواظبين على عبادتهم انتم واباؤكم الاقدمون
اي الذين بهم اقتدم ما يكون فان التقدم والاولية لا يكونان برهانا على
الصحة والباطل لا ينقلب حقا بالقدم فانهم عدو لي اي اعدائي
وانما وحده على ارادة الجنس ويجيء العدو والصديق في معنى
الواحد والجماعة قال الفاضل وقوتهم على علي ذوي مبراة اراهم
عدوا ولو كانوا اصدقاء ومنه قوله تعالى وبهم لكم عدو تشبيها
بالمعاند بركا لخبين والمستهيل وقيل هو من المقلوب اراد اني عدو
لهم فان من عاداني فقد عاداك وقرا نافع افرايتم بتسهيل الهمزة

التي بين بين الكلمة ولورش ايضا ابدال الهمزة الفا واسقطها الكسائي ايدرجتها
الباقون فان قيل لم قال فانهم عدو لي ولم يقل فانهما عدو لكم اجيب
بانه عليه السلام صور المسئلة في نفسه بمعنى اني فكرت في امري
فرايت عبادتي لهما عبادة للعدو فاجتنبتها واراهم انما نفيجة نفعها
بها نفسه فاذا تفكروا قالوا ما نفعنا ابراهيم الا بما نفع به نفسه فيكون
ذلك ادعى الى القبول وابعث الى الاستماع منه ولو قال فانهم عدو
لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه دخل في باب من التعريض وقد يبلغ
التعريض للمفوح ما لا يبلغه التصريح لانه يتامل فينه فيتمكن ما افاده
التامل الى التقيد ومنه ما يحكى عن الشافعي رضي الله عنه ان
رجلا رجمه بشيء فقال لو كنت بحيث انتهت لاحتجت الى ادب رسمع
رجلا ناسا يتجدلون في الحجر فقال ما هو بيني وبينكم وقوله
الا رب العالمين اي مدبر هذه الاكوان كلها يعني ان يكون استثنا
منقطعا بمعنى انهم عدو لي لا اعبدهم لكن رب العالمين فاني اعبده
او ان يكون متصلا على ان الضمير لكل معبود عبده وكان من اباءهم
من عبد الله تعالى فكانه قال الا رب العالمين فانه ليس بعدو بل
هو ولي ومعبودي ثم شرع يصف بما هم به عالمون من انه على
الضد الاقصى من كل ما عليه اصنامهم بقوله الذي خلقني اي
اوجدني على هيئة التقدير والتصوير فهو اي فتسبب عن تفرده
بخلقي انه هو لا غيره يهدين اي الى الرشاد ولا يعلم باطن المخلوق
ويقدر على التصرف فيه غير خالقه ولا يكون خالقه الا سميعا بصيرا
ضارا نافعا فعاله الكمال كله وذكر الخلق بالماضي لانه لا يتجدد في الدنيا
والهداية بالمضارعة لتجددها وتكررها لانه تعالى لما اتم خلقه
ونفخ فيه الروح عقب ذلك الهداية المتصلة التي لا تنقطع الى

كل ما يعلمه ويبينه والامن هداه الى ان يغتذي بالدم في البطن
استقصاصا ومن هداه الى معرفة الذكر عند الولادة والى معرفة
مكانه ومن هداه للكيفية الارتفاع الى غير ذلك دينا ودنيا والذي
اي هو لا غيره يطعمني ويسقين اي يرزقني ويغذيني بالطعام
والشراب ولو اراد اعدم ما اكل وما اشرب او اصابني بآفة
لا استطيع معها اكلا ولا شربا وبنبه بذكر الطعام والشراب على ما
عداهما تنبيه يجوز في والذي يطعمني ويسقين ان تكون مبتدا
وخبره محذوف لدلالة ما قبله عليه وكذا الذي بعده ويجوز ان تكون
اوصافا للذي خلقني ودخول الواو وهايز كقوله الى الملك القوم
وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وتكرير الموصول على
الوجهين في للدلالة على ان كل واحد من الصلاة مستقلة باقتضا
الحكم واذا مرضت اي باستيلاء بعض الاخلاط على بعض لما بينهما من
التنافر الطبيع فهو اي وحده يشفين اي بسبب تعديل المزاج بعد زيل
الاخلاط وتفريقها على الاجتماع لا بطبيب ولا غيره فان قيل لم
اضاف المرض الى نفسه مع ان المرض والشفاء من الله تعالى
اجيب بانه قال ذلك استعمالا لما يحسن الادب كما قال الخضر عليه
السلام فاردت ان اعيبها وقال فاراد ربك ان يبلغا اشدهما
واجاب الرازي ان اكثر اسباب المرض حدوثا بتفريط الانسان
في طعامه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قال الحكما لو قيل لاكثر
الموتى ما سبب اجالكم لقالوا التخمة وبان الشفا محبوب وهو من
اصول النعم والمرض مكروه وليس من النعم وكان مقصود ابراهيم
عليه السلام تعديد النعم ولما لم يكن المرض من النعم لا جرم لم
يضفه الى الله تعالى ولا ينتقض ذلك باسناد الاماتة اليه كما سياتي

فان

فان الموت ليس بضرر لان سببها كونه ضررا وقوع الاحساس به وحال
الموت لا يحصل الاحساس به انما الضرر في مقدماته وذلك هو عين المرض
ولان الارواح اذا كملت في العلوم والاخلاق كان بقاؤها في هذه
الاجساد عين الضرر وخلاصها عنها عين السعادة بخلاف المرض
والذي يميتني يقبض روحي في الدنيا ليخلصني من آفاتها ثم يحيين
للمجازاة في الاخرة كما شفاني من المرض بين الموت والاحياء اتى بثم
هنا لان الاماتة في الدنيا والاحياء في الاخرة ولما ذكر ما يتربب عليه بقوله والذي اطمع
ان يغفر اي يجود ويستر لي خطيئتي اي تقصيري عن اداء حق
قدره يوم الدين اي الجزاء وفي اي عاشية قالت قلت يا رسول
الله ان ابي كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المساكين فهل
ذلك نافعه قال لا ينفعه انه لم يقل يوما يوم اغفر لي خطيئتي يوم
الدين وهذا الكلام احتجاج من ابراهيم على قومه انه لا يصلح للالهية
الا من يفعل هذه الافعال فان قيل لم قال والذي اطمع والطمع
عبارة عن الظن والرجاء وهو عليه السلام كان قاطعا بذلك
اجيب بان في ذلك اشارة الى ان الله تعالى لا يجب عليه لاحد شيء
فانه يحسن منه تعالى كل شيء ولا اعتراض لاحد عليه في فعله فان
قيل لم اسند لنفسه الخطيئة مع ان الانبياء معصومون اجيب
بان مجاهدا قال هي قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذه
وقوله لسارة هي اختي وردّ بان هذا معارض كلام وتخيلات
للكفرة وليس بحظا يا يطلب لها الاستغفار والادلى في الجواب ان
استغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم لانفسهم ويدل عليه قوله
اطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لامتهم وليكون لطفا بهم

باجتناب المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة بما يفرط منهم فان قيل لم علق
مغفرة الخطيئة بيوم الدين وانما المغفرة في الدنيا اجيب بانه اراد بها
يبين يوميذ وهو الذي لا يعلم ولما حكى الله تعالى عن ابراهيم عليه
السلام دعاءه عليه ذكر بعد ذلك دعاء ومسالة بقوله رب اي يا
المحسن الي هب لي حكما اي علما مستقيما بالعلم وقال ابن عباس معرفة
حدود الله واحكامه وقال الكلبي النبوة لان النبي ذو حكمة وذو حكم
بين عباد الله تعالى ان الاعتماد انما هو على محض الكرم فان في نفوس
الحساب عذب بقوله والحقني بالصالحين اي الذين جعلتهم ائمة للمتقين
في الدنيا والاخرة وهم الانبياء والمرسلون وقد اجابه الله تعالى حيث قال
وانه في الاخرة لمن الصالحين وفي ذلك تنبيه على ان تقديم الثناء على
الدعاء في المهمات فان قيل لم لم يقتصر ابراهيم عليه السلام على
الثناء والاجابة روي عنه انه قال حسبي من سوالي علمه بحالي اجيب بانه
عليه السلام انما ذكر ذلك حين استقاله ربه عن دعوة اتخاذ الخلق الي ثقتي لانه
قال فانهم عدو لي الا رب العالمين ثم ذكر الثناء ثم ذكر الدعاء لان
الشارع لا بد له من تعليم الشرع فاما حين خلا بنفسه ولم يكن غرضه
تعليم الشرع وثقر علي فؤاده حين من سوالي علمه بحالي تنبيه الالحاق
بالصالحين اذ لو ثقته لم يحمل يستظهر به في جملتهم او يجمع بينه وبينهم في
المنزلة والدرجة في الجنة ثم انه عليه طلب زيادة في الاخرة بقوله
واجعل لي لسان صدق اي ذكرا جميلا وقيل دعاء وثناء حسنا بما
اظهرت من حفاظ الدين في الاخرين اي في الناس الذين يوجدون بعدي
الى يوم الدين لاكون لهم تبعا فيكون لي مثل اجورهم فان من
سن سنة حسنة كان له اجرها واجر من عمل بها الى يوم القيمة قال
ابن عباس اعطاه الله تعالى بقوله وتركنا عليه في الاخرين فاهل

الايمان

الايمان يقولون وسمون عليه وقد جعل الله سنتهم مباركة فنرع من
الانبياء الذين احيا الله تعالى بهم قلوبهم ذكره الذين من اعظم ما كان
على لسان اعظمهم النبي الامي صلى الله عليه وسلم من قوله صل على
محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم الخ ولما طلب عليه السلام
سعادة الدنيا وكان لا ينفع لها الا بالله تعالى بسعادة الاخرة التي هي الجنة
طلبها بقوله واجعلني اي مع ذلك كله بفضلك ورحمتك من ورثة جنة
النعيم لان ورثها المتقين اي وجد الله الكريم وهو السعادة الكبرى بكثيرها
بالارث الذي يحصل بغير اكتساب اشارة الى انها لا تنال الا بمحض كرمه
لا لشيء من ذلك ولما دعا لنفسه ثنى بما حق الخلق ببره بقوله واغفر لابي
بالهداية والتوفيق الى الايمان لان المغفرة مرجوة بالايمان وطلب
المرجو للمتيقن بطلب الرجا فقوله واغفر لابي كأنه دعا له بالايمان
وقيل انه اباه وعده بالاسلام لقوله تعالى وما كان استغفار ابراهيم
لابيه الا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه كما
مر في سورة التوبة وقيل انه اباه قال له انه علي دينك باطنا
وعلي دين قومك ظاهرا وتقية وخوفا فلما تبين له لاعتقاده ان
الامر كذلك فلما تبين له خلاف ذلك تبرأ منه ولذلك قال في دعائه
انه كان من الضالين فلولا اعتقاده فيه انه على الحال لبي بضلال لمة
قال ذلك وقيل ان الاستغفار للكفار لم يكن محظورا اذ ذاك ولا تخزني
اي تفضحني يوم يبعثون اي العباد فان قيل كان قوله واجعلني
من ورثة جنة النعيم كافيا عن هذا ايضا قال تعالى اذ الخزي
اليوم والسوء على الكافرين فما كان نصيب الكفار فقد كان مخافة
المعصوم اجيب بان حسنات الابرار سيئات المقربين فكان درجات
الابرار خزي المقربين وخزي كل واحد بما يليق به ولما نبه عليه

كتبناه

السلام على ان المفعول هو الاخرة صرح بالتقابل في الدنيا بقوله يوم لا ينفع
اي احد اصلا اي ينفتدي به او يبذله لدفع او ناصر او قاهر ولا بنون
ينتصر بهم او يتقوى بهم وفي استثنائه قوله الا من اوجه احدها
انه منقطع وجرى عليه الجلال المحلي ايملكن من اتى الله بقلب سليم فانه
ينفعه ذلك الثاني انه مفعول به لقوله تعالى لا ينفع اي لا ينفع المال
والبنون الا هذا الشخص فانه ينفعه ماله المصروف في وجوه البر
وبنوه الصلحاء لانه علمهم واحسن اليهم الثالث انه بدل من المفعول
المحذوف او مستثنى منه اذ التقدير لا ينفع مال ولا بنون احدا من
الناس الا من كانت هذه صفته واختلف في القلب السليم على اوجه
قال الرازي احدها ان المراد منه سلامة النفس عن الجهل والاخلاق
الرذيلة الثاني انه الخالص من الشرك والنفاق وهو قلب المؤمن
وجرى عليه هنا كالجلال المحلي والزمخشري فان الذنوب قل ان يسلم
منها احد وهذا معنى قول سعيد بن المسيب السليم هو الصحيح وهو
قلب المؤمن فان قلب الكافر والمنافق مريض قال تعالى في قلوبهم
مرض في المائدة انه الذي تسلم وسلم فيه واسلم وسالم واستسلم
والرابع انه هو اللديغ اي القلق المتألم من خشية الله لكن قال
الزمخشري ان القولين الاخيرين من بدع التفاسير وقوله تعالى
وازلفت الجنة حال من واو يبعثون ومعنى ازلفت قربت اي قربت
الجنة للمتقين فتكون قريبة من موقف السعداء ينظرون اليها ويفرحون
بانهم المحشورون اليها زيادة الى سرورهم وبرزت الجحيم اي كشفة
وظهرت النار الشديدة للغاوين اي الكافرين غيرهم مما يكشوفة
ويحشرون على انهم المسوقون اليها زيادة في غمومهم تنبيه على
اختلاف الفعلين ترجيح لجانب الوعد على الوعيد حيث قال في حق

المتقين

المتقين وازلفت اي قربت وفي حق الغاوين وبرزت اي اظهرت والمراد
من الظهور القرب وقيل لهم تنديما وتبكيتا وتوبيخا وايهم القائل ليحصل
لكل احد تخييل انهم والذي يظهر لي ان القول لا كونه من معين ايما
اية الذي كنتم تعبدون في الدنيا ثم حقر معبوداتهم بقوله تعالى من
دون اي من ادنى رتبة من رتب الله الملك الذي لا كفوله وتكبيتهم
تزعمون انهم يشفعون لكم ويقولكم شر هذا اليوم هل ينصرونكم بدفع
العذاب عنكم او ينتصرون بان يدفعوا عن انفسهم فكبكبوا اي فتسب
عن عجزهم ان القوا فيها اي في جهنم هم اي الاصنام وجاءا
من الشياطين ومن هم والغاوون اي الذين ضلوا بهم والكبكبة تكرير
الكب لتكرير معناه كان من القي في النار ينكب مرة بعد اخرى حتى
يستقر في قعرها وقال الزجاج طرح بعضهم فوق بعض وقال العتبي
القوا على رؤسهم وجنود ابليس ومن اتباعه ومن اطاعه من الانس
والجن وقيل ذريته اجمعون ولما لم يتمكنوا من قول في جواب استفهامهم
قبل القائهم قالوا اي العبدة وهم فيها اي الجحيم يختصمون اي مع المعبودين
وقولهم تالله اي الذي له جميع الكمال ان كنا لفي ضلال مبين اي ظاهر
جدا لمن كان له قلب سليم معمول القول وجاءنهم وهو وهم فيها
يختصمون جملة حالية معترضة بين القول ومعموله وقيل اذ الاصنام
تنطق وتخاصم العبدة ويؤيده الخطاب في قولهم اذ اي حين نسويكم
برب العالمين في استحقاق العبادة تنبيه اذ المطلوب اما بعدي
او بحذف اي ضلالنا في وقت نسويتكم بالله في العبادة وما
اضلنا اي ذلك الضلال المبين عن الطريق البين الا المجرمون اي
الاولون الذين اقتدينا بهم من رؤسائنا وكبرائنا كما في اية اخرى
ربنا انا اطعنا سادتنا وكبرائنا فاضلونا السبيلا وعن ابن جريج

ابليس وابن آدم الاول وهو قابيل وهو اول من سن القتل وانواع
المعاصي فما اي فتسبب عن ذلك انه ما لنا اليوم ولاد في يعجم الذي
بزيادة الجار فقالوا من شافعين يكونون سببا لاد خالنا الجنة كالمومنين
تشفع لهم الملائكة والنبيون والمومنون ولا صديق حميم اي قريب
يشفع لنا يقول ذلك الكفار حين تشفع الملائكة والنبيون والمومنون
والصديق هو الصادق وداد ك الذي يهمه ما اهمك مع موافقة الدين
وعن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل
ليقول في الجنة ما فعل صديقي فلان وصديقته في الجحيم فيقول الله
تعالى اخرجوا له صديقه الى الجنة فيقول من بقي في النار فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم قال الحسن استكثر والله من الاصدقاء المومنين فان لهم
شفاعة يوم القيمة فان قيل لم جمع الشافع ووحد الصديق اجيب
بان الشفاء رحمة له وحسنة وان لم يسبق له باكرهم معرفة واما
الصديق وهو الصادق في وداد ك الذي يهمه ما اهمك قال الزمخشري
فاعن من بيعض الاثوق اه قاله الكوفيون على قولهم يطير وهو
الرخمة وفي المثل اعز من بيعض الاثوق لانها مجون فلا يكاد يظفر بها
لان اوكارها في رؤس الجبال والاماكن الصعبة البعيدة وعن
بعضهم انه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له اي لا يوجد
ولما دعوا في هذا الهلاك وانتفى عنهم الخلاص نسب عنه تمنيهم
المحال فقالوا فلو ان لنا كرة اب رجعة الى الدنيا فنكون من
المومنين اي الذين صار الايمان لهم وصفا لازما فازلفت لهم الجنة
تنبيه انظر ما احسن ما رتب ابراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين
حين سالهم اولا عما يعبدون سالهم عن امر قريب لا ستقامة له ثم اتبعه
فاطل امرها بانها لا تسمع ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقدير

ايام

ايامهم الاقدمين وكسرها واخرجه من ان يكون شبهة فضلا عن ان يكون
حجة ثم صور المسئلة في نفسه ودربهم حتى تخلص منها الى ذكر الله عز
وجل فعظم شانه وعدد نعمته من لدن خلقه وانشاه الى حين
وفاته مع ما يرجى في الآخرة من رحمته ثم اتبع ذلك ان دعاه الله
بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الاولين ثم وصله بذكر يوم
القيمة وثواب الله تعالى وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ
من الذم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمني الكرة الى
الدنيا ليوحدوا ويطيعوا ان في ذلك اي المذكور من قصة ابراهيم وقومه
لاية اي عظيمة على بطلان الباطل وحقوق الحق وما اي وجدانه
ما كان اكثرهم اي الذين شاهدوا هذا الامر العظيم الذي يسمع
عنه مومنين اي بحيث صار الايمان صفة لهم ثابتة وفي ذلك اعظم
تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وان ربك اي المحسن اليك بارسالك
وهداية الامة بك لهو العزيز اي القادر على ايقاع النقمة بكل من
خالفه حين يخالفه الرحيم اي الفاعل فعل الراحم في امهاله
العصاة مع ادرار النعمة ودفع النقم وارسال الرسل وبعث السرايع
لكي يوحدوا واحدا من ذريتهم ولما تم سبحانه وتعالى قصة الاب
الاعظم الاقرب ابراهيم عليه السلام اتبعها بقصة الاب الثاني
وهو نوح عليه السلام وهي القصة الثالثة وقد مالها على غيرها
لما له من القدم في الزمان اعلاما بان البلاء تقديم ولانها ادل
على صفتي الرحمة والنقمة اللتين هما اثر الغيرة بطول الامهال
لهم على طول مدتهم ثم تعميم النقمة مع كونهم جميع اهل الارض فقال
كذبت قوم نوح وهم اهل الارض كلهم من الادميين قبل اختلاف
الالسن بتفرق اللغات المرسلين اي بتكذيبهم نوحا عليه السلام

لانه اقام الدليل علي نبوته بالمعجزة ومن كذب بالمعجزة فقد كذب بجميع
المعجزات لتساويها اقدامها في الدلايل علي صدق الرسول وقد يجاب
بحسن البحث عن ذلك فيقال من كذب واحدا من الرسل فقد كذب
الكل لان الاخير جاء بما جاء به الاول تنبيه القوم يونث باعتبار معناه
ولذا اليصغر علي قومية ويذكر باعتبار لفظه وتذكيره اشهر واحق
الثالث هاهنا للتنبيه علي ان فعلهم احسن الافعال والي امتهم
مع عتوهم وكفرهم كانوا عليه سبحانه وتعالي اهون شئ واضعفه
بحيث جعلهم هباء منثورا وكذا من بعدهم ولاجل التسلية عن
التكذيب في كل قصة اذ اي حين قال لهم اخوهم اي في النسب
لا في الدين نوح وذكر الاخوة زيادة في تسلية النبي صلي الله
عليه وسلم واشار تعالي الي حسن ادب نوح عليه السلام مع
قومه واستجلابهم برفقه وليانه بقوله لهم الا تتقون اسبابا تجعلوا
بينكم وبينه الحفظة وقاية بطاعته بالتوحيد وترك الالتفات
الي غيره ثم علل الهمزة للامر عليهم بقوله اني لكم اي مع
كوني اخاكم ليسري ما يسركم ويسوني ما يسوكم رسول اي من
عند خالقكم فلا مندوحة عما امرت به امين اي مشهور بالامانة
بينكم لا غش عندي كما تعلمون ذلك مني علي طول
خبرتكم لي ثم تسبب عن ذلك الرفق الجزم بالامر فقال فاتقوا الله
اي اوجدوا الخوف والحذر والتحوط الذي اسمه مختص بكمال
تحلي زادا اصلا لسعادة تتكونوا من اهل الجنة واطيعون فيما
امركم به من توحيد الله وطاعته ثم نفي عن نفسه التهمة بعد اثبات
الامانة بقوله وما اسالكم عليه اي علي هذا الكمال الذي
اتيكم به واشار الي الاعراق في النفي بقوله من اجر لتظنوا اني

جعلت

جعلت الدعاء سببا لذلك ثم اكد النفي بقوله ان اي ما اجري اي ثوابي
في دعائي لكم الا علي رب العالمين اي الذي ربي جميع المخلوقين ربيا هم
وقرأ نافع وابو عمرو وابن عامر وحفص بفتح الياء التي اجري في الواقع
الخمسة في هذه السورة والباقون بالسكون ولما اثبتت التهمة
عن انتفائها اعاده ما قدمه اعلاما بالاهتمام به بزيادة في السنعة
عليهم فقال فاتقوا الله اي الذي حاز جميع العظمة صفات واطيعون
ولما اقام الدليل علي نصحه وامانته قالوا اي قوم منكرين عليه و
منكرين لانتمائه استئنافا الي الكلم الذي ينشأ عنه بطر اكثر
الناس اي احتقارهم انؤمن لك اي لاجل قولك هذا وما اوتيته
اوهانكم ويحال انه قد اتبعك الارذلون اي فيكونوا ايانا نابعين
لاستوائنا معهم والرذالة الخسة والذلة وانما استرذلوهم لانتفاء
نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الخسة
كالحياكة والحجامة والصناعة لانزدري بالديانة وهكذا كانت ترى
في اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم وما زالت اتباع الانبياء
كذلك حتي كادت من سماتهم والمارتهم الازري الي هو قل حين سيل
ابا سفيان عن اتباع رسول الله عليه وسلم فلما قال ضعفاء الناس
وارذالهم قال هم اتباع الانبياء كذلك وعن ابن عباس ما كره
الغاغة وعن عكرمة الحاكة والاساكفة وعن مقاتل السفلة ولما
كانت هذه الشبهة في غاية الركاكة لان نوحا بعث الي جميع قومه
فلا يختلف الحال بسبب الفقر والغنى وشرف المكاسب وخستها
اجابهم بقوله قال وما اي اي شئ علمي بما كانوا يعملون فقال اد يتبعون
اي طلبا للعيش علي سرايرهم وانما قال هذا لانهم تقطعوا مع
استرذالهم في ايمانهم وانهم لم يرتدوا عن نظر وبصيرة وانما امرنا الله

وبد بهتكما حكى الله عنهم في قولهم اراذلنا بادي الراي ثم اكد عنه بالايمان
عن بواطنهم في قوله ان اي ما حسابهم اي في الماضي والاتي الا على ربي
اي المحسن الي فهو يحاسبهم ويجازيهم وما انا فلست بمحاسب ولا مجاز
لو تشعرون اي لو كان لكم نوع شعور لعلمتم ذلك فلم تقولوا ما قلتم مما
هو دائر على امور الدنيا فقط ولا نظر له الى يوم الحساب فاذن الغنى
عني الدين والنسب فنسب التقي كما راوه قولهم هذا استدعا
طرد لهؤلا الذين امنوا معه وتوقفوا ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم
امارة عدم ايمانهم بقوله عليه السلام وما اي وليست انا بطارد الذين حين
اي الذين صار الايمان لهم راسخا فلم يرتدوا عنه للطمع في ايمانكم
ولا لغيره من اتباع مقترحاتكم ثم علل ذلك بقوله انما انا الا نذير اي
محذر لا وكيل فاشق على البواطن ولا متعنت على الاتباع مبين
اوضح ما ارسلت به فلا ادع فيه لبسا وقد قالوا نجد انا في الوصل
خللا فعنه والبائتون بالقصر ولما اجابهم لهذا الجواب وقد
ايسوا مما رجوه لم يكن منهم الا التهدد بان قالوا لئن لم تنته يا نوح
سموه باسمه حقارة وقلة ادب بقولهم يا نوح مما تقول لتكونن من
المرجومين قال مقاتل والكلبي من المقتولين بالحجارة وقال
الضحاك من المشتومين فعند ذلك حصل اليأس لنوح من
فلاحهم فلذلك قال رب اي الله ما هو اعلم به منه توطية
للدعا عليهم معرضا عن تهديدهم له صبرا واحتسابا لانه
من لازم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر رب اي ايها المحسن الي
ان قومي كذبون اي فيما جيت به فليس الغرض من هذا اخبار
الله تعالى بالتكذيب لعلمه بانه عالم الغيب والشهادة ولكنه اراد
لا ادعوك عليهم لما اذوني وانما ادعوك لاجلك لاجل دينك ولانهم

كذبوك

كذبوك في وحيك ورسالتك فافتح اي احكم بيني وبينهم فتحا اي حكما
يكون لي فيه فرج ومنه من الحبس فرج فاهلكك المبطلين ونجني ومن معي
اي في الدين من المؤمنين مما تعذب به الكافرين ثم لما كان في اهلاكهم
وانجائه من بديع الصنع ما يجل عن الوصف اظهره في مظهر العظمة
لقوله تعالى فانجيناه ومن معه اي الذين اتبعوه في الدين على ضعفهم
وقلتهم في الفلك اي السفينة وجمعه ذلك كما قال الله تعالى وتري الفلك
فيه مواخر قالوا حد بوزن فعل واجمع بوزن اسد وقال الفراء المشحون
اي الموقر المملوء من الناس والطير والحيوان لان سلامة المملوء
حد اعزب ولما كان اعزازهم كلهم من الغرايب عظمه باداة البعد
فقال تعالى ثم اغرقنا بعد اي بعد انجا نوح ومن معه الباقين اي
من بقي على الارض ولم يركب معه في السفينة على قومهم ولكثرتهم
ان في ذلك اي الامر العظيم من الدعا والاستجابة ثم الانجا والاهلاك
لاية اي عظيمة تمن شاهد ذلك او سمع به وما اي والحال انه ما كان
اكثرهم اي العالمين بذلك مؤمنين وقد كان ينبغي لهم اذ فارقهم الا
يمان لمحض الدليل ان يبادروا بالايمان حين رأوا اوايل العذاب
وان ربك المحسن اليك بارسالك وتكثير اتباعك وتعظيم اشياعك
لهو العزيز اي القادر بعزته على كل من تسور عليه في الطاعة والهلا
في اول اي قات المعصية الرحيم اي الذي يحنن من شا من عباده
بانجا لعن وداده ولما فرغ من ذكر قصة نوح عليه السلام شرع في
قصة هود عليه السلام وهي القصة الرابعة فقال تعالى كذبت
عاد اي تلك القبيلة التي مكن الله تعالى لهما في الارض بعد قوم
نوح المرسلين بالاعراض عن معجزة هود عليه السلام ثم سلا محمدا
صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى اذ اي حين قال لهم اخوهم اي في

النسب لاني الدين هود بصيغة العرض تاديبا معهم وتلطفا بهم الا تتقون
اي يكون منكم تقوى لرب كم الذي خلقكم فتعبدونه ولا تشركون به ما
لا يضركم ولا ينفعكم ثم علل ذلك بقوله اني لكم رسول اي فمن هو الذي
حملني على ان اقول لكم ذلك امين اي لا اكتم عنكم شيئا مما امرت به ولا
اخالف شيئا منه فاتقوا اي فتسببوا عن ذلك ان اقول لكم اتقوا الله اي
الذي هو اعظم من كل شيء واطيعون اي في كل ما امركم به من طاعة
الله وترك معاصيه ومخالفته ثم نفى عن نفسه التهمة في دعايه
لهم بقوله وما اي واكاله اني ما اسالكم عليه اي دعايي لكم من اجر
فتتهمون في به وانما انا رسول داع ان اي ما اجري اي ثوابي الا على
رب العالمين فهو الذي يثيب العبد على عمله ولما فرغ من دعايهم
الى الايمان انتصر انكار بعضهم عليه لاذ حالهم حال الناسي
لذلك بالطوفان الذي اهلك الحيوان واعدم البنيان بقوله اتبنون بكل ريع جمع ريعة وهو في اللغة المكان المرتفع ومنه
قولهم كم ريع ارضك اي كم ارتفاعها وقال ابن عباس الريع كل
شرف وبيت وقال مجاهد هو الفج بين الجبلين وقال الضحاك
هو كل طريق اية اي علامة على شدة تكبركم لانه لو كان لهم داية اد
بنوها لكن في بعض ذلك ولكنكم تعبثون بمن يمر في الطريق الى هود
عليه السلام وتسخرون منه والجملة حال من ضمير تبنون وقيل
كانوا يبنون الاماكن المرتفعة ليعرفوا بذلك عابريهم فيسخروا من
ذلك وينسبوا الى العبث وقال سعيد بن جبير بنى بروج الحمام من
لانهم كانوا يلعبون بالحمام ثم ذكرهم بزوال الدنيا بقوله لهم وتتخذون
مصانع قال مجاهد وقتادة امشيدة وقال الكلبي بنى الحصون
وقال قتادة ماخذ الماء يعني الحياض واحدها مصنعة ولما كان

هذا

هذا الفعل حال الراجي للخلود قال لهم لعلكم اي كانكم تخلدون فيها فلا تموتون
ثم بين لهم افعالهم الخبيثة بقوله واذا بطشتم اي اردتم البطش باحد بضرب
او قتل بطشتم جبارين اي من غير رافة قال البغوي والجبار الذي يقتل
ويقتل على الغضب تنبيه انما قدرنا الارادة ليلا يجتمع الشرط
والجزا وجبارين حاله ولما حوفهم هود عليه السلام بهذا الانكار
وهو اتخاذ الابنية العالية دل على حب الدنيا واتخاذ المصانع
دل على حب البقا والجبارية تدل على حب التعرض للخلود وهي
ممتنعة الحصول للعبد حوفهم بهذا الانكار عقاب الجبار وسبب
عن ذلك قوله فاتقوا الله اي الذي له صفات الجلال والاكرام واطيعون
زيادة في دعايهم الى الاخرة وزجرا لهم عن حب الدنيا والاشتغال
بالشرف والتجبر ثم وصل هذا الوعد بما يؤكد القبول بان نبههم على
نعم الله تعالى عليهم بقوله واتقوا الذي امدكم اي جعل لكم مددا وهو
اتباع الشيء ما يقويه على الانتقام بما تعلمون اي ليس فيه نوع خفا
حتى تتغافلوا عن تفييده بالشكر ثم فصل ذلك المجمل بقوله امدكم
بانعام تعيشكم على الاعمال وتاكلون منها وتبقون وبنين
يعينوكم على ما تريدون عند الحرب وجنات اي بساتين ملتفة
الاشجار بحيث تستر داخلها وعيون اي انهار تشربون منها
وتسقون انعامكم وبساتينكم ثم خوفهم بقوله اني اخاف عليكم
قال ابن عباس ان عصيتموني اي فانكم فيما سيوني ما سيوني
عذاب يوم عظيم في الدنيا والاخرة فانكاد تد على الانعام فهو
قادر على الانتقام وتعظيم اليوم ابلغ من تعظيم العذاب ولما
بالغ عليه السلام في وعظهم نبههم على نعم الله تعالى حيث
اجملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك انذار لتيقظهم عن سنة

غفلتهم عنها حين قال امدكم بما تعلمون ثم عدد لها عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته وانه كما قدر ان يتفضل عليكم بهذه النعمة قادر على الانتقام منكم ولم يقيد لاسم تعالى هدايتهم قالوا له راضين بما هم عليه سواء علينا اوعظت ايحق فت وحذرت ام لم تكن من الواعظين فانا لا ندعوي عما نحن فيه فان قيل لم قيل اوعظت ام لم تكن قلت ان الوعظ والنصح كلاهما ذا حضر والمعنى واحد اجيب بان ذلك لتواخي القوافي اولان المعنى ليس واحدا بل بينهما فرق لان المراد سواء علينا افعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ ام لم تكن اصلا من اهله وممارسيه فهو ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك ام لم تعظ وقرا قوله تعالى ان اي ما هذا اي الذي جيئنا به الا خلق الاولين قرا نافع وابن عامر وعاصم وحمزة بضم الخاء واللام اي ما هذا الذي نحن فيه الا عادة الاولين في حياة ناس وموت آخرين وعافية يوم وبلاء آخرين وقرا الباقون بضم الخاء وسكون اللام اي ما هذا الا كذب الاولين وما نحن بمعذبين اي على ما نحن عليه لانا اهل قوة وشجاعة وبجدة وبلاغة وبراعة ولما تقضى هذا الكتاب تتسبب عنه قوله تعالى فكذبوه ثم تتسبب عن تكذيبهم قوله تعالى فاهلكناهم اي في الدنيا بريح صرصر وسياتي بيانه ان شاء الله تعالى في سورة الحاقة ان في ذلك اي الاهلاك في كل قرن لمكذبين والا لاية المعهودتين لاية اي عظيمة عن بعدهم على انه تعالى فاعل ذلك وحده وانه مع اوليائه ومن كان معه لا يذل وانه على اعدائه ومن كان عليه لا يعز وما كان اكثرهم اي اكثر من كان بعدهم مومنين اي فلا تحزن انت يا اشرف الرسل على من اعرض عن الايمان وان ربك اي المحسن اليك بارسالك وغيره

وغيره من النعم لهو العزيز في انتقامه ممن عصاه الرحيم على انعامه واكرامه واحسانه مع عصيانه وكفرانه وارسال المنذرين وتاييدهم بالايات المعجزة ثم اتبع قصة هود عليه السلام قصة صالح عليه السلام وهي القصة الخامسة بقوله تعالى كذبت ثمود وهم اهل الحجر المرسلين وقرا نافع وابن كثير وعاصم باظهار التاء عند المثلثة والباقون بالادغام واشار تعالى الى زيادة التسلية عما جاءهم بالتكذيب من غير تامل ولا توقف بقوله تعالى اذ اي حين قال لهم اخوهم اي في النسب لا في الدين صالح بصيغة العرض تادبا معهم وتلطفا بهم كقول من تقدم قبله الا تتقون الله ثم علل ذلك بقوله اني لكم رسول من رب العالمين فلذلك عرضت عليكم هذا الذي ما مور بذلك امين في جميع ما ارسلت به اليكم من الحاكم الذي لا احد ارحم منه بكم ثم تسبب عن قوله اني لكم رسول قوله فاتقوا الله اي الذي له الغنى المطلق واطيعون فيما اتيتكم به عن الله ثم نفى عنه ما قد يتوهم ممن لا عقل له بقوله وما اسالكم عليه اي ما جئتكم به واعرق في النفي بقوله من اجر ثم زاد في تاكيد هذا النفي بقوله ان اي ما اجري اي عملي الا على رب العالمين المتفضل المنعم على خلقه ثم شرع ينكي عليهم اكل ثمرهم وعيونهم وغيره بقوله اتتركون اي من الدور والمنازل التي لا يقدر عليها الا الله تعالى في ما ههنا اي في بلادكم هذه من النعم حالة كونكم امنين لا تخافون والنعم تتبارز دون ذلك القها رباعظامها فان قيل لم يكتب في ما ههنا في مقطوعة عن ما ثم فسر ما اجمله بقوله في جنات اي بساتين تستر الداخل فيها وتخفيه لكثرة اشجارها وعيون تسقيها مع ما لها من البهجة وغير ذلك من المنافع وزروع اي من سائر

الانواع ونخل طلعها ايما يطلع منها من الثمر نضيم قال ابن عباس هو
اللطيف ومنه قولهم كشح هضيم ويقال هو الجواد الكريم من قولهم يد
هضوم اذا كانت تجود بما لديها وقال اهل المعاني هو المنظم بعضه الى
بعض في وعائه قبل ان يظهر والطلع عنقود الثمر قبل خروجه من
الكمام وقال الزمخشري الطلع هو الذي يطلع من النخلة كفصل السيف
في جوفه شماريخ العنق والعنقود هو اسم للخارج من الجذع كما هو
بعرجونه فان قيل لم قال ونخل بعد قوله في جنات واكبنة تتناول
النخل اول شيء كما تتناول النعم الابل كذلك من بين الازواج حتى انهم
ليذكرون الجنة ولا يقصدون الا النخيل كما يذكرون النعم ولا يريدون
الا الابل قال زهير تسقي جنة سحقا وسحقا جمع سحوق ولا يوصف
به الا النخل اجيب بوجهين احدهما انه خص النخل بافراده بعد دخوله
في جملة سائر الشجر تنبيها على افراده عنها بفضله عليها الثاني
انه يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف
عليها النخل ولما ذكر ما انعم الله تعالى به عليهم اتبعه اقناطهم الجنة
بقوله وتنحتون اي وانتم الكم تنحتون اظهارا للعقدة من احوال
وقرا بيوتا درس وابو عمرو وحفص بهم الباء والباقون بكسرها
وقرا فرهين ابن عامر والكوفيون بالف بعد الفاء اي حاذقين وقرا
الباقون بغير الف اي بطرين لا لحاجتكم الى شيء من ذلك فاتقوا
اي فتسببوا عن ذلك اني اقول لكم اتقوا الله الذي له جميع العظمة
بان تجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية باتباع اوامره واجتناب
زواجره واطيعون اي في كل ما امرتكم به عنه فاني لا آمركم الا بما يصلحكم
ولا تطيعوا امر المسرفين اي المجاوزين للحد ودوقال ابن عباس
المشركين وقال مقاتل هم التسعة الذين عقروا الناقة تنبيه

استعير

استعير الطاعة التي هي انقياد الامر لاستئناف الامر وجعل الامر مطاعا
على المجاز الحكمي والمراد الامر ومنه قولهم لك علي امر مطاعة وقوله
تعالى واطيعوني هشركيهم وصف المسرفين بما بين سرفهم بقوله الذين
يفسدون في الارض بالمعاصي ولا يصلحون اي ولا يطيعون الله في امرهم
به فان قيل فما فايدة قوله ولا يصلحون بعد قوله يفسدون اجيب بان في ذلك
دلالة على خلوص فسادهم فليس فيه شيء من الصلاح كما يكون حال
بعض المفسدين مخلوطا ببعض الصلاح ولما عجزوا عن الطعن في شيء
مما دعاهم اليه عدلوا الى التخييل عن عقول الصغفا بان قالوا انما
انت من المسحرين قال مجاهد وقتادة من المسحورين المخدوعين اي
ممن سحر مرة بعد مرة اي حتى غلب على عقله وقال الكلبي عن ابي
صالح عن ابن عباس اي من المخلوقين المقللين بالطعام والشراب
وليست بملك وعلى هذا يكون قولهم ما انت الا بشر مثلنا تاكيدا له
قيل المسحر هو المخلوق بلغة بجيلة اي فما وجه خصوصيتك عنا بالرسالة
فات بآية اي علامة تدل على صدقك ان كنت من الصادقين اي
الراسخين في الصدق فقال لهم صالح ما تريدون قالوا نريد ناقة
عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فاخذ صالح يتفكر فقال
له جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة
وبركت بين ايديهم ونتجت سقبا لهم مثلها في العظم وعن ابي مرزي
رايت مصدرها فاذا الهو يستون ذراعا فلما راها قال لهم صالح هذه ناقة
اخرجها لي من الصخرة كما اقترحتم لها شرب اي نصيب من الماء في يوم
معلوم للارحام بينكم وبينها وعن قتادة اذا كان يوم شربها شربت
ماءهم ولا تشرب في يومهم قال ولا تمسوها بسوء كعقر وعقرتم فوقهم
بما تسبب عن عصيانهم بقوله فياخذكم اي يهلككم عذاب يوم عظيم

بسبب ما حل بهذه من سرعة عصيانهم بهذا التعقيب في قوله فعقروها اي
فقتلوها بعقر سوقها بالسيف واسند العقر الي كلهم لان عاقرها انما
عقر برضاهم فكانهم فعلوا ذلك فاصبحوا اي فنشأ عن عقرهم من
حيث انه يقتضي العقاب والهلاك لا من حيث انه معصية الله ورسوله
وليس على وجه التوبة وكان ذلك عند رؤية الباس فلم ينفعهم له
نادمين فاخذهم العذاب اي العذاب الموعود على عقرها ان في ذلك
اي ما تقدم في هذه القصة من الغرايب لاية اي دلالة عظيمة على صحة
ما امروا به عن الله وما اي والحال انه مع ذلك ما كان اكثرهم مؤمنين
بل اكثرهم على علم منهم بحقيته وان ربك هو المحسن اليك باحسن الاحوال
لهو العزيز اي فلا يعجز شيئا من نقمته وارادته الرحيم اي في كونه لم
يهلكهم حين جاءتهم رسلهم ولم يعاجلهم بما يستحقونه بتقديم ما يقتضيه الله تعالى
وما يستحقه ثم اتبع قصة صالح عليه السلام قصة لوط عليه السلام
وهي القصة السادسة فقال كذبت اي ذات من تقدم كانهم تواصوا به
قوم لوط المرسلين لان من كذب رسولا منهم فقد كذب الكل
لما بين اسراعهم في الضلال بقوله تعالى اذ اي حين قال لهم اخوهم
اي في البلد لا في الدين ولا في النسب لانه ابن اخي ابراهيم عليهما
السلام وهما من بلاد السوق من ارض بابل وكانه عبر بالاخوة
لاختياره لمجاورتهم ومناسبتهم بهما هو تتمة واقامته بينهم
في مدينتهم مدة مديدة وسبق عدم نبيه واتيانه بالاولاد من
نسائهم مع موافقته لهم في انه ترديهم بينه بقوله تعالى لوط بهيئة
الفرض كغيره ممن تقدم الا تتقون الله فتجعلون بينكم وبين سخطه
وقاية ثم علل ذلك بقوله اني لكم اي بخاصة رسول فلا تتسببوا في المخالفة
امين لا عن عندي ولا خيانة ثم تسبب عن ذلك قوله فاتقوا الله

اي الملك العظيم فانه قادر علي ما يريد فلا تعصوه واطيعون اي لان طاعتي
سبب نجاتكم لاني لا امركم الا بما يرضيه ولا انهاكم الا عما يغضبه ثم نفى عن
نفسه ما يتوهم كما تقدم لغيره بقوله وما اسالكم عليه اي الدعا الي الله تعالى
من اجر اي فتتهموني بسببه ان اجري الا علي رب العالمين اي المحسن اليكم
بايجادكم وتربيتكم ثم بتعليمكم وزجركم بقوله تعالى اتاتون الذكران وقوله
من العالمين يحتمل عوده الي الاتي اي انتم من جملة العالمين مخصوصون بهذه
الصفة وهي اتيانه للذكور لم يفعل هذا الفعل غيركم من الناكحين من الخلق
ويحتمل عوده الي المأتي اي انتم اخترتم الذكران من الاديين ومن على هيئتهم
توغلا في السر وتجاهرا بالتهتك قال البقاعي واذا راه الادميون
جري عليه البهوي واكثر المفسرين اي تريدون الذكران من اولاد ادم
مع كرهة الاناث وغلبتهن وتذرون اي تتركون لهذا الغرض ما خلق لكم
اي للنكاح ربكم اي المحسن اليكم وقوله من ازواجكم يصلح ان يكون تبيينا
اي وهن الاناث وان يكون للتبعيض ويكون المخلوق لذلك هو القبل
وكانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم ثم كانهم قالوا لعلكم تتركون شيئا
اصلح واساوا ان كانوا قد تمحق ان مراده تركهن حال الفعل في الذكور
قال مضربا عن مقالهم كما اراد وابه جبلة عين الحق وعماد بني العجل
بل انتم قوم عادون اي مجاوزون عن حد التشهي حيث جاوزا دوا
علي سائر الناس بل والحيوانات ومفطورون في المعاصي وهذا من جملة
ذلك او اخفا بانهم تجاوزوا الحد وان بارتكابكم هذه الجريمة ولما القطع رجاء
عندهم وعرفوا ان لا وجه لهم في ذلك وانقطعت حجتهم قالوا
مقسمين لئن لم تنته وسموه باسمه جفاء وغلظة بقوله يا لوط اي
عن مثل انكارك هذا علينا لتكونن من المخرجين اي ممن اخرجناه من
بلدنا علي وجه قطيع من تقبيح واحتباس املاكك كما هو حال الظلمة

اذا حلوا بعقر من يغضبون عليه وكما كان يفعل اهل مكة بمن يريد ايذاءه
وفي هذا اشارة الى ان غريب عندهم واذا عادتهم المستمرة ينفى من
اعز عليهم قال مجيبا لهم اني مرسل لمغضبون ما يأتي به لكم من
القائلين اي المبغضين غاية البغض لا اقف عن الانكار عليه بالايعاد
لتنبيه قوله من القائلين ابلغ من ان يقول اني لكم لمن قال كما تقول
فلان من العلماء فيكون ابلغ من قولك فلان عالم لانك لم تقصد ثمة
معهود اتى ذكرتكم ومعرفة مساهمتهم في العلم والقلا المبغض
الشديد يكاد المبغض يقلي الفؤاد والكبد والقالي المبغض كما قال
القائل وداسه ما قارفتكم قاليا لكم ولكن ما يقتضي شنوذ يكون
مما ابتلوا به عليه السلام دعا الى الله تعالى بقوله رب نجني واهلي ويقوله
مما يعملون يحتمل ان يريد من عقوبة عملهم قال الزمخشري وهو القاهر
ويحتمل ان يريد بالتنجية العصمة مما ان الله تعالى قبل دعاءه كما قال تعالى
فنجيناه واهله مما عذبنا بهم يريد باخراجه من بلدهم حين استحقوا منهم
لم ولم يؤخره عنهم الى حين حق وقتهم الاجل واكد بقوله تعالى اجمعين
اشارة الى انه نجى اهل بيته ومن تبعه على دينه ثم استثنى تعالى
من اهل بيته قوله تعالى الا عجوزا وهي امرأته كانية في حكم الغابرين
اي الماكثين الذين لحقتهم الغبرة بما يكون نعت الداهية فانا لم نجدها
لحقتها بل ذلك في الاول لكونها لم تتابعه في الدين ولم يمزج معه
وكانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل انما خرجت فاصابها
حجر في الطريق فاهلكها فان قيل كان اهله مؤمنين ولولا ذلك ما
طلب لهم النجاة فكيف استثنيت الكافرة منهم اجيب بان الاستثنا
انما وقع من اهل بيته كما مرت الاشارة اليه وفي هذا الاسم لها معهم
شركة تجمع الزواج وادنى تشاركهم في الايمان فان قيل في الغابرين

صفة لمن كانه قيل الا عجوزا في الغابرين غابرتهم ولم يكن الغبور صفتها وقت
تنجيتهم اجيب بان معناه الا عجوزا قدر اعبورها او في حكمهم كما مرت الاشارة
اليه ثم دمرنا اي اهلكنا الاخرين اي الموغلين في اتباع لوط وفي التعبير
بلفظ الاخرين اشارة الى ما حل بهم من كل وجه مما كان المراد بقوله تعالى
ودمرنا حكما بتدبيرهم عطف عليه قوله وامطرنا عليهم مطرا قال وهب
ابن منبه الكبريت والنار وقال قتادة امطرهم تعالى على سذاذ القوم
حجارة من السما فاهلكهم فسا مطر المنذرين اللام فيه للجنس حتى يعم
ووقع المضاف الى المنذرين فاعل ساء وذلك لان فاعل نعم الذم
او المدح يجب ان يكون معرفا بلام الجنس او مضافا الى المعرف بلام
الجنس فجعل الابهام المقصود منه التفصيل ولا يأتي ذلك في لام العهد
والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم ان في ذلك اي انجا لوط ومن
معه واهلاك هؤلاء الكفار لاية اي دلالة عظيمة على ما
يجب ان يكون عليه الرسل في جميع ترغيبهم وترهيبهم وما كان من اتى بعد
هذه الامم كقريش ومن بعدهم قد علموا اخبارهم ومضى الى تلك الاخبار
ذكر الديار والتوسم في الاثار قال تعجبا من حالهم في ضلالهم وما اي
واحال انه ما كان اكثرهم مؤمنين بما وقع لهم ولا ان ربك لهو وحده
العزيز اي في بطشه لاعدائه الرحيم في لطفه باوليائه ثم اتبع قصة لوط
عليه السلام بقصة شعيب عليه السلام وهي القصة السابعة قال
تعالى كذب اصحاب الايكة اي الغيضة ذات الاشجار الكثيرة التي تتلف
المائة منها الشجر الكثير الملتف المرسلين لتكذيبهم شعيبا عليه السلام
بما اتى به من المعجزة الساوية فخرق العادة وعجز المتحدين بما
عن مقاومتها لبقية المعجزات الاتي بها الانبيا عليهم الصلاة والسلام
وقرا نافع وابن كثير وابن عامر الايكة بلام مفتوحة من غير الف وصل

وبا ساكنة وللهمزة نقلها وفتح تا التانيث والباقون باسكان اللام وتحليها
الف وصل وبعد اللام همزة مفتوحة بعدها با ساكنة وخفض تاء
التانيث قال ابو عبيدة وجدنا في بعض التفاسير الفرق بين ليكة والايكة
فقيل ليكة هو اسم للقرية التي كان فيها والايكة البلاد كلها
فصار الفرق بينهما كما بين مكة وبكة ثم بين تعالى وقت تكذيبهم
بقوله تعالى اذ اي حين قال لهم شعيب برفق ولطف الا تتقون الله
الذي تفضل عليكم بهذه ولم يقل اخوهم شعيب لانه لم يكن منهم ولا
من اهل الايكة في النسب لانهم كانوا اهل بدو وكان عليه السلام
من وبار الا ان الله تعالى لم يرسل نبيا الا من اهل القرى مستثنيا لهم
لان البركة والحكمة في الاجتماع ولذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم
عن التعزب بعد الهجرة وقال من يرد الله به خيرا ينقله من
البادية الى الحاضرة ولما ذكر مدين قال اخاهم شعيبا لانه كان
منهم وكان الله تعالى بعثه الى قومه اهل مدين واصحاب الايكة
بهم اكد ما قاله بقوله اني واشار الى تبشيرهم اذا اطاعوه بقوله لكم
رسول اي من عند الله فهو امين اذا قبل لكم ذلك امين اي لا خيانة
عندي ولا غش فلذلك ابلغ جميع ما ارسلت به ولذلك شبه
عنه قوله فاتقوا الله اي المحسن اليكم بهذه الفضيلة وغيرها واطيعون
لما ثبت من نصحي لكم ثم ذكر مثل ما ذكر من تقدمه من الانبياء من نفي
ما يتوهم انه لهم رغبة على دعائهم فقال وما اسالكم عليه اي دعائي
لكم الى الايمان بالله تعالى من اجر ثم زاد في البراءة من الطمع في
من اخلق بقوله ان اي ما اجري الا على رب العالمين اي المحسن الي
الخلائق كلهم فانا لا ارجو احدا سواه ثم نصحهم بقوله اوفوا الكيل
اي اتموه اتماما لا شبهة فيه اذا كلتم كما تزنونه اذا اكتلتم ولا تكونوا

من

من المخسرين اي الناقصين لحقوق الله في الكيل والوزن كما قال تعالى
ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون اي الكيل والوزن
واذا كالوهم اي كالوا لهم او وزنوا لهم اي وزنوا لهم يخسرون ينقصون
الكيل او الوزن وزنوا اي لانفسكم ولغيركم بالقسطاس اي الميزان الاقوم
واكد معناه بقوله المستقيم وقيل هو بالرومية العدل وقرا حمزة
والكسائي وخلف بكسر القاف والباقون بالفتح تنبيه الكيل على
ثلاثة اضرب واف وطفيف وزائد فالواجب الذي هو الايفاء
بقوله تعالى اوفوا الكيل ونهي عن المحرم الذي هو التطفيف بقوله
تعالى ولا تكونوا من المخسرين ولم يذكر الزائد لانه ان فعله فقد احسن
وان لم يفعله فلا اثم عليه والوزن في ذلك كالكيل ولهذا جمعهما في النهي
عن النقص بقوله ولا تبخسوا اي تنقصوا الناس اشياءهم اي التي يكتالون
اوزنون وغير ذلك ثم اتبع ذلك بما هو اعم بقوله ولا تعثوا اي لا تفرطوا
في الارض من غير تامل حال كونكم مفسدين اي في المال او غير ذلك
كقطع الطريق والقتل ثم خوفهم بعد ان وعظهم ونهاهم عن الفساد
من سلفوه اكبارا حاثا لهم بمن هو اعظم منهم بقوله واتقوا الذي خلقكم
اي من نطفة فاعدامكم اهون شيء عليه وانتقل الى صفتهم وقت
من كان قبلهم بقوله والجبلة اي الجماعة والام الاولين الذين كانوا
على خلقة وطبيعة عظيمة كالها بحال قوة وصلابة لما فوتم هود
الذين بلغت بهم الشدة حتى قالوا من اشد منا قوة وتوعدهم الله تعالى
اخذ عزيز مقتدر ثم انهم اجابوه بالقدح في الرسالة اولا وبالاستغفار
الوعيد ثانيا قالوا انما انت من المسحرين اي الذين كثر سحرهم حتى
بعد اثر سحر حتى اختلفت افعالك نظامهم على غير نظام او من المعللين
بالطعام والشراب كما مضى في صالح عليه السلام اي فانت بعيد عن

صلاحية البشر لها مطلقا ولو كانوا اعقل الناس بقولهم وما انت الا
بشر مثلنا اي فلا وجه لتخصيصك عنا بذلك وانما لوا وللدلالة
على انه هنه هي المخففة من الثقيلة اي وانا جامع بين وصفين
متباينين للرسالة مبالغة في تكذيبه ولهذا قالوا وان نظنك من
الكاذبين اي في دعواك تنبيه على مذهب البصريين انا ان هنه المخففة
من الثقيلة اي وانا نظنك والذي يقتضيه السياق ترجيح مذهب
الكوفيين هنا في ان ان نافية فانهم ارادوا باثبات الواو في وما انت
المبالغة في نفي ارساله بتعداد ما ينافيه فيكون مرادهم انه ليس
لنا ظن يتوجه الى تخيير الكذب وهو ابلغ من اثبات الظن به بهم ان
شعيبا عليه السلام كان توعدهم بالعذاب ان لم يوحدوا فقالوا
فاسقط علينا كسفا او قطعا من السما اي السحاب ان كنت من الصادقين
ان الفريقين في العدد المشهورين فيما
بين اهله للتعدد فكذا فيما لزم من امركم لنا باتخاذ الوقاية من
العذاب تنبيه انظر الى حسن نظم شعيب عليه السلام كيف هدد قومه
بما سلط عليهم من القدرة في خلقهم وخلق من كانوا اشد منهم قوة
واهلاكهم بانواع العذاب لما عصوه بتكذيب رسلهم وقرا حفص
بضم السين والباقون بالسكون وهنا هم زتان مكسورتان فقالون
والبزي يسهل الهمزة الاولى مع المد والقصر واسقطها ابو عمرو
مع المد والباقون بتحقيق الاولى قال لهم شعيب في جوابهم ربي اعلم
بما تعملون فيجازيكم به فان شاء عجل لكم العذاب وان شاء اخره الى
اجل معلوم واما انا فليس علي الا الابلاغ وانا ما موربه فلم اخوفكم
من نفسي ولا ادعيت قدرة على عذابكم فطلبكم ذلك مني معلوم الى
ظلمكم بالتكذيب فكذبوه الى اليا استمروا على تكذيبه فاخذهم اي فنشأ

عن

عن تكذيبهم ان اخذهم عذاب يوم الظلة وهي سحابة على نحو ما طلبوا
من قطع السما بردي انه سبحانه وتعالى حبس عنهم الريح سبعا وسلط عليهم
الحر وهو شدة اكتئاب مع سكون الريح فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل
ولا ماء ولا شراب فاضطروا الى ان خرجوا الى البرية فاظلهم الله سحابة
وجدوا الما بردا ونسيما فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم نارا فاحترقوا
وروي ان شعيبا بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة
فاهلكت مدين بصيحة جبريل واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة
انه كان عذاب يوم عظيم وقد مناان تعظيم اليوم ابلغ من تعظيم العذاب
او في ذلك الامر العظيم من الانجا المطرد لكل رسول ومن اطامحه
والاخذ المطرد لمن عصاه في كل عصر لكل قطر بحيث لا يشذ من الفريقين
انسان قاصر دلالة ان لاية اي دلالة تداعت عظمتها على صدق الرسل
وان كانوا جديرين بتصديق العباد لهم في جميع ما قالوا من البشائر
والنذائر بان الله تعالى يملك من عصاه وينجي من والاه لانه
الفاعل المختار لما يريد وما كان اكثرهم اي اكثر قومك كما كان من
قبلهم مومنين مع انك قد اتيت قومك بما لا يكون معه شك لو لم يكن
لهم بك معرفة قبل ذلك فكيف وهم عارفون بانك كنت قبل الرسالة
اصدقهم لهجة واعظمهم امانة واعزهم عفة واعلاهم همة وابعدهم
عن كل ذي دنس وان ربك اي المحسن اليك بكل ما يعطي شانك ويوضح
برهانك لهو العزيز فلا يعجزه احد الرحيم بالاكمال الكلي ليومن او احد
من ذريتهم هذا آخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتمديد الى المكذبين فان
قيل كيف كرر في هذه السورة في اول كل قصة واخرها ما كرر
اجيب بان كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل

ما في عيرها فكانت كلمة واحدة منهما تدلي بحق في ان يفتتح بما افتتحت
به صاحبتها وان يختتم بما اختتمت به ولذا في التكرير تقدير الملهاني
في الانفس وتشبيهها في الهدو والاتزان الله لا طريق الى تحفظ
العلوم الا بترديد ما يراد تحفظه منها وكلما ازداد ترديده كان احكن
في القلب وارسخ في الفهم واثبت للذكر وابعد من النسيان
ولان هذه القصص طرقت لهما اذان وقرت عن الالفاظ للحق
وقلوب غلف عن تدبره فكونت بالوعظ والتذكير وردجت
بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح اذنا ويبقظ ذهنا ويستعمل
عقلا طاد عمله بالعطل، ويحلو فيهما تدغلي عليه تراكم
الصدا في ذلك دلالة على ان البغية معقودة على اذا الدعا
الى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعو الى ربه ويبعده عن
عقابه واذا الانبيا مستقود على ذلك وان اختلفوا في بعض
التفاريع مبردون عن المطالع الدينية والاغراض الدنيوية
ولما ذكر تعالى قصص الانبيا عليهم السلام اتبعه بما يدل على
نبوة صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى وانه اي الذكر الذي تلا
بهذه الاخبار وسم عنه معروفون وسم له تاركون لتنزيل رب
العالمين اي الذي ربا بهم بسفول محله وعموم قدرته بما يعجز عن اقل
شي منه غيره نزل به اي بحق ما على سبيل التدريج من الافق
الاعلى الذي هو محل البركات وعبر عن جبريل بقوله الروح
دلالة على انه مادة حيز وان الارواح يحيى بما ينزل من المبدء
وقال تعالى الامين اشارة الى كونه عليه السلام معصوما من كل
دنس فلا يمكن منه خيانة على قلبك يا اشرف الرسل فيحيى هذا
تقدير لحقيقة تلك القصص وتنبيه على اعجاز القرآن ونظام محمد

على

صلى الله عليه وسلم واذ الاخبار عنها ممن لم يتعلمها لا يكون الا وحيا
من الله تعالى وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وحفص بتخفيف الزاي
والروح الامين برفعهما والباقون بنصبهما بالزاي والروح
الامين بخفضهما فان قيل لم قال على قلبك وهو انما انزل عليه
اجيب بانه ذكر ليوكد ان ذلك المنزل محفوظ والرسول ممكن من
قلبه ليكون عليه التيسير ولان القلب هو المخاطب في الحقيقة
لانه موضع التمييز والاختيار واما سايرالاعضا فمحمولة له ويدل
على ذلك الكتاب والسنة والمعقول من الكتاب قوله تعالى نزل
به الروح الامين على قلبك واستحقاق الجزالبس الا على ما في
القلب قال الله تعالى لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يواخذكم
بما كسبت قلوبكم ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم الا وان في
الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد
كله الا وهي القلب ومن المعقول ان القلب اذا غشي عليه قطع
سايرالاعضا لم يحصل به الشعور واذا افاق القلب شعر بجميع
ما ينزل بالاعضا من الافات واذا فرح القلب او حزن تغير حال
الاعضا عند ذلك ولان المعاني الروحانية انما تنزل اولا على
الروح ثم تنتقل منه الى القلب لما بينهما من التعلق ثم تتعدى
منه الى الدماغ فينتقش منه لوح المخيلة ولما كان السياق في
هذه السورة للتحذير قال تعالى معللا للجملة التي قبلها لتكون
من المنذرين اي المخوفين المحذرين ممن اعرض عن الايمان
وفعل ما نهي عنه من المعاصي وقوله تعالى بلسان عربي يجوز ان
يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى ليكون من الذين انذروا بهذا اللسان
وهم خمسة هود وصالح وشعيب واسمعيل ومحمد صلى الله عليهم وسلم

ويجوز ان يتعلق بنزله فيكون المعنى نزله بالسان العربي لينذر به
لانه لو نزله بالسان الاعجمي لتجافوا عنه اصلا ولقالوا اما نفهم
لا نفهمه فينتفي الانذار به قال ابن عباس بلسان قريش ليفهموا
ما فيه ولما كان في العربي ما قد يشكل على بعض العرب قال تعالى
مبين اي بين في نفسه كاشف لما يراد منه غير تارك لشبهة
عند من تدبره على ما يتعارفه العرب في مخاطباتها من سائر
انواعها بحقايقها ومجازاتها على استاع زادتها وتباعد مراميها
في مجاوزاتها وحسن مقاصدها في كناياتها واستعاراتها وفي
جميع ذلك حق الاحاطة غير العليم الحكيم الخبير البصير ولما كان
الاستكثار من الادلة مما يسكن النفوس ويطمئن به القلوب
قال تعالى وانه اي هذا القرآن اصوله وكثيرا من تفصيله واجماله
في زعم لفي زبر اي كتبه الاولى كالتوراة والانجيل وقتيل وانا لمجموع
واصحابه لفي كتب الاولين اولم يكن لهم اي للكفار مكة ذلك آية
اي على صحة القرآن او نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقرا ابن
عامر بالتا الفوقية ورفع آية على اعتبار الاسم واخبر بهم والباقون
بالياء التحتية ونصب آية على اعتبار خبر وقوله تعالى ان يعلمه اي هذا
الذي ياتي به نبينا من عندنا هو اسمها علما بني اسرائيل اي يعرفه
بنعته المذكورة في كتبهم والمعنى اولم يكن لهؤلاء المنكرين علم
بني اسرائيل علامة ودلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم
وان العلما الذين كانوا من بني اسرائيل كانوا يخبرون بوجود
ذكره في كتبهم كعبد الله بن سلام وابن يامين وثعلبة واسد
واسيد قال الله تعالى واذا يتلى عليهم قالوا امنا به انه الحق من
ربنا انا كنا من قبله مسلمين قال ابن عباس بعث اهل مكة الى

اليهود

اليهود بالمدينة فسالوهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا انا نجد
في زمانه وانا نجد في التوراة نعته وصفته فكان ذلك علامة على
صدقه فاية حظ في المعجم علموا بواو وقتيل الالف على لغة من
يميل الالف الى الواو وعلى هذه اللغة كتبت الصلاة والزكاة
والربوا قال الله تعالى ولو نزلناه اي القرآن على ما هو عليه من
كلمة والاعجاز على بعض الاعجمين اي على رجل ليس بعربي اللسان
او بلغة العجم فقراه عليهم اي كفار مكة ما كانوا به مؤمنين لفرط
عنادهم واستكبارهم او لعدم فهمهم واستكنافهم من اتباع العجم
وقالوا ما تفقه قولك وجعلوا عدم الجحود منهم وتفريطهم ولو جعلناه
قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته تنبيه الاعجميين جمع اعجمي
بيا النسب على التحقيق بحذف احد ميمي اعجم ولكون جمع اعجمي جمع
سلامة لانه ليس من باب افعل فعلا فعلاى ما لو كان جمع اعجم
فان مونثه عجماوات لا فعل فعلا وهو عند البصريين لا يجمع هذا
الجمع الا لفرقة كقولك حلائل اسودين واحمرين وقال ابو علي
جمع اعجم يقال الاعجمون جمع اعجم وهو الذي لا يفصح وان كان عربي
النسب يقال له اعجم وذلك يقال للحيوانات ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم جرح العجماء جبار واسند الطبري عن عبد الله بن قطيع
انه كان واقفا بعرفة وبحنة جمل فقال لجملي هذا اعجم ولو انا انزل
عليهم ما كانوا به مومنون ولما كان ذلك محل عجيب وكانه ربما ظن
له ان الامر على خلاف حقيقته قرر معنى نزله وحققه بقوله تعالى
كذلك اي مثل ادخالنا التكذيب به بقراة الاعجم سلكناه قال
ابن عباس والحسن ومجاهد ادخلنا الشرك والتكذيب في قلوب
المجرمين اي كفار مكة بقراة النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يدل

ان الكل بقضاء الله تعالى وقدره وقيل الضمير في سلكناه عائد الى القرآن
قال ابن عادل وهو الظاهر اي سلكناه مثل ذلك السلك في قلوب المجرمين
في قلوب المؤمنين ومع ذلك لم ينجع فيهم وفي جملة لا يؤمنون به وجهان
احدهما الاستيناف على جهة البيان والايضاح لما قبله والثاني
انها حال من الضمير في سلكناه اي سلكناه غير مؤمن به اي من اجل
ما جبلوا عليه من الاجرام وجعل على قلوبهم من الطبع والختام حتى
يروا العذاب الاليم اي المؤلم فحينئذ لا يؤمنون حيث لا ينفعهم الايمان
ويطلبون الامان حيث لا امان ولما كان اتيان السؤ فجاة اشد
قال تعالى فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون باتيانه فيقولوا اي
تاسفا واستسلاما وتلهفا في تلك الحالة لعلمهم بانه لا طاقة
به بوجه هل نحن منظرون اي ممهلون لنا في اجالنا فنسمع ونطيع
فان قيل ما معنى التعقيب في اتيانهم بغتة فيقولوا اجيب بانه
ليس المعنى يراد في رؤية العذاب وفجاءته وسوء النظرة في
الوجود وانما المعنى ترتبها في السنة كانه قيل لا يؤمنون بالقرآن
حتى يكون رؤيتهم للعذاب اي عما هو اشد منها وهو فجوته بهم مفاجاة
عما هو اشد منه وهو سوء نظرهم مثال ذلك ان يقول لمن
يظنه انه اساء معتك الصالحون فمقتك الله فانه لا يقصد
بهذا الترتيب ان مقت الله يوجد عقب مقت الصالحين وانما
قصدك الى ترتيب شدة الامر على المسيء فانه يجعل ترتيب
الاساءة مقت الصالحين عما هو اشد من مقتهم وهو مقت
الله وذلك لم يتم في هذا الاسلوب فيجعل موقعه ولما ادعى
النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا متى نؤعد ون بالعذاب
ومتى هذا الوعد قاله الله تعالى افبعذابنا اي وقد تبين لهم كيف

احنفه للامم الماضية والقرون الخالية والاقوام العاتية يستعجلون
اي بقولهم اسقط علينا كسفا من السماء وفي ذلك
افرايت اي هب ان الامر كما يعتقده ومن طول عيشهم في النعيم
فاجئ فيه متعناهم اي في الدنيا برغد العيش وصفاء الحياة سنين
ثم جاءهم اي بعد تلك السنين المتطاولة والدهور المتواصلة
ما كانوا يوعدون من العذاب ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون رفع
العذاب اي وتخفيفه اي لم يغن عنهم طول التمتع شيا ويكون ما كانوا فيه
لم يكونوا في نعيم قط وعن ميمون بن مهران انه لقي يحيى بن الطويل
وكان يقتني لقاءه فقال له عظني فلم يزد على تلاوة هذه الاية
فقال له ميمون لقد وعظت فابلغت وما اهلكنا من قرية اي
من القرى السالفة بعذاب الاستيصال الا لها منذرون رسلهم
ومن تبعه من امته ومن سمع من الرسل باخبارهم مع امهاتهم
من قبلهم ثم علل الانذار بقوله تعالى ذكرى اي تنبيها عظيما على
ما فيه النجاة او جعل المنذرين نفس الذكرى كما قال تعالى
قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا وذلك اشارة الى اعمالهم فحي التذكير
حتى صار وايا ه وما كنا ظالمين اي في اهلاك شيء مما الا نهم كفروا
نعمتنا وعبدوا غيرنا بعد الاعذار عليهم ومتابعة الحجج وهو اصلة
الوعيد تنبيه الواو في قوله وما كنا واو الحال من قولك اهلكنا
فان قيل كيف عزلت الواو عن جملة سبب الاهلاك تعزل عنها في
قوله تعالى وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اجيب
بان الاصل عزل الواو لان الجملة صفة لقرية واذا زيدت فلتاكيد
وصل الصفة بالموصوف كما في قوله تعالى ولقد علمنا منهم كلهم ولما كان الكفرة
يقولون ان محمدا كاهن وما يتلى عليه من جنس ما تتنزل به

الشياطين الذين هم السحاة وتعالى بقوله تعالى وما تنزلت به الشياطين
اي ليكون سحرا او كهانة او شعرا او اضغاث احلام كما يقولون وما
ينبغي اي وما يصح لهم ان يتنزل به وما يستطيعون اي التنزل به
وان اشتدت معالجتهم على تقدير ان يكون لهم قابلية لذلك ثم علل
هذا بقوله تعالى انهم عن السمع اي لكلام الملائكة لمعزولون اي محجوبون
بالشهب ولما كان القرآن داعيا الى الله تعالى ناهيا عن عبادة
غيره تسبب عن ذلك قوله تعالى فلا تدع مع الله اي الحايز لكمال
الصفات الها آخر فتكون اي فتسبب عن ذلك ان تكون من المعذبين
من القادر على ما يريد بايسر امر واسهله وهذا خطاب لنبيه صلى
الله عليه وسلم والمراد غيره لانه معصوم من ذلك قال ابن عباس
يجاء به غيره يقول انت اكرم خلق لدي واعزهم علي ولئن اتخذت
الها غيري لاعذبنك فيكون الوعيد اذ جرله ويكون هو له اقبل
روى محمد بن اسحاق بسنده عن علي رضي الله عنه انه قال
لما نزلت على نبي صلى الله عليه وسلم وانذر عشيرتك الاقربين
دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا علي ان الله امرني
ان انذر عشيرتي الاقربين وضقت بذلك ذرعا وعرفت مني
اني ان اديهم بهذا الامر اي منهم ما اكره فصمت على ذلك حتى جاءني
جبريل فقال يا محمد ان لا تفعل ما تؤمر يعذبك ربك فاصنع لي
صاعا من طعام واجعل عليه رجل شاة واملا لنا عسا من لبن
ثم اجمع بني عبد المطلب حتى ابلغهم ما امرت به ففعلت ما امرني
به ثم دعوتهم له وهم يومئذ اربعون رجلا يزيدون رجلا او ينقصون
رجلا فيهم اعمامه ابو طالب وحمزة والعباس وابو لهب فلما اجتمعوا
دعاني بالطعام الذي صنعت فجئت به فلما وضعته تناول صلى

الله عليه وسلم جذبة من اللحم فشقها باسنانه ثم القاها في نواحي الصحفة
ثم قال لواحذ باسم الله فاكل القوم حتى ما لهم بشيء حاجة وايم الله
ان الرجل الواحد منهم ليأكل مثل ما قدمت لجميعهم ثم قال اسق القوم
فجئتهم بذلك العسب فشربوا حتى رووا جميعا وايم الله ان كان الرجل
الواحد منهم ليشرب مثله فلما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يكلمهم بادره ابو لهب فقال لسحركم محمد صاحبكم فتفرق القوم ولم
يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الغد يا علي ان هذا
الرجل قد سبقني الى ما سمعت من القول فتفرق القوم قبل ان
اكلمهم فعد لنا الطعام مثل ما صنعت ثم اجمعهم ففعلت ثم جمعتهم
ثم دعاني بالطعام فقدمه ففعل كما فعل بالامس فاكلوا وشربوا
ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني عبد المطلب
اني قد جئتكم بخير الدنيا والاخرة وقد امرني الله ان ادعوكم اليه فايكم
يوازرني على امره ويكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاحجم
القوم عنها جميعا فقلت وانا احدثكم سنا انا يا نبي الله اكون وزيرك
عليه قال فاخذ برقبتي ثم قال ان هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم
فاسمعوا واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب
قد امرك ان تسمع لعلي وتطيع وعن ابن عباس لما نزلت وانذر
عشيرتك الاقربين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد
الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدي لبطون قريش حتى اجتمعوا
فجعل الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر ما هو فجاء ابو لهب
فقال اراءيتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم
مصدقي قالوا نعم ما جربنا عليك الصدق قال فاني نذير لكم بين
يدي عذاب شديد قال ابو لهب تبا لك ما جمعتنا الا لهذا ثم

قام فنزلت تثبت بدا ابي لهب اي خسرت وتب ما اغنى عنه ماله وما
كسب وفي رواية فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى علا الصفا
فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا فاجتمعوا اليه فقال ارايتم ان
اخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل اكنتم مصدقي قالوا
ما مر وعن ابي هريرة الى آخر ما مر وعن ابي هريرة قال قام رسول
الله صلى الله عليه وسلم حين انزل الله هذه الاية قال يا معشر قريش
او كلمة نحوها اشتروا انفسكم لا اغني عنكم من الله شيئا يا عباس بن
عبد المطلب لا اغني عنك من الله شيئا يا صفية عمة رسول الله
لا اغني عنك من الله شيئا ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من
مالي لا اغني عنك من الله شيئا وروى ابو يعلى عن الزبير بن
العوام ان قريشا جاءته فحذرهم وانذرهم فسالوه ايات سليمان
في الريح وداود في الجبال وعيسى في احياء الموتى وبحو ذلك
واذ يسير الجبال وينجر الانهار ويحيل الصخر ذهبا فاوحى الله
تعالى اليه وهم عنده فما سري عنه اخبرهم ان اعطى ما سالوه
ولكنه ان اداهم فكفروا عوجلوا فاختار صلى الله عليه وسلم
الصبر عليهم ليتخلهم الله باب الرحمة فلما كانت النذارة انما تلى
للمشركين امر بعدها للاضداد بقوله تعالى **واخفض جناحك**
اي لين عاتية اللين وذلك لان الطائر اذا اراد ان يرتفع رفع
جناحيه واذا اراد ان يحط كسرهما وخفضهما فجعل ذلك مثلا في
التواضع ومنه قول بعضهم وانت السهيل بخفض الجناح فلا تكن
في رفعه احد لانهاه عن التكبر بعد التواضع **لمن اتبعك من**
المؤمنين اي سواء كانوا من الاقربين ام من الابعدين فان قيل المتبعون
للرسول هم المؤمنون والمؤمنون هم المتبعون الرسول فما معنى

قوله

قوله تعالى لمن اتبعك من المؤمنين اجيب بوجهين احدهما ان تسميهم
قبل الدخول في الايمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك الثاني ان يريد
بالمؤمنين المصدقين بالسنتهم وهم صنفان صنف صدقوا واتبع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به وصنف ما وجد منه
الا التصديق فقط اما ان يكونوا منافقين او فاسقين والمنافق
والفاسق لا يختص لهما الجناح فمن على هذا للتبعيض واذا اريد
عموم الاتباع فهي للتبيين واختلف في الواو في قوله تعالى **فان**
عصوك على اوجه احدها انها ضمير الكفار اي فان عصاك الكفار
في امرك لهم بالتوحيد الثاني انها ضمير العشيرة وهذا اقرب لكن
عليه السلف واجلال المحلي الثالث انها ضمير المؤمنين اي فان
عصاك المؤمنون في فرع الاسلام وبعض الاحكام بعد تقدير
والايمان برسالتك وهذا كما قال ابن عادل في غاية البعد **فقل**
اي تبرا كلما كنت تعاملهم من اللين **اني بريء** اي منفصل غاية
الانفصال **مما تعملون** اي من العصيان الذي انذرهم عنه القرآن
وتوكل اي فوض في عصمتك وحمايتك وجميع امورك **على العزيز**
القادر على الرفع عنك والانتقام منهم **الرحيم** اي الذي يتفضل عليهم
برحمته وقرا نافع وابن عامر فتوكل بالفاء على الابدال من جواب
الشرط والباقون بالواو لعدم اتباع الامر بالتوكل الوصف المقتضي
لجميع اوصاف الكمال بقوله تعالى **الذي يراك** بصرا وعلما **حين تقوم**
من نومك الى التهجد وقال مجاهد اي يراك اينما كنت وقال اكثر المفسرين
كما قاله البغوي حين تقوم الى الصلاة اي من نوم او غيره **وتقلبك**
في الساجدين في الصلاة قياما وركعا وسجدا قال عكرمة
عن ابن عباس اي في المصلين وقال مقاتل مع المصلين في الجماعة

يقول يراك حين تقوم وحدك للصلاة ويراك اذا صليت مع المصلين جماعة
وقال مجاهد يري تقلبك بهركك في المصلين فانه كان يبصر من خلفه كما يبصر
امامه وروي ابو هريرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال هل
تدرون فيلتي ها هنا فوالله ما يخفي علي خشوعكم ولا ركوعكم اني لاراكم
من وراء ظهري وقال عطاء عن ابن عباس اراد وتقلبك في اصلاب الانبيا
من نبي الي نبي حتي اخرجك في هذه الامة وقيل تردد ك في تصفح
احوال المجتهدين من اصحابك لتطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستوي
سرايرهم وكيف يعبدون الله وكيف يعملون لاخرتهم كما يخلي انه
حين نشخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة ببيوت اصحابه ليشغل
ما يصنعون لحرصه عليهم وعلي ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير
الحسنات فوجدها كبيوت الزنابير انه هو اي وحده السميع اي لجميع اقوال الكلم
العليم اي بجميع ما تسرون وتعلنون من اعمالكم وسيجزل العلم يستلزم
تمام القدرة فصار كانه قال انه السميع البصير العليم القدير تثبيتا
للتوكل عليه ولما بين سبحانه وتعالي ان القرآن لا يصح ان يكون
مما تنزلت به الشياطين اكد ذلك باتا بين ان محمدا صلي الله عليه
وسلم لا يصح ان تنزل عليه من وجهين ذكرهما بقوله تعالي هل انبئكم
اي اخبركم خبرا جليا نافعا في الدين عظيم الجدوي في الفرقان بين
اولياء الرحمن واحزاب الشيطان علي من تنزل وتردد الشياطين فتي
تسترق السمع ولما كان كانه قيل نعم انبانا انشأ رالي احد الوجهين
بقوله تعالي تنزل علي سبيل التدريج والتردد علي كل افاك اي كذاب
اثيم اي فاجر فشمل مسيلمة الكذاب وغيره من الكهنة واشار الي ثاني
الوجهين بقوله تعالي يلقون السمع اي الافاكون يلقون السمع الي
الشياطين فيتلقون وحيهم اليهم او يلقون المسموع من الشياطين

الي

الي الناس فيضمون اليها علي حسب تخيلاتهم اشيا لا يطابق اكراها كما جا
في الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه فيزيد فيها اكثر من
مايه كذبة ولا كذلك محمد صلي الله عليه وسلم فانه اخبر عن مغيبات كثيرة
لا تحصي وكلها طابق كما اوتلقون المسموع من الشياطين الي الناس
ويكون اذ يعود الضمير علي الشياطين ومعني القائهم السمع القائهم
الي الملا الاعلي قبل اذ يرجموا فيخطفون منهم بعض المغيبات ويوحون
الي اوليائهم اوتلقون السمع المسموع الي الكهنة واكثرهم الغرتقين
كاذبون اما الشياطين فانهم يسمعون منهم ما لم يسمعوا واما الكاهن فيكون قد
الافكون فانهم يفترون علي الشياطين ما لم يوحوا اليهم فان قيل
كيف قال واكثرهم كاذبون بعد ما حكم عليهم ان كل واحد منهما افاك
اثيم باذ الافاكين هم الذين يكثرون الكذب لانهم الذين لا يطيقون
الا بالكذب فاراد اذ هولا الافاكين قل من يصدق منهم فيما يحكي علي
لسان واكثرهم كاذبون معترضة عليه ولما قال الكفار لم لا تري تتنزل
تعالي الشياطين تتنزل بالقرآن علي محمد كما انهم ينزلون باكهانة علي
الكهنة وبالشعر علي الشعرا ثم انه تعالي لما فرق بين محمد عليه الصلاة
والسلام وبين الكهنة ذكر ما يدل علي الفرق بينه وبين الشعرا
بقوله تعالي والشعرا يتبعهم الغاوون اي الضالون اتما يلجون عن
السنن الاقوم الي كل فساد يجر الي الهلاك واتباع محمد صلي الله عليه
وسلم ليسوا كذلك بل هم الساجدون الباكون الزاهدون رضي
الله تعالي عنهم وقرا نافع ليكون لنا الفوقية وفتح الباء الموحدة
والباقون وكسر الموحدة ولما قرر حال اتباعهم علم منه انهم هم الغاوون
منهم لنبهتكم علي سمو رتبة الملتفة باللسان حتي حسن لهم الزور
والبهتان دل علي ذلك بقوله تعالي الم تر اي تعلم انهم اي الشعرا

ومثل حالهم بقوله تعالى في كل واد من اودية القول من المجو لقدح والهجو
والتشبيب والرثاء والمجون وغير ذلك يهيمون اي يسيرون في سير الهائم حائرين
وعن طريق تحتى حايدين كيف ماجرهم القول اجروا من المدح في الافتخار
والتشبيب بالجزع والهجو ومدح من لا يستحق المدح ونحو ذلك ولذلك
قال تعالى وانهم يقولون مالا يفعلون اي لانهم لا يقصدونه وانما الحامل
عليه الغرض الذي سلكوه فاكثر اقوالهم لا حقايق لها وقيل انهم يمدحون
بجود والكرم ويحثون عليه ولا يفعلونه ويذمون البخل ويصرون عليه
ويجبون الناس بادنى شيء صدر منهم نبه عليه قال المفسرون اراد شعراء
الكفار كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر مقاتل اسماءهم
فقال منهم عبد الله بن الزبعرى السهمي وهبيرة بن ابي وهب المخزومي
وشافع بن عبد مناف وابو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي وامية بن ابي
الصلت الثقفي يكثر ابا الكذب والباطل وقالوا نحن نقول كما قال محمد
وذالوا الشعر واجتمع اليهم غواة قومهم ليسمعوا اشعارهم حين هجوا
النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه ويروون عنهم قولهم وذلك
قوله يتبعهم الغاوون وهم الرواة الذين يروون هجاء المسلمين وقال
قتادة هم الشياطين ثم ان تعالى لما وصف شعر الكفار بهذه
الاوصاف استثنى شعر المسلمين الذين كانوا يجتنبون سنن الجاهلية
ويهجون الكفار ويذبون عن النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك فقال تعالى
الا الذين امنوا اي بالله ورسوله وعملوا اي لقد قالوه بما لهم
الصالحات اي التي شرعها الله تعالى ورسوله وذكروا الله مستغرقين
ماله من الكمال كثيرا اي لم يشغلهم الشعر عن الذكر روي ان كعب
ابن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد انزل في الشعر ما

انزل

انزل فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه
والذي نفسي بيده كانما يرمونهم به نضح النبل وعن انس ان النبي صلى
الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه
وهو يقول خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله ضربا
يزيل الهام عن مقيله ويذهب الخليل عن خليله فقال له عمر يا ابن
رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول
شعرا فقال النبي صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فهي اسرع فيهم من
نضح النبل وعن البراء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم قريظة
لحسان اهج المشركين فان جبريل معك وعن عائشة رضي الله عنها
قالت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اهجوا قريشا فانه اشد عليهم من
رشق النبل فارسل الى ابن رواحة فقال اهجهم فلم يرض فارسل الى
كعب بن مالك ثم ارسل الى حسان بن ثابت فقال حسان قد آن لكم
ان ترسلوا الي هذا الاسد ثم ادلع لسانه فجعل يحركه فقال والذي
بعثك بالحق لافرينهم بلساني فري الاديم فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لا تعجل فان ابا بكر اعلم قريش بانسابها وان لي فيهم نسبا
حتى يخلص لك نسبي فاتاه حسان ثم رجع فقال يا رسول الله قد
اخلص لي نسبك والذي بعثك بالحق لاسلنك منهم كما تسل الشعرة
العجين فقالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
لحسان ان روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله
قالت وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهما لهم حسان
تشفي واشفي قال حسان شعر

- هجوت محمدا فاجبت عنه ... وعند الله في ذاك الجزاء
- هجوت محمدا برا حنيفا ... رسول الله شيمته الوفاء

فان ابي ووالده وعرضي • لعرض محمد منكم وقاء • فمن يهجو رسول الله منكم
ويمدحه وينصره سواء • وجبريل رسول الله فينا • وروح القدس ليس له كفاء
وورد في مدح الشعر عن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ان من الشعر حكمة وعن ابن عباس رض قال جاء اعرابي الى النبي
صلى الله عليه وسلم يوما فقال هل معك من شعر امية بن ابي الصلت
شيء قال نعم قال هيه فانشد فقال هيه فانشد بيتا فقال هيه
انشده مائة بيت وعن جابر بن سمرة قال جالست رسول الله صلى
الله عليه وسلم اكثر من مائة مرة فكان اصحابه يتناشدون
الشعر ويتذاكرون شيئا من امر الجاهلية وربما تبسم معهم وعن
عائشة الشعر كلام فمنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح
وعن الشعبي كان ابو بكر يقول الشعر وكان عمر يقوله الشعر وكان علي
اشعر الثلاثة وعن ابن عباس انه كان ينشد الشعر في المسجد
ويستنشد وروي انه دعي عمر بن ربيعة الحزوري واستنشد القصيدة
التي قالها امن آل نعمى انت غاد مبتكر غداة غداة ام رائح فهجر
فانشد ابن ربيعة القصيدة جميعا وكان حفظها جيدا واحفظهم لشعر
شعرائهم وقال علي ما حمل المؤمنين على الشعر وهو انتصارهم من
المشركين بقوله تعالى وانتصروا اي بهجوهم الكفار من بعد ما ظلموا
يهجو الكفار لهم لانهم بدءوا بالهجاء فرد شعراء المشركين ودعا صلى
من الكفار بقوله تعالى وسيعلم الذين ظلموا بالشرك وهجو رسول
الله صلى الله عليه وسلم اي منقلب اي مرجع ينقلبون اي يرجعون
بعد الموت قال ابن عباس الى جهنم والسعير في هذا تهديد شديد
لما في سيعلم من الوعيد البليغ وفي الذين ظلموا من الاطلاق و
التعميم وفي اي منقلب ينقلبون من الابهام والتهويل وقد تلى

ابو بكر

ابو بكر رضي الله عنهما حين عمد اليه هذه الاية اللهم اجعلنا ممن جعلت هذه
الاية بين عينيه فلم يغفل عنها وروى الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اعطيت السورة التي يذكر فيها البقرة
من الذكر الاول واعطيت طه والطواسين من الواح موسى واعطيت
فواتح القرآن وخواتيم السورة التي يذكر فيها البقرة من تحت العرش
واعطيت المفصل نافلة وعن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان الله اعطاني السبع مكان التوراة واعطاني الطواسين مكان
الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل ما قرأهن نبي قبلي وما رواه
البيضاوي بتمامه للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من
قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح
وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى
وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم حديث موضوع ::

سورة النمل مكية وهي ثلاث او اربع او خمس وتسعون اية والف
ومائة وتسع واربعون كلمة واربعة الاف وسبعمائة وتسعة وتسعون
حرفا بسم الله الذي كمل علمه فبهرت حكمته الرحمن الذي عم بالهداية
بالهداية باوضح البيان الرحيم الذي من بنجاة النعيم على من اتبع
الصراط المستقيم طسم قال ابن عباس هو اسم من اسماء الله عز وجل
وقد سبق الكلام في حروف الهجا وقراءة حمزة والكسائي وشعبة
بامالة الطاء والباقون بالفتح تلك اي هذه الايات العالية المقام
البعيدة المرام البديعة النظام ايات القرآن اي الكامل في قرآنيته
الجامع للاصول الناشر للفروع الذي لا خلل فيه ولا قصم ولا
صدع ولا وصم وكتاب مبين اي مظهر الحق من الباطل فان قيل كيف
صح ان تكون لشيئين احدهما مؤنث والآخر مذكر باسم الاشارة

الموت ولقد قلت تلك لهذين ولم يجز اجيب عن ثلاثة اوجه احدها ان
المراد بالكتاب هو الايات لان الكتاب عبارة عن الايات مجموعة فهما كالشيء
واحد اصحت الاشارة اليهما باشارة الواحد الموت الثاني انه على حذف مضاف
اي ايات كتاب مبين الثالث انه لما ولي الموت ما تقع الاشارة به اليه
اكتفي به وحسن ولوه لي المذكر لم يحسن الا ترى انك تقول جاءتني هند
وزيد ولو اخرت هند لم يجز تانيث الفعل وقرا ابن كثير بالنقل وصلا
والبتدا وحمزة في الوقف لا غير والباقون بغير نقل وقوله تعالى هدى
وبشرى يجوز ان يكونا منصوبين على المصدر بفعل مقدر من لفظهما
اي يهدي هدى ويبشر بشرى وان يكونا في موضع الحال من ايات
والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة وان يكونا خبر المبتدا جاز
وان يكونا خبري مبتدا مضمر اي هو هدى من الضلالة وبشرى للمؤمنين
اي المصدقين به بالجنة كقوله تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ونفضل
ويهديهم اليه صراطا مستقيما ولهذا خص به المؤمنين وقيل المراد
بالهدى الدلالة وانما خصه بالمؤمنين لانه ذكر مع الهدى البشرى
والبشرى انما تكون للمؤمنين ولانهم عملوا به كقوله تعالى انما انت
منذر من يخشاها ولانه يزيد في هداهم كقوله تعالى ويزيد الله
الذين اهتدوا هدى ولما كان وصف الايمان خفيا وصفهم بما يصدقه
من الامور الظاهرة بقوله تعالى الذين يقيمون الصلاة اي يحفظون
حدودها الظاهرة والباطنة من المواقيت والطهارات والشروط والا
والخشوع والمراقبة والاحسان اصلاحا لما بينهم وبين الخالق ويؤتون
الزكاة اي احسانا فيما بينهم وبين المخلوقين وبالاخرة هم يوقنون
اي يوجدون الايمان في الايجاد بالاستدلال ويجددونه في كل حين
بما يوجد منهم من الاقدام على الطاعة والاحجام عن المعصية واعيدهم

لما

لما فصل بينه وبين المخبر عنهم التخصيص ان منهم من يكذب بما ذكره
بقوله تعالى ان الذين لا يؤمنون اي يوجدون الايمان ويجددونه
بالاخرة زينا اي بعظمتنا التي لا يمكن دفاعها لهم اعمالهم اي القبيحة
بتركيب الشهوة حتى اعرضوا عن الخوف من عاقبتها مع ظهور قباحها له
والاسناد اليها حقيقي عند اهل السنة لانه الموجد الحقيقي والى الشيطان
مجاز سببي وعند المعتزلة بالعكس قال الزمخشري في تفسير ان
اسناده الى الشيطان حقيقة والى الله عز وجل مجاز فهم اي فلتسبب
عن ذلك انهم يعمهون اي يتحيرون ويترددون في اودية الضلالة
ويتمادون في ذلك فانهم كلما لحظة في خط جديد يعمل غير سديد اولئك
اي البعداء البغضاء الذين لهم اي خاصة سوء العذاب اي الشدة في
الدنيا بالخوف والقتل وهم في الاخرة هم الاخسرون اي اشد الناس
خسارة لانهم خسروا مع الاحسانة مثله لغيرهم الى النار والموبقة عليهم
ولما وصف القرآن تعالى بما اقتضى بيان اهل الفوز والخسران ذكر
حال المنزل عليه وهو النبي صلى الله عليه وسلم مخاطبا بقوله تعالى
وانك اي وانت اشرف الخلق واعلمهم واحكمهم لتلقى القرآن
اي لتوتاه وتلقنه ايد يلقى عليك سبحانه من لدن اي من عند حكيم اي
بالغ الحكمة فلا شيء من افعاله الا وهو في غاية الاتقان عليم اي
عظيم العلم واسعه تامة شاملة وبجمع بينهما مع ان العلم داخل في
الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار باتت
علوم القرآن منها ما هو كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك
كالقصص والاخبار عن المغيبات ثم شرع في بيان تلك العلوم
بقوله تعالى اذ قال موسى اي اذكر قصته حين قال لاهله اي
زوجته بنت شعيب عليه السلام عند مسيره من مدين الى مصر وبني

القصة الاولى من قصص هذه السورة قال الزمخشري روي انه لم يكن مع
موسى عليه السلام غير امراته وقد كبى الله عنها بالاهل فتمم ذلك وركب
الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا وكانا ماشيين لليلة وقد اشتد
البرد على الطريق عليهما والوقت برد وفي المثل هذا الحال يتوقى الناس عن مثلها
نار من بعد تم يرجى منها من زاد الحرة وامن الطريق ومن الانتفاع
بالنار للاصطلاء فلذلك ذكرها فقال اني انست اي ابصرت ابصارا
حصل لي به الانس وازال عني الوحشة نارا لعلي اتيكم منها بخبر اي عن حال
الطريق وكان قد ضلها وعبر بلفظ الجمع كما في قوله امكثوا فان قيل كيف
جاز بين الشرط والجزاء اجيب بان ذلك عدة لا لعله الله يأتيهم بها وان لم
الاتيان او كانت المسافة بعيدة فان قيل قال هنا لعلي اتيكم منها بخبر
وفي السورة الاتية لعلي اتيكم منها بخبر وجمعا كلمتا شك فعين لاحداهما
ترجح والاخرى تيقن اجيب بان الراجي قد يقول اذا قوي رجاؤه سافعل
كذا وسيكون كذا مع تجويزه الخيبة اوآتيكم بشهاب قبس اي شعلة
نار في راس قضيبة او عود قال البغوي وليس في الطرف الاخر نار قال
بعضهم الشهاب كل ذي نور مثل العمود والكوكب سمي كل واحد منهما
قبسا شهابا والقبس القطعة من النار وقال الكوفيون يسمى شهابا بالتنوين
على ان القبس بدل منه او وصف له لانه بمعنى المقبوس والباقون بالاضافة
الشهاب اليه لان يكون قبسا وغير قبس فهو من اضافة النوع الى جنسه
نحو ثوب خز اذ الشهاب شعلة من النار والقبس قطعة منها يكون في
عود وغيره كما مر فان قيل لم جاء بدون الواو اجيب بانه يدل على الرجاء
على انه ان لم يظفر بحاجته جميعا لم يقطع بعدم واحدة منهما اما هداية
الطريق واما اقتباس النار ثقة بعادة الله انه لا يكاد يجمع بين حرمانين
على عبده وما ادراه حين قال ذلك انه ظافر على النار بحاجته الكلية

جميعا

جميعا وسما العزان عن الدنيا وعن الاخرة عم الله عليه السلام على اتيانه
بذلك انها ما لانهما ليلة باردة بقوله لعلكم تصطلون اي لتكونوا في
حال من توجي ان يستدعي بذلك من البرد والطا بدل من قال الاقتال
من صلي بالنار بكسر اللام وفتحها فلما جاءها اي تلك التي ظنها نارا نودي
من قبل الله تعالى ان بورك اي بني المفسرة لان النداء فيه معنى القول
والمعنى قيل له بورك او المصدرية اي بان بورك وقوله تعالى من في النار
اي موسى ومن حولها اي الملائكة هو نايب فاعل بورك والاصل بارك
الله من في النار ومن حولها وهذا تحية من الله عز وجل لموسى بالبركة
ومذهب اكثر المفسرين ان المراد بالنار النور ذكر بلفظ النار لانه موسى
حسبها نارا ومن في النار هم الملائكة وذلك ان النور الذي اراه موسى
عليه السلام كان فيه الملائكة لهم زجل بالتسبيح والتقديس ومن
حولها هو موسى لانه كان بالقرب منها ولم يكن فيها وقال سعيد بن جبير
كانه النار بعينها والنار احدى حجب الله تعالى كما جاء في الحديث حجابه
النار لو كشفها لاحترقت سبحات وجهه شتى بارك يتبدى بتقدس
ويجري الخير تعالى بارك الله وبارك عليك وبارك فيك وباركك لك
وقال الشاعر فبوركت مولودا وبوركت ناشيا وبوركت عند الشيب
اذ انت اشيب قال الزمخشري والظاهر انه عام في كل من في تلك
الارض وفي ذلك الوادي وحواليهما من ارض الشام ولقد جعل الله
تعالى ارض الشام الموسومة بالبركات لكونها مبعث الانبياء وكفاتهم
احيا وامواتا ومهبط الوحي عليهم وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله
فيها موسى عليه السلام وقوله تعالى وسبحان الله رب العالمين اي
من تمام ما نودي به لئلا يتوهم من سماع كلامه تشبيها وللتعجب من عظمة
الله في ذلك الامر فانه اتاه الله الكلام ورد في جميع الجهات فسمعه جميع

الحواس وتعجب من موسى لما دعاه من عظمته ولما استولت النفس الى
تحقق الامر نص بجا قال تعالى تمهيدا لما اراد بحانه اظهاره على يدي موسى
عليه السلام من المعجزات الباهرات يا موسى انه اي الشأن العظيم
الجليل الذي لا يبلغ وصفه وجيد انا الله اي البالغ في العظمة ما
تقصر عنه الاوهام مفسرة له او المتكلم وانا اخبروا الله بيانا له ثم
وصف تعالى نفسه بوصفين يدلان على ما يفعله مع موسى عليه
السلام احدهما العزيز اي الذي يحيل الي سائر ما يريد ولا يريد عن
مراده والثاني الحكيم اي الذي يفعل كل ما يفعله بحكمة وتدبير
فان قيل هذا الذا يجوز ان يكون من عند غير الله تعالى فكيف علم
موسى انه من الله تعالى اجيب بانه سمع الكلام الذي هو غير
كلام المخلوقين لانه الذا اتاه من جميع الجهات وسمعه بجميع الحواس
كما مر فعلم بالضرورة انه صفة الله سبحانه وتعالى ثم اراه الله
سبحانه وتعالى موسى عليه السلام اية تدل على قدرته ليعلم
علم شهود وهي قوله تعالى والق عصاك فالقاها كما مر فصارت
في الحال بما ادركت به الفاحية عظيمة جدا وهي كونها في غاية العظم
وغاية الخفة والسرعة في اضطرابها عند محاولتها ما تريد فلما راها
تهتز اي تضطرب في تحركها مع كونها في غاية الكبر كأنها جان اي
حية صغيرة في خفتها وسرعتها فلا ينافي كبر جثتها ولى اي
موسى عليه السلام ثم ان الولية مشتركة بين معاني فلذا بين
المراد منها بقوله تعالى مدبرا اي الفت هاربا منها مسرعا جدا
لقوله تعالى ولم يعقب اي لم يرجع على عقبه ولم يلتفت الى ما وراءه
بعد توليه تنبيه قال الزمخشري والق عصاك معطوف على
بورك للامر المعنى نودي ان بورك في النار وان الق عصاك

كلاهما

كلاهما تفسير للنودي والمعنى قيل له بورك من النار وقيل له الق
عصاك اه وانما احتاج الى تقدير وقيل له الخ لتكون الجملة خبرية
مناسبة للجملة الخبرية التي عطفت عليها كانه يرى في العطف
تناسب الجمل المتعاطفة والصحيح كما قاله ابو حيان انه لا يشترط ذلك
ولما استولت النفس الى ما قيل له عند هذه الحالة اجيب بانه قيل
له يا موسى لا تخف اي منها ولا من غيرها انثنى بي ثم علل هذا النهي
بقوله تعالى سيرا بالامر والنهي لرسالة إني لا يخاف لدي اي عندي
المرسلون اي من حية وغيرها لانهم معصومون من الظلم ولا يخاف
من الهلاك العدل الا ظالم وقوله تعالى الا من ظلم فيه وجهان احدهما
انه استثناء منقطع لان المرسلين معصومون من المعاصي وهذا هو
الصحيح والمعنى لكن من ظلم من سائر الناس فانه يخاف الامن تاب
كما قال تعالى ثم بدل اي بتوبته حسنا بعد سوء وهو الظلم الذي كان عمله
اي جعل الحسن بعد السوء بدل كالسحرة الذين امنوا بعد ذلك يا موسى
عليه السلام فاني ارحمه بسبب اني غفور اي من شاني انا امحو الذنوب
محوا بليغا جميع اثارها رحيم اي اعامله معاملة الراحم البليغ
الرحمة والثاني انه استثناء متصل وللمفسرين فيه عبارات قال
ابن حسن ان موسى ظلم بقتل القبطي ثم تاب وقال رب اني ظلمت نفسي
فاغفر لي وقال غيره ان ذلك محمول على ما يعد من الاولى من
ترك الافضل وقال بعض النحويين الا ههنا بمعنى ولا اي لا يخاف
لدي المرسلون ولا المذنبون التائبون كقوله تعالى ليلا يكون
للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا اي ولا الذين ظلموا ثم اراه الله
تعالى بعد هذه الاية اية اخرى ذكرها بقوله تعالى وادخل يدك
في جيبك اي مجتمع ثوبك وهو ما قطع منه ليحيط بعنقك وكان

عليه درعة صوف لاكمام له وقيل اجيب القميص لانه يجاب اي يقطع
تخرج بيضا اي بيضاء عظيما ينراحد اله شعاع كشعاع الشمس وكانت
الاية الاولى مما في يده يقلب جوهرها الى جوهر شئ آخر حيوان
وهذه في يده نفسها تقلب عرضها التي كانت عليه الى عرض اخر
فرأى ثم نفي عنهما ان يكون ذلك بسبب آفة بقوله تعالى **من غير سوء**
اي برص ولا غيره من الآفات وقوله تعالى **في تسع ايات** كلام
مستأنف وعرف الخبر به يتعلق بمحذوف وقدر المعنى اذهب في تسع
ايات **الى فرعون وقومه** كقولك لقائل قلت الى الطعام فقال
منهم قربني بحسد الاسنى الطعام ويجوز ان يكون بمعنى والى
معناك واذهل يذكره في تسع ايات وعداد هن ولقائل ان يقول
كانت الايات احدى عشرة لقد كان منها العصى واليد والتسع
الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمسة
والجدب في بواديهم والنقصان في مزارعهم وقيل معنى من ايات
من تسع ايات فتكون العصا واليد من التسع ثم علل ارساله
اليهم بما لجوارت بقوله تعالى **انهم كانوا قوما فاسقين** اي خارجين
عن طاعتنا **فلما جاءتهم اياتنا** اي يد موسى عليه السلام **مبصرة**
اي بينة واضحة هادية الى الطريق انه قوم **قالوا هذا سحر**
اي خيال لا حقيقة له **مبين** اي واضح في انه خيال **وجحدوا بها**
اي انكروا كونها ايات موجبات لصدقه مع علمهم بانها لهم لان
الجحود الانكار مع العلم **واستيقنتها انفسهم** اي علموا انها من عند
الله تعالى وتحليل علمهم ما صيم قلوبهم ولذلك اسند الاستيقان
الى النفس ثم علل جحودهم وعنادهم لها بخلاف وصفهم لها بقوله تعالى
ظلما وعلوا اي سركا وتكبرا عن ان يومنوا بما جاء به موسى **فانظر يا اشرف**

الخلق

الخلق كيف كان عاقبة المفسدين وهو الاغراق في الدنيا بايسر سعي
وايسر امر فلم يبق منهم عين تطرف ولم يرجع منهم مخبر على كثرتهم وعظمتهم
وقوتهم والاحراق في الاخرة بالنار الموبقة العقبة الثانية فقصته
داود وسليمان عليهما السلام المذكورة في قوله **ولقد اتينا** اي بما لنا
من العظمة **داود وسليمان** ابنه وهما من اتباع موسى عليهم السلام
وبعده بازمان متطاولة **علما** اي جزءا من العلم عظيما من منطق الطير
والدواب وتسبيح الجبال وغير ذلك لم نؤته لاحد من قبلهما ولما كان
التقدير فعملا بمقتضاه عطف عليه قوله **وقال** شكرا عليه ودلالة
على شرف العلم وتنبيها لاهله على التواضع **الحمد** اي الاحاطة
بجميع اوصاف الكمال **لله** اي الذي لا كفوء له **الذي فضلنا** اي بما
اتانا من النبوة والكتاب وتسخير الشياطين والجن والانس وغير
ذلك **على كثير من عباده المؤمنين** اي ممن لم يوت علما ادخل
عليهما وفي ذلك تحريض للعالم ان يحمد الله تعالى على ما اتاه من
فضله ويعتقد انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير فلا
يتكبر ولا يفتخر ويشكر الله تعالى وينفع به المسلمين كما فعل الله
تعالى به ثم ان الله تعالى اشار الى فضل سليمان بانه جمع الى ما اتاه
ما كان منح به اياه بقوله تعالى **وورث سليمان داود** اباه عليهما
السلام دون سائر اولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا فاعطى
سليمان ما اعطي داود من الملك وزيد له تسخير الريح وتسخير
الشياطين قال مقاتل كان سليمان اعظم ملكا من داود وانقضى
ملكه وكان داود اشد تعبدا من سليمان وكان سليمان شاكرا للنعم
الله تعالى عليه **وقال** تحدثا بنعمة ربه ومنبها على ما شرفه الله
تعالى به ليكون احد رفي قبول الناس ما يدعوهم اليه من الخير

يا ايها الناس علمنا اي انا وابي بايسر امر واسهله منطق الطير اي
فهم ما يريد به كل طاير اذا صوت فنسبي صوت الطير منطقا لحصول
الفهم منه كما يفهم من كلام الناس روي عن كعب الاحبار انه قال
صاح وريشان عند سليمان عليه السلام فقال الذرون ما يقول
قالوا لا قال انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاح فاختة
فقال الذرون ما تقول قالوا لا قال فانها تقول ليت ذا الخلق لم
يخلقوا وصاح طاووس فقال الذرون ما يقول قالوا لا قال فانه
يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال الذرون ما يقول قالوا
لا قال فانه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال الذرون
ما يقول قالوا لا قال فانه يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح
طيطوي فقال الذرون ما يقول قالوا لا قال فانها تقول كل حي
ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال الذرون ما يقول قالوا
لا قال فانه يقول قدموا خيرا تجدوه وهدرت حمامة فقال الذرون
ما تقول قالوا لا قال فانها تقول سبحان ربي الاعلى ملاء سمايه وارضه
وصاح قمري فقال الذرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول
سبحان ربي الاعلى قال والغراب يدعو على العشار والحداء
يقول كل شي هالك الا الله والقطقاط تقول من سكت سلم
والببغا تقول ويل لمن الدنيا همه والصفدع يقول سبحان ربي
القدوس ويقول لها سبحان ربي المذكور بكل لسان في والباز
يقول سبحان ربي وبحمده وعن مكحول قال صاح دراج عند
سليمان فقال الذرون ما يقول هذا قالوا لا قال فانه يقول الرحمن
على العرش استوى وردي عن قتادة السجي قال مر سليمان
على بلبل فوق شجرة تحرك راسه وتميل ذنبه فقال لاصحابه

الذرون

الذرون ما يقول هذا البلبل قالوا الله ورسوله اعلم قال يقول اذا اكلت
نصف تمرة فعلى الدنيا العفا وهو بالفتح والمد التراب وقال ابن عبد
هو الدروس وفي حديث صفوان اذا دخلت بيتي فاكلت زعيفا
وسربت عليه فعلى الدنيا العفا وروي ان جماعة من اليهود قالوا
لابن عباس انا سائلوك عن سبعة اشياء فان اخبرتنا اثنا وصدقنا
قال اسئلوا فقالوا اخبرنا ما يقول الضفدع والنسر والحمار
في صفره والديك في صهيله والضفدع في نقيقه والحمار في
نهيقه والفرس في صهيله وما يقول الزرزر والدراج قال نعم
اما الضفدع فيقول اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد واما الديك
فيقول اذكروا الله يا غافلين واما الضفدع فيقول سبحان المعبود
بكل لسان في لجج البحار واما الحمار فيقول اللهم العن العشار واما
الفرس فيقول اذا التقى الصفان سبوح قدوس رب الملايكة
والروح واما الزرزر فيقول اللهم اني اسالك قوت يوم بيوم
يا رزاق واما الدراج فيقول الرحمن على العرش استوى قال
فاسلم اليهود وحسن اسلامهم ويروي عن جعفر الصادق عن ابيه
عن جده عن الحسين بن علي قال اذا صاح النسر قال ابن آدم
عش ما شئت آخرك الموت واذا صاح العقاب قال في البعد من
الناس انس واذا صاح الضفدع قال اللهم العن مبغضي آل محمد
واذا صاح الطاووس قال الحمد لله رب العالمين ومحمد ولا الضالين آمين
عبد القادر ويقول سليمان عليه السلام واوتينا من كل شي اي
نوتاه الانبياء والملوك قال ابن عباس من امر الدنيا والاخرة وقال
مقاتل يعني النبوة والملك وتسخير الجن والانس والرياح ان هذا
اي الذي اوتيناه لهو الفضل المبين اي البين في نفسه لكل من

بنظره الموصل لعلوه وصاحبه روي ان سليمان اعطي ملك مشارق الارض
ومغاربها فملك اربعين سنة وستة اشهر ملك جميع اهل الدنيا من
الجن والانس والدواب والطير والسباع واعطي علي ذلك منطق الطير
كرسي وفي زمانه صنعت الصنايع العجيبة فقوله ان هذا لهو الفضل
المبين تقرير لقوله الحمد لله الذي فضلنا والمقصود منه الشكر
والحمد كما قال صلي الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر فان
قيل كيف قال علمنا واوتينا وهو كلام المتكبر اجيب بوجهين الاول
انه يريد نفسه واباه كما مر الثاني ان هذا النوع يقال لمن له نوع من الواحد
المطاع وكان ملكا مطاعا ولما كان هذا مجرد خبر اتبعه ما يعضده
بقوله تعالي وحشر لسليمان جنوده ثم بين ذلك بقوله تعالي من الجن وبدأ بهم لعسر
جمعهم ثم ثني بقوله تعالي والانس لشرفهم ثم اتبع من يقبل بما لا يقبل
بقوله والطير تفخيم فقدم القسم الاول لشرفه وكان لكل منهم مكان يسير
له في بعض الغزوات فهم اي فتسبب عن سيره بذلك انهم يوزعون
اي يكفون بحبس اولهم علي آخرهم بادني امر واسهله ليتلاحقوا
فيكون ذلك اجدر بالهيبة واعون علي النهوض والتربب الي
السلاحة قال قتادة كان علي كل صنف من جنوده وزعت
ترد اولها علي احزها لئلا يتقدموا في المسير قال والوزاع
الحابس وهو النقيب وقال مقاتل يوزعون اي يساقون وقال
السدي يوقفون وقيل يحبسون واصل الوزع الكف والمنع قال محمد
ابن كعب القرظي كان عسكر سليمان عليه السلام مائة فرسخ
خمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون
للوحش وخمسة وعشرون للطير وقيل نسجت له الجن بساطا

من

من ذهب وحرير من سخاني فرسخ وكان يوضع كرسيه وسطه فيقعد
وحوله ستمائة الف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء علي كراسي
الذهب والعلماء علي كراسي الفضة والناس حولهم راكبين والشياطين
حول الناس والوحش حولهم وتظلهم الطير باجنحتها حتي لا يقع عليه
الشمس وكان له الفنبيت من قوارير علي اكتاف فيها ثلاثمائة مملوكة
بيض حرة وستمائة سرية فيامر الريح العاصف فترفعه ثم يامر
الرخاء فتسير به مسيرة شهر وادحي اليه وهو سير بين السما
والارض اني قد زدت في ملكك ان لا يتكلم احد من الخلائق بشي
الا جاءت به الريح فاخبرتك به فيحكي انه مر بحراث فقال لقد اوتي
آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في اذنه فنزل وحفر الي الكراث
وقال اني لم اعنك فلا تفتني مالا تقدر عليه ثم قال التسبيحة
واحدة يتقبلها الله تعالي خير مما اوتي آل داود واستمر سايرا بجنوده
حتي اذا اتوا اي اشرفوا علي وادي النمل رذي عن كعب
الاحبار انه قال كان سليمان اذا ركب حمل اهله وخدمه وحشمه
وقد اتخذ مطابخ ومخابز فيها ثنتا عشرة الف بغل وقدر عظام يسع كل
قدر عشرة من الابل يطبخ الطباخون ويخبز الخبازون واتخذ
ميادين للدواب فتجر ببن يديه وهو بين السما والارض والريح
يهوي بهم فمر برجل من اصحاب يزيد اليمن ممن بعد بنية النبي صلي
الله عليه وسلم فقال لسليمان هذه دار هجرة نبي يخرج في اخر الزمان
طوبي لمن آمن به وطوبي لمن اتبعه فلما وصل الي مكة راي حول
البيت اصناما تعبد من دون الله فلما جاوز سليمان البيت بكي البيت
فاوحي الله تعالي اليه البيت ما يبكيك فقال يا رب ابكاني ان هذا
نبي من انبيائك وقوم من اولياءك هم واعلي فلم يهبطوا ولم يصلوا

عندي والاصنام تقيد حولي من دونك فاوحي الله تعالى اليه لا تبكي
فاني سوف املاك وجوها سجدا وانزل فيك قرانا جيدا وابعث
منك نبيا حزن الزمان احب انبائي الي واجعل فيك عمارا من خلقي
يعبدوني وافرض علي عبادي فريضة يفوزون اليك وفيف
النسور الي وكرها ويجيئون اليك حنين الناقة الي ولدها وحنين
الحمامة الي بيضها واطهرك من الاوثان وعبدة الشياطين ثم مر
سليمان حتى مر بوادي السمد برمن الطايف فاتى علي وادي النمل
هكذا قال كعب الله واد بالطايف قال البقاعي وهو الذي قتل فيه
النفس فانه معروف عندهم الي الآن بهذا الاسم وقال قتادة
ومقاتل هو واد بالشام وجري عليه البيضاوي وقيل واد
كانت تسكنه الجن واول لبيك النمل من اجلهم وقال نوف الحميري كان نمل
ذلك الوادي امثال الذباب وقيل كان كالبخاتي وقال البغوي
والمشهور انه النمل الصغير فاتته وقف الكسائي علي وادي
بالياء والباقون بغير ياء فان قيل لم عدي الواو بعلى اجيب
بانه يوجد علي معنيين احدهما انه اتاهم من فوق فاتى بحرف
الاستعلاء والثاني ان يراد قطع الوادي وبلوغ آخره من قولهم
اتى علي الشيء اذا انفذه وبلغ آخره كانهم ارادوا ان يزلوا عند
معظم الوادي لانهم حاذرون الريح تحطمهم في المهوي لاجل حطمهم
ولما كانوا في امر يهول مستظهر وتربوا من ذلك الوادي **قالت نملة**
قال السعيد كانت تلك النملة ذات جناحين وقيل كانت نملة عرجا
فنادت **يا ايها النمل ادخلوا** اي قبل وصول عساكري من الجيش
مساكنكم ثم علللت امرها فقالت **لا يحطمنكم** اي يكسرنكم هـ
ويهشمنكم اي لا تبرزوا فيحطمنكم ثم نهي لهم عن البروز في

هونة

صونة نهيه وهو ابلغ من التصريح بنهيهم لانه من نهي كبير عن شيء كان ينبغي
ان لا يقربه **سليمان وجنوده** اي لانهم لكثرتهم تهم اذا هاروا في هذا الوادي
استعلوا عليه وضيقوا فلم يدعوا منه موضع شبر خاليا **وهم** اي سليمان
وجنوده **لا يشعرون** اي بحطمهم لكم لاشتغالهم بما هم فيه من احوال
السير وقوله هذا يدل علي علمها بانهم لو شعروا بهم ساذ وهم لانهم اتباع
نبي فهم رحماء وانما خاطبتهم خطاب من يعقل لانها لما جعلت قائلة
والنمل قائلة معقولا لهما له كما يكون في اولي العقل اجري خطابهم مجري
خطابهم والنمل اسم جنس مفرد واحده نملة ويقال نملة ونمل بضم
النون وسكون الميم ونملة ونمل بضمهما وعن قتادة انه دخل
الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوني عما شئتم وكان ابو حنيفة
رحمه الله تعالى عليه حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة
سليمان اكان ذكرا ام انثي فسيلوه فانتم فقال ابو حنيفة كانت
انثي فقيل له من اين عرفت فقال من كتاب الله وهو قوله قالت
نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة قال الزمخشري وذلك ان
النملة مثل الحمامة والشاة في وقوعها علي الذكر والانثي فيميز
بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثي وهو رد علي ابي
هذا ابو حيان فقال ولحاق التاء في قالت لا يدل علي ما ذكر النملة مؤنث
بل يصح ان يقال في الذكر قالت نملة لان النمل وان كان بالتاء
هو مما لا يميز فيه المذكر من المؤنث وما كان كذلك كالحمامة والنملة
مما بينه في الجمع وبين واحده تاء التانيث من الحيوان فانه يخبر عنه
اخبار المؤنث ولا يدل كونه يخبر عنه اخبار المؤنث علي كونه ذكرا
وانثي لان التاء دخلت فيه للفرق لا للدلالة علي التانيث الحقيقي
بل دالة علي الواحد من هذا الجنس قال وكان قتادة يصيرا بالعربية

وكونه اعجم يدل على معرفته باللسان اذ اعلم ان النملة تخبر عنهما اخبار
الموتى وان كانت تطلق على الانثى والذكر اذ لا يتميز فيه احد هذين
والحاة العلامة لابد له فلم يعلم التذكير والتانيث الا بوحي من الله
الا وقال الطيبي العجب من ابي حنيفة ان نبت ذلك عنه لان النملة
كالحمامة والشاة تقع على الذكر والانثى واطاله الكلام على ذلك
فان قيل كيف يتصور ان يعلم من سليمان وجنوده وكانت الريح تحمل
سليمان وجنوده على بساط بين السماء والارض اجيب بان من
جنوده ركبانا ومنهم مشاة على الارض تطوي لهم او ان ذلك
كان قبل تسخير الريح لسليمان او يردي ان سليمان لما بلغ وادي النمل
حبس جنده حتى دخل النمل بيوتهم فقد روي انه سمع كلام منهم من
ثلاثة اميال وقيل كان اسمها طاخية قال اهل المعاني
في كلام هذه النملة انواع من البلاغة نادت ونبهت وسمت واخبرت
ونهت وحذرت وخصت سليمان بمت واشارت واعذرت
ووجهه نادت بايتها سمت النمل امرت ادخلوا نهت مساكنكم
حذرت لا يحطمنكم خصت سليمان بمت وجنوده اشارت وهم اعذرت
لا يشعرون ولما كان هذا امرا عجيبا لما فيه من جزالة الالفاظ
وجلالة المعاني تشعب عنه قوله **فتبسم ضاحكا من قولها**
اي لما ادتيته من الفصاحة والبيان وسرورا بما وصفه به
من العدل في انه وجنوده لا يتوذي احدا وهم يعلمون ذلك بما اتاه
الله من سمع كلام النملة واحاطته بمعناه **تنبيه** ضاحكا حال
موكدة لان التبسم قد يكون من تبسم وقيل هي حال متعلقة فان
التبسم ابتداء الضحك وقيل التبسم قد يكون للغضب ومنه تبسم
تبسم الغضبان وضاحكا حال قال عنترة فلما رايني قد قصدت

الى

اريده ابدي نواجذه لغير تبسم وقال الزجاج اكثر ضحك الانبياء التبسم
وقوله ضاحكا اي متبسما وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى ارى منه
لهواته انما كان يتبسم وعن عبد الله بن الحارث بن جبير قال ما رايت
احدا اكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان اذا له
يتبسم واخره الضحك ثم حمد الله تعالى على هذه النعمة وسال ربه توفيقا
شكره لما تذكر مراعاة والديه سبحانه وتعالى بحسن تربيتهما بيته من
فهم كلام النملة الى ما انعم عليه من فهمه غير ذلك **وقال رب** اي ايسا
الملهم الحي **اوزعني** ايد الهمني **ان اشكر نعمتك** وقيل معناه لغة
احبسني انع اشكر نعمتك اي اكفه واصنه حتى لا اكفر من اوزعته
ان الا شاكرا واوزع بفتح الزاي اصله اوزع فحذفت ياؤه
كما في ادع ولما فهم ذلك تعلق النعمة به حققه بقوله **التي انعمت علي**
وانعم قوله **وعلى والدي** اذ امه كانت ايضا تفرق منطق الطير
وانما اورد ذكر والديه لان النعمة على الولد نعمة على الوالدين
فخص النعمة الراجعة الى الدين فانه اذا كان تقيا نفعهما بعد مماته
وشفاعته ودعا المومنين لهما كما ورد انه رفع لوالدي نبي الله على
وعن والديك تنبيه الشكر لغة فعل ينبي عن تعظيم المنعم من
حيث انه منعم على الحامد او غيره سواء كان ذكرا باللسان او
اعتقادا او محبة بالجنان او عملا وخدمة بالاركان كما قال القايل
افادتكم النعماء مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجبا وعرفنا
صرف السبب جميع ما انعم واستثنى به عليه من السمع وغيره الى
ما خلق لاجله وهذا من دقيق العناية الربانية نسال الله الكريم
الفتاح ان يجعلنا ومن نلوذ بنا بعنايته رد عن داود عليه السلام

ان قال يارب كيف اشكرك والشكر نعمة اخرى منك احتاج عليها الى شكر
آخر فاوحى الله تعالى اليه يا داود اذا علمت ان ما بك من نعمة فمني
فقد شكرتني والشكر ثلاثة اشياء الاول معرفة النعمة بمعنى احضار
ها
في الخاطر بحيث يتميز عندك انها نعمة من رب جاهل محسن اليه وتنعم
عليه وهو لا يدري فلا جرم انه لا يصح منه الشكر الثاني قبول النعمة
بتلقيها من المنعم باظهار الفقر والحاجة فان ذلك شاهد بقبولها
حقيقة الثالث الثناء باباء تصف المنعم بالجود والكرم ونحوه مما
يدل على حسن تلقيك لها واعترافك بتقدل مقامك في الربوبية
عن مقامه فان اليد العليا خير من اليد السفلى ولما علم من كلامه
ان الشاكر هو المستغرق في الثناء على المنعم بما يجب عليه من
العمل بحسب ما يفيد رعليه وكان ذلك العمل مما يجوز ان يكون
زين له ذلك العبد كونه حسنا وهو ليس كذلك قال لسليمان عليه السلام
مشيرا الى هذا المعنى وان اعمل صالحا اي في نفس الامر وتقيده
بقوله ترضاه لان العمل الصالح قد لا يرضى المنعم لنقص في العامل
كما قيل اذ كان الحب قليل حظه فاحسناته الاذنوب وقوله
وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين يدل على ان دخول
الجنة برحمته وفضله لا بسبب استحقاق العبد والمعنى ادخلني في جملتهم
واثبت اسمي في اسمائهم واحشرني في زمرتهم قال ابن عباس يريد
مع ابراهيم واسحاق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين فان قيل
درجات الانبياء افضل من درجات الصالحين والاولياء فما السبب في
ان الانبياء يطلبون جعلهم من الصالحين وقد تمنى يوسف عليه
السلام بقوله فاطر السموات والارض توفني مسلما والحقني بالصالحين
اجيب بان الصالح الكامل هو الذي لا يعصي الله تعالى ولا يفعل معصية

ولا يهم

ولا يهم بمعصية وهذه درجة عالية ثم ان سليمان عليه السلام لما وصل
الى المنزل الذي قصده تفقد احوال جنوده كما تقتضيه العناية بامور
الملك وتفقد الطير اي طلبها وجث عنها والتفقد طلب ما فقد
ومعنى الاية طلب ما فقد من الطير فقال مالي لا ارى الهدهد
اي اهو حاضر ام كان من الغائبين ام منقطعة كانه لما لم يره ظن
انه حاضر ولم يره لسائر وعليه فقال مالي لا اراه ثم راجع نفسه فقال
لا انه غائب فاضرب عن ذلك واخذ يقول اهو غائب كانه يسال
عن صحة ما لاح له وهذا يدل على انه تفقد جماعة من الجند وتحقق
غيبتهم وشك في غيبته وكان سبب غيبة الهدهد على ما ذكره
العلماء ان سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على ان يحج الى
ارض الحرم فتجهز للمسير واستصحب من الجن والانس والشياطين
والطيور والوحوش ما بلغ عسكره مائة فرسخ في مثلها بالريح فلما
وافى الحرم اقام به ما شاء الله ان يقيم وكان ينحر في كل يوم حين
مقامه بمكة خمسة الاف ناقة وخمسة الاف بقرة وعشرين الف
شاة وقال لمن حضر من انس ان قومه ان هذا المكان يخرج منه نبي
عربي صفته كذا وكذا يعطي النصر على جميع ما يراه ويتبلغ في
هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سواء فاخذه
بنو اسرائيل لومة لائم قالوا فباي دين يدين يا نبي الله قال بدين
الحنيفية فطوبى لمن ادركه وآمن به قالوا فكم بيننا وبين خروجه
يا نبي الله قال مقدار الف عام فليبلغ الشاهد منكم الغائب فانه
سيد الانبياء وخاتم الرسل فاقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج
منها صباحا وسار نحو اليمن فنزل صنعاء وقت الزوال وذلك
مسيرة شهر فرأى ارضا حسنة تزهر حضرتها فاحب النزول

ليصلي ويتغذى فلما نزل قال الهدهد ان سليمان قد اشتغل بالنزول
فارتفع حتى السما فنظر الي طول الدنيا وعرضها فنظر يمينا وشمالا
فراي بستانا لبلقيس فمال الي الخضرة فوقع عليه فاذا هو بهدهد
فهبط عليه وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن
عنفير فقال عنفير لهدهد اليمن ليعفور سليمان من اين اقبلت
قال الي ابن تريد قال اقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود
فقال ومن سليمان قال ملك الانس والجن والشياطين والطير
والوحوش والرياح فمن اين انت قال انا من هذه البلاد قال ومن
ملكها قال امراة يقال لها بلقيس وان لها حبكم ملكا عظيما ولكن
ليس ملك بلقيس دونه فانما ملكت اليمن كلها وتحت يدها ثنتي
عشرة الف قايد تحت يد كل قايد مائة الف مقاتل فمهما انت مطلق تمشي
حتى تنظر الي ملكها قال اخاف ان يفقدني سليمان في وقت الصلاة
اذا احتاج الي الما قال الهدهد اني اعلم ان صاحبك يسره ان تاتيه
بخبر هذه المملكة فانطلق معه ونظر الي بلقيس وملكها وغاب
الي وقت العصر وكان نزل سليمان علي عين ما قال ابن عباس
وكان الهدهد دليل سليمان علي الما وكان يعرف الما ويري الما
تحت الارض كما يري في الزجاجة ويعرف بعده وقربه فينتر الارض
ثم يجي الشياطين فيستخرجون لهم الما فيسقي منها كما يسقي الاهاب ويستقون الما قال
سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا قال له نافع بن الازرق
انظر ما تقول ان الصبي منا يصنع النخ ويجيء عليه التراب فيجي
الهدهد ولا يبصر النخ حتى يقع في عنقه فقال له ابن عباس
ويحك ان القدر اذا حال بين البصر وفي رواية اذا نزل القضا
والقدر ذهب اللب وعمي البصر قال القايل اني المقادير تدعى

والقدر

والقدر اذا كنت احظاظ تما احظا القدر اذا اراد الله امرا بامرء
وكان ذا عقل وسمع وبصر يغير الجهل فيعمي قلبه صم سمعه وعقله
ثم البصر حتى اذا انفذ فيه حكمه رد عليه عقله ليعتبر لا تسل لما
جرى كيف جرى كل شي بقضا وقدر فلما دخل علي سليمان وقت
الصلاة سال الانس والجن والشياطين عن الما فلم يجيبوه ويعلموا
فتفقد الهدهد فلم يجده فدعي عريف الطير وهو النسر فساله
عنه فقال اصلح الله الملك ما ادري اين هو وما ارسلته مكانا
فغضب سليمان عند ذلك وقال لاعذبنه اي بسبب غيبته فيما
لم اذن فيه عذابا شديدا اي مع نتاره ردعا لامثاله او لاذبحنه
اي بقطع حلقومه اي تاديبا لغيره او لياتيني بسلطان مبين
اي بحجة واضحة واختلفوا في تعذيبه الذي اوعده له علي اقاويل
قال البغوي اظهرها ان عذابه ان ينتف ريشه ويذره
في الشمس فيعطا لا يمتنع من النمل والذباب ولا من هوام الارض
انتهي وقيل تعذيبه ان يوذيه بما لا يحتمله ليعتبر به امثاله جنسه
وقيل كان عذاب سليمان للطير ان ينتف ريشه ويشمسه
وقيل ان يطلي بالقطران ويشمس وقيل ان يلقي للنمل تاكله
وقيل اليداعه المقتص وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل
لا لزمنه صحبة الاقران وقيل لا لزمنه خدمة اقرانه
ثم دعي العقاب سيد الطير فقال له علي بالهدهد الساعة
فرفع العقاب نفسه دون السما حتى التزق بالهوي فنظر الي الدنيا كما
تكون بين يدي احدكم فالتفت يمينا وشمالا فاذا بالهدهد قبيل
من قبل اليمن فانقض العقاب نحو يريده فلما راي الهدهد ذلك علم
ان العقاب يقصده بسوء فناداه فقال فبحق الشي الذي قوك

واذ ركا على الامار حمتني ولم تتعرض لي بسوء فكلي عنه العقاب وقال
له ويلك ما كلتك امك ان نبي الله قد حلف ان يعذبك او يذبحنك
قال فما استثنى قال بلى اولياتيني بسلطان مبين ثم طار فاتى حمير حين
نزل سليمان فلما انتهى الى العسكر تلقاه النسر الى والطير فقالوا له
ويلك اين غبت في يومك هذا فلقد توعدك نبي الله وراجعوه
بما قال فقال الهدهد وما استثنى نبي الله عليه السلام قالوا
بلى اولياتيني بسلطان مبين قال حين ذاك اذا لم يطر العقاب
والهدهد حتى اتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب
قد اتيتك به يا نبي الله فمكث اي الهدهد وقوله تعالى غير بعيد صفة
للمصدر اي مكثا غير بعيد فلما قرب الهدهد منه رفع راسه وارخى
ذنبه وجناحيه يجر بهما على الارض تواضعا لسليمان فلما دنا منه اخذ
برأسه فمده اليه وقال له اين كنت لاعذبنك عذابا شديدا فقال له
الهدهد يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فلما سمع سليمان
ذلك ارتعد وعفا عنه ثم سأله فقال ما الذي ابطأ كعني فقال
احطت اي علما بما لم تحط به اي انت مع اتساع مملكتك وعلمك وامتداد
ملكك اللهم انا الهدهد فكان في سليمان بعد الكلام على ما اوتي من فضل
النبوة والحكمة والعلوم الجمة والاحاطة بالمعلى حادث الكينونة ابتلاه
الله في علمه وتنبيها على ان في ادنى خلقه ما اضعفه من احاط
علما بما لم يحط به ليتجاذر اليه بنفسه ويتهما عن اليه علمه ويكون
لطفا في تركه الاعجاب الذي هو فتنة العلما والاحاطة بالشي علما
انا يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان
قول الروافض ان الامام لا يخفى عليه شي ولا يكون في زمانه احد
اعلم منه وقيل الهدهد في مكث سليمان وقيل غير بعيد صفة

للزمان

للزمان اي زمانا غير بعيد وقراءاتهم بفتح الكاف والباقون بضمها
وهما لغتان الا ان الفتح اشهر وجئتك اي الآن من سبا بنبا اي خبر
عظيم يقين اي تحقق وقرا ابو عمرو والبزي سبا بفتح الهمزة من غير
تنوين جعلاه اسما للقبيلة او البقعة فمعناه من الحرف للعلمية
والتانيث والباقون بالجر والتنوين جعلوه اسما للحي او المكان قال
البغوي وجاء في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن
سبا فقال رجلا كان له عشرة من البنين تيامن منهم ستة وتشاءم
اربعة فقال سليمان وما ذاك قال اني وجدت امراة تملكهم وهي
بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان ابوها ملكا
عظيما فولت اربعون ملكا هو آخرهم وكان يملك اهل اليمن كلهم وكان
يقول لملوك الاطراف ليس احد منكم كفواً لي وابى ان يتزوج منهم فتزوج
امراة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكن فولدت بلقيس ولم يكن له
ولد غيرها قال البغوي وجاء في الحديث ان احد ابوي بلقيس كان
جنيا فلما مات ابو بلقيس طمعت في الملك فطلبت من قومها ان
يبايعوها فاطاعها قوم وعصاها اخرون وملكوا عليهم رجلا وافترقوا
فرقتين كل فرقة استولت على طرف من ارض اليمن ثم ان الرجل
الذي ملكوه استاسر بين اهل مملكته حتى كان يهدي اليه كل حين
رعيته ويخبر بمن فاد قومه خلقة فلم يتقدروا عليه فلما رات بلقيس
ذلك ادركتها الغيرة فارسلت اليه تعرض نفسها عليه فاجابها الملك
وقال ما منعني ان ابتديك بالخطبة الا اياسي منك فقالت للارعب
عنك انت كفوء كريم فاجمع رجال قومي واخطبني منهم فجمعهم وخطبها
اليهم فقالوا لا نرضاها تفعل ذلك فقال لهم انما قد ابتدانني وانا احب
ان تسمعوا قولها فجاوها فذكروا لها فقالت نعم اجبت الولد فمن وجوها

منه فلما زفت اليه جاءت في اناس كثير من حشمها فلما جاءته اسقته
الخمر حتى سكر ثم اجزت راسه وانصرفت من الليل الي منزلها فلما
اصبح الناس راوا الملك قتيلا وراسه مضروب علي باب دارها
فعلموا ان تلك المنالكة كانت حيلة ومكرا وخديعة منها فاجتمعوا
اليها وقالوا انت بعد هذا الملك احق من غيرك فملكوها وعن الحسن
عن ابي بكرة قال لما بلغ رسول الله صلي الله عليه وسلم ان
اهل فارس قد ملكوا عليهم بنت كسري قال لن يفلح قوم ولوا امرهم
امراة وقوله **واوتيت** يجوز ان يكون معطوفا علي ملكهم وجاز عطف
الماضي علي المضارع لان المضارع بمعناه اي ملكتهم ويجوز ان
يكون في محل نصب علي الحال من مرفوع تملكهم وقد مهما لعلمهم
عند من يري ذلك وقوله **من كل شيء** عام مخصوص بالعقلا لانها
لم توت ما اوتيه سليمان فالمراد من كل شيء يحتاج اليه الملوك من
الالة والعدة **ولها عرش** اي سرير **عظيم** اي ضخم لم اجد لاحد مثله
طوله ثمانون ذراعا وعرضه اربعون ذراعا وارتفاعه ثلاثون ذراعا
مضروب من الذهب والفضة مكلل بالدر والياقوت الاحمر والزبرجد
الاخضر والزمرد عليه سبعة ابواب علي كل باب بيت مغلق فان
قيل كيف استعظم الهدهد عرشها مع ما كان يري من ملك سليمان
والجنا كيف سوي بين عرش بلقيس وعرش الرحمن بالوصف في
العظم اجيب عن الاول بانه يجوز ان يستصغر حالها الي حال سليمان
فاستعظم لها حال ذلك العرش ويجوز ان لا يكون لسليمان مثله
وان عظمت مملكته في كل شيء كما يكون لبعض امراء الاطراف شيء لا
يكون لمثله للملك الذي تملك عليهم ويستخدمهم وعن ابن عباس
الثاني بانه وصف عرشها بالعظم بالنسبة الي عروش ابناء جنسها

من

من الملوك ووصف عرش الرحمن بالعظم تعظيما له بالنسبة الي سائر
ما خلق من الحيوانات والارض فان قيل كيف خفي علي سليمان تلك المملكة
العظيمة مع ان الانس والجن كانوا في طاعته فانه عليه السلام كان
ملك الدنيا كلها مع انه لم يكن بين سليمان وبين بلدة بلقيس حال
طيران الهدهد الا مسيرة ثلاثة ايام اجيب بان الله تعالي اخفي عنه
ذلك لمصلحة راها كما اخفي عن يوسف علي يعقوب وكما ان الهدهد
في حداثته اقرب اهل ذلك الزمان الي الله تعالي تحصل له من النورانية
ما اهله لذلك قال مستانفا **وجدتها وقومها** اي كلهم علي ضلاله كبير وذلك
انهم **يسجدون للشمس** مبتدين ذلك **من دون الله** اي من ادني درجة
للملك الاعظم الذي لا مثل له **وزين لهم الشيطان اعمالهم** اي هذه
القبيحة حتي صارت تظنها حسنة ثم تسبب عن ذلك انه اعماهم عن
طريق الحق فلهذا قال **فصدهم عن السبيل** اي الذي لا سبيل الي
الله غيره وهو الذي بعث به انبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام
ثم تسبب عن ذلك ضلالهم فلهذا قال **فهم** اي بحيث **لا يهتدون** اي
لا يوجد لهم هدي بل هم في ضلال صرف وعمي محض **الا يسجدوا**
لله اي ان يسجدوا لله فحذفت لام التعليل وان بعدها لا زائدة كما في قوله
تعالي ليلا يعلم اهل الكتاب وجملة في موضع مفعول يهتدون وذهب
سيبويه الي هذا اذا تري بالتشديد وهي عند الكسائي واما الكسائي
فقرا بتخفيف الا فالا فيها تنبيه واستفتاح وما بعدها امر فذا
وناداه محذوف كما حذفه من قال الا يا اسلمي يا دار مي علي البلا
ولا زال منهلا بجرعائك القطر ويقف الكسائي علي الا وعلي ياء
وعلي اسجدوا اذا ابتدا اسجدوا ابتدا بالضم ثم وصف الله تعالي
بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من التفرد بكمال القدرة

والعلم حثا علي السجود له ورد اعلي من يسجد لغيره سبحانه وتعالي
بقوله الذي يخرج الخبا وهو مصدر بمعني المخبوء من المطر والنبات
وغيرهما وخصه بقوله في السموات والارض لان ذلك منتهي مشاهدتنا
فننتظر ما يكون فيهما بعد اذ لم يكن من سحاب ومطر ونبات وتوابع ذلك
من الرعد والبرق وما يشرق من الكواكب ويغرب الي غير ذلك من
الرياح والحر والبرد وما لا يحصيه الا الله تعالي ويعلم ما تخفون في قلوبهم
وما يعلنون بالستهم وقرأ الكسائي وحفص بالتاء الفوقية فيهما والباقون
بالتحتية فالخطاب ظاهر علي قراءة الكسائي لان ما قبلهم امرهم
بالسجود وخاطبهم به والنيبة علي قراءة الباقين غير ظاهرا هنا
لتقدم الهاء الغائبة في قولهم واعمالهم وصدهم وغيهم واما قراءة
حفص فتاويلها انه حرج الي خطاب الحاضرين بعد اذ تم قصة الهدهد
سبا ويجوز ان تكون التفاتا علي انه نزل التغايب منزلة الحاضر
فخاطبه ملتفتا اليه وقوله الله لا اله الا هو رب العرش العظيم
اي الذي هو اول الاجرام واعظمها والمحيط بجملتها يحتمل ان يكون
من كلام الهدهد استدراكا لما وصف عرش بلقيس بالعظم وان
يكون من كلام الله تعالي رد اعليه في وصفه عرشها بالعظم فبين
العظمتين بون عظيم فان قيل من اين للهدهد التهدي الي معرفة
الله وبعض وجوب السجود له وانكار سجودهم للشمس واضافته الي
الشيطان وتزيينه اجيب بانه لا يبعد ان يلهمه الله تعالي ذلك كما
الهمه وغيره من الطيور وساير الحيوانات المعارف اللطيفة التي للكثير
العقلاء الرجاع العقول يهتدون لها خصوصا في زمن بني سخرت
له الطيور وعلم منطقها وجبل ذلك معجزة له وهذه اية مجددة
واختلف في محلها فقيل هو هذه الاية اي عند قوله قبلها وما يعلنون

الجمهور علي الاول وما نزع الهدهد من كلامه قال له سليمان سننظر
اي نختبر ما قلته اصدقت فيه فنعذرك ام كنت من الكاذبين اي
معروفا بالاخراط في سلكهم فانه لا يجتري علي الكذب عند الامن
كان غير بقيا في الكذب فيما ابلغ من ان كذبت وانها المحافظة العواصل
ثم شرع فيما يختبره به فكتب له كتابا علي الغور في غاية الوجازة
قصدا للاسراع في ازالة المنكر علي تقدير صدق الهدهد حسب
الاستطاعة ودل علي اسراعه في كتابته بقوله جوابا له اذهب
بكتابي هذا فكانه كان مهيا عنده فدفعه اليه وامره بالاسراع
فطار كانه البرق ولهذا اشار بالفاء في قوله فالقه اليهم اي الذين
ذكرت انهم يعبدون الشمس وذلك للاهتمام بامر الدين وقرا ابو عمرو
وشعبة وخلاد بخلاف عنه فالقه بسكون الهاء واختلس الكسرة
قالون وهشام بخلاف عنه والباقون باشباع الكسرة ثم قال اذا ايه
القيته اليهم تول اي تنح عنهم اي مكانا تسمع فيه كلامهم ولا يصلون
وصله اليك فانظر ماذا يرجعون اي يردون من الجواب وقال ابن
زيد في الاية تقديم وتاخير مجازها اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم
فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم اي انصرف الي فاخذ الهدهد
الكتاب واتي الي بلقيس وكانت بارض يقال لها مارب من صنعا
علي ثلاثة ايام قال قتادة فوافاها في قصرها وقد غلقت الابواب
وكانت اذا رقدت غلقت الابواب واخذت المفاتيح فوضعتها تحت راسها
فاتاها الهدهد وهي نائمة مستلقية علي قفاها فالقي الكتاب علي
نحرها وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقالت فقائل حمل الهدهد
الكتاب بمنقاره حتي وقف علي راس المراة وحولها القادة والجنود
فزعن فساعة والناس ينظرون اليه حتي رفعت المراة راسها

فالقى الكتاب في حجرها وقال وهب بن منبه وابن زيد كانت لها
كوة مستقبلة الشمس تقع الشمس فيها حين تطلع فاذا الطرت
اليها سجدت لها فجا الهدهد الكوة فسدها بجناحه فارتفعت
الشمس ولم تعلم بما فلما استبطأت الشمس قامت تنظر اليها
فرمى بالصحيفة اليها فاخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة
فلما رات الخاتم ارتعدت وخضعت لانه ملك سليمان فكان في
خاتمه وعرفت ان الذي ارسل الكتاب اعظم ملكا منها وقرات
الكتاب وتاخر الهدهد فجاء حتى وقف على سرير ملكها
وجمعت الملا من قومها وهم اثنا عشر الف قايد مع كل قايد
الف مقاتل وعن ابن عباس قاد كان مع بلقيس مائة الف قيل
مع كل قيل مائة الف والقيل الملك الاعظم وقال قتادة
ومقاتل كانت اهل مشورتها ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا كل رجل
منهم على عشرة الاف فلما جاؤا احذوا مجالسهم **قالت** لهم بلقيس
يا ايها الملا وهم اشراف الناس وكبارهم **اني القي الي** اي بالقاء ملقى
على وجه عزيز **كتاب** اي صحيفة مكتوب فيها كلام وجرجاني
قال الزمخشري وكانت كتب الانبياء جملا لا يطنبون ولا يكررون
ولما حوى هذا الكتاب من الشرف اذ لم يعهد مثله وصفته
بقولها **كريم** وقال عطا والضحاك تسميته كريما لانه كان مختوما
روي انه صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب ختمه وكان عليه
السلام يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه
خاتم فاصطنع له خاتما وعن ابن المعتمر من كتب الى اخيه كتابا
ولم يختمه فقد استخف به وقال مقاتل كريم اي حسن وعن ابن
عباس اي مزين الشرف صاحبه وقيل تسميته كريما لانه كان

مقدرا

مصدرا ببسم الله الرحمن الرحيم ثم بينت من الكتاب فقالت **انه من سليمان**
ثم بينت المكتوب فيه فقالت **وانه بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا**
علي قال ابن عباس لا تتكبروا علي وقيل لا تستعظموا ولا تترفعوا علي اي
لا تمتنعوا عن الاجابة فان ترك الاجابة من العلو والتكبر **وائتوني مسلمين**
اي منقادين خاضعين فهو من الاستسلام او مومنين فهو من الاسلام
فان قيل لم قدم سليمان اسمه على البسملة اجيب بانه لم يقع منه ذلك
بل ابتدا الكتاب بالبسملة وانما كتب اسمه عنوانا بعد ختمه لان بلقيس
انما عرفت كونه من سليمان بقراءة عنوانه كما هو المعهود ولذلك قالت
انه بسم الله الرحمن الرحيم اي انه الكتاب فالتقديم واقع في الكتابة
لا محالة فاعلم ان قوله بسم الله الرحمن الرحيم مشتملة على اثبات الصانع
واثبات كونه عالما قادرا حيا مريدا حكيما وجاء قال الطيبي وقال
القاضي وهذا الكلام في غاية الوجازة مع كمال الدلالة على المقصود
لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الاله وصفاته هريجا الى
التزام الثنا والتنزيه عن الترفع الذي هو ام الرذايل والامر بالاسلام الذي
هو جامع لامهات الفضايل ولما سكتت عن الجواب **قالت** لهم **يا ايها**
الملا لما بينت ما دا خلها من الرعب من صاحب هذا الكتاب بقولها **افتوني**
اي تكرموا علي بالاجابة عما افعله **في امري** هذا الذي اجيب به هذا
الكتاب جعلت المشورة منوطة بها تسحا لاذ العقيلي بجواب في
احادية وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وفي الوصل بابدال الهمزة واوا
والباقون بتحقيقها وفي الابتدا بالجميع بالتحقيق ثم علقت امرها
لهم بقولها **ما كنت قاطعة امرا** اي فاعلته وفاصلته غير مترددة
فيه **حتى تشهدون** فخافت بذلك ان تشاورها فاعتشاورهم في كل
جليل وحقير فكيف بهذا الامر الخطير وفي ذلك استقطاع منهم

واجلالهم وتكريمهم ودلالة على غزارة عقلها وحسن ادبها لانهم اجابوها
عن ذلك بان قالوا مايلين اي اجوبة نحن اولو قوة اي بالمال والرجال
واولو اي اصحاب عزم في الحرب باس شديد والامر في كل من المصادمة
والمسالمة وهو راجع وهو كونك اليك فانظري اي بسبب انه لا نزاع
معك ماذا تامرين من امر نطعك وتتبع امرك ولما علمت انه من سخزله
الطير يعلي هذا الوجه لا يعزم امر بريده قالت جوابا لما احست في جوابهم
من ميلهم الى الحرب واكرب مجال لا يدري عاقبتها ان الملوك اي
ملكتا فكيف بهذا الذا فذا الامر العظيم القدر اذا دخلوا عنوة
بالقهر قرية افسدوها اي بالنهب والتخريب وجعلوا اعزة اهلها
اذلة اي اهانوا اشرافها وكبارها كي لا يستقيم لهم الامر ثم اكدت هذا
المعنى بقولها وكذلك اي ومثل هذا الفعل العظيم الشان يفعلون اي
خلق لهم مستمر جبلتهم فكيف بمن تطيعه الوحوش والطيور وعن هنا تبين
لهذه الجملة من كلامها وهو كما قال ابن عادل الظاهر ولهذا احسن عليه
فتكون منصوبة بالقول ويحتمل ان تكون من كلام الله تعالى تعقيبا لكلامها
فهي استينافية لا محل لها من الاعراب وهي معترضة بين قولها ولما بينت
ما في المصادمة من الخطر اتبعته بما عزمت عليه من المسالمة بقولها
واني مرسلة اليهم اي الى سليمان وقومه بهدية وهي العطية على طريق
الملاطفة وذلك ان بلقيس كانت امراة كيشة قد سيست
وساست فقالت للملا من قومها اني مرسلة الى سليمان وقومه بهدية
اصانعه بها عن ملكي فاختبر بها املك هو ام نبي فان يك ملكا قبل
الهدية وانفر فوان يك نبيا لم يقبل الهدية ولم يرض منا الا ان نتبعه
على دينه فذلك قولها فناظرة بم اي باي شيء يرجع المرسلون فاهدت
اليه وصفا ووصايف قال ابن عباس البستهم لباسا واحدا كيلا يعرف

ذكر

ذكر من انثى وقال مجاهد البست الغلمان لباس الجواري والجواري لباس
الغلمان واختلف في عددهم فقال ابن عباس مائة وصيف ومائتي وصيفة
وقال مجاهد ومقاتل مائة غلام ومائة جارية وقال قتادة ارسلت اليه
لبنة من ذهب في حرير وديباج وقال ثابت البناني اهدت اليه صفائح
الذهب في اوعية الديباج وقيل كانت اللبنات من ذهب وقال وهب
وغيره عمدت بلقيس الى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فالبست
الجواري لباس الغلمان الاقبية والمناطق والبست الغلمان لباس الجواري
وجعلت في سواعدهم اساور واساور من ذهب وفي اعناقهم اطواق من
ذهب وفي اذانهم اقراط من ديباج مرصعات بانواع الجواهر وعلى اسنمة
من الديباج الملونة وبعثت اليه خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة من
فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع وارسلت المسك والعنبر
وعمدت الى حقة فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة عيناء
مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلا من اشراف قومها يقال له المنذر
ابن عمرو وضمت اليه رجالا من قومها اصحاب عقل ورأي وكتبت
معهم كتابا بنسخة الهدية وقالت ان كنت نبيا فميز بين الوصفاء
والوصائف واخبرني بما في الحقة قبل ان تفتحها وانقب الدرة ثقبا
مستويا وادخل خيطا في الخرزة المثقوبة من غير علاج انس ولا
جن وامرت بلقيس الغلمان اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام تانيث
وتخنيث يشبه كلام النساء وامرت الجواري ان يكلمنه بكلام فيه
غلظة يشبه كلام الرجال ثم قالت للرجل انظر الى الرجل اذا دخلت
عليه فان نظر اليك نظر غضب فاعلم انه ملك فلا يهولنك منظره
فانا اعز منه وان رايته الرجل بشاشا لطيفا فاعلم انه نبي مرسل
ففهم قوله ورد الجواب فانطلق الرسول بالهدايا واقبل الهدهد

مسرعا الى سليمان فاخبره الخبر كله وامر سليمان الجن ان يجيزوا البنات
الذهب وبنات الغفنة فعملوا لهم ما اردوم الا يبسطوا منها موضع
الذي هو فيه الى تسعة فراسخ ميدانا واحدا لبنات الذهب والغفنة
وان يجعلوا حول الميادين حايطا سورا منها من الذهب والغفنة
ففعلوا لهم فقال اية الدواب احسن مما ترتم في البحر والبر قالوا
يا نبي الله انا رايناها في بحر كذا وكذا مختلفة مختلفة الوانها
لها اجنحة واعراف وذوايب قال علي بها الساعة فاتوا بها فقال
سدوها عن يمين الميدان وعن يساره على بنات الذهب والغفنة
والقوا لها علوفتها فيها ثم قال للجن علي باولادكم فاجتمع خلق كثير
فاقامهم عن يمين الميدان ويساره ثم قعد سليمان في مجلسه
على سريره ووضع له اربعة الاف كرسي على يمينه ومثلها على
يساره وامر الشياطين ان يصطفوا صفوفا فراسخ وامر الانس
فاصطفوا صفوفا فراسخ وامر الوحوش والسباع والهوام
والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه وعن يساره فلما دنا القوم
من الميدان ونظروا الى ملك سليمان وراوا الدواب التي
لم تر اعينهم مثلها تروت على لبن الذهب والغفنة فتاصرت
افخاذهم ورموا ما معهم من الهدايا وعمي بعض الرواياة ان
سليمان لما امر بفرش الميدان بلبنات الذهب والغفنة امرهم
ان يتركوا على طريقهم موضعا على قدر موضع اللبنات التي معهم
فلما راى الرسول موضع اللبنات خاليا وكل الارض معفرة وشاهد
خافوا ان يتهموا بذلك فنظروا ما معهم في ذلك الموضع فلم يروا شيا
الشياطين نظروا الى منظر مهيب فتزعوا فقال لهم الشياطين
هوروا فلا باس عليكم فكانوا يمرون على كردوس من الجن

والانس

والانس والطير والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدي سليمان فنظر
اليهم سليمان نظرا حسنا بوجه طلق وقال ما وراكم فاخبره الرسول
الخبر فاجاد له واعطاه كتاب الملكة فنظر فيه وقال اين الكتفة فاتي
بها فجزعها وجاء جبريل عليه السلام فاخبره بما في الكتفة فقال ان فيها
دابة نملية غير مشقوبة وجزعة معوجة الثقب فقال الرسول
صدقت فاثقب الدرة وادخل الخيط في الجزعة فقال سليمان من لي
بثقبها فسال فيها سليمان الانس ثم الجن فلم يكن عندهم علم بذلك
ثم سال الشياطين فقالوا ارسل الارضة في بيات الارضة فاخذت
شعرة من فيها فدخلت فيها حتى خرجت من الجانب الاخر فقال لها
سليمان سلي حاجتك قالت تقبر رزقي في الشجر فقال لك ذلك
ورد عليها حاجات دودة تكون في الصفصاف فقالت انا ادخل الخيط
في الثقب على ان يكون رزقي في الصفصاف فحمل لها ذلك فاخذ
الخيط فيها ودخلت الثقب وخرجت من الجانب الاخر ثم قال من
لهذه الجزعة بسلكها الخيط فقالت دودة بيضاء انا لها يا رسول
الله فاخذت الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من
الجانب الاخر فقال لها سليمان سلي حاجتك قالت تجعل رزقي في
العواكم قال لك ذلك ثم قسم بين الجواري والغلمان بان امر لهم
بان يغسلوا وجوههم وايديهم فجعلت الجارية تاخذ الماء من الاناية
باحد يديها ثم تجعله على اليد الاخرى ثم تقرب به الوجه والغلام
ياخذ من الاناية بضرب بها وجهه وكانت الجارية تصب الماء على
باطن ساعده والغلام على ظاهر الساعد وكانت الجارية
تصب الماء صبا وكان الغلام يحدر الماء على ساعده حدرا فمن يومئذ
بذلك ثم ارد سليمان الهدية كما قال تعالى فلما جاء ال الرسول

الذي بعثه والمراد به الجنس قال ابو حيان وهو يقع على الجمع والمفرد
والمذكر والمؤنث سليمان ورد فع اليه ذلك قال اي سليمان عليه السلام
للرسول ولمن في حضرته استفهام انكار لما دعوه اتمدونني اي اتنت
ومن بعدكم ومن ارسلكم بمال وانما نقصدني لكم لاجل الدين تحقيرا
لامر الدنيا واعلاما بانه لا التفات له نحوها بوجه ولا يرضيني
دون طاعة الله تعالى وقرا نافع وابو عمرو باثبات الياء وصلا
ووقفا وحمزة بادغام النون الاولى في الثانية والباقون باثبات الياء وصلا
ووقفا تسبب عن ذلك قوله استعظاما لما سمعوه فما اتاني الله
اي الملك الاعظم من الحكمة والنبوة والملك وهو الذي يغني مطيعه
عن كل شيء سواه فهما سأله اعطاه وقرا نافع وابو عمرو وحفص
اتمدونني بنونين خفيفة وثقيلة والباقون بنون واحدة مشددة
والكسائي بحذفها ووقف يعقوب بالفتح وبني اللفظيون خير اي افضل مما
اتاكم اي من الملك الذي لا دين ولا نبوة فيه بل انتم اي بجهلكم في الدين
بهديتكم اي باهدائها بعضكم اي ببعض تفرحون واما انا فلا افرح بها ولست
الدنيا من حاجتي لان الله تعالى قد مكنني فيها واعطاني منها ما لم
يعط احدا ومع ذلك اكرمني بالدين والنبوة ثم قال لتلميذه ابن عمرو
امير الوفد ارجع اي بهديتهم وهم في قوله اليهم اكراما لنفسه وصيانة
لاسمها عن التعرض بتغييرها وتغييمها لكل من يتهم بامرها ويطيعها
فلنأتينهم بجنود لا قبل اي لا طاقة لهم بها اي بمقاتلتها ولنخرجنهم منها
اي من ارضهم وبلادهم وهي سبأ منها اذلة وهم صاغرون اي
ذليلون لا يملكون شيئا من الممانعة فان قيل فلنأتينهم ولنخرجنهم
قسم فلا بد ان يتقدم اجب بانه معلق على شرط محذوف لعلمهم المعنى
اي ان لم يأتوني مسلمين قال وهب وغيره من اهل الكتب لما

رجعت

رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان قالت لهم فتعرفت والله
ما هذا بملك وما لنا به من طاقة فبعثت الى سليمان اني قادمة
عليك بملوك قومي ثم انظر ما امرك وما تدعوا اليه من دينك ثم امرت
بعرشها فجعلته داخل سبعة ابواب داخل قصرها وقصرها داخل سبعة
قصور واغلقت الابواب وجعلت عليها حراسا يحفظونه ثم قالت لمن
خلفت على سلطانها احتفظوا بما وكلتكم وسيري مسلكي لا يخلص اليه
احد حتى ايتيكم ثم امرت منادا ينادي في اهل مملكتها توذنهم بالرحيل
وتجهزت للمسير فارتحلت في اثني عشر الف قيل من ملوك اليمن
تحت يد كل قيل الوف كثيرة قال ابن عباس وكان سليمان رجلا مهيبا
لا يبتدئ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه فخرج يوما فجلس على
سرير ملكه فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس
وقد نزلت منا على مسيرة فرسخ فاقبل سليمان ح على جنوده بان
قال لهم يا ايها الملأ اي الاشراف اليكم وفي الهمزتين ما تقدم ايتوني
بعرشها قبل ان ياتوني مسلمين اي يوحدين وقال ابن عباس
طائعين واختلفوا في السبب الذي لاجله اراد سليمان احضار عرشها
فقال اكثرهم لان سليمان علم انها ان اسلمت حرم عليه مالها فاراد
ان ياخذ سريرها قبل ان يحرم عليه اخذه باسلامها وقيل ليريها
قدرة الله تعالى ببعض ما خصه من العجايب الدالة على عظم القدرة
وصدقه في دعوى النبوة في معجزة يأتي بها في عرشها وقال
قتادة لانه اعجبته صفته لما وصفه الهدهد فاحب ان يراه وقال
ابن زيد يريد ان يأمر بتنكيره وتغييره فيختبر بذلك عقلها قال
عفريت من الجن وهو الممارد القوي قال وهب اسمه كودي وقيل
ذكوان وقال ابن عباس العفريت الداهية وقال الضحاك هو الخبيث

وقال الربيع الغليظ وقال الفراء القوي الشديد قيل ان الشيطان اقوى
من العجن وان المردة اقوى من الشياطين وان العفريت اقوى منهما قال
بعض المفسرين العفريت من الرجال الخبيث المتكبر وقيل هو المحنك
العجين وكل مبتز لما جل يقال قد مد عنه مشتى طرفه انا اتيك به قرا
في الموضعين نافع بابدال الالف من الهاء وصلا ووقفا والباقون وصلا
لا ووقفا سمى الجني بسرعة اسراعه بقوله قبل ان تقوم من مقامك
اي الذي تجلس فيه للقضاء وقال ابن عباس كان له غداة كل مجلس
يقضي فيه للقضاء الى نصف النهار وهذا ادق الامور واكده بقوله واني
عليه اي على الاتيان به سالما لقوي اي على حمله لا يخطئ ما يجزي عنه
امين اي على ما فيه من الجواهر وغيرها فقال سليمان اريد اسرع من
ذلك قال الذي عنده علم من الكتاب المنزل وهو علم الوحي
والشرايع وقيل كتاب سليمان وقيل اللوح المحفوظ والذي عنده علم
الكتاب جبريل قاله البقاعي ولعله التوراة والزبور اله وفي ذلك
اشارة الى ان من خدم كتاب الله حق اكرمه كان الله معه كما ورد
في سر عنا كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي
يبطش بها ورجله التي يمشي عليها اي انه يفعل له ما يشاء واختلفوا
في تعيينه فقال اكثر المفسرين هو اصف بن برخيا كاتب سليمان
وقيل اسمه اسطوم وكان صديقا عالما يعلم اسم الله الاعظم الذي
اذا دعي به اجاب واذا سيل به اعطى وقيل ملك ايد الله تعالى
به سليمان وعن ابي لهيعة بلغني ان الخضر عليه السلام انا اتيك
به قرأ بين فضله على العفريت بقوله قبل ان يرتد اي يرجع اليك
طرفك اي بصرك اذا طرفت احداكما فارسلته الى منتهاه ثم رددته
فالطرف تحريك احداكما اذا نظرت فوضع في موضع النظر ولما كان

الناظر موصوفا بارسال الطرف من نحو قوله وكنت اذا ارسلت طرفك
رايد التقليك ومما تعتبك المناظر وصف برد الطرف ووصف
الطرف بالارتداد ردد اذا اصف قال سليمان مد عينيك حتى ينتهي
طرفك فمد سليمان عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فنظر الله الملائكة
فحملوا السرير من تحت الارض بجد وجد حتى خرقت الارض
بالسرير بين يدي سليمان وقال الكلبي حتى اصف ساجدا ودعى
باسم الله الاعظم فغار عرشها تحت الارض حتى نبع تحت كرسي سليمان
بقدرة الله تعالى وقيل كانت المسافة لشهرين وقال سعيد بن
جبير يعني من قبل ان يرجع اليك اقفي من ترى وهو ان يصل اليك
من كان منك على مد بصرك وقال قتادة قبل ان يأتيك الشخص
من مد البصر وقال مجاهد يعني اقامة النظر حتى يرد البصر خاسيا
قال الزمخشري ويجوز ان يكون هذا مثلا لاستقصار مدة الاتي به
كما تقول لصاحبك افعل ذلك في لحظة وفي رد طرف والتفت ترى
وما اشبه ذلك تريد السرعة الله واختلف في الدعا الذي دعا به
آصف فقال مجاهد وعطاء بياذي الجلال والاكرام وقال الكلبي
ياحي يا قيوم وروي ذلك عن عائشة وروي عن الزهري قال دعا
الذي عنده علم من الكتاب يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله
الا انت ايتني بعرش بلقيس وعن ابن عيسى الله والرحمن وقال محمد بن المنكدر
انما هو سليمان قال له عالم من بني اسرائيل اتاه الله تعالى علما وفهما
انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك قال سليمان هات قال انت النبي
ابن النبي وليس احد اوجه عند الله منك ان دعوت الله ودعوته اتيه
كان عندك فقال صدقت فافعل ذلك فجعل يأتي بالعرش في الوقت قال
الرازي وهذا القول اقرب واستدل لذلك بوجوه منها ان سليمان

كان اعرف بالكتابة من غيره لانه نبي فكان صرف اللفظ اليه اولي
ومنها ان احضار العرش في تلك الساعة اللطيفة درجة عالية فلو
حصلت للآصف دون سليمان لاقتضى ذلك تفوق رجال سليمان في
اعين الخلق ومنها انه قال هذا من فضل ربي فظاهره يقتضي ان
يكون ذلك المعجزة قد اظهره الله تعالي بدعاء سليمان فلما رآه اي راي
سليمان العرش مستقرا عنده اي حاصلا بين يديه قال شاكرا لربه
لما اتاه الله تعالي من هذه الكرامات هذا اي الاتيان المحقق من فضل
ربي اي المحسن الي لا بعمل استحق به شيئا فانه احسن الي باخراجي
من العدم وتطريقي للعمل فكل عمل نعمة منه يستوجب علي به
الشكر ولذلك قال ليبلوني اي ليختبرني اأشكر فاعترف بكونه تفضلا
ام اكفر بظن اني اوتيته باستحقاق تنبيه هاهنا هو ان معنوي ان
فانهما يسهل الهمزة الثانية وابن كثير وابو عمرو وهشام بخلاف
عنه وادخل بينهما الفا قالون وابو عمرو وهشام ولم يدخل
ورش وابن كثير وابو بكر الفا بينهما وقالون بالتحقيق
وعدم الادخال ثم زاد في حث نفسه علي الشكر بقوله ومن
يشكر اي اوقع الشكر لربه فانما يشكر لنفسه فان نفعه لها
وهو انما يستوجب تمام النعمة ودوامها لان الشكر قيد للنعمة
الموجودة وقيد النعمة المفقودة ومن كفر اي بالنعمة فان ربي اي
المحسن الي بتوفيقي لما انا فيه من الشكر غني عن شكره لا يضره
تركه شيئا كريم اي بادرار الانعام عليه فلا يقطعه عنه بسبب عدم
شكره ولما حصل العرش عنده قال عليه السلام نكروا اي غيروا
لها عرشها اي سروا بها الي حالة تنكره اذا رأته قال قتادة ومقاتل
هو ان يزاد فيه وينقص وروي انه جعل اعلاه اسفله واسفله

اعلاه

اعلاه وجعل مكان الجوهر الاحمر احمر ومكان الاحمر احمر اختبارا لعقلها
كما اختبرنا بالوصفاء والوصائف والدرة وغير ذلك واليه اشار بقوله
ننظر اتهتدي اي الي معرفته فيكون ذلك سببا لهدايتها في الدين
ام تكون من الذين شأنهم انهم لا يهتدون بل هم في غاية البعد
ولا يتجدد لهم اهتداء وقال وهب ومحمد بن كعب انما حمل سليمان علي
ذلك ان الشياطين خافت ان يتزوجها سليمان فتفشي له اسرار
الجن لان امها كانت جنية واذا ولدت له ولدا لا ينفكون عن سليمان
فيكونون في ذريته من بعده فاساءوا الثناء عليها ليزهد فيها
فقالوا ان في عقلها شيئا وان رجلها كحافر الحمار وانها شعراء الساقين
فاراد سليمان ان يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر الي قدميها ببناء
الصرح ثم اشار الي سرعة مجيئها اشارة الي حضوعها بالتعبير
بالفاء في قوله فلما جاءت وكانت قد وصفت عرشها في بيت خلف
سبعة ابواب وكلت به حراسا اشداء قيل لها وقد رأت عرشها
بعد تنكيره اهكذا عرشك اي امثل هذا عرشك قالت كانه هو قال
مقاتل عرفته ولكنها اشبهت علينا كما اشبهوا علينا وقال عكرمة
كانت حكيمة لم تقل لعمر حوفا من ان تكذب ولم تقل لا حوفا من
التكذيب فقالت كانه هو فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقر ولم
تنكر وقيل اشتبه عليها امر العرش لانها خلفته في بيت خلف
سبعة ابواب مغلقة والمفاتيح معها فقيل لها فانه عرشك فما اغني
عنك اغلاق الابواب وقوله تعالي واوتينا العلم من قبلها فيه
وجهان احدهما انه من كلام بلقيس فالضمير في قبلها راجع للمعجزة
والحالة الدال عليها السياق والمعني واوتينا العلم بنبوة سليمان
من قبل ظهور هذه المعجزة او من قبل هذه الحالة او ذلك لما رأت

قبل ذلك من امر الهدهد وذكر الهدية والرسل من قبلها من تمثل
الاية في العرش **وكنا مسلمين** اي منقادين طايعين لامر سليمان
والثاني انه من كلام سليمان واتباعه فالضمير في قبلها عايد علي بلقيس
فكان سليمان وقومه قالوا انها قد اصابت في جوابها وهي عاقلة
وقد رزقت الاسلام ثم عطفوا علي ذلك قوله تعالي واوتينا
العلم باسه وبقدرته علي ما سيأتي من قبل هذه المراة في مثل علمها
وعزضهم من ذلك شكر الله تعالي في ان خصهم بمزيد التقديم
في الاسلام قاله مجاهد وقيل معناه واوتينا العلم باسلامها
وبجيشها طالعية من قبل بجيشها وكنا مسلمين طايعين لله عز وجل
واختلف في فاعل قوله تعالي **وصدها ما كانت تعبد من دون**
الله علي ثلاثة اوجه احدها ضمير الباري تعالي والثاني ضمير سليمان
اي منعها ما كانت تعبد من دون الله وهو الشمس وعلي هذا
فكانت تعبد معطوف علي استقاط الخافض اي وصدها الله
تعالي او سليمان عما كانت تعبد من دون الله قاله الزمخشري
يجوز الله قال ابو حيان وفيه نظر من حيث ان حذف الجار مزوزة
كقوله تمرون الديار فلم تعوجوا وقد تقدم ايات كثيرة من هذا
النوع والثالث ان الفاعل هو ما كانت اي صدها ما كانت تعبد
عن الاسلام اي صدها عبادة الشمس عن التوحيد وقوله تعالي
انها كانت من قوم كافرين استيناف اخبر الله تعالي انها كانت من
قوم يعبدون الشمس فنشات بينهم ولم تعرف الا عبادة الشمس
ولما تم ذلك فكانه قيل هل كان بعد ذلك اختبار فقيل نعم **قيل**
لها اي قايل من جنود سليمان عليه السلام فلم يمكنها المخالفة **ادخلي**
الصرح وهو سطح من زجاج ابيض شفاف تحته ما جاري فيه

سمك

سمك اصطنعه سليمان لما قالت له الشياطين ان رجليها كحافر الحمار
وهو شعر الساقين فاراد ان ينظر الي ساقيها من غير ان يسالها
كشفها وقيل الصرح صحن الدار واجري تحته الماء والقي فيه كل شيء
من دواب البحر السمك والضفادع وغير ذلك ثم وضع سريره في صدره
وجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وقيل اتخذ صحنا
من قوارير وجعل تحتها تماثيل من الحيتان والضفادع فكان الواحد
اذا راه ظنه ماء **فلما راته حسبته لجة** وهي معظم الماء **وكشفت**
عن ساقيها لتخوضه فنظر الي سليمان فراها احسن الناس ساقا
وقدما الا انها كانت للشعر الساقين فلما راي سليمان ذلك صرف
نظره عنها وناداها بان **قال لها انه** اي هذا الذي ظننتيه ما
صرح ممرد اي ملس وسمي الامرد املاسة وجمس الشعر من اي كاين
من **قوارير** اي زجاج وليس بها بمزان سليمان دعاها الي الاسلام
وكانت قد رات حال العرش والصرح فاجابت بان **قالت رب** اي
ايها المحسن الي **اني ظلمت نفسي** اي بما كنت فيه من العمي بعبادة
غيرك عن عبادتك **واسلمت مع سليمان لله** اي منقادة له بالالوهية
والربوبية علي سبيل الوحدانية ثم رجعت اشارة للعجز عن معرفة
الذات حق المعرفة الي الافعال التي هي بحر المعرفة فقالت **رب**
اني ظلمت بعبادة الشمس اشارة الي الترقي من حضيض دركات
العمي الي اوج درجات الهدي وقيل انها لما بلغت الصرح وظنته
لجة قالت في نفسها ان سليمان يريد ان يغرقني وكان القتل
اهون من هذا فقولها ظلمت نفسي اي بذلك الظن واختلفوا
في امرها بعد اسلامها هل تزوجها سليمان فالذي عليه اكثر
المفسرين فيما راينا انه تزوج بها وكم مارايي من شعر

ساقتها فسال الانس ما يذهب هذا فقالوا الوحي فقالت المراة لا يمسني
حديدة قط فسال الجن فقالوا الشياطين فقالوا انا نحتال
لك حتى تكون كالنعمة فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمامات
من يومئذ فلما تزوجها سليمان اجمها حبا شديدا واقرها على ملكها
واسرا الجن فلم يبق لها بارض اليمن ثلاثة حصون لم يرد الناس مثلها
ارتفاعا وحسنا شيكين قال الطيبي موضعة باليمن وغمدان قال في
النهاية بهو بهم الجن وسكون الميم البناء المظلم ويبوث وكان يزورها
في الشهر مرة يقيم عندها ثلاثة ايام وولدت له وقيل انما اسلمت
قال لها سليمان اختاري رجلا من قومك ان لم يوافقك قالت وصلي
يا نبي الله بنكاح الرجال وقد كان لي في قومي من الملوك والسلطان
ما كان قال نعم الا لا يكون في الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك ان تتزوجي
ما احل الله فقالت ان كان ولا بد فزوجني ذا تبع ملك همدان فزوجها
بما ثم رد ها الى اليمن وسلطان وجهه ذا تبع على اليمن واقره وبعثه
امير جن اليمن ان يطيعه فتبنى له المصانع ولم يزل امرا حتى مات
سليمان فلما ان حال الحول وبينت الجن موت سليمان اقبل رجل منهم
فسلك ثمامة حتى اذا كان في جوف اليمن صرخ بأعلى صوته يا معشر
الجن ان الملك سليمان قد مات فارفعوا ايديكم وارفعوا ايديهم وتفرقوا
وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان ومثل ان
الملكة وهلك سليمان وهو ابن ثلاث وخمسين سنة فسبحان من يبيد ولا يبيد
وهو ابن ثلاث وخمسين سنة فسبحان من يبيد ولا يبيد ملكه وبقاؤه
وتم سبحانه وتعالى قصة سليمان وداود وعليهما السلام
ذكر قصة صالح عليه السلام وهي القصة الثالثة بقوله تعالى
ولقد ارسلنا اي بالنامن العظمة **الى ثمود اخاهم** اي من القبيلة

صالحا

اخاهم صالحا ثم ذكر المقصود من الرسالة بما لا اعدل منه ولا احسن بقوله
ان اعبدوا الله اي الملك الاعظم وحده ولا تشركوا به شيأ ثم تعجب منهم
باشارت اليه الفاء اذا المفاجاة من المبادرة الى الافتراق بما يدعوا
الى الاجتماع بقوله **فاذا هم** اي بمجرد **فريقان** وبين بقوله تعالى **يختصمون** انهما
فرقة افترقت بكفر وايمان لا فرقة ايمان فان هدي وعرفان تفرقي على
صالحا واتبعه وفريق استمر على شركه وكذبه وكل فريق يقول انا
على الحق وخصمي على الباطل ثم استطرد صالح عليه السلام على
المكذبين بان **قال** لهم **يا قوم لم تستعجلون** اي تطلبون العجلة بالاتيان
بالسيئة اي التي اساتم انابتة وهي العقوبة التي انذرتم بها من كفر **قبل**
الحسنة من الخيرات التي اسبزكم بها في الدنيا والاخرة اذا منتم
والاستعجال طلب الاتيان بالامر قبل الوقت المعروف واستعجالهم
لذلك الاصرار على سببه وقولهم استمرارا بانيا بما تقدما وكانوا يقولون
ان العقوبة التي تعدها صالح ان وقعت على زعمه بتنا حينئذ ونستغفر
فلم يقبل الله توبتنا ويدفع العذاب عنا فاطلعهم صالح عليه السلام
على حسب عقولهم واعتقادهم فقال **لولا** اي هلا ولم لا **تستغفرون**
الله اي تطلبون غفرانه قبل نزول العذاب فانه استعجال الخير اولي
من استعجال الشر **لعلكم ترحمون** تنبيها لهم على الخطا فيما قالوه فان
العذاب اذا نزل بهم لا تقبل توبتهم تنبيه وصف العذاب بانه سيئة
بحسب ما لا ان العقاب من لوازمه او لانه يسيئهم في كونه مكروها
واما وصف الرحمة بانها حسنة فقيل حقيقة وقيل بحسب اعتقادهم
فانهم حاجا عليه السلام لما قرر لهم هذا الكلام الحق اجابوه بكلام فاسد
بان **قالوا** فظاظة وغلظة **اطيرنا** اي تشاءمنا **بك وبمن معك** اي
وبمن آمن بك وذلك ان الله تعالى قد امسك عنهم المطر في ذلك الوقت

وقحطوا فقالوا لصالح ما هذا الضرر والشدة من شؤمك وشؤم اصحابك
قال الزمخشري كان الرجل يخرج مسافرا فيمر بطائر فيزجره فان مر
سانحا تيمن وان مر بارحا تشاءم قال الجوهري السانح ما ولاك ميامنه
من ظبي او طير او غيرهما وبرح الظبي برحا اذا ولاك مياسره فكرهت
من يمنا منكم اي يمنا سركم والعرب تستطير بالبارح وتتفاءل بالسانح
فلما تشبوا الخير والشر الي الطائر استعير لما كان بينهما وهو قدرة الله
تعالي وقسمته تنبيه اصل اطيرنا تطيرنا ادغمت التاء في الطاء واجتلبت
همزة وصل لهم اجابهم صالح عليه السلام بان قال لهم طائركم اي ما يسبكم
من خير وشر عند الله اي الملك الاعظم المحيط بكل شيء علما وقدرة وهو
قضاؤه وقدره وليس شيء منه ببعيد منه وسمي طائر السرعة نزوله
بالانسان فانه لا شيء اسرع من قضاء محتوم وقال ابن عباس الشؤم
اتاكم من عند الله تعالي بكفركم وقيل طائركم عملكم عند الله سمي
طائرا لسرعة صعوده الي السماء ومنه قوله تعالي وكل انسان الزمناه
طائره في عنقه بل انتم قوم تفتنون قال ابن عباس تختبرون
بالخير والشر كقوله تعالي ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال محمد
ابن كعب تعذبون وقيل تبتلكم الشيطان بوسوسته ليتم الطير
ولما اخبر تعالي عن عامة هذا الفريق بالشر اخبر عن شرهم بقوله
تعالي وكان في المدينة اي مدينة ثمود وهي الحجر تسعة رهط اي رجال وانما
جاز تمييز التسعة بالرهط لانه في معنى الجماعة فكانه قيل تسعة
النفس او رجال وقدرته والفرق بين الرهط والنفر ان الرهط من
الثلاثة الي العشرة او من السبعة الي العشرة والنفر من الثلاثة الي
التسعة واسماؤهم عند وهب المهذيل بن عبد ربه عنم بن غنم وذياب
ابن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة سبيط بن صدقة

سمعان

سمعان بن صفي وقدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا
عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم ورؤسائهم وقدار بن سالف وهو
الذي تولي عقر الناقة وقوله يفسدون في الارض اشارة الي عموم فسادهم
وقد رامه قوله ولا يصلحون يحتمل ان يكون مؤكدا للاول ويحتمل ان لا يكون
وهو الاولي لان بعض المفسدين قد يندر منه بعض الصلاح فينفي عنهم
ذلك فليس شأنهم الا الفساد المحض الذي لا يخالطه شيء من
الصلاح ولما اقتضي السياق السؤال عن بعض حالهم اجاب بقوله قالوا
تقاسموا اي قال بعضهم لبعض احلفوا بالله اي الملك العظيم لنبيتنه اي
صالحا واهله اي من آمن به لنملكن الجميع ليلا فان البيات اغتنم
العدو وليلا تنبيه محل تقاسموا اجزم علي الامر ويجوز ان يكون فعلا ماضيا
وحينئذ يجوز ان يكون مفسر القالوا كانه قيل ما قالوا فقيل تقاسموا ويجوز
ان يكون حالا علي اضمار قد اي قالوا ذلك متقاسمين والي هذا ذهب
الزمخشري ثم لنقولن اي بعد اهلاكه صالح ومن معه لوليه
المطالب بدمه ان بني منهم احدا شهدنا اي ما حضرنا مهلك اي اهلاك
اهله اي اهل ذلك الولي فضلا عن ان يكون باشرنا او اهل صالح
عليه السلام فضلا عن ان يكون شهدنا مهلكه او باشرنا قتله
والامر واضح اهلاكه وقرا حمزة والكسائي بعد اللام من لنبيتنه تاء
مفتوحة وبعد الباء المفتوحة تاء مفتوحة ثم قاف مضمومة وبعد اللام من لنقولن
تاء مفتوحة وضم اللام بعد اللام لواو والباقون بعد اللام
من لنقولن نون مفتوحة ونصب اللام من لنقولن وقرا عاصم
مهلك بفتح الميم والباقون بضمها وكسر اللام حفص وفتحها الباقون
ولما صمموا علي هذا الامر وطنوا انفسهم علي المبالغة في الحلف
بقولهم وانا لصادقون اي في قولنا ما شهدنا ذلك فان قيل كيف

يكونوا صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فانوا بالخبر على خلاف المخبر عنه
اجيب على التفسير الثاني بانهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا
اهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا مهلك اهله فذكروا
احدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين جميعا لا احدهما وفي هذا
دليل قاطع على ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع
ونواهيه ولا يحظر بالهم الا انهم تقدموا وقتل نبي الله ولم يرضوا
لانفسهم ان يكونوا كاذبين حتى سولت لهم انفسهم في حقهم حيلة
لا ينقصون فيها عن الكذب ولما كان منهم عمل من لم يقين ان الله
عالم به قال تعالى محذرا امثالهم عن امثال ذلك ومكروا ومكرنا
وهو ما اخفوه من تدبير هم القتل بصالح واهله ومكرنا مكرا اي
جزينا هم على مكرهم بتعجيل العقوبة وهم لا يشعرون اي لا يتجدد
لهم شعور بما قدرناه عليهم تشبيه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة
وقيل ان الله تعالى اخبر صالحا بمكرهم فاخذ رعيهم فذلك مكر الله
تعالى في حقهم فانظر كيف كان عاقبة مكرهم في ذلك انا دمرناهم
اهلكناهم وقومهم اجمعين روي انه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب
يصلي فيه فقالوا لئن رعم صالح انه يفرغ منا الى ثلاثة فنحن نفرغ منه
ومن اهله قبل الثلاثة فخرجوا الى الشعب وقالوا اذا جاء يصلي
قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله تعالى صخرة من اعلى
حيالهم فادركوا فطبقت الصخرة عليهم في الشعب فلم يدر قومهم
اين هم ولم يدروا ما فعل الله بقومهم وعذب الله تعالى كلا منهم في
مكانه بصيحة جبريل عليه السلام وروي الملائكة بالحجارة يرون ولا يرون
ولا يرونهم وقال ابن عباس ارسل الله تعالى الملائكة تلك الليلة
الى دار صالح فلم يبق في التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم

فرشتهم

فرشتهم الملائكة بالحجارة من حيث يردن الحجارة ولا يرون الملائكة تعالى
وقال مقاتل نزلوا في سفح الجبل ينتظر بعضهم بعضا فلما توادارها الصخرة
فجمعت عليهم الجبل فاهلكتهم واهلك الله تعالى قومهم بالصيحة فتلك بيوتهم
اي تؤود كلهم خاوية اي خالية من قولهم اخوى البطن اذا خلا او سا قطة
مهدمة من قولهم اخوى النجم اذا استطار شبه خاوية مغصوب على الحال
والعامل فيها معنى اسم الاشارة وقرا الكوفيون انا دمرناهم بفتح
الهمزة اما على حذف الجار اي لانا دمرناهم واما ان يكون خبر مبتدا
محذوف اي هي انا دمرناهم اي العاقبة تدميرنا اياهم وقيل عين ذلك
وقرا الباقون بكسر الهمزة على الاستيناف وهو تفسير للعاقبة وقراء
ورش وابو عمرو وحفص بيوتهم بضم الباء الموحدة وكسرها الباقون
ولما ذكر تعالى هلاكهم اتبعه سببه بقوله تعالى بما ظلموا اي بسبب
ظلمهم وهو عبادتهم من لا يستحق العبادة وتركهم من يستحقها ثم زاد
في التهويل بقوله تعالى ان في ذلك اي في هذا الامر الباهر للعقول الذي
فعل بثمود لاية اي عبرة عظيمة ولكنها لقوم يعلمون فدرتنا فيتعظون
واما من لا علم عنده فقد نادى على نفسه بالجهل في عداد البهائم
ولما ذكر تعالى الذين اهلكهم اتبعه بذكر الذين نجاهم فقال
وانجينا اي بعظمتنا وقدرتنا الذين امنوا وهو الفريق الذين كانوا مع
صالح كلهم وكانوا يتقون اي متصفين بالتقوى الصافا كانهم
يحولون عليه فيحملون بينهم وبين ما يسخط الله وقاية من الاعمال
القاحشة ولما ذكر تعالى قصة صالح عليه السلام اتبعها قصة لوط
عليه السلام وهي القصة الرابعة بقوله تعالى ولوطا وهو اما منصوب
عطفا على صالحا اي وارسلنا لوطا واما عطفا على الذين امنوا اي
وانجينا لوطا واما باذكر مضمرة ويبدل منه على هذا اذ اي حين

قال لقومه اي الذين كان سكن فيهم لما فارق عمه ابراهيم الخليل عليهما
السلام وصاهريهم وكانوا باتون لاحد لم ينكر موبخا اتاتون الفاحشة
اي المغلظة المتناهية في المحشى وانتم تبصرون من بعد القلب اي تعلمون
قبحها واقتراف القبائح من العالم بقبحها اتيح او يبصرها بعضكم من
بعض لانهم كانوا في ناديهم يرتكبونها معلنين لا يستتر بعضهم من بعض
قلة حياء وجاهة وانما كانت الفضيحة قال الزمخشري وكان ابليس
بخي على مذهبهم قوله ويح باسم جاباني وذريني من الكنى فلانا حتى
في اللذات من دوننا ستر وتبصرون اتان المعصاة قبلكم وما نزل
بهم فان قيل اذا فسر تبصرون بالعلم وبعده بل قوم تجهلون كيف
يكون تعليلا جملا اجيب بانهم يفعلون فعل الجاهلين بانها قاضية
مع علمهم بذلك او يجهلون العاقبة او ان المراد بالجهل السفاهة
والمجانة التي كانوا عليها ثم عين ما ابهمه بقوله اينكم لتاتون وقال
الرجال استئناف الي ان فعلتم هذه مما يعيي الوصف ولا يبلغ كنه
قبحها ولا يهتدي ذو العقل ان احدا يفعلها ثم علل ذلك بقوله
شهوة انزالا لهم الي رتبة البهائم التي ليس في همها نقد ولا ولد ولا
عفاف وقال من دون النساء استئناف الي انهم اسادوا من الطريقين في
الفعل والترك وقوله بل انتم قوم تجهلون وتقدم في جواب بقولون
تفسيره فان قيل تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغايب
فهلا طابقت الصفة الموصوف اجيب بانه قد اجتمعت الغيبة والمخاطبة
فغلبت المخاطبة لانها اقوى وارسخ اصلا من الغيبة وقرا ابن كثير
كيف وابو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية المكسورة لقالبا وحفص
وادخل بينهما قالون وابو عمرو والبزي وهشام بخلاف عنه وما بعد
جوابهم بني انهم اجابوا بما لا يصلح ان يكون لهم جوابا بقوله تعالى

فما

فما كان جواب قومه اي لهذا الكلام الحسن لما لم يكن لهم حجة ولا شبهة
في دفعه الا انه قالوا عدولا الى المغالبة وعنادا في الحق اخرجوا آل
لوط اي اهله وقالوا من قريتكم منا تعليلا باستكانة عندهم وعللوا ذلك
بقولهم انهم اناس يتطهرون اي يتنزهون عن القاذورات كلما فينكرون
هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم وعن ابن عباس تعوا سميتنا
اي قالوا انهم كابرهم ولما وصلوا في الحث الى هذا الحد سبب سبحانه وتعالى
عن قولهم وتكلم قوله تعالى فانجيناه واهله اي كلهم من ان يصلوا
اليهم باذي ويلحقهم من عذابنا الا امراته قدرناها اي قضينا عليها
وجعلناها بتقدير منا من الغابرين اي الباقين في العذاب وقرا شعبة
بتخفيف الدال والباقون بالتشديد وامطرنا اي بنينا عليهم مطرا المنذرين بانواع
العذاب مطرهم ولما اتم سبحانه وتعالى هذه القصة الدالة على كمال قدرته
وعظيم شانه وما خصه به رسله من الايات والانتقام من اعدائه
نبه صلى الله عليه وسلم ان يحمده على اهلاك الامم الخالية بقوله قل
يا افضل خلقي الحمد اي الوصف بالاحاطة بصفات الكمال لله على
هلاك هؤلاء البعد النعقا واذ ليس على من اصطفاه بالعصمة من
الفواحش والنجاة من المهالك بقوله تعالى وسلام على عباده
الذين اصطفى اي اصطفاهم واختلف فيهم فقال مقاتل هم الانبياء
والمرسلون بدليل قوله تعالى وسلام على المرسلين وقال ابن عباس
في رواية ابي مالك هم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم كل
المومنين من السابقين واللاحقين لتنبيه سلام مبتدا وسوغ الابتداء
به كونه دعاء ولما بين انه تعالى اهلكهم ولم تغن عنهم الهتهم شيئا قال تعالى
آلله اي الذي له الجلال والاكرام خير اي لعباده
الذين اصطفاهم واكرمهم ام ما يشركون اي الكفار من الالهة

خير لعبادها فانهم لا يقدرون منهم شيأ تشبيه في تحمل كل من العزا السبعة
في هاتان الهمزتين وجهان الاول تحقيق همزة الاستفهام وادخال
همزة الوصل الفاصل المد والثاني تحقيق همزة الاستفهام ايضا وتسهيل
همزة الوصل مع القصر وقرا ابو عمرو وعاصم سيشركون بالياء التحتية
بالغيبة حملا على ما قبله من قوله تعالى وامطرنا عليهم مطرا وما بعده
من قوله تعالى بل اكثرهم والباقون بالتاء الفوقية على الخطاب وهو
التفات للكفار بعد خطاب نبيه صلى الله عليه وسلم وهذا تبكيت
للمشركين بجهلهم لانهم اثروا عبادة الاصنام على عبادة الله تعالى
ولا يوثر عاقل شيأ على شيء الا لزيادة خير وسفاهة نعيل لهم هذا
الكلام تبشيعا لهم على غاية ضلالهم وجهلهم وتهكما بهم وتسفيها
لرايهم اذ من المعلوم انه لا خير في ما اشركوه راساحتي يوذنون
بينه وبين من هو مبتدا كل خير وردي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان اذا قرا ها قال بل الله خير وابقى والكرم لله الكريم ثم
عدد سبحانه وتعالى انواعا من الخيرات والمنافع التي هي آثار
رحمته وفضله الاول منها قوله تعالى ام من خلق السموات والارض
اي التي هي اصول الكائنات ومبادي المنافع فان قيل ما الفرق
بين ام وام في انا سيكون وام من خلق اجيب بان تلك منقطعة
لان المعنى ايها خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال الله
خير اما الالهة قال بل ام من خلق السموات والارض خير تقريرا لهم
بان من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء وانزل لكم
اي لاجلكم خاصة وانتم تكفرون به وتنسبون ما تتعذرون به من ذلك
لغيره من السماء ماء هو المطر كما الدائن للارحام فانبتنا به
حدائق جمع حديقة وهي البستان وقيل البقعة من الارض ذات

اما قال الراغب سميت بذلك تشبيها بحديقة الحيوان في الهيئة وحصول
اشجارها وقال غيره سميت بذلك باحداق الحيطان بها قال ابن عادل
وليس بشيء لانها تطلق على ذلك مع عدم احداق ذات بهجة اي
بما حسن ورونق وسرور على نفوس الناظرين اليها مع اختلاف
انواعها وتباين طعومها واشكالها ومقاديرها والواعها والحال
ان الانبات لم يتاته عن غيره بقوله تعالى ما كان اي ما صح ولا استقام بوجه
من الوجوه لكم وانتم احياء فضلا عن شركائكم الذين هم اموات بل
اموات ان تنشئوا شجرها اي شجر تلك الحدائق اله مع الله اعانه
على ذلك اي ليس معه آلهة بل هم اي في ادعائهم معه سبحانه شركاء قوم
يعدلون اي عن الحق الذي لا مرية فيه الى غيره وقيل يعدلون
من هذا الحق الظاهر ونظير هذه الاية قوله سورة الانعام الثاني
منها قوله تعالى ام من جعل الارض قرارا وهو بدل من ام من خلق
السموات وحكمها حكمه ومعنى قرارا لا تميد باهلها وكان القياس
ان يقتضي ان تكون ثابتة او مضطربة كما يضطرب ما هو حامل
في الهموب ولكن الله تعالى ابدا بعضها من اجلها بحيث تاتي استقرار
الانسان والدواب عليها وجعل خلالها اي وسطها انهارا
اي جارية على حالة واحدة فلو اضطربت الارض ادنى اضطراب
لتغيرت مجاري المياه ثم ذكر تعالى سبب القرار بقوله تعالى
وجعل لها رواسي اي جبالا ثابتة لها الارض على ميزان دبره بحكمته
في مواضع من ارجائها بحيث اعتدلت لتجميع جوانبها فامتنعت من
الاضطراب والمكان بعض مياه الارض عذبا وبعضه ملحا مع
القرب جدا بين تعالى ان احدهما لم يختلط بالاخر بقوله تعالى
وجعل بين البحرين اي العذب والملح حاجزا من قدرته يمنع

احد بما ان يختلط بالاخر **آلله مع الله** اي علما وقدرة معين له عليك
بل اكثرهم اي الذين يتغوثون بهذه الشوافع **لا يعلمون** يوحدونهم بل
يعبدونها لاعراضهم عن هذا الدليل الواضح تنبيه في قراءة آلله
مثل ابلكم الثالث منها قوله تعالى **ام من يجيب المضطر** اي المكروب
وهو الذي اوجه مرضا او فقرا او نازلة من نوازل الدهر الى اللجا
والتضرع الي الله تعالى **اذا دعاه** وقت اضطراره وعن ابن عباس
هو المحمود وعن السدي هو الذي لا حول له ولا قوة فان قيل هذا
يعم كل مضطر وكم مضطر يدعي فلا يجاب اجيب بان اللام فيه
للجنس لا للاستغراق فلا يلزم منه اجابة كل مضطر وقوله
تعالى **ويكشف السوء** كالتفسير للاستجابة اي انه لا يقدر احد على
كشف ما وقع له من فقر الي غني ومرض الي صحة الا القادر
الذي لا يعجزه شيء والقاهر الذي لا ينازع ولا اضافة في قوله
تعالى **ويجعلكم خلفاء الارض** يعني في اي يخلف بعضكم بعضا
لا يزال يجدد ذلك بالهلاك والنشاء خلفا بعد خلف الي قيام الساعة
آلله مع الله اي الملك الذي لا كفوله لم استانف التشكيك تقليما
له وتوبيخا به بقوله تعالى **قليلا ما تذكرون** اي تتعظون وتتنبهون
ابو عمرو وهشام بالياء التحتية على الغيبة والباقون بالخطاب
وفيه ادغام التاء الثانية في الذال وما زائدة لتقليل القليل الرابع
منها قوله تعالى **ام من يهديكم** اي يرشدكم الي مقاصدكم **في ظلمات**
البر اي بالنجوم والاجبال والرياح **والبحر** بالنجوم والرياح **ومن يرسل**
الرياح اي التي هي دلايل السير **نشرا** اي تنشر السحاب وتجمعها
بين يدي رحمته اي التي هي في المطر تسمية للمسبب باسم السبب
والرياح التي يهتدي بها في المقاصد اربع التي من تجاه الكعبة

العبا ومن ورائها الدبور ومن جهة يمينها الجنوب ومن شمالها الشمال
ولكل منها طبع فالصبا حارة يابسة والدبور باردة رطبة والجنوب
حارة رطبة والشمال باردة يابسة وهي ريح الكعبة التي تترب علي
اعلاها جعلنا الله وسائر المسلمين منها واصحابها ومن انتفع بثنائي من
هذا التفسير ودعا لنا بالمغفرة منهم وقرا حمزة والكسائي وابن
كثير بالافراد والباقون بالجمع وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو ونشرا
بضم النون والشين وابن عامر بضم النون وسكون الشين وحمزة
والكسائي بفتح النون وسكون الشين ولما انكشف بما مضى من الايات
ما كان في ظلام من وابي الشبهات وانفتحت الادلة ولم يبق لاحد
في شيء من ذلك علة كرر سبحانه وتعالى الانكار في قوله تعالى **آلله مع**
الله اي الذي كمل علمه **تعالى الله** اي الفاعل القادر المختار **عما**
يشركون به غيره وابن رتبة العجز من رتبة القدرة لخامس ممن
قوله تعالى **ام من يبدؤا الخلق** اي كلهم في الارحام من نطفة ما علمتم
منهم ومما لم تعلموا **ثم يعيده** اي بعد الموت لان الاعادة اهون عليه
فان تقول كيف لهم ثم يعيده ولم يعترفوا بالاعادة اجيب بانهم كانوا
معترفين بالابتداء دلالة على الاعادة ظاهرة قوية لان
الاعادة اهون من الابتداء فلما كان الكلام معترفا بالدلالة
الظاهرة صاروا كانهم لا عذر لهم في الانكار على الاعادة لقيام
البراهين عليها ولما كانت الامطار والنبات من ادل ما يكون على
الاعادة قال مشيرا اليها على وجه عم جميع ما مضى **ومن يرزقكم من**
السماء اي بالمطر والحر والبرد وغيرها مما لا سبب في التكوين
والارض اي بالنبات والمعادن والحيوان وغيرها
مما لا يعلمه الا الله تعالى وعبر عنها بالرزق لان به تمام النعمة **آلله**

مع الله اي الذي له صفات الجلال والاكرام ولما كانت الادلة كلها براهين ساطعة
ودلايل قاطعة امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم اعراضا عنهم
بقوله تعالى قل اي لهم تبكيتا للمدعين للعقول هاتوا برهانكم اي حجتكم على نفي
شيء من ذلك عن الله تعالى او على اثبات شيء منه لغيره ان كنتم صادقين
اي في انكم على حق في ان مع الله تعالى غيره واضاف تعالى البرهان اليهم
تهكما بهم وتنبيها على انهم البعداء في الضلال واعرق في المحال
ثم انهم سألوه عن وقت قيام الساعة فنزل قل اي لهم لا يعلم من في
السموات والارض من الملائكة والناس الغيب اي ما غاب عنهم
وقوله تعالى الا الله استثناء منقطع اي لكن الله يعلمه ولما كان الله
الله تعالى منزها عن ان يجري عليه مكان جعل الاستثناء هذا منقطعا
فان قيل من حق المنقطع النصب اجيب بانه رفع بدلا على لغة بني
تميم يتبعون ما في الدار الا الحمار يريدون ما فيها الا الحمار كما ذا احدا
لم يذكر وسئل قولهم ما اتاني زيد الا عمرو وما عاشى اخوانكم اي
الا اخوانكم فان قيل ما الداعي الى المذهب التميمي على الحجازي اجيب بانه
وقعت النبوة حاجة شرعية حيث اخرج المستثنى بحرف قوله الا المجاوز بعد
قوله ليس بما ايس الا المجاوز لا العيس ليؤول المعنى الى قولك
اذا كان الله ممن في السموات والارض فهم يعلمون الغيب بمعنى ان علمهم
الغيب في استحالته كاستحالة ان يكون الله منهم كما ان معنى ما في البيت
اذا كانت المجاوز ليس فيهما ايس بقي الخلو عنها عن الايس ويصح كونه
منقطعا والطريقة في حقه تعالى مجاز بالنسبة الى علمه وان كان فيه
جمع بين الحقيقة والمجاز كما قال به امامنا الشافعي رضي الله تعالى
عنه وان منعه بعضهم ومن ذلك قول المتكلمين الله تعالى في كل مكان
على معنى ان علمه في كل الاماكن كلها فكان ذاته فيها وعلى هذا فيرتفع

على

على البدل والصفة والرفع اقوى من النصب لانه منفي وعن عائشة رضي
الله تعالى عنها من زعم انه يعلم ما في غد فقد اعظم على الله الفرية والله
تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم
اخفى عنه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا البتة يا من احد من عبيده علم
وقوله تعالى وما يشعرون صفة للجعل السموات والارض نفي ان يكون لهم
علم بالغيب وان اجتهدوا وتعاونوا ايان اي اي وقت يبعثون اي يبعثهم
وقوله تعالى بل بمعنى هل ادرك اي بلغ وتناهى علمهم في الاخرة اي بما
حتى يسألوا عن وقت مجيئها ليس الامر كذلك بل هم في شك اي ريب منها لكن
تحير في الامر لا يجد عليه دليلا بل هم منها عمون لا يدركون دليلها الا خلا
بصير تهم وهذا وان اختص بالمشركين ممن في السموات والارض ينسب
الى جميعهم كما يسند فعل البعض الى الكل فان قيل هذه الاخبارات
والدلالة ما معناها اجيب بانها لتنزيل احوالهم وصفتهم او لانهم
لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيمة كائنة ثم بانهم
يتخبطون في شك ومرية فلانهم يلوذون والآلة مستطاعة ثم بما هو
اسوأ حالا وهو العمى وان يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه
وفرجه لا يختبر بالحق ولا بالباطل ولا يفكر في عاقبته وقد
جعل الاخرة مبدأ امرهم ومنشأه فلذلك عداه بمن دون عن لان
الكفر بالعاقبة واجزائها هو الذي جعلهم كالبهائم لا تدبر ولا
تبصر وقد الاخبارات الثلاث ووصفهم باستحكام علمهم في امر
الاخرة تهكما وقرأ ابو عمرو وابن كثير ستعلم بهمزة مفتوحة وسكون
اللام قبلها وسكون الدال بعدها والباقون بكسر اللام واستعاضوا
الهمزة بعدها وتشديد الدال وبعدها الف بمعنى تتابع حتى استحكم
وتتابع حتى انقطع من تدارك بهم فلان اذا تتابعوا في الهلاك

وقوله تعالى وقال الذين كفروا ايذا كنا ترابا وابآؤنا اينا اي نحن وابآؤنا الذين طال العهد بهم نخرجون كالبيات لجدهم والعامل فاذا محذوف تقديره اذا كنا ترابا وابآؤنا نخرج او نبعث ونخرج للاتيان بدل اذا العامل في المعمول فيه عقيبات وهي همزة الاستفهام وانا ولام الابتداء واحدة منها كافية فكيف اذا اجتمعت والمراد الاخراج من الارض او من حال الفناء التي حال الحياة وتكرير حرف الاستفهام بادخاله على اذا وان تجريدها انكار على انكار وجحود عقب جحود ودليل على كفر موكد مبالغ فيه والعامل في اينا لهم ولابآئهم لانذكونهم ترابا قد تناولهم وابآئهم تنبيه ابآؤنا عطف على اسم كان وقام الفصل بالخبر مقام الفصل بالتوكيد وقرأ نافع بالخبر في اذا وبالاستفهام في اينا وابن عامر والكسائي بالاستفهام في الاول والخبر في الثاني وزاد قنبل نونا ثانية وباقي القرا بالاستفهام في الاول والثاني وهم على مذهبهم من التسهيل والتخفيف والمد والقصر فمذهب قالون وابي عمرو التسهيل في الهمزة الثانية وادخال الف بينها وبين همزة الاستفهام ومذهب ورش وابن كثير التسهيل وعدم الادخال ومذهب هشام الادخال وعدم مع التحقيق ومذهب الباقين التحقيق وعدم الادخال ثم اقام الكفار الدليل في زعمهم على ذلك فقالوا تعليلا لاستبعادهم لقد وعدنا هذا اي الاخراج من القبور كما كنا ارد مرة نحن وابآؤنا من قبل اي قبل محمد فلم نر احدا من الموتى عاد بعد الموت ولم يقع منه شيء فذلك دليل على ان لا حقيقة له فكانه قيل لهم فما فائدة المراد به فقالوا ان اي ما هذا الا اساطير الاولين اي احاديثهم واكاذيبهم التي كتبوها والحقيقة لها تنبيه اساطير الاولين جمع اسطورة بالضم ايضا سطر من الكذب فان

قيل

مثل لم تقدم في هذه الاية هذا على نحن وابآؤنا وفي اية اخرى قدم نحن وابآؤنا على هذا اجيب بان التقديم دليل على ان المقدم هو المقصود في الذكر وان الكلام انما سيق لاجله ففي احدى الايتين دليل على ايجاد البعث هو الذي تعهد بالكلام وفي الاخرى على ان ايجاد المبعوث بذلك العدد ثم امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يرشدهم بما في صورة التهديد بقوله تعالى قل سيروا في الارض اي ايها العمي الجاهلون فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين بالكفر بهم وبهلاكهم بالعذاب فانكم ان نظرتم وتاملتم اخبارهم حق التامل اسرع بكم ذلك الى التصديق فتنجوا والا هلكتم كما هلكوا واراد بالمجرمين الكافرين فان قيل فلم لم يقل عاقبة الكافرين اجيب بان هذا يحمل به التحقير لكل المعاصي ثم ان الله تعالى صبر نبيه صلى الله عليه وسلم على ما نالهم من جلافتهم فنهى عما هم عن السبيل الذي هدى اليه الدليل بقوله تعالى ولا تحزن عليهم اي في عدم ايمانهم فما عليك الا البلاغ ولا تكن في ضيق مما يمكرون اي لا تهتم بمكرهم عليك فانا ناصرك عليهم وجاعل تدميرهم في تدبيرهم كطغاة قوم صالح تنبيه الضيق الحرج يقال ضاق الشيء ضيقا وضيقا بالفتح والكسر وقد اقرا ابن كثير بكسر الضاد والباقون بالفتح ولما اشار تعالى الى انهم لم يبقوا في المبالغة في التكذيب بالساعة وجحدها اشار تعالى الى انهم بالوعيد بالساعة وغيرها من عذاب الدنيا مبالغة بقوله تعالى ويقولون بالمضارع الموذن بالتجدد كلما حين للاستمرار متى هذا الوعد اي العذاب والبعث والمجازاة الموعود بها وسموه وعدا اظهارا للجبيئة تمسكا بان كتم اي انت ومن معك صادقين فيه ثم امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم ان يجيبهم بقوله تعالى قل لهم عسى ان

يكون ردف لكم اي تبعكم وردفكم ولحقكم فاللام مزيدة على هذا للتاكيد
كالباء في قوله ولا تلقوا بايديكم ويصح ان يضمن ردف معنى فعل يتعدى
باللام نحو دنا وقرب واردف وبهذا فسره ابن عباس وقد عدي
بمن في قول القايل فلما ردفنا من عمير وصحبه نزلوا سراعا والجنبة
تعدق يعني دنى ناس من عمير بعض الذي تستعجلون اي فحصل لهم
القتل ببدر وباقي العذاب ياتي بعد الموت تنبيه عسى ولعل وسوف
في مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقونها اظهارا لوقارهم واتقارا
بان الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله ووعيده
ولما كان التقدير فان ربك لا يعجل على هذا العاصي بالانتقام
مع تمام قدرته عطف عليه وان ربك اي المحسن اليك بالحلم على اشكر
لذو فضل اي تفضل وانعام على الناس اي كافة ولكن اكثرهم
لا يشكرون اي لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه بل يستعجلون
بجهلهم العذاب قال ابن عادل وهذه الاية تبطل قول من قال
لا نعمة لله على الكفار وان ربك اي والحال انه ليعلم ما تكن اي تضمر
وتسر وتخفي صدورهم اي الناس كلهم فضلا عن قومك وما يعلنون
اي يظهرون من عداوتك وعبر بهما فيجازيهم على ذلك وما من غايبة
في السماء والارض اي في اي موضع كان منهما وافرد بما دلالة على
ارادة الجنس الشامل لكل فرد تنبيه في هذا التاكيد لما
لغة كرواية وعلامة وقولهم ويل للشاعر من رواية السوء
كما قاله تعالى قال وما من شيء شديد الغيبوبة ويخفا الا وقد علمه الله
تعالى والثاني انها كالتاء الداخلة على اعداد بعض الغايبة والغائبة
قال الزمخشري ونظيرها الذبيحة والنطيحة والرمية في انها اسما
عن صفات الا في كتاب هو اللوح المحفوظ كتب فيه ذلك قبل ايجاده

لا يكون شيء الا بعلمه وتقديره مبين اي ظاهر لمن ينظر فيه من الملائكة
ولما تم تعالى الكلام في اثبات المبدا والمعاد ذكر بعده ما يتعلق
بالنبوة بقوله تعالى ان هذا القران اي الاتي به هذا النبي الامي
الذي لم يعرف قبله علما ولا خالط عالما يقص على بني اسرائيل
اي الموجودين في زمان نبينا صلى الله عليه وسلم اكثر الذي هم فيه
يختلفون اي من امر الدين وان بالغوا في كتمه كقصة الزاني المحصن
في اختلافهم انحد هم الرجم وقصة عزير والمسيح واخراج النبي صلى
الله عليه وسلم ذلك ممن في توراتهم فضح حقيقته على لسان من
لم يعلم قط نبوته صلى الله عليه وسلم لان ذلك لا يكون الا من
عند الله ثم وصف تعالى بفضل هذا القران بقوله تعالى وانه لهدى اي
من الضلالة لما فيه من الدلالة على التوحيد والحث على الحشر والنشر
والنبوة وشرح صفات الله تعالى ورحمة اي نعمة واكراما للمؤمنين
اي الذين طبعهم على الايمان فهو صفة له راسخة كما انه للكافرين
وقرب اذ انهم وعمي في قلوبهم ولما ذكر تعالى دليل فضله اتبعه
دليل عدله بقوله تعالى ان ربك اي المحسن اليك بما لم يعمل البشر
يقضي بينهم اي بين جميع المختلفين بحكمه اي الذي هو اعدل الحكم
واتقنه والقضاء والحكم شيء واحد لقوله تعالى
يقضي بحق اي بما يحكم به وهو عدله لا يقضي الا بالعدل فسمي المحكوم
به حكما اراد بحكمته وهو اي والحال انه هو العزيز فلا يرد له امر العليم
فلا يخفى عليه سر ولا جهر ولما ثبت له تعالى العلم والحكمة والعظمة
والقدرة تسبب عن ذلك قوله تعالى فتوكل على الله اي ثق
به لتدع الامور كلها اليه وتستريح من تحمل المشاق وثوقا بانهم
ثم علل ذلك بقوله تعالى انك على الحق المبين اي البين في نفسه

الموفق لغيره وصاحب الخير حقيق بالوثوق بحفظ الله ونصره وقوله تعالى
انك لا تسمع الموتى تعليل اخر للامر بالتوكل من حيث انه يقطع
طمعه من معاضدتهم وانما شبههم بالموتى لعدم انتفاعهم لا سماع ما
يتلى عليهم كما شبههم بالصم في قوله تعالى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا
مدبرين اي معرضين فان قيل ما معنى قوله تعالى ولو امدبرين
اجيب بانه تاكيد لحال الاصم لانه اذا اشتد عدم سماعه عن حال الداعي بادنى
عنه مد برا كان البعد عن ادراك صوته وقرا ابن كثير ولا تسمع بالياء
التحتية المفتوحة وفتح الميم برفع الميم والباقون بالتاء الفوقية
مضمومة وكسر الميم الصم بالنصب وسهل نافع وابن كثير وابو عمرو
الهمزة الثانية من ادعاء اذن كالياء مع تحقيق الاولى والباقون
بتحقيقهما وهم على مراتبهم في المد ثم قطع طمعه عن اتيانهم بقوله
تعالى وما انت بهادي العمي اي في ابصارهم وبصائرهم من ضلالتهم
وتاقلا ومبعدا عن ضلالتهم اي عن الطريق بحيث تحفظهم عن
التبلوا عنها اصلا فان هذا لا يقدر عليه الا الحي القيوم وقراء
ن
حمزة ممتدي بتا فوقية وسكون الهاء والعمي بنصب الياء والباقون
بالباء الموحدة مكسورة وفتح الهاء بعدها الف والعمي بكسر الياء
ولما كان هذا ربما اوقف عن دعائهم رجاء ان في اقتيادهم واد
عن
بقوله تعالى ان اي ما تسمع اي سماع انتفاع على وجه الكمال في
كل حال الا من يؤمن اي من علمنا انه يصدق بآياتنا بان جعلنا فيه قابلية
السمع ثم تسبب عنه قوله دليلا على ايمانه فهم مسلمون اي مخلصون
في غاية الطاعية لك كما في قوله تعالى بل هو اسلم وجهه لله يعني
جبلة سالما خالصا ثم ذكر تعالى ما يوعدون مما تقدم استعجالهم
له استئنافا بقوله تعالى واذا وقع القول عليهم اي مضمون القول

ونحو

وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله اطلق
المصدر على المفعول اي المقول اخرجنا لهم من الغيظة لهم حين مشارفة
العذاب والساعة وظهور اشراطها حين لا تنفع التوبة دابة من
الارض وهي اكبساسة قال في الكشاف ان طولها ستون ذراعا لا يدركها
طالب ولا يفوتها هارب ويقال ان لها اربع قوائم وريشا وهو شعر
اصفر عارية الفرخ وريشا وجناحين وعن ابن جريج في وصفها
فقال راسها راس الثور وعينها عين الخنزير واذنها اذن فيل وقرنها
قرن ايل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر اسد ولونها لون نمر
وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وجفها جف بعير وما بين
المفصلين اثني عشر ذراعا بعاب ذراع آدم عليه السلام وروي انها
لا تخرج الا راسها وراسها يبلغ عنان السماء ويبلغ السحاب وعن
ابي هريرة تنتهي من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن اكثم
ابن صيفي تخرج الدابة ثلاثة ايام وعن علي رضي الله عنه انما تخرج
ثلاثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج الا ثلثها وروي ان صلى
الله عليه وسلم سئل من اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد
حرمة واكرمها على الله فما يعولهم الا حرفها من بين الركن حذا
دار بني مخزوم عن يمين الخارج من المسجد فتقوم بهم بوذ وفوم
يقودن نقاقة وتسيل تخرج من الصفا وبما كانت التعبير بالدابة بينهم
انها كالحيوان العجم لا كلام لها قال تكلمهم اي بالعربية كما قاله
قتادة بكلام يفهمونه بلسان طلق ذلق فتقول ان الناس كانوا
بآياتنا لا يوقنون اي ان الناس كانوا لا يوقنون بخروجي لانه
خروجها من الآيات وتقوله اللهم لعنة الله على الظالمين وعن
السدي تكلمهم ببطلان الاديان كلها سوى دين الاسلام وعن

ابن عمر تستقبل المغرب فتخرج حرجة تنفخه ثم تستقبل المشرق فتمر ثم
الشام ثم اليمن تفعل مثل ذلك ورويدا تخرج من اجياد ورويدا بينا
عيسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه الملوك اذ تضطرب الارض
تحتهم تحرك العنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة
من الصفا ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتضرب المومن في مسجره
او فيما بين عينيه بعصى موسى فتنكت نكتة بيضا فتفشو تلك
النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه او تترك وجهه كانه كوكب دري
وتكتب بين عينيه مومن وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فتفشو
النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينيه كافر رويدا فتخلوا
وجه المومن بالعصا وتخطم انف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان
انت من اهل الجنة ويا فلان انت من اهل النار وعن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بالاعما
ل
ستا طلوع الشمس من مغربها والدجال والدخان والدابة وخاصة
احدكم وامر العامة وقال صلى الله عليه وسلم ان اول الايات خروجا
طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وايتهما
كانت قبل صاحبتها فالاخرى على اثرها وقال صلى الله عليه وسلم
للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجا بادقي اليمن
فيفشو ذكرها في البادية ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم
تكمن زمانا طويلا ثم تخرج خرجة اخرى قريبا من مكة فيفشو ذكرها
بالبادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم بينا الناس يوما
في اعظم المساجد على الله حرمة واكرمها على الله عز وجل يعني
المسجد الحرام لم يرعهم الا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو اقال
الراوي ما بين الركن الاسود الى باب بني مخزوم عن يمين الخارج

في

في وسط من ذلك فارتفض الناس عنها وثبت لها عصابة عرفوا انهم لم
يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض راسها من التراب فمرت فجعلت عن
وجوههم حتى تركتها كالمها الكواكب الدرية ثم ولت في الارض لا يدركها
طالب ولا يعجزها هارب حتى ان الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة
فتاتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلي فيقبل عليها بوجهه فتسمه
في وجهه فيتجاور الناس في ديارهم ويصطحبون في اسفارهم
ويشتركون في الاموال ويعرف الكافر من المومن فيقال للمومن يا مومن
وللكافر يا كافر وعن علي رضي الله تعالى عنه انه قال ليس
بدابة لها ذنب ولكن بها لحية سئير الي انها رجل والاكثر على انها دابة
وعن ابن عباس انه مرتع الصفا بعصاه وهو محرم وقال ان الدابة
تسمع مرتع عصاي هذه وعن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم قال يبين الشعب شعب جياد مرتين
او ثلاثا قيل وما ذاك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فتفرح
ثلاث فرجات فتسيح ما بين اخافقين وقال وهب وجهها وجه
الرجل وسائر خلقها خلق الطير فتخبر من راها ان اهل مكة كانوا
بمحمد والقران لا بموثون وقرا الكوفيون بفتح الهمزة من ان على
تقدير لبا ان بان الناس والباقون بكسرها على الاستيناف ويوم
نحشر اي الناس على وجه الاكراه قال ابو حيان الحشر يجمع على عنف
من كل امة اي فوجا فوجا اي جماعة من يكذب بايانا اي بدلائلنا
المنصوبة لهم يوزعون اي يحبسون يرد اخرهم الى اولهم وكاظر انهم
على اوساطهم ليلا يشذ منهم احد ولا يزالون كذلك
حتى اذا جاءوا اي مكان الحساب قال اي الله تعالى لهم اكذبتم
بايايتي التي جاءتكم رسلي بها واحاطتم بها اي من جهة تكذيبكم علما

حالا قلت هو مراعي من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف
لان المعنى متصرا ليتبصروا فيه طرق التقلب في الممكنات واجاب
عنه بان السكون في الليل هو المقصود والاته وسيلة الي جلب
المنافع الدينية والدنيوية ان في ذلك اي في هذا المذكور لايات اي
دلالات مبينة علي التوحيد والبعث والنبوة وغير ذلك وخص
المومنين بقوله تعالي لقوم يسمعون لانهم المنتفعون به وان كانت
الادلة للكل كقوله تعالي هدي للمتقين ولما ذكر تعالي حال الحشر
الخاص والدليل علي مطلق الحشر ذكر الحشر العام بقوله تعالي
ويوم ينفخ اي بها يسرافيل في الصور اي القرن ينفخ فيه اسرافيل ففزع
اي فصعق كما قال تعالي في اية اخري فصعق من في السموات ومن
في الارض اي كلهم فماتوا والمعني انه يلقي عليهم الفزع الي ان يموتوا
وقيل ينفخ اسرافيل في الصور ثلاث نفخات نفخة الفزع ونفخة
الصعق ونفخة القيام لرب العالمين فان قيل لم قال تعالي ففزع
ولم يقل فيفزع اجيب بان في ذلك نكتة وهي الاشعار بتحقق
الفزع وثبوته وانه كائن لا محالة واقع علي اهل السموات والارض
لان الفعل الماضي يدل علي وجود الفعل وكونه معلوما به والمراد
فزعهم عند النفخة الاولي حين يبعثون الا من شاء الله اي
المحيط علما وقدرة وعزة وعظمة اذ لا يفزع روي انه صلي الله عليه
وسلم سال جبريل عنهم فقال هم الشهداء يقلدون اسيافهم حول العرش
وعن ابن عباس هم الشهداء لانهم احياء عند ربهم لا يصل الفزع اليهم
وعن مقاتل هم جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت وقيل
اذ استثنى يقول لملك الموت خذ نفس اسرافيل ثم يقول تعالي من
بقي يا ملك الموت فيقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت بقي جبريل

اي من غير فكر ولا نظر يودي الي الاحاطة بما في معانيها وما اظهرت
لاجله حتي يعلموا ما تشتمل عليه وما يليق بها من دليل لامرية فيه وام في
قوله تعالي ام ماذا استفهامية وتقدم حكمها وماذا يحوز ان تكون
برمتها استفهاما مامنصوبا بتعملون الواقع خبرا عن كنتم وان تكون ما
استفهامية مبتدا وذا موصول خبره والصلة كنتم تعملون وعايده
محذوف اي اي شيء الذي كنتم تعملونه ووقع القول اي وجب العذاب
الموعود عليهم بما ظلموا اي بسبب ما وقع منهم من الظلم من صريح
التكذيب وما ينشا عنه من العضال التي لا تزال والافعال فهم لا ينطقون
قال قتادة كيف ينطقون ولا حجة لهم تنظر قوله تعالي هذا يوم
لا ينطقون ولا يوذن لهم فيعتذرون وقيل لا ينطقون لان
افواههم مختومة ثم ان الله تعالي لما حوي بهم باحوال القيمة ذكر كلاما
يصلح ان يكون دليلا علي التوحيد والحشر وعلي النبوة بالقدر
في الارشاد الي الايمان والمنع من الكفر فقال الم يروا مما
يدلهم علي قدرتنا علي بعثهم بعد الموت وعلي كل ما اخبرناهم به
انا جعلنا اي بعظمتنا الدالة علي نفوذ فعلنا بالاختيار الليل
اي مظلما ليسكنوا فيه عن الانتشار والنهار مبصرا اي يبصر فيه ليتصرفوا
فيه ويبتغوا من فضله استرجاع ما من الاول ما ينبئ نظيره في
الثاني اي ومن الثاني ما ينبئ نظيره في الاول اذ التقدير جعلنا
الليل مظلما كما مر لتسكنوا فيه والنهار مبصرا لتبتغوا فيه كما مر
فحذف مظلما لدلالة مبصرا ولتبتغوا لدلالة لتسكنوا فيه وقوله
تعالي مبصرا كقوله تعالي اية النهار مبصرة وتقدم الكلام علي
ذلك في الاسراء قال الزمخشري فان قيل ما للمقابل لم يرجع
في قوله تعالي لتسكنوا ومبصرا حيث كان احدهما علة والاخر

وملك الموت فقال مت يا ملك الموت فيموت فيقول يا جبريل من بقي
فيقول تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام ويهلك الباقي الدائم
وجبريل الميت الثاني قال يا جبريل لابد من موتك فيقوم ساجدا يخفق
بجناحيه فيرى ان فضل خلقه على فضل ميكائيل كالعرش العظيم
ويرى ان يبقى مع هؤلاء الاربعة حملة العرش ثم روح اسرافيل
ثم روح ملك الموت وعن الضحاك ثم رضوان والزبانية ومالك
والزبانية وقيل عذاب النار وحياتها وكل اي من نفخ ومن لم يفزع
اتوه اي بعد ذلك للحساب نفخة اخرى يقيمهم بها وفي ذلك دليل
على قدرته تعالى ان كونهم قائمين بها امامهم داخرين صاغرين اي صاغرين
وقرئ اصغين وحمزة بضم الهمزة وفتح التاء على انه فعل ماض ومفعوله
الهاء والتعبير به لتحققه وقوعه والباقون بمد الهمزة وضم التاء على انه
اسم فاعل مضاف الى ما بعده وهذا احمل على معنى كل وهي مضافة تقديرا
اي كلهم ولما ذكر تعالى دخورهم البعد بدخور ما هو اعظم منهم بقوله
تعالى وترى الجبال اي تبصرها وقت النفخة والخطاب للنبي صلى الله عليه
وسلم لكونه اقوى الناس بصرا والمراد هم بصيرة او لكل احد تحسبها
اي تظنها جامدة اي قائمة ثابتة في مكانها لا تتحرك لاتصالها الاجرام
الكبار اذا تحركت في سمت واحد لا يكاد يشعر بحركتها وهي تمر
اي تسير حثيثا تقع على الارض تسوي بما فيها ثم تفتتها كالعهن
ثم تقيرها هباء منثورا واشار تعالى الى ان سيرها خفي واذكان
حثيثا بقوله تعالى مر السحاب اي مرا مصريا لا يدرك على ما هو عليه
لانه اذا اطبق اعمى لا يدرك فيه شيء مع انه للشك فيه والالم تنكشف
الشمس بالليل وكذلك كبير الجرم او كثيف العين يقصر عن الاحاطة
به لبعد ما بين اطرافه لكثرة البصر لكونه ساير او الناظر كحاذق

يظنه

يقله راقطا وقرا يحسبها بكسر السين نافع وابن كثير وابو عمرو والكسائي فتحها
الباقون وقوله تعالى صنع الله مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله اضيف الى
فاعله بعد حذف عامله اي صنع الله ذلك صنعا هم زاد في التعظيم بقوله
والا على تمام الاحكام فهذ ذلك الصنع الذي اتقن اي احكم كل شيء اتقنه
وما ثبت هذا على هذا الوجه المتقن والنظام الاكمل انتج قطعا
قوله تعالى انه اي الذي احكم هذه الامور خبير بما يفعلون اي عالم
بظواهر الاحوال وبواطنها فيجازيهم عليهم كما قال تعالى من جاء بالحسنة
اي الكاملة وهي الايمان وعن ابن عباس الحسنة كلمة الشهادة فله
خير اي اجل افضل منها مضاعفا اقل ما يكون عشرة اضعاف الى ما يعلمه
الا الله تعالى وقيل له خير حاصل من جهتها وهو الجنة وقرئ الجلال الكمالي
كخاتم لا اله الا الله وقال في فله خير منها اي بسببها وليس للتفضيل
اذ لا فضل خير منها وهذا اينا سبب القول وهم اي الكاوون من فزع
يومئذ اي يوم اذ وقعت هذه الاحوال العظيمة امنون اي حتى لا
يحزنهم الفزع الاكبر وقرا يفعلون ابن كثير وابو عمرو وهشام بالياء
التحتية على الغيبة والباقون بالفوقية على الخطاب وقرا وهم من
فزع يومئذ امنون الكوفيون بتنوين العين والباقون بغير تنوين
وهو عام فاد يقتضي الامن من جميع فزع ذلك اليوم واما قراءة التنوين
فيحتمل تعظيمي من فزع واحد وهو خوف العذاب واهاطها بالحق
الانسان من الرعد ومشاهدته فلا يفك منه احد ومن فزع
شديد مفرط الشدة ولا يكتنهه الوصف وهو خوف النار وقرا
نافع والكوفيون بفتح الميم من يومئذ والباقون بكسرها فان قيل
اليس قال تعالى في اول الاية لا يفزع من في السموات ومن في الارض
الا من شاء الله فكيف نفى الفزع هاهنا اجيب بان الفزع الاول

لا يجاوزه احد عند الاحساس بشدة تقع او هول يبعجا الا هالا استثنى وان كان المحسن امن من لحاق الضرر به واما الثاني فلانه يخاف من العذاب ومن جاء بالسيئة اي التي لا سيئة مثلها وهي الشرك لقوله تعالى فكبت اي بايسر امر وجوههم في النار بان وليتها مع انه ورد في الصحيح ان موضع السجود التي اشرفها الوجه لا سبيل للنار عليها والوجه اشرف ما في الانسان فاذا هان كان ما سواه اولى بالهوان والمكبوب عليه منكوس ويقال له تبكيتا هل اي ما تجزون الا جزاء ما كنتم تعملون اي من الشرك والمعاصي تنبيه جعل مقابلة الحسنة بالثواب والسيئة بالعقاب من جملة احكامه الملائمة لها والقائدة لها واجراءه لها على وفق الحكمة الله علم بما يفعل العباد وبما يستحق ويستوجبون عليه فيكافيهم على حسب ذلك فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه واحد بعضه بحجزة بعض كانما افرغ افرغا واحدا ولا هر ما احجزه للشك واحرس الشقاشق والادعام من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول لقومه انما امرت اي بامر من لا يرد له امر ان اعبد اي بجميع ما امركم به رب اي موجد ومدبر هذه البلدة اي مكة التي تمتاز الدابة منها فيفزع كل من رآها ثم تؤتى اهل السعادة من اخصه بذلك لا اعبد سواه ما تعبدونه الذي حرمها اي جعلها الله تعالى حرما امنا لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها احد ولا يصاد صيدها ولا يختلى خلاها ولما خصص مكتسبه الاضافة تشريفا لها وتعظيما لشانها قال احتراسا عما قد يتوهم وله كل شيء اي من غيرها مما اسلكتموه به وغيره خلقا وملكا ولما كانوا ربما قالوا انحن نعبده بعبادة من نرجوه يقربنا اليه زلفى عين الله الذي تكون به العبادة بقوله وامرت اي مع الامر بالعبادة له وحده ان اكون اي كونا هو في غاية

الرسوخ

الرسوخ من المسلمين اي المنقادين لجميع ما امر به كتابه انقيادا ثابتا على ذلك غاية الثبات وان اي وامرت ان اتلو القرآن عليكم تلاوة الدعوة الى الايمان واذا واظب على تلاوته لتكشف له حقايقه بان تلاوته سبب فيها فمن اهتدى اي باتباع هذا القرآن الداعي الى الحق فانما يهتدي لنفسه اي لاجلها لان ثواب هدايته له ومن ضل اي عن الايمان الذي هو الطريق المستقيم فقل اي له كما تقول لغيره انما انا من المنذرين اي المخوفين له عواقب صنعه فلا علي من وبال ضلاله شيء اذ ما علي الرسول الا البلاغ وقد بلغت وقل اي الذي انذر الهم وترغيبا وترهيبا الحمد اي الاحاطة باوصاف الكمال لله اي الذي له العظمة كلها على نعمة النبوة وعلى ما علمني وفقني للعمل به سيريكم اياته الخارقة في الدنيا كيوم بدر وحين فتح مكة وفي الاخرة بالعذاب الاليم فتعرفونها اي فتعترفون انها ايات الله ولكن حين لا تنفعكم المعرفة وما ربك اي المحسن اليك بجميع ما اقامك فيه من هذه الامور العظيمة والاحوال الجسيمة بغافل عما يعملون اي فلا تحسبوا انه ناء عنكم لغفلته عن اعمالكم وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالتاء على الخطاب لان المعنى عما تعملون انت واتباعك من الطاعة وضدها من المعصية والباقون بالياء على الغيبة وعد الله البيضاوي به للزمخشري من ان في قراءتهن كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح وابراهيم ويخرج من قرأ وهو يدعي لا اله الا الله حديث موضوع

سورة القصص مكية الا قوله تعالى ان الذي فرض عليك القرآن الاية نزلت بالجحفة والا الذين اتيناهم الكتاب الى لا يبتغي الجاهلين وهي سبع او ثمان وثمانون اية والف واربعمائة واحدى

والجيم كلمة وخمسة الاف وثمانمائة حرف وتسمى سورة موسى لاشتمالها
على قصته وقط من حين ولد الى ان اهلك الله تعالى فرعون وخسف
بقارون كما سميت سورة نوح وسورة يوسف لاشتمالهما على قصتهما
ولا يقال لسميت بذلك لذكر القصص فيها في قوله تعالى فلما جاءه ونص
عليه القصص للانسورة يوسف فيها ذكر القصص مرتين الاولى
نص عليك احسن القصص والثانية قوله تعالى لقد كان في قصصهم
فكانت سورة يوسف اولى بهذا الاسم ايضا فكانت سورة هود
اولى بهذا الاسم لانه ذكر فيها قصص تسعة انبياء وهذه ليس فيها الا
قصة واحدة فكان ينبغي العكس وان تسمى سورة هود القصص
وهذه سورة موسى **بسم الله** الذي اختص بالكبرياء والعظمة
الرحمن الذي عم بنعمه اهل الايمان والكفران **الرحيم** الذي خص
بنعمه بعد البعث اهل الايمان **طسم** تقدم الكلام على اوائل السور
اول البقرة **تلك** اي هذه الايات العالية الشان **ايات الكتاب**
اي المعين لعلي تلبيك اي جامع لجميع المصالح الدينية والاخروية
والاضافة بمعنى من **المبين** اي المظهر الحق من الباطل **نتلوا** اي
نقص قصا متتابعا سوق الينا بعضه في اثر بعض **عليك** يا سيد
جبريل عليه السلام **من نبا** اي خبر **موسى وفرعون بالحق** اي الصدق
الذي يطابقه الواقع تنبيه يجوز ان يكون نتلوا محذوفا دل
عليه صفته ويجوز ان يكون من مزيدة على رأي الاخفش اي نتلوا
عليك نبا موسى وباحق يجوز ان يكون حالا من فاعل نتلوا او من
مفعوله اي نتلوا عليك بعض خبرهما ملتبسين او ملتبسا باحق
ثم نبه على ان هذا البيان كما سبق انما ينفع اولي

الالذعان

الالذعان بقوله تعالى **لقوم يؤمنون** فغيرهم لا ينتفع بذلك ولما كان كانه
قيل ما لهذا المقصود من هذا النبا قال **ان فرعون** ملك مصر الذي
ادعى الالهية **علي** اي بادعاء الالهية وتجبره على عباد الله وتهمه
في الارض اي ارض مصر واطلاقها يدل على تعظيمها وانما كجميع
الارض لاشتمالها على ما قل ان يشتمل عليه غيرها **وجعل** اي بما
جعلنا له من نفوذ الكلمة **اهلها** اي اهل الارض المرادة **شيعا**
اي فرقا تتبع كل فرقة شيا يتبعونه على ما يريد ويطيعونه لا
يملك احد منهم ان يكون عنقه او اصابعه في استخدامه يسخر صنفا
في بنا وصنفا في حفر وصنفا في حرث ومن لم يستعمله حرب على
الجزية او فرقا مختلفة قد اجرى بينهم العداوة والبغضاء وهم بنو
اسرايل والقبط وقوله تعالى **يستضعف طايفة منهم** يجوز فيه
ثلاثة اوجه ان يكون حالا من فاعل جعل اي جعلهم كذلك حالة
كونه مستضعفا طايفة منهم وان يكون صفة لشيعا وان يكون
استينافا فابتانا لحال الاهل الذين جعلهم فرقا واصنافا وهم بنو
اسرايل الذين كانت حياة جميع اهل مصر على واحد منهم وهو
يوسف عليه السلام وفعل معهم من العجز ما لم يفعله والد مع ولده
ومع ذلك كانوا في اولاده واولاد اخوته بان استعبدوهم ثم
ما كفاهم ذلك حتى ساوموهم على يد هذا العبد سوء العذاب قال
البقاعي وهذا حال العرب بينهم قديما وحديثا ثم بين الاستضعاف
بقوله تعالى **يذبح ابناءهم** اي عند الولادة وكل بذلك اناسا ينظرون
كلما ولدت امراة ذكرا ذبحوه وسبب ذلك ان كاهنا قال له سيولد
مولود في بني اسرايل يذهب ملكك على يديه فولد تلك الليلة
اثني عشر غلاما فتتلهم وبقي هذا العذاب في بني اسرايل سبعين

ف

كثيرة وكان ذلك من غاية حمق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم يدفع
القتل الكائن وان كذب فما وجه القتل **ويستحيي نساءهم** اي يريد
حياة الاناث فلا يذبحن وقال السدي ان فرعون راي في منامه
نارا اقبلت من بيت المقدس حتى جاءت الى مصر فاحرقت القبط ولم
تحرق بني اسرايل فسال عن رويا فقيل له يخرج من هذا البلد من بني
اسرائيل رجل يكون هلاك مصر على يده فامر بقتل الذكور وقيل
ان الانبيا الذين كانوا قبل موسى عليه السلام بشروا بمجيئه فسمع
فرعون ذلك فامر بذبح بني اسرايل **انه** اي فرعون **كان من المفسدين**
فلذلك اجترا على قتل خلق كثير من اولاد الانبيا التخييل فساد
قال وهب ذبح فرعون في طلب موسى سبعين الفا من بني اسرايل
وقوله تعالى **ونريد ان نمن** عطف على قوله ان فرعون علا في الارض
لانها نظيرة تلك في وقوعها تفسيرا لنبا موسى وفرعون واقتصاصا
له ونريد حكاية حال ماضية اي نعظم بقدرتنا وعلمنا ما يكون
حينيذ ان نمن **على الذين استضعفوا** اي حمل استضعافهم
وهان بهذا الفعل الشنيع ولم يرأف بهم مولاهم **في الارض** اي
ارض مصر كذا قالوا واهينوا وذبحوا في انفسهم واعدائهم فوق
ما يجدون وفي ما يرومون **ونجعلهم ائمة** اي معتدا بهم في الدين
والدنيا علما يدعون الى الخير بخلاف عكس ما ياتي من عاقبة آل فرعون
وقال مجاهد الى الخير وقال قتادة ولاة وملوكا لقوله تعالى جعلكم
ملوكا وقيل يقتدي بهم في الخير **ونجعلهم** اي بعظمتنا وقدرتنا
الوارثين اي لملك مصر لا يبقى لعدم فيه احد من القبط يخلفونهم
في مساكنهم **ونمكن** اي نوقع التمكين **لهم في الارض** اي كلها لا سيما
ارض مصر والشام باهلاك اعدايهم وتاييد ملكهم وتاييدهم
بكلم

بكليم الله ثم بالانبيا من بعده صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين
حيث سيلطهم بسببهم على من سواهم بما يؤيدهم به من الملايكة
ويظهر لهم من الخوارق **ونري** اي بما لنا من العظمة **فرعون** اي الذي
كان هذا الاستضعاف منه **وهامان ونري** **وجنودهما** اي الذين
كانا يتوصلان بهم الى ما يريدانه من الفساد فقوي كل منهم بالاخر
في الارض فعلوا وطغوا وقوله تعالى **منهم** اي المستضعفين متعلق
بنري او بمحذوف لا بيجدرون لان ما بعد الموصول لا يعمل فيما قبله **ما**
كانوا يحذرون اي من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم وقرا
حمزة والكسائي ويري بالياء مفتوحة وفتح الراء مع الالف التي بعد
الياء بعد الراء ورفع فرعون وهامان وجنودهما مضارع راي مسندا
الى فرعون وما عطف عليه فلذلك رفعوا وقرا الباقون بالتوت
مضمومة وكسر الراء وفتح الياء بعدها ونصب الاسماء الثلاثة مضارع
اري فلذلك نصب فرعون وما عطف عليه مفعولا اول وما كانوا
هو الثاني ثم ذكر تعالى اول نعمة منّ بها على الذين استضعفوا
بقوله تعالى **واوحينا** اي وحي الهام او منام **الى ام موسى** لا وحي
نبوة قال قتادة قذف في قلبها واسمها يوخابد بنت لاوي
ابن يعقوب وهذا هو الذي اعتمدناه في قصائدنا اذ يسمى بهذا الاسم
وان يكون هلاك فرعون وزوال ملكه على يده بعد ان ولدته
وعلمت ان الذي يحذره الذابحون **ان ارضعيه** وانت آمنة عليه ولم
يشعر بولادته غير اخته قيل ارضعته ثمانية اشهر وقيل
اربعة اشهر وقيل ثلاثة اشهر كانت ترضعه في حجرها وهو
لا يبكي ولا يتحرك وقد روي انها ارضعته ثلاثة اشهر في تابوت
من بردي مطلي من داخله بالقار **فاذا خفت عليه** اي منهم ان

تقنعيه في شيء يقيه من المكاره اليم وهو البحر ولكن اراد هنا النيل ولا تخافي اي لا يتجدد لك خوف اصلا من الغيرة او الموت من تركك الرضاع ولا تحزني اي ولا يوجد لك حزن لوقوع فراقه فان قيل ما المراد بالخوف والحزن حتى اوجب احدهما ونهي عن الاخر اجيب بان الخوف الاول هو الخوف عليه من القتل لانه كان اذا صاح خافت عليه ان يسمع الجيران صوته فيقتلوه عليه واما الثاني فالحزن من الفراق ومن الضياع ومن الوقوع في بعض العيون المبعوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان وغير ذلك من المخاوف فان قيل ما الفرق بين الخوف والحزن اجيب بان الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاضطراب فنهيت عنهما جميعا وامنت بالوحي لها ووعدت ما يسليها ويطمئن قلبها ويملأها غبطة وسرورا وهو رده اليها كما قال تعالى انا رادوه اليك فان المقتضي للخوف والحزن عند ذهابه بشرعي واي بشر بقوله تعالى وجاعلوه من المرسلين اي الذين هم خلاصة المخلوقين وروي عطاء والضحاك عن ابن عباس قال ان بني اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ولم يأمروا بمعروف ولم ينهوا عن منكر فسلط الله عليهم القبط فاضطغنوهم الى ان اخافهم الله على يد نبيه وكليمه قال ابن عباس ان ام موسى لما تقارب ولادتها وكانت قابلة من القوابل التي وكلهن فرعون بحبا الى بني اسرائيل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق ارسلت اليها فقالت قد نزل بي ما نزل فليطفني حبك اياي اليوم قال فعالجت قتالها فلما ان وقع موسى بارض هالها نور بين عيني موسى فارتعش كل مفصل منها ودخل موسى قلبها ثم قالت

لها

لها يا هذه ما جيبت اليك حين دعوتيني الا من رأي قتل مولود ولكن وجدت لابنك هذا احبا شديدا ما وجدت حب شيء مثل حبه فاحفظيه ابنك فاني اراه لموعد ونا فلما خرجت القابلة من عندها ابصرها بعض العيون فجاء الي بابها ليدخلوا علي ام موسى فقالت اخته يا امتاه هذا الكرسي بالباب فالتفت موسى في حرفة من ضفته في التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع قال فدخلوا فاذا التنور مسجور وام موسى لم يتغير لهم لون فقالوا ما ادخل عليك القابلة فقالت بي مصافية لي دخلت علي زيارة فخرجوا من عندها فرجع اليها عقلها فقالت لاخت موسى فاين الصبي قالت لا ادري فسمعت بكاء الصبي من التنور فانطلقت اليه وقد جعل الله تعالى النار عليه بردا وسلاما فاحتملته قال فهم ان موسى لما راى الحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها فقذف الله في نفسها ان تتخذ له تابوتا صغيرا فقال لها النجار ما تصنعين بهذا التابوت قالت ابني لي احبوه في هذا التابوت وكرهت الكذب قال ولم قالت اخشى عليه كيد فرعون فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت انطلق النجار الى الذابحين ليخبرهم بامر موسى فلما هم بالكلام امسك الله تعالى لسانه فلم يطق الكلام وحبل بين يديه فلم يدر ما يقول فلما اعيا هم امره قال كبيركم اصربوه فضربوه واخرجوه فلما اتى النجار الى موضعه رد الله تعالى لسانه فتكلم فانطلق اليهم يريد الامر فاتاهم ليخبرهم فاخذ الله تعالى لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيأ فضربوه واخرجوه فوقع في واد يهوي فيه فجعل الله عليه ان رد لسانه وبصره ان لا يدل عليه وان يكون معه يحفظه حيث ما كان فعلم الله تعالى صدقه فرد الله عليه لسانه وبصره

وخر لله ساجدا فقال يا رب دلني علي هذا العبد الصالح فذر عليه
فخرج من الوادي وآمن به وصدقه وعلم ان ذلك من الله عز وجل
وقال وهب بن منبه لما حملت ام موسي بموسي كتمت امرها جميع الناس
فلم يطلع علي حملها احد من خلق الله وذلك شئ سبق به القدر لما اراد ان
يمن به علي بني اسرايل فلما كانت السنة التي يذبح فيها وحملت
ام موسي فلم تنبث ام موسي ولم يتغير لونها ولم يظهر لبنها وكانت
القوابل لا يستشرفن لها فلما كانت الليلة التي ولدت فيها ولدته
ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها احد الا اختها مريم
فلما خافت عليه عملت له تابوتا مطبقا ثم القته في البحر ليلا
فالتقطه بالتابوت صبيحة الليل آل اي اعوان فرعون فوضعوه
بين يديه قال ابن عباس وغيره وكان لفرعون يومئذ بنت ولم
يكن له ولد غيرها وكانت من اكرم الناس عليه وكان لها كل يوم
ثلاث حاجات ترفعها الي فرعون وكان بها برص شديد وكان
فرعون قد جمع لها اطباء مصر والسحرة فنظروا الي امرها فقالوا
له ايها الملك لا تبرئ الا من قبل البحر يوجد فيه شبه الانسان
فيوخذ من ريقه فيلطخ به بهرها برصها فتبرئ من ذلك
وذلك في يوم كذا وساعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان
يوم الاثنين غدا فرعون الي مجلس له علي شفير النيل ودعه
امراته اسية بنت مزاحم واقبلت ابنة فرعون في جواريها حتي
جلست علي شاطئ النيل مع جواريها تلاعبهن وتنفخ الماء علي
وجوههن اذا اقبل النيل بالتابوت يضربه الامواج فقال فرعون
ان هذا الذي في البحر قد تعلق بالشجر فاتوني به فابتدروه
بالسفن من كل جانب حتي وضعوه بين يديه تعالي فتح الباب

فلم

فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فدنت اسية فرعون
فرات في جوف التابوت فرات لم ير شيئا فاهوت فتحت الباب فاذا هو
بصبي صغير في مهده واذا نور بين عينيه وقد جعل الله تعالي رزقه
في ابهامه يمصه لبنا فالقي الله موسي المحبة في قلب اسية وامر
فرعون وعطفها عليه واقبلت ابنة فرعون فلما اخرجوا الصبي من التابوت
مدت بنت فرعون الي ما يسيل من ريقته فلطخت به برصها فبرات
فقبلته وضمته الي صدرها فقال الغواة من قوم فرعون ايها
الملك انا نظن ان ذلك الولد الذي يحذر منه من بني اسرايل
هو هذا الرضيع في البحر فاصنع فاقتله فلم فرعون بقتله قالت
اسية قرة عين لي ولك واستوهبت موسي من فرعون وكانت
لا تلد فوهبه لها وقال فرعون اما انا فلا حاجة لي فيه وفي حرديه
قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لو قال يومئذ هو قرة عين لي
كما هو لك لهداه الله كما هداها قال الزمخشري وهذا علي سبيل
الفرض والتقدير اي لو كان غير مطبوع علي قلبه كاسية لقال
مثل قولها ولاسلم كما اسلمت هذا ان صح الحديث تاويله والله اعلم
بصحته ثم قال لاسية ما تسميه قالت سميته موسي لانا وجدناه
في الماء والشجر فموسي هو الماء وسي هو الشجر فذلك قوله تعالي
فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا اي يطول لحزنهم منه بجنايته
لهم في دينهم وحملهم علي اكتي وقتل رجالهم وحزنا اي يزوال
ملكهم لانه يظهر لهم الايات التي يهلك الله تعالي بها من يشاء
منهم ويستعبد نساءهم ثم لم يظفر بهم حتي يهلكهم الله تعالي
بالغرق علي يديه اهلاك نفس واحدة فيهم الحزن والمواجع
اهل ذلك الاقليم كله تنبيه في هذه اللام الوجهان المشهوران

احدهما اما للعلية المجازية دون الحقيقية لانه لم يكن داعيهم الي الالتقاط
ان يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبني غير ان ذلك لما كان
نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفعل العامل
لاجله وهو الاكرام الذي هو نتيجة التبني والتاديب الذي هو ثمرة
الضرب ليتاديب ويحتمل ان هذه اللام حكمها حكم الاسد حيث شبهت
لما يشبه التعليل كما استعير الاسد لما يشبه الاسد والثاني انها
للعاقبة والصيرورة لانهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا ولكن
صار عاقبة امره الي ذلك وقرا حمزة والكسائي بفتح الكاف وسكون
الزاي والباقون بضمتين وهما لغتان بمعنى واحد كالعدم والعدم
ثم بين تعالي ان هذا الفعل للفيصل الراجح حمقهم وسفههم بقوله
لا يكاد يصيب بقوله تعالي ان فرعون وهامان وجنودهما
اي كلهم علي طبع واحد كانوا خاطئين اي الوفا في كل شئ فلا
يدع منهم ان قتلوا الوفا لاجله ثم اخذه يربوه لكبير وتفعل
بهم ما كانوا يحذرون او من بنبني فقاتلهم الله تعالي بان رباه
علي ايديهم وقال وهب لما وضع التابوت بين يدي فرعون فتحه فوجد
فيه موسي فلما نظر اليه قال كيف احظا هذا الغلام الذي كان فرعون
قد استفتح امراة من بني اسرائيل يقال لها اسية بنت مزاحم
وكانت من خيار النساء ومن نبيات الانبياء وكانت اما للمساكين
ترحمهم وتتصدق عليهم وهي المذكورة في قوله تعالي وقالت
امراة فرعون اي لدنيا قاعدة لجنبه هذا الولد اكثر من ابن سنة
وانما امرت ان يذبح الولدان لهذه السنة فدعه قرة عين لي
اي به ولك اي يا فرعون لانهما لما راياه اخرج من التابوت احياه
وروي انها قالت انه اتانا من ارض اخري ليس من بني اسرائيل

ولما

ولما اشتبه له انه ممن تقر به العيون قالت لا تقتلوه اي انت بنفسك ولا
احد ممن تامره بذلك ثم علللت ذلك واستانفت بقولها عسي ان ينفعنا
ولو كان له ابوان معروفان فان فيه مخايل اليمن ولا يبعد النفع وذلك
لما رات من النور بين عينيه وارتضاعه من ابهامه لبنا وبرا البرصا
بريقه او نتخذه ولدا اذ لم يعرف له ابوان فيكون نفعه اكثر فان
اهل لا يتشرف به الملوك تنبيه الثاني قرة عين مجرورة وقف
عليها ابن كثير وابو عمرو والكسائي بالهاء والباقون بالتاء وهي جن
مبتدا محض اي هو قرة عين والعامة من القراء والمفسرين واهل
العلم علي ذلك ونقل ابن الانباري بسنده الي ابن عباس انه وقف
علي لا اي هو قرة عين لي فقط ولك لا اي ليس هو لك قرة عين
ثم يبتدي بقوله لا تقتلوه وقاله ابن عادل وهذا لا ينبغي ان يلتفت عنه
وكيف ينبغي تقتلوه من غير ان يرفع ولا مقتضي لحذفها فلذلك
قال الفراء لحن وقوله تعالي وهم لا يشعرون جملة حالية من كلام
الله تعالي اي لا شعور لهم اصلا لان من لا يكون له علم الاباكتساب
كيف اذا كان مطبوعا علي قلبه واذا كانوا كذلك فلا شعور لهم
بما يؤول اليه امرهم معه من الامور المهايلة الودية الي اتهلاك
المفسدين وقيل ان ذلك من كلام امراة فرعون كانها لما راات ملاة
اشاروا بقتله قالت له فعلي انت ما اقول لك وقومك لا يشعرون
انا التقطناه قاله الكلبي ولما اخبر تعالي عن حال من لقيه اخبر
عن حال من فارقه بقوله تعالي واصبح اي عقب الليلة التي حصل
فيها ما قد م فؤاد ام موسي اي قلبها الذي زاد احتراقه شوقا وخوفا
وحزنا وهذا يدل علي انها القته لبلا واختلف في معني قوله
فارغا فقال اكثر المفسرين خاليا من كل هم الا من هم موسي وقال

احسن اي تأنسا للوحي الذي اوحي الله تعالي اليها حين امرها ان تلقيه
في البحر ولا تخافي ولا تحزني والعهد الذي عهد ان يرده اليها وجاعله
من المرسلين فجاها الشيطان وقال كرهت ان يقتل فرعون ولدك
فيكون لك اجره وثوابه وتوليت انت قتله فالقيتيه في البحر واغرقتيه
وقال الزمخشري اي صغرا من القتل والمعني انما حزن بسمعت
بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما وهمها من فرط الجزع والدهش
ونحوه قوله تعالي وافئدتهم هواء اي خالية لا عقول فيها وذلك ان
القلوب مراكز العقول الا تري الي قوله تعالي فتكون لهم قلوب
يعقلون بها وقوله تعالي ان هي الا فتنتك هي المخففة من الثقيلة واسمها محذوف
اي انها كادت اي قاربت لتبدي به اي يقع منها الاظهار لكل ما كان
من امره مصرحة به اي بامر موسي عليه السلام من الله ولدها
وقال عكرمة عن ابن عباس كادت تقول وابناه وقال مقاتل
لما رات التابوت يرفعه موج ويضعه آخر خشيت عليه الغرق فكادت
تفيح من شفقتها وقال الكلبي كادت تظهر انه ابنها حين سمعت
الناس يقولون لموسي بعد ما ينسب موسي بن فرعون تشق عليها
فكادت تقوله هو ابني وقيل ان الهاء عائدة الي الوحي اي لكادت
لتبدي بالوحي الذي اوحي الله تعالي اليها ان يرده عليها وجواب
لولا ان ربطنا محذوف اي لابدت كقوله تعالي ونهم بها لولا ان رات
برهان ربه والمعني لولا ان ربطنا علي قلبها بالعصمة والصبر والتثبت
وقوله تعالي لتكون من المؤمنين متعلق بربطنا اي من المصدقين بوعد
الله تعالي وهو قوله تعالي انا رادوه اليك ثم اخبر تعالي عن فعلها
في تقرف خبر بعد ان اخبر عن كتمها بقوله تعالي وقالت اي امه لاخته
اي بعد ان اصبحت علي تلك الحالة وقد خفي عليها امره وقصيه اي

ابتغي

ابتغي اثره وتتبعي خبره براء وجيم فتعلمت فبصرت اي ابصرت به عن جنب
اي من مكان بعيد اختلاسا وهم لا يشعرون جملة حالية ومتعلق
الشعور محذوف اي انها اختته واما تراقبه بل هم في غاية الغفلة
التي هي في غاية البعد عن رتبة الالهية وانما تقصه او انه سيكون
لهم عدوا وحزنا سيذكر تعالي احد الاسباب في رده بقوله تعالي
وحرمنا اي منعنا بعظمتنا عليه المراضع جمع مرضعة وهي من يكثر منها
الارضاع من الاجانب اي حكمنا بمنعه من الارتضاع من ثدي من تستعير
التحريم للمنع لانه منع فيه رحمة قال الزمخشري في اللوامع تحريم منع لا تحريم
شرع من قبل اي من قبل ان تأمر امه اخته بما امرتها به او يقبل وقعها
انه او قبل ولادتها اي حكمنا وقضينا وهو انه تعالي غير طبيعة عن لبن
سائر النساء فلذلك لم يسغ او احدث في لبنها طعما ينفر عنه
طبعه او وضع في لبن امه لذة تقوي بها فكان يكره لبن غيرها فلما
رات اختها سوي التي ارسلتها امه في طلبه انه لا يقبل ثدي
امراة وفي القصة ان موسي مكث ثمانية ايام لا يقبل ثديا ويهم
فقالوا لها هل عندك مرضعة تدلينا عليها لعله يقبل ثديها
قال ابن عباس ان امراة فرعون كان همها من الدنيا ان تجد له
مرضعة فكلما اتوه بمرضعة لم ياخذ ثديها فدلت اخته منه بعد
نظرها له فقالت لما رات بهم في غاية الاهتمام برضاعه هل لكم حاجة
في اهل بيت ادلكم علي اهل بيت ولم تقل علي امراة لئن سمع دايرة النظر
يكفلونه لكم اي ياخذونه ويقومون بجميع مصالحه من
الرضاع وغيره لاجلكم ونزلت التهمة عن نفسها وقالت دليني
امراة فتقل ولدها فاحب شيء اليها ان تجد غير ثدي صغيرا ترضعه فرجعت به
رغبة بقولها وهم له ناصحون اي ثابت نصحهم له لا يغشونه

نزعا من الغش قال البوني والنصح ضد الغش وهو تصفية العمل من
سوء ايب الفساد قال السدي لما قالت ذلك اخذوها وقالوا قد
عرفت هذا الغلام قد لبنا على اهله فقالت ما اعرفه وقالت انما
اردت وهم الملك ناصحون فتخلصت منهم قال ابن عادل وهذا يسمى
عند اهل البيان الكلام الموجه ومثله لما سيل بعضهم وكان بين
اقوام بعضهم يحب عليا دون غيره وبعضهم يحب ابا بكر وبعضهم عمر
وبعضهم عثمان فقيل له ايهم احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال من كانت ابنة تحته وقيل لما تقرنوا انما قربته قالت انما
قلت هذا رعية في سرور الملك واهنا له وقيل انما لما قالت
ذلك قالوا لها من قالت امي قالوا ولا مك ابن قالت نعم هارون
وكان ولد في سنة لا يقتل فيها قالوا صدقت فاتينا به فانطلقت الى
امها فاخبرتها بحاله اتنها وجاءتها اليهم فلما وجد العبي ريح امه بتل
لذيها وحبل يمصه حتى امتلا لذيه ريا فقالوا ائتي عندنا فقالت لا اقدر
على ان اتي بيتي والان لا حاجة لي واظهرت الدرنيه نفيا للتهمة
فرضوا بذلك فرجعت به الى بيتها فذلك قوله تعالى فرددناه الى امه
كي ﴿تقر عينها﴾ اي بني وتستقر واصل قرة العين
من القر وهو البرد اي بردت وناحت مخلاف سخنت عينه يقال
اقر الله تعالى عينك من الفرح واسخنها من الحزن فلهذا قالوا
دمعة الفرح باردة ودمعة الحزن حارة هذا قول الاصمعي قال
ابو تمام ﴿ فاما عيون العاشقين فاسخنت ﴿ واما عيون الشامتين
فقرت ﴿ وقال ابو العباس ليس كما قال الاصمعي بل كل دمع حار
فمعنى اقر الله عينك صادفت سرورا فنامت وذهب سهرها
وصادفت ما يرضيك اي بلغك الله اقصى املك حتى تقر عينك

من

من النظر الى غيره استغناء ورضا بما في يديك ﴿ولا﴾ اي وكي لا ﴿تحزن﴾
اي ببراقه ﴿ولتعلم﴾ اي علما هو عين اليقين كما كانت عالمة به علم اليقين
وعلم شهادة كما كانت عالمة به علم غيب ﴿ان وعد الله﴾ اي الامر الذي
وعدها به الذي له الكمال كله في حفظه وارساله ﴿حق﴾ اي هو في غاية
الثبات في مطابقة الواقع ﴿ولكن اكثرهم﴾ اي اكثر آل فرعون وغيرهم ﴿لا
يعلمون﴾ ان وعد الله حق فيرتابون فيه او لا يعلمون ان الله وعدها رده
اليها قال الضحاك لما قتل لذيها ما قال لها ما ذا انك لاحمة قالت لا قال
فما له قتل لذيه من بين الستة قالت ايها الملك اني امراة طيبة الريح
حلوة اللبن فما شم ريحي صبي الا احتبل لذيه قالوا صدقت فلم يبق احد
من آل فرعون الا اهدى اليها واتحفها بالذهب والجوهر واجرى عليها
اجرها قال السدي وكانوا يغدون عليها كل يوم دينارا فان قتل
كيف حل لها ان تاخذ الاجر على ارضاع ولدها منه اجيب بانها
ما كانت تاخذه على الاستباحة فتملكه عندها الى ان فطمته الى ستة
عند فرعون باكل من ماكوله ويشرب من مايه ويلبس من ملبوسه
الى ان كملا كما قال تعالى حكاية عنه في سورة الشعراء الم نربك فينا وليدا
ولبثت فينا من عمرك سنين ﴿ولما بلغ اشده﴾ وهو ثلاث وثلاثون سنة او
ثلاث كما قال مجاهد وغيره ﴿واستوى﴾ اي بلغ اربعين سنة كما رواه سعيد
ابن جبير عن ابن عباس وقيل اعتدل في السن وتم استحكام بانيته
شبابه وهو من العمر ما بين احدى وعشرين سنة الى اثنتين واربعين
﴿اتيناه﴾ اي ابتدا من غير اكتساب اصلا حز قال للعادة وسوة اخوانه من
الانبياء ﴿حكما﴾ اي عملا محكما بالعلم ﴿وعلما﴾ اي فقها في الدين تهيئة لنبوته
وارصاد الرسالة وقيل المراد بالعلم علم التوراة والحكم السنة
قال الزمخشري وحكمة الانبياء سنتهم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى

في بيوتكن من ايات الله والحكمة قيل ومعناه اتيناه سيرة الحكماء وسيتهم
قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه قال البقاعي واختار الله تعالى
هذا السن للارسال ليكون من جملة الخوارق لانه به تكون ابدا الانكاس
الذي قال الله تعالى فيه ومن نعمره ننكسه في الخلق اي الى اكمال سن الشباب ننكسه في
الخلق اي نوقفه فلا يزداد بعد ذلك في قواه الظاهرة ولا الباطنة
شيأ ولا يوجد فيه غريزة لم تكن موجودة اصلا عشرين ثم ياخذ في
النقصان هذه عادة الله في جميع بني آدم الا الانبياء فانهم في حد
الوقوف يوقوف من جمارا لعلوم ما يقهر عنه الوصف بعيي اكتسابه بل
غريزة يفيضها الله تعالى فيهم ويلقيه ويوقوف من قوة الابدان الظاهرة
بمقدار ذلك وعنى بالانكاس عن سن يكون عن هم وكذا من الحكمة الله تعالى
بهم من هما لهي اتباعهم كما قال تعالى وكذلك اي مثل هذا الجزاء العظيم
نجزي المحسنين اي كلهم على احسانهم ولما اجرى تعالى بتهيئته للنبوة
اجرى بما هو سبب لهجرته وكانت بعد ابراهيم عليه السلام بقوله
تعالى ودخل اي موسى المدينة قال السدي هي مدينة منف من ارض
مصر وقال مقاتل كانت قرية تدعى جابين على راس فرسخين من
مصر وقيل مدينة عين شمس وقيل غير ذلك على حين غفلة من
اهلها وهو وقت القائلة واستغال الناس بالقيلولة وقال محمد
ابن كعب القرظي دخلها ما بين المغرب والعشاء وقيل يوم عيد
لهم وهم مشتغلون بلهوهم وقيل لحاسب وعقل احدا تكلمه
بالحق وينكر عليهم فاخافها فلا يدخل قرية الا على تغفل واختلف
في السبب الذي من اجله دخل المدينة في هذا الوقت قال السدي
وذلك ان موسى كان يسمى ابن فرعون فكان يركب مراكب فرعون
ويلبس مثل هلا بسه فركب فرعون في اثره فادركه المقيل بارض

منف

منف وظلها نصف النهار وليس في طريقها احد وقال ابن اسحاق كان
لموسى شيعة من بني اسرايل يسمعون منه ويعتقدون رايه فلما عرف
ما هو عليه من الحق راى فرعون وقومه مخالفهم في دينه فاخافهم
فكان لا يدخل قرية الا خائفا مستخفيا وقد كان ابن زيد لما على موسى
فرعون بالعصا في صغره فاراد فرعون قتله فقالت امراته هو صبي
لا تذكر قتله وامر بالخروج من مدينته فلم يدخل عليهم الا بهذا كما
ويليق الله تعالى فوجد فيها اي المدينة رجلين يقتتلان اي يفعلان
ذلك فان القتل مع الملازمة من التحتف والضرب وهما اسرايلي وقبطي
ولهذا قال تعالى مجيبا لمن كان يسال عنهما وهو ينظر اليهما هذا من شيعته
اي من بني اسرايل وهذا من عدوه اي من القبط قال مقاتل كان فرعون بني
الا ان احدهما من القبط والاخر من بني اسرايل لقول موسى عليه السلام
انك لغوي مبين وانما سمي ان الاسرايلي كان مسلما فقتل الله السامري
والقبطي طباخ فرعون فكان القبطي يسخر الاسرايلي ليحمل الحطب
وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس لما بلغ موسى اشده لم يكن احد
من آل فرعون يخلص الى احد من بني اسرايل يظلم حتى امتنعوا كل
الامتناع وكان بنو اسرايل عزا بامكان موسى لكونه ربيب الملك
مع ان مرضعته منهم لا يظنون ان سبب ذلك الا الرضاع فاستغاثه
اي طلب منه الذي من شيعته ان يغيثه على الذي من عدوه فغضب
موسى عليه السلام واشتد غضبه وقال للقبطي خل سبيله فقال
انما اخذته ليحمل الحطب الى مطبخ ابيك فنازعه فقال القبطي
لقد هممت ان احمله عليك وكان موسى عليه السلام قد اوتي في سطوة
في بطش وشدة في القوة والبطش فوكزه موسى اي دفعه بجمع كفه
والوكز بين الوكزا لكن ان الاول بجمع الكف والثاني باطراف

الاصابع وقيل بالعكس وقيل الكف في الصدر والوكز في الظهر فقضى اي
فاوقع القضاء الذي هو القضاء على الحقيقة وهو الموت الذي لا ينجو منه
مخلوق عليه فقتله وفرغ منه وكل شيء فرغت منه فقد قضيته وقضيت
عليه وقضي هذا على الناس لما هم فيه من الغفلة فلم يشعر به احد فقدر
موسى عليه السلام عليه ولم يكن قصده القتل فذفنه في الرمل قال هذا
اي قتله من عمل الشيطان اي لاني لم اومر به على الخصوص ولم يكن عن
قصدي واذ كان المقتول كافرا حربيا مهما حربيا عن حال الشيطان ليحذر منه
بقوله انه عدو مضل لا يهتدي الى خير اصلا مبين اي
عداوته واضلاله في غاية البيان ما في شيء منهما خفاء ولما لم يكن في قتله
الا الندم لعدم اذن خاص قال رب اي ايها المحسن الي ظلمت نفسي
اي بالاقدام على مالم اومر فيه بالخصوص وان كان مباحا فاغفر اي
امح هذه الهفوة عني وانرها لي اي لاجلي لانها حزني فغفر اي
اوقع المحو لذلك كما سال اكراما له انه هو اي وحده الغفور اي البالغ
في صفة الستر لكل من يريد الرحيم اي العظيم الرحمة بالاحسان بالتوفيق
الى الافعال المرضية لمقام الالهية والحال ان هذه صفته رده الى قرعون
وقومه حين ارسله اليهم فلم يقدروا على مواجهته بعد ذلك بقبض ولا
غيره بعد ان نجا منهم قبل ارساله على غير قياس ثم شكر ربه على
هذه النعمة التي انعم بها عليه بمايات قال رب اي ايها المحسن الي بما
انعمت علي اي بسبب انعامك علي بالمغفرة وغيرها فلن اكون اي ان
عصمتني ظهيرا اي عونا وعشيرا وخليطا للمجرمين قال ابن عباس للكافرين
وهو اما صحبة قرعون وانتظامه في جملة تكثير سواده حيث كان
يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن قرعون واما مظاهرة
من اراد مظاهرته الى الجرم والاثم كما في مظاهرة الاسرائيلي

المودية

المودية الى القتل الذي لم يؤمر به وهذا يحتمل قوله تعالى ولا تركنوا الى الذين
ظلموا وعن عطاء ان رجلا قال له اذا حي يضرب بعضه بعضا ويعمد ورزقتال
من ابن الراس يعني من يكتب لقتال لخالد بن عبد الله القسري قال
فابن قول موسى وتلا هذه الاية وفي الحديث ينادي مناد يوم القيمة
اين الظلمة واشباه الظلمة حتى من لاق لهم دواة او برى لهم قلما فيجمعون
في تابوت من حديد ثم يرمى بهم في جهنم وقول ابن عباس يدل على ان
الاسرائيلي الذي اعانه موسى عليه السلام كان كافرا وهو قول
مقاتل وقال قتادة اني لا اعين بعدها على خطيئة وقيل بما انعمت
علي من القوة فلن استعملها الا في طاعة اولياءك واهل طاعتك
والايمان بك قال ابن عباس لم يستثن اي لم يقل فلن اكون ان شاء الله
فابتلي به في اليوم الثاني كما قاله تعالى فاصبح في المدينة اي التي قتل
القتيل فيها خائفا اي بسبب قتله له يترقب اي ينتظر ما يناله من جهة
القتيل قال البغوي والترقب انتظار المكروه وقال الكلبي ينتظر ميت
يوخذ به فاذا اي فجاءه الذي استنصره اي طلب نصرته من شيعته بالامس
اي اليوم الذي يلي يوم الاستغاثة يستصرخه اي يطلب ان يزيد له صارخا يصرخ
بسببه من الغد من قبطي آخر كان يظلمه فكانه قتيل فيما قال له موسى
بعد ما ارتفع فيما يكره فقتيل قال له اي لمجرد المستصرخ موسى انك
لغوي اي صاحب ضلال بالغ مبين اي واضح الضلال غير خفيه لكونك
ما وفقت بالامس لم يكفك عن الخصومة امن لا تطيقه وان كنت مظلوما
مرة دين منها لتغيره فلما ان اراد اي شاء وان من يريد ان يبطش اي
موسى عليه السلام بالذي هو عدو لهما اي لموسى والاسرائيلي
لانه لم يكن على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل بان ياخذه
بعنف وسطوة لخلاصه من الاسرائيلي حسبه قال اي الاسرائيلي الغوي

لاجل ما رأى من غضبه وتكلمه له ظانا انه يريد البطش به يا موسى
ناصا عليه باسمه اتريد ان تقتلني اي اليوم وانا من شيعتك كما
قلت نفسا بالامس اي من شيعة اعدائنا والذي يدل على ان
الاسرائيلي هو الذي قال له هذا الكلام السياق على الاكثرون
لانه لم يعلم بقتل القبطي غير الاسرائيلي وقيل انما قاله موكي للفرعوني
انك لغوي مبين بظلمك وبناسبه قوله ان اي ما تريد الا ان تكون
جبارا اي قاهرا عالما فلا يليق ذلك الا بفرعون الكافر وذا الاسرائيلي
لما ظن قتله قال ذلك وقد قتل في الاسرائيلي كافر كما قرأ قال ابن
جبان وسياتي بجبارا ان يقتل بغير حق في الارض اي التي يكون بها
فلا يكون في فلك احد وما تريد اي بتخذ ذلك ارادة ان تكون اي كونا هو
ذلك كالجبلة من المصلحين اي العريقين في الصلاح فان الصلح بين
الناس لا يحمل الي القتل على هذه الصورة فلما سمع القبطي
هذا ترك الاسرائيلي وكان ذا القبطي لما قتل ذلك القبطي ظنوا
في بني اسرائيل وقالوا قتلوا فرعونهم وقالوا ان بني اسرائيل قتلوا
منا رجلا فجئنا لنا خذ قتلته فقال انهوا الي قاتله ومن يشهد عليه فان
الملك هو ان كان صغوة مع قومه لا سيما قتلهم لان يقضي بغير بينة
ولا ثبت فلما قال هذا القبطي هذه المقالة علم القبطي ان موكي هو
الذي قتل الفرعوني فانطلق الي فرعون فاخبره بذلك فامر فرعون
بقتل موكي قاله ابن عباس فارسل فرعون الذباحين لقتل
موسى اخذ الطريق الاعظم وجاء رجل اي ممن يحب موكي عليه
السلام واختلف في اسمه فقيل حزقيل هو من آل فرعون وقيل
شمعون وقيل شمعان وكان ابن عم فرعون من اقصى المدينة اي
ابعدها مكانا يسعى اي يسرع في مشيه فاخذ طريقا قريبا من باب
سور

سور ابي موسى فاخبره بالذي حدث فاخذ طريقا اخر فكانه قيل فما قال الرجل
له فقيل قال منادي الموكي باسمه تقطعا وازالة للبس يا موسى ان الملاء
اي اشراف القبط الذين في ايديهم الحل والعقد لاجلك يتشاورون
الامر الفظيع يامرون بك اي يتشاورون في شانك ليقتلوك حتى
وصل حالهم في تشاورهم الي ان كلا منهم يامر الاخر ويامره بامره لانهم
سمعوا انك قتلت صاحبهم فاخرج اي من هذه المدينة ثم علل ذلك
بقوله على سبيل التاكيد لبيان ما يطرقه من احتمال عدم القتل لكونه
عزيزا عند الملك اني لك من الناصحين اي العريقين في نصحك
فخرج اي موسى مبادرا منها اي المدينة لما علم صدق قوله مما تحققه
من القرائن حال كونه خائفا على نفسه من ان يرجعون يترقب اي
يكرر الالتفات بادرا لقرقبته من بهمات ينظر هل يتبعه احد ثم دعا
استغاثي بان قال رب اي يا من احسن الي بالنجاة ونحوها ذلك من وجوه البر
نجني اي خلصني من القوم الظالمين اي الذين يضعون الامور في
غير مواضعها فيقتلون من لا يستحق القتل مع قومهم فاستجاب الله تعالى
دعاءه فوفقه لسلوك الطريق الاعظم لمدين فكان ذلك سبب نجاته
وذلك ان الذين انتدبوا اليه فقصوا اثاره لا يسلكون الطريق الا كبه
جريا على عادة الخائفين الهاربين وفي القصة ان فرعون لما
بعث في طلبه قال اركبوا ثنيات الطريق فانبثوا فيها ظنوا وعيا
وشالة فاتتهم ولما توجه اي اقبل بوجهه قاصدا تلقاء اي الطريق
الذي يلاقي سالكه ارض مدين قال ابن عباس خرج وما قصد
مدين لكنه سلم نفسه الي الله تعالى وعسى من غير معرفة فهداه الله
تعالى الي مدين وقيل رؤيا رآها في نفسه ان بينهم وبينه قرابة لانهم من
ولد مدين بن ابراهيم وكان من بني اسرائيل سميت البلدة باسمه

سبق

فخرج ولم يكن له علم بالطريق بلا احمد عليك فضل الله تعالى وقيل جاء جبريل
عليه السلام وعلمه الطريق قال ابن اسحاق فخرج من مصر الى مدين خائفا
يترقب ولا يظن ان يبلغها مسيرة ثمانية ايام ولم يكن له طعام الا ورق الشجر
قال عسى اي جدير وحقيق ربي اي المحسن الي ان يهدين سواء اي اعدل
وسط السبيل اي الطريق الذي يطلعني الله تعالى عليها من غير اعوجاج
وقال ذلك قبل ان يعرف الطريق اليها فقيل فلما دعا جاءه ملك بيده عنزة
فانطلق به الى مدين قال المفسرون فخرج موسى من مصر ولم يكن له طعام
الا ورق الشجر والبقل حتى ترمى خضرة في بطنه وما وصل مدين حتى وقع
حافا قدميه قال ابن عباس وهو اول البلاء من الله تعالى الذي على موسى عليه السلام
ولما ورد اي وصل ماء مدين وهو بير كان يستقي منها الرعاء لمواشيهم وجد
عليه اي المقامة اي الجماعة كثيرة من الناس مختلفين يسقون اي مواشيهم
ووجد من دونهم اي في مكان اسفل من مكانهم امرأتين تذودان
عن ذلك لما جعل الله سبحانه من المروءة ومكارم الاخلاق كما يعلمه من امعن
النظر فيما يذكر عنهما تذودان اي تحبسان وتمنعان اغنامهما اذا افرغت
من العطش اي الماء حتى يفرغ الناس ويجلو لهما البير وقال الحسن
لكيلا تختلط اغنامهما بغنم الناس وقال قتادة تكفان الناس عن
اغنامهما وقيل ليلا يختلطن بالرجال وقيل كانتا تذودان عن وجوههما
نظر الناظرين لتستتر بهما وقيل غير ذلك فانه قيل فما قال موسى لهما حين
قال لهما رحمة لهما ما خطبكما اي ما شأنكما لا تسقيان مواشيكما مع الناس
قالتا لا نسقي اي مواشينا وحذف للعلم به حتى يصدر اي ينصرف الرعاء
الرعاء اي عن الماء خوف الزحام فتسقي وقرأ ابو عمرو وابن عامر بفتح
الياء وضم الدال والباقون بضم الياء وكسر الدال مضارع اصدر يصدر
بالهمزة تنبيه المفعول محذوف اي يصدرون مواشيهم والرعاء

جمع

جمع راع مثل تاجر وتجار اي نحن امرأتان لا يليق ان نزاحم الرجال فاذا صدروا
سقينا مواشينا ما فضلت مواشيهم في الحوض وابونا شيخ كبير اي لا
يستطيع لكبره ان يسقي فاضطر نا الى ما ترى تنبيه اختلف في ابيهما
فقاله مجاهد والضحاك والسدي والحسن انهما هو شعيب النبي عليه
السلام وانه عاش عمرا طويلا بعد هلاك قومه حتى ادرك موسى عليه
السلام وتزوج بابنته وقال وهب وسعيد بن جبير هو يثرون بن اخي
شعيب وكان شعيب قد مات قبل ذلك بعد ما كف بصره فدفن بين
المقام وزمزم وقيل رجل من آمن بشعيب قالوا فلما سمع موسى
قولهما رحمهما فانطلق صخرة من راس بير اخرى كانت بئرهما لا يطيق
رفعها الا جماعة من الناس وقال ابن اسحاق ان موسى راى القوم
ومكانهم عن راس البير فسقى عنهم المرأتين ويروى ان القوم لما رجعوا
باغنامهم عطفوا راس البير بحجر لا يرفعه الا عشرة نفر وقيل اربعون
وقيل مائة فجاء موسى ورفع الحجر وحده وسقى غنم المرأتين وقيل انه
سألهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا اسق بها وكانت لا تروى بها
الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا فيه بالبركة فروى
منه جميع الغنم فان قيل كيف ساغ لنبي الله تعالى شعيب ان يرضى
لابنتيه السقي بالمماشية اجيب بان الناس اختلفوا فيه هل هو
شعيب او غيره واذا قلنا بانه هو كما عليه الاكثر فليس ذلك بمحظور
فلا بأس به الدين والناس مختلفون في ذلك بحسب المروءة وعاداتهم
فيها مختلفة واحوال العرب والبدو تباين احوال العجم والحضر لا سيما
اذا دعت الى ذلك ضرورة فسقى اي موسى عليه السلام لهما والمفعول
محذوف اي عنهما لما علم من ضرورتهما الى ذلك الغرض الاجر وكرم الخلق
من مساعدة الضعيف مع ما به من التعب والجوع وسقوط الحق

القدم ولكنه رحمهما واغاثهما وكفاهما امر السقي في مثل تلك الزحمة بقوة
قلبه وقوة ساعده وما اتاه الله تعالي من التفضل في مئانة العظم
وبصانة المحبلة ثم تولي ابي الفرث فاعلا ظهره يلي ما كان يليه وحمه
الي الظل اي ظل شجرة فجلس في ظلها ليعتدل ويستريح معتذلا الي الخالق
بعد ما قضي من تفجيع المخلوق وهو جايع قال الضحاك لبث سبعة
ايام لم يذق طعاما الا بقل الارض فقال رب اني واكد الافتقار
بالاضافات باللام دون اني بقوله لما انزلت اني من خير قليل او كثير
عن او سمين فقير اي محتاج سايل تبينه لما انزلت مستقلا بفقر قال
الزمخشري عدي فقير باللام لانه ضمن معني سايل وطالب وكمل
اني فقير من الدنيا لاجل ما انزلت الي من خير الدين وهو الحجاة
من الظالمين وليس في الشكوي الي العلي المطلق نقص قال ابن
عباس سر سأل الله تعالي فلتقتجن يتيم بها صلبه وقال الباقر لقد
قالها وانه لمحتاج الي شق تمرة وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس
لقد قال موسي ذلك وهو اكرم خلقة عليه وانه كان قد بلغ به من
الهزال احمر بطنه من اكل البقل وصفر حتي لصق بطنه بظهره
وانما قال ذلك في نفسه مع ربه وهو اللايق به وقيل رفع به
صوته لاستماع المرايتين وطلب الطعام وهذا لايليق بموسي عليه
السلام فانظر الي هذا النبي عليه السلام وهو خلاصة ذلك
الزمان ليكون لك في ذلك اسوة وتجعله اماما وقدوة وتقول
ما لعبي الانبياء والصالحون من الضيق والاهوال في سجن الحياة
الدنيا صونا لهم منها واكراما من ربهم عما رفعة لدرجاتهم واستمالة
لها وان ظنه ايجاهل المغرور علي غير ذلك وفي العقبة ترغيب
في الخير وحث علي المعاونة علي البر وبعث علي بذل المعروف

مع الحمد

مع الحمد فلما رجعتا الي ابيهما سريعا قبل الناس واغنامهما حفل بطانا
قال لهما ما اعجلكما فقالتا وجد رجل صالح رحيما فسقي لنا الغنم فقال
لاحدي بنتيه اذهبي فادعيه لي فجاءته احداهما تمشي علي استحياء امر ابيها وقولها
ان ابي يدعوك قال وقد علي استحياء حالها اخري ابي مستحيا لها من جانب او ما
مشيها قال عمر بن الخطاب ليست تسلفع من النساء خراجة ولاجة ولكن
جاءته مستترة وضعت كم درعها علي وجهها استحياء ثم استانف الاطباء
بمشورة الصبية امر ابيها بقولها قالت اي ان ابي اكرمك اعلاما لما ابيها من
الرغبة الي لقائه ان ابي وصورت حاله بالمضارع بقولها يدعوك
ليجزيك اي يعطيك مكافاة لك لانه المكافاة من شيم الكرام اجر ما
سقيت لنا اي مواشينا قال ابن اسحاق يسمي الكبير عبقريا صغيرا كان او صغيرا
كسابا وقيل لبنيا وقال غيره ضعيفا وصغيرا وقال الضحاك صالحا وقال
الاكثرون التي جاءت هي الكبري وقال الكلبي هي الصغري قال الزجاج
وليس في القرآن دلالة علي شيء من هذه الاقاويل قال فجئ فيما لا يتبين
اشكالات احدها كيف ساغ لموسي عليه السلام ان يعمل بقول امراة
اجنبية منه وبي اجنبية قال ذلك يدعوه الي المكافاة الموظفة وقال
صلي الله عليه وسلم اتقوا مواضع التهم وثانيها انه سقي اغنامهما
بغير اجرة سبقت اليه فكيف يليق به اخذ الاجرة عليه وذلك غير
جايز في الفروسية وثالثها انه عرف فضل ما وقع بينهما وان عليا عليه السلام
كان في غاية القوة بحيث يمكنه الكسب بما قل شيء فكيف يليق
به ومثله طلب الاجرة علي ذلك القدر من الشيخ المعزز والمراة ذو
العفة وبالجملة كيف يليق بالنبي شعيب عليه السلام ان يبعث ابنته
الشابة الي رجل شاب قبل العلم بكون الرجل عفيفا او فاسقا اجيب
عنه الاول ان الخبر ليعمل فيه بقول امراة فالاخبار يعمل فيه بقول

الواحد حراكان او عبدا ذكرا كان او انثى يوبى فكانت بحرقة الاعن ايمانها واما
المشي مع المراة بعد الاحتياط فلما تقدم فلا بأس به وعن الخامس انه في جواب المراة
لما قالت ذلك لموسى عليه السلام ما ذهب اليهم ظلما اللاجرة بل للتبرك
بعد ذلك الشيخ لما روي انه لما دخل على شعيب عليه السلام اذا هو بالعشا
فهيأ فقال اجلس يا شاب فتغد فقال موسى اعوذ بالله فقال شعيب
ولم ذلك الست بجايع قال بلى ولكني خفت ان يكون هذا عوضا لما سقيت
لهما وانا من اهل بيت لا نطلب على عمل من اعمالنا الاجرة عوضا من الدنيا
وفي رواية لا يشبع بيتنا ابدا ولا نأخذ من المعروف عوضا فقال له
شعيب لا والله يا شاب ولكنها عادتي وعادة آبائي نقري الضيف ونطعم
الطعام فجلس موسى فاكل واصاب فاخبر بحكاية الجوع وقد بلغ الى حيث
لا كاد يطيق تحمله فعلم ذلك اهل الدار وهو الجواب عن السادس فاتت
الصورة بيتي المحلول الى آخره وعن الرابع فان شعيبا عليه السلام كان
يعلم علما وقد بشته وحي او يعني فكان يأمن على علمها قال عمر
ابن الخطاب فغار يعني واحمارديته اما والله لقد بعثت اليه من صفته ردني
فكره موسى عليه السلام ما فعل بعد ذلك فقال لها ويحك خلفي او
قالا موسى الى حد عرفوا براهيم فكوني خلفي حتى لا يرى عجز البرج فانه
قاربي مالا يحل لي في رواية كوني خلفي ودلي على الطريق بريحي
اكمل الاذن صوت المرأة عورة فان قيل لم حبسني موسى عليه السلام
ان يكون ذلك اجرة له على عمله ولم يكره مع انه حقه ذلك حين قال له
سيدك لتجزين عليه اجرا اجيب بانه اخذ الاجرة على العمل فيه لا يجوز
واما الاستيجار ابتداء فغير مكروه فلما جاءه اي موسى شعيبا وقص اي موسى
عليه السلام عليه اي شعيب عليه السلام القصص اي حديثه جديته
مع فرعون وآله في كفرهم وطغيانهم ولولا انهم لبعادهم لما قال تنبيه

القصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص قال الضحاك قال لموسى انت يا عبد
احد قال انا موسى بن عمران بن يهصر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وذكر
لرهيم امره من لدن ولادته وامر القوابل والمراضع والقذف في اليم
وقتل القبطي وانهم يطلبونه ليقتلوه مر ان شعيبا عليه السلام امنه بان
قال له لا تخف نجوت من القوم الظالمين اي فان فرعون لا سلطان له
بارضنا فان قيل اذا المعنيين قالوا ان فرعون يوم ركب خلفه موسى
ركب في الف الف وستماية الف والملك الذي هذا شانه كيف يعقل
ان لا يكون في ملكه قوة تبقى بعد ثمانية ايام اجيب بان هذا السين محال
وان كان نادرا ولما احتمل واحتمال قالت احداهما اي المرأتين وهي التي
دعته الى ابيها مشيرة الى ذلك اباها البعد الى استعمارها الى نفسها
وقلة ادبها يا ابت استاجره اي اتخذه اجيرا لرعي اغنامنا ان خير من
استاجرت القوي الامين اي خير من استعملت من قوي على العمل الي
من الاشياء واداء الامانة قال ابو حيان وقولهما قول لحكيم جامع لايراد
عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان اعني الكفاية والامانة في
القايم بامرك فقد فزت بذلك وتم مرادك وقد استغنيت بارسال هذا
الكلام الذي سيق سياق المثل والحكمة ان تقول استاجره لقوته
وامانته وانما جعل خبر من استاجرت اسما والقوي الامين خبرا مع ان
العكس اولى لان العناية بسبب التقدم وقد صدقت حتى جعل لما
هو اخف بان يكون خبرا اسما ورد الفعل بلفظ الماضي للدلالة على
انه امر قد جرب وعرف وعن ابن عباس ان شعيبا اختطفته الغيرة
فقال وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو
وانه صوب اي خفض راسه حيي بلغته رسالة الهي اليه وامره
بالمشي خلفه وعن ابن مسعود افرس الناس ثلاثة بنت شعيب

وصاحب يوسف في قوله عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا اعلمته ابنته
ذلك قال لموسى عليه السلام عند ذلك اني اريد يا موسى والتاكيد لان
الغريب قل ما يرغب فيه اول ما يقدم لا سيما من الرؤساء مع الرغبة
انا انكحك احدى ابنتي هاتين اي احداهما عن التي سميتها لهما ليتأملها
ويتأمل من يقع اختياره عليه منهما ليعقد له عليها قال اكثر المفسرين
الذي وجه الصغرى منهما وهي التي ذهبت لطلب موسى واسمها صفورا
على خلاف تقدم في اسمها وقولها تمشي فيه دلالة على انها كانت
لم تعتد بعد وقوله على ان تاجرني ثماني حجج اصله من اجرته اذا كنت له
اجيرا تقول لكه ابوه اذا كنت له اجيرا وثماني حجج ظرفه اي تمضي عندي ثماني
حجج واما من اجرته كذا اذا اثبته اياه قال الفراء اي تجعل ثواب اني من
تزوجها ان تجعل اجري على ذلك وثواب اني ثماني حجج تقول
العرب اجرك الله بما اجرك اي اثابك وفيه بشارة لرسول الله صلى
الله عليه وسلم اجركم الله وزوجكم وثماني حجج مفعول به وهناه وعقد
ثماني حجج فان قيل كيف صح ان ينكحه احدى ابنتيه من غير تعيين اجيب
بان ذلك لم يكن عقدا ولكن مواعدة وهو اضعف امور قد عزم عليه ولو
كان عقدا لقال انكحتك فلم يقل اني اريد ان انكحك وقد مرت الاشارة
الى ذلك والحجج السنون واحدها حجة فان اتممت عشرا اي عشر سنين
وقوله فمن عندك يجوز ان يكون في محل رفع جعل المبتدا محذوف
تقديره فهي من عندك او نصب اي فقد زدتها من عندك او تفضلت
بها من عندك وليس ذلك بواجب عليك تنبيه هذا اللفظ يدل على
ان العقد وقع على اقل الاجلين والزيادة كالتبرع فالعقد بما وقع
على معنى ودلت الاية على ان العمل قد يكون مهرا كالمال وعلى ان
عقد النكاح لا يفسد بالشروط التي لا يوجبها العقد ان كان وقع شرط

هذه

هذه الزيادة في العقد فلما ذكر له ذلك اراد ان يعلمه ان الامر بعد الشرط
بينهما على المسامحة فقال وما اريد ان اشق عليك اي ادخل عليك
مشقة بما قشقة ومراعاة اوقات ولا في اتمام عشر ولا غير ذلك ثم
اكد معنى المسامحة بقوله ستجدني وفتح الياء نافع عند الوصل والباقون
يسكنونها ثم استثنى على قاعدة انبياء الله واوليائه في المراقبة على سبيل
التبرك بقوله ان شاء الله اي الذي له جميع الامور من الصابرين قال عمر ايي
في حسن الصحبة والوفاء بما قلت اي وكلما تريد من كل جنس وقيل اراد
الصلاح على العموم فان قيل كيف يستقيم العقد بهذا الشرط ولو
قلت انت طالق ان شاء الله لم تطلق اجيب بان هذا انما يختلف بالشرائع
او ان ذلك ذكر للتبرك قال اي موسى عليه السلام ذلك اي الذي ذكرته
وعاهدتني فيه وشارطتني عليه بيني وبينك اي قائم بيننا جميعا لا يخرج
كلانا عنه لا انا عما شرطت علي ولا انت عما شرطت علي نفسك قضية
ذلك مبتدا والظرف خبره واضيفت بين لمفرد لتكررها عطف بالواو
ولو قلت المال لزيد فعمرو لم يجز والاصل ذلك بيننا كما مر فقرن
بالعطف ثم فسر ذلك بقوله ايما اي اي مدة الاجلين قضيت اي
فرغت من اطولهما الذي هو العشر او فقرهما الذي هو الثمان فلا
عدوان اي اعتداء بسبب ذلك لكه ولا لاحد علي في طلب الكرامة لانه
كما لا يجب الزيادة على العشر لا يجب الزيادة على الثمان فان قيل
نفي العدوان انما هو في احد الاجلين الذي هو الفرد وهو الحاصل بتمة
العشر فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا اجيب بما معناه
كما انه ان طولبت بالزيادة على العشر كان عدوانا لا شك فيه
فكذلك ان طولبت بالزيادة على الثمان اراد بذلك تقرير امر
الخيار وانه ثابت مستقر وان الاجلين على السواء ما هذا واما هذا

من غير تفاوت بينهما في القفا واما التمتمة فمن كلفة اني رايي ان شئت اتيته
بها والالم اجر عليها وكانه اشار بذلك صيغة المبالغة الي انه لا يواخذ لسعة
صدره وطلاقة اخلاقه بطلاق المدد راسا اي الملك الاعظم علي ما نقول
اي كله في هذا الوقت وغيره وكيل قال ابن عباس وقتادة شهيد فيما
بيني وبينك وقيل حفيظ وعن سعيد بن جبير قال سالني يهودي من
اهل الحيرة اي الاجلين قضي موسي قلت لا ادري حتي اقدم علي حبر العرب
فاساله فقدمت فسالت ابن عباس فقال قضي اكرمهما وروي عن ابي
ذر مرفوعا اذا سئلت اي الاجلين قضي موسي فقل خيرهما واذا سئلت
اي المراتين تزوج فقل الصغري منهما وهي التي جاءت فقالت يا ابت
استاجره فتزوج صغراهما وقضي اوفاهما وقال وهب انكحه الكبري وروي
عن سعاد بن اوس مرفوعا بكي شعيب عليه السلام حتي عمي فرد الله
تعالي عليه بصره ثم بكي حتي عمي فرد الله تعالي عليه بصره ثم بكي حتي عمي بصره
وقال له ما هذا البكاء اشوقا الي الجنة ام خوفا من النار قال لا بل اشوقا
ولكن سؤالي لقنابك فاوحي الله تعالي اليه ان يكن ذلك جميعا لك يا
شعيب لذلك اخذتك موسي كليمي ولما تم العقد بينهما امر شعيب
ابنته ان تعطي موسي عصا يدفع بها السباع عن غنمه واختلفوا في
تلك العصا فقال عكرمة خرج بها آدم من الجنة فاخذها جبريل
بعد موت آدم فكانت عنده حتي دفعها موسي ليلة ذهابه الي مدين وقال
اخرون كانت من آس الجنة حملها آدم من الجنة فتوارثها الانبياء كان
لا يا خذها غير نبي الا اكلته فصارت من آدم الي نوح ثم الي ابراهيم ثم
وصلت الي شعيب وكانت عصي الانبياء عنده فاعطاها موسي وقال
السدي كانت تلك العصا استودعها اياه ملك في صورة رجل فامر
ابنته ان تاتيه بعصا فدخلت فاخذت العصا فاتت بها فلما راي

شعيب

شعيب قال لها ردي هذه العصي واتيه بغيرها فدخلت فالقتها وارادت
ان تاخذ غيرها فلا يقع في يدها الا التي جيء بها ثلاث مرات
فاعطاها موسي فاخرجها موسي معه ثم ان الشيخ ندم فقال كانت وديعة
فذهب في اثره فطلب اليه العصا فابي موسي ان يعطيه وقال
هي عصاي فرضيا ان يجعلا بينهما اول رجل يلقاهما فلقيهما ملك في
صورة رجل فحكما ان تطرح العصي فمن حملها فهي له فطرح موسي العصا
فحملها الشيخ فلم يطقها فاخذها موسي بيده فترفعها فتركها له الشيخ
روي انه شعيبا كان عنده عصي الانبياء فقال لموسي بالليل ادخل
ذلك البيت فخذ عصاي من تلك العصي فاخذ عصي هبط بها آدم
من الجنة ولم تزل الانبياء تتوارثها حتي وقعت الي شعيب فسمعها
تكلمه فقال ظن ان محل بها فقال خذ غيرها فما وقع في يده الا هي
سبع مرات فعلم انه لها خاتنا ولكن احسن ما كانت الا عصا من الشجر
فقرضها الخضر اصاد عن الكليم الشجرة التي منها توري موسي بخضرة
الربيع ومنها كانت عصاه فلما اصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق
الطريق فلا تاخذن علي يمينك فان هناك وادي كثير الالاء فيما
تنبا احشاه عليك فاخذت العنم ذات اليمين ولم يعد وعلي كثرتها
فمشي علي اثرها فاذا شعيب قد سلم اليه غنمه فقام فاذا بالثنين
قد اقتتل فحاربته العصي حتي قتلته وعادت الي جنبه موسي وامنه
والثنين مقتولان فاستراح لذلك ولما رجع الي شعيب سمع الغنم فاخبر
موسي فتبرم وعلم ان موسي والعصا شيئا ناخلما قضي موسي الاجل
الذي تمم وفرغ منه ورد اهله قال ابن عباس مكث بعد ذلك عند صهره
عشر اخري فاقام عنده عشرين سنة ثم ان شعيب عليه السلام
اراد ان يجازي موسي علي رعيته اكراما له وصلة لابنته فقال له

ابي وهبت لك من اعدادها التي تضعها اغنامي هذه السنة كلها بلق وبلقا
فاوحى الله تعالى الي موسى في المنام اذا ضرب بعصاك الماء الذي
في مستقى الاغنام قال ففرب موسى بعصاه الماء ثم سقى الاغنام
منه فما خطاطة واحدة منها الا وضعت حملها ما بين ابلق وبلقاء فعلم
شعيب ان ذلك رزق ساقه الله عز وجل الي موسى وامراته فوفى
له بشرطه وسلم الاغنام اليهما ثم ان موسى استاذنه في العود الي مصر
فاذن له فخرج وسار باهله اي امراته راجعا الي اقاربه بمصر
آنس اي ابصر من بعيد من جانب الطور اسم جبل نارا استشعر رؤيتها
وكان في البرية في ليلة مظلمة شديدة البرد واخذ امراته الطلق
حينئذ قال لاهله امكثوا اي بمكانكم من الوطء بضم الهاء
وتبدل همزة الوصل وعبر موسى عليه السلام بضمير الذكور فلعل كان
معه بنين وغلبهم على امراته وقد ذكرت غير ذلك في السورة التي قبل
هذه ثم علل ذلك بقوله لعلكم الاستبعاد ان يكون في ذلك المكان
القفر وفي ذلك الوقت الشديد البرد نارا آتيكم انستت نارا فتح الياء
نافع وابن كثير وابو عمرو واسكنها الباقون كانه قيل فماذا افعل
بها فقال مبشرا بالرجحي لانه اليقين بالتواضع لعلي آتيكم منها اي من عندها
بخبر اي عن الطريق لانه كان قد اخطأها او جذوة اي قطعة وشعلة
من النار وقاله قتادة وقال ابن عباس العود التي احترق بعضه متبقيه
من النار صفة لجذوة ولا يجوز تعلقها بآتيكم كما تعلق به منها لان هذه
النار هي النار المذكورة والعرب اذا اعادت نكرة واراد اعادتها
معرفة او معرفة بالاضافة العهدية وقد جمع الامرين هنا وقرأ عاصم
بفتح الجيم وحمزة بضمها والباقون بالكسر وكلها لغات وجمعها جذى
ثم استأنف قوله لعلكم تصطلون اي لتكونوا على رجاء من ان

تقربوا

تقربوا من النار فتصطلوا عليها والترجي هو الدليل على ان الوقت كان
شاتيا فلما اتاها اي النار وبادي مبني للمفعول لانه من الكلام بيد دلالة
واضحة على ان المنادي هو الله تعالى ولما كان ذلك مما لا يشبه
الغير بل يكون من جميع الجوانب وكان مع ذلك قد يكون ليعض
المواضع دون بعض نبه على ذلك بوصف من الاوصاف اما بان يكون ذلك
الصامع منه او من غير ذلك او يكون ذلك باختيار موسى عليه السلام قال
من شاطئ الوادي فمن لابتدائية اي يتعلق بنودي والايمن
الوادي والايمن من اليمين وهو البركة او من اليمن الممادي لليسار
من التعنين وبمعناه صفة الوادي والمعنى ايمن جانبه وطرفه وكذا
الشط والسيف والساحل كلها بمعنى وجمع الاول شطاط قال الراعي
وشاطات ثلاثا ما شئتم على الشاطئ وقوله تعالى في البقعة
المباركة تستطرد بنودي او يحذف على انه حال من الشاطئ ومعنى
المباركة جعلها الله تعالى مباركة لانه الله تعالى كلم موسى عليه السلام
هناك وبعث نبيا وقال مقاتل عليه السلام بها ستة وقوله تعالى من الشجرة
بدل من شاطئ الوادي باعادة الجار لان الاستعمال لان الشجرة كانت
نابتة على الشاطئ قال الزمخشري فلعل الشجرة كانت عليمة فلما وصل
اليها دخل النور من طرفها الذي تسلمها ثم خلتها وراء بحيث تيمنها
من سمع منه هو فيها الكلام من الله تعالى حقيقة وهو المشكل نجاة وتلك
لا الشجرة قال المحشي ويحصل الاجماع لمن يقول عليه السلام سمع تلك
الكلمة كلام الله تعالى ولو كان ذلك لا الشجرة فكانه تكلم الشجرة
وقال التفتازاني في شرح المقاصد انه اختار مجمة الاسلام وهو سمع
كلاما قائما بذاته تعالى لا بصوت ولا حرف كما تقرر في الاخرة بلا كيف
كما اختاره في الشجرة صاحب المعالم فقال ابن مسعود كانت سمرة خضراء

وقال قتادة ومقاتل والكلبي كانت عوسجة وقال وهب من العليق وعن
ابن عباس عصاه عوسجة وذكر المسعودي بدء بقوله تعالى انا موسى فان
جميع ما في هذه السورة الا مخففة اني انا الله البيا المستجمع للاسماء الحسنى والصفات
العليا وفتح الهمزة نافع وابن كثير وابو عمرو وسكنها الباقون ثم
وصف نفسه تعالى بقوله تعالى رب العالمين اي خالق الخلائق
اجمعين وسيجيء قال البيضاوي وفيه دليل وان خالف فيه ما في طه والشعراء
في اللفظ فهو طبيعة في المعقول انتهى وقال ابن عادل واعلم انه
تعالى قال في سورة النمل يا موسى انه انا الله العزيز الحكيم وقال هنا يا موسى اني انا الله رب العالمين وقال في سورة طه يا موسى
اني انا ربك فكيف الجمع بين هذه الآيات فنقول ذكر الكلام الذي
تعالى حكي في كل سورة ما يجوز ان استدل عليه ذلك الدليل فان الله
تعالى اجرى على يدي عصاه ليدل به تعالى وما تلك بيمينك
يا موسى عصاك
عظيما في غاية الضخامة فلما فلما رآها اي العصا تهتز اي تتحرك كأنها
في سرعة حركتها جان اي حية صغيرة ولى مدبرا خوفا منها ولم
يلتفت اليها ولم يعقب اي يرجع قوله تعالى ولم يعقب يا موسى عليه
السلام جوابا لك كما تنبه عن سنة التفهيم على الهرب والاسراع
وتنبه على ما من الادب في الطلب فقيل له يا موسى اقبل ولا تخف
وكنى عنها بالايماء لان الخوف لما لا يحتمل له عليه من الامر
والنهي صحة بقوله تعالى انك من الآمنين اي الفائزين في
الامن كعادة اخوانك من المرسلين فانه لا يخاف لدينا المرسلون
غير ان ادخالها في سنة بقوله تعالى اسلك يدك في جيبك اي القميص الذي
مع تحفظ الرشاقة يدك في جيبك اي القميص الذي في

ويعود

ابي فارجعني عن الطاعة فكانوا احقاء ان يرسل اليهم ولما قال تعالى قد انكد
برهانا اي تعلم ذلك ان يذهب موسى بمعجزتين البرهانين الي فرعون
وقومه فعند ذلك طلب من يعينه بان قاله رب اي اني اخاف
اني قتلت منهم نفسا وهو القبطي السابق وانت تعلم اني ما خرجت
الا هاربا منهم لاجلها فاخاف ان بدأتهم بمثل ذلك ان يقتلون به لو حدثت
وعن بتي وتقتل لساني في اقامة الحجج فاخاف ان يفوت المقصود بقتلي
ولا يحصل من ذلك الا انت وان لساني فيه عقدة واخي هارون هو
افصح مني لسانا اي من جهة اللسان للعقدة التي كانت حصلت له
من وضع الجمرة في فيه وهو طفل في كفالة فرعون وقيل كانت من
اصل الخلقة والفصاحة لغة الخلوص ومنه فصح اللبن خلص من
رغوته وفصح الرجل جادت لغته وافصح تكلم بالعربية فارسله اي بسبب
ذلك معي ردءا اي معينا من ردأت فلانا بكذا اي جعلته له قوة وعاضدا
وردان يحاط اذا ارخمته بخشب او كبش يدفعه ان يستطرق وقرانا فتح
بنقل حركة الهمزة الى الدال وحذف الهمزة والباقون بسكون الدال
وتنوين الهمزة بعدها ولما كان له عليه من العطف والشفقة ما
يقبل الوصف عنه بنى على ذلك باجابة السؤال بقوله يصدقني اي بان
يخلص بفصاحة ما قلته ويبينه ويقيم الادلة عليه حتى يصير كالشمس
وهو حاضر فيكون مع تصديقه لي بنفسه سببا في تصديق غيره لي وقراء
عاصم وحمزة بضم القاف على الاستيناف او الصفة لردءا والباقون
بالسكون جوابا للامر قال الرازي ليس الغرض بتصديق هارون ان
يقول له صدقت او يقول للناس صدق موسى وانما قوان يخلص
بلسانه الفصيح وجوب الدلايل ويجيب عن الشبهات ويجادل به
الكفار فهذا هو التصديق المفيد وفائدة الفصاحة لنا تظهر في ذلك

المتناسبة ان الرهب الكم بليغة جبر ما عليكم يقولونه عطفي تعالى فيرهانك
وليست بشعر تي كيفية صحته في اللغة وهل يصح من الالبانات المتقابلة
الذي تعني عود سمر ي الي يشعر كي وتقه في الطاعة وكيف
تطبيقه للوصف ليسا بي كلمات التي يل عليها صوت كي عليه السلام
ما كان عليه ليلة الي الجاة لا لاه معانة حتى صوف لكم في ليلا تتمى
ويحتمل ان يكون ذ لها كم فصيح تبيين ظها الي تقريره عوض ان تقتلون
التي طويلة وح لا يقارن ذ يبين الذي تبيين عقدة بين تعالى اخبر
ان يعلم بلغة الي قد لا يذهب عطفا لما من تعني في عيد معانية لكنه
وقالوا فما من خاف يجد ان يجيء عليه السلام الا ان ذ صنع يده على
مصدر الجزء فيه وقالت عليها وكلا في ع وفتح جناحه الي تذهب
عليه الجيز ع فهو لما قبله ولابن كثير وابو عمرو بفتح الراء والهاء وفتحهما
بفتح الراء وسكون الهاء والباقون بضم الراء وسكون الهاء على الاصل
قال الزجاج وكل يقال كونه ثبت بقلبها الي الياء صحة وهو على الاصل وما
قال ابن تعالى ذ لك اي جعل المعجزات التي بيضاء واليد اشتد ابن كثير وابو
عمرو الميم وخففها الباقون ردءا لما ان ردءا اي معينا ردأت فلانا بكذا
مع سلاسة ان يكذبون اي بكذبهم التي ك الا يقيد ويتعلق صدقني غيرهم الي فرعون
يصدقني انت فانت مني عليه بالعلم كما لم ردت ذ لك عن وجه جدته لا انهما يكونان
لكم هنا ان يصدقه بحجة قط وليس قتل لم سميت الحجة برهانا اجيب
بانها لكونها ظاهرة جلية واضحة وما اجمل قوله لهم لكن اية البيضاء برهانا
اليهود على اللام بيانا والدليل على زيادة اللام قوله ان يكذبون لهم بترة الرجل
اذا جاء البرهان وتظهره تسميتهم بها دعاء مجازا ناصر السلطان هو
الذي يتقوى الانسان ويتعزز به ويستعين به على دفع اعدائه والذبابة
واسمها ذ يقال بقوله انهم كانوا الي حبلة وطبعا في وصلها اي اقوياء واسقيان

لانه مجرد قوله صدقت قال السدي بنبيين وآيتين اذ في كل من بني واحد
واية واحدة وهذا ظاهر من جهة العادة واما من جهة الدلالة فلا فرق
بين معجز ومعجزين ثم لعل سؤاله هذا بقوله **اني اخاف ان يكذبون**
اي فرعون وقومه ولساني لا يطاوعني عند المحاجة **قال** الله تعالى له
مجيبا لسؤاله **سنشد عضدك** اي امرك **باخيك** اي بسنويكه ونعينك
به **ونجعل لكما سلطانا** اي ظهورا عظيما وغلبة بالحجج والمهيبة لاجل
ما ذكرت من الخوف **فلا يصلون** اي تنتسب عن ذلك انهم لا **يصلون اليكما** بنوع
من انواع الغلبة **بآياتنا** اي بجعل ذلك بسبب ما يظهر على ايديكما من
الايات العظيمة بنسبتكما النبأ ولذلك كانت النتيجة **انتما ومن اتبعكما**
من قومكما وغيرهم **الغالبون** اي لا غيركم وهذا يدل على ان فرعون
لم يصل الى السحرة بشيء مما هددهم به لانهم من اكبر الاتباع الباذلين
انفسهم في الله تعالى وليس في القرآن ما يدل على انه فعل
بهم ما وعدهم به قال النقاش وكانه حدث امر فلم نعلمه لانه في
بيان امر فرعون وجنوده بدليل ما ذكر من ذكرهم وقد كشفت
العاقبة عن ان السحرة ليسوا من جنوده بل من حزب الله تعالى
وحزبه ومع ذلك فقد اشار اليهم بهذه الاية والتي بعدها انتهى
ولما كان التقدير فاتاهم كما امره الله تعالى وعاضده اخوه كما اجر
الله تعالى ودعاهم الى الله تعالى واظهر اما امر به من الايات بين
عليه مبينا بالفاء سرعة امتثاله **فلما جاءهم** اي فرعون وقومه ولما كانت
رسالة هارون عليه السلام انما هي تاييد لموسى عليه السلام اشار
الى ذلك بالتعريف باسم المجيء بقوله تعالى **موسى بآياتنا** اي التي
امرناه بها الدالة على جميع الايات للشاوي في خرق العادة حال
كونها **بينات** اي في غاية الوضوح **قالوا** اي فرعون وقومه **ما هذا** اي

الذي

الذي اظهرته من الايات **الا سحر مفتري** اي مختلق لا انه معجزة من
عند الله ثم اضافوا اليه ما يدل على جهلهم وهو قولهم **وما سمعنا** اي احد
بهذا اي الذي تدعونا اليه وتقوله من الرسالة عن الله تعالى **في آبائنا**
واشاروا الى البدعة التي اضلت كثيرا من الخلق وهي تحكيم عوايد
التقليد لا سيما عند تقادمها على القواطع فيقولهم **الاولين** وقد
كذبوا وافتروا لقد سمعوا بذلك على ايام يوسف عليه السلام
وما بالعهد من قدم فقد قال لهم الذي امن يا قوم اني اخاف عليكم
مثل يوم الاحزاب الى قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات
فما كذبتم وسم الكاذبون **قال** لهم **موسى** ربي اي المحسن الي **اعلم** اي
عالم **بمن جاء بالهدى** اي الذي اذن الله بعرفانه وهو حق في نفسه
من عنده فيعلم انه محق وانتم مبطلون وقرا ابن كثير بغير واو وقبل القاف
لانه قال جوابا لمقالهم والباقون بالواو لان المراد حكاية القولين
ليوازن الناظر بينهما فيميز صحيحهما من فاسدهما **ومن تكون له** اي
تكونه منظورا لوليه **عاقبة الدار** اي الراحة والسكن والاستقرار
قال قتيل العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يعم ان ليس عاقبة الدار
لان الدنيا اما ان تكون خاتمتها بخير او بشر فلم اختصت خاتمتها بالخير
بهذه التسمية دون خاتمتها بالشر اجيب بان الله تعالى قد وضع
الدنيا مجازا الى الاخرة واراد بعباده ان لا يعملوا فيها الا لاخرة وما
خلقهم الا لاجله ليبتلوا خاتمة خير واما عاقبة السوء فلا اعتداد
بها لانها من نتايج تخويف العباد وقرا حمزة والكسائي بالياء على التذكير
والباقون بالتاء على التانيث ثم علل ذلك بما اجرى الله تعالى به
عادته فقال معلما بان المحذور هو الكاذب اشارة الى انه الغالب
لكونه استقر في الانفس كما ان القوي لا يغلبه

الضعيف انه لا يفلح اي يظفر بفوز الظالمون اي الكافرون والذين يمشون
كما يمشي من هو في الظلام بغير دليل وقال فرعون جوابا لما مضى الترغيب
والترهيب يا ايها الملا اي الاشراف معظما لهم استجلابا للقلوب بهم ما علمت
لكم من اله غيري فنفي علمه بذلك ليتوصل بذلك الى نفي وجود الهية غير نفسه
نفسه فكانه قال ما لكم من اله غيري كما قال الله تعالى قال اتنبؤن
الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض معنا ما ليس فيهن وذلك
ان العلم تابع للموجود لا يتعلق به الا على ما هو عليه فاذا كان
الشي معدوما لم يتعلق به موجودا فمن ثم كان انتفا العلم بوجوده
انتفا وجوده وعبر عن انتفا وجوده بانتفا العلم بوجوده ويجوز ان
يكون على ظاهره وان الهاغيره غير معلوم عنده ولكنه ظان
بدليل قوله واني لاظنه من الكاذبين واذا ظنه كاذبا في اثباته
الها غيره ولم يعلمه كاذبا فقد ظن ان في الوجود الها غيره ولو لم
يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين بل عالما بصحة قول موسى
لقول موسى عليه السلام له لقد علمت ما انزل هولا الا رب
السموات والارض بصائر ثم تسبب عن جهله قوله لوزيره معلما
له صنعة الاجر لانه اول من عمله قاله عمر رضي الله تعالى عنه
حين سافر الى الشام ورأى القصور المشيدة بالاجر ما علمت
ان احدا بنى بالاجر غير فرعون فاوقد لي واضاف الايقاد اليه
اعلاما بانه لا بد منه يا هامان وهو وزيره على الطين اي المتخذ
لبنا ليصير اجرا ثم تسبب عن الايقاد قوله فاجعل لي اي منه
صرحا اي قصرا عاليا وقيل منارة وقال الزجاج كل بنا متسع
مرتفع لعلي اطلع اي اتكلف الطلوع الى اله موسى الذي يدعوا
اليه فانه ليس في الارض احد بهذا الوصف الذي ذكره فانا اطلبه
في السما

في السما موهما انه مما يمكن الوصول اليه وهو قاطع بخلاف ذلك ولكنه
يقصد المدافعة من وقت الى وقت قال اهل السير لما امر فرعون وزيره
هامان ببنا الصرح جمع العمال والفعلة حتى اجتمع خمسون الف بناء
سوى الاتباع والاجرا ومن يطبخ الاجر والجص وينجر الخشب ويضرب
المسامير فرفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان احد من
خلق اراد الله تعالى ان يفتنهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه فامر
بنشابة فضرب بها نحو السما فردت اليه وهي ملطخة دما فقال قد قتلت
اله موسى وكان فرعون يصعد على البراذين فبعث الله تعالى جبريل عليه
السلام فضرب الصرح بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقع منها قطعة على
عسكر فرعون فقتلت منهم الف الف رجل ووقعت قطعة في البحر وقطعة
في المغرب ولم يبق احد ممن عمل فيه بشي الا هلك ثم زادهم شكا بقوله
مؤكدا لاجل رفع ما استقر في الانفس من صدق موسى عليه السلام واني
لاظنه اي موسى عليه السلام من الكاذبين اي دابه وذلك وتكذيب
هو ليس وصف اصدق اهل ذلك الزمان بصفة نفسه الكريهة
في العدوان واستكبر اي واوجد الكبر بغاية الرغبة فيه هو بقوله
هذا الذي صدهم به عن السبيل وجنوده باتصادهم نسقة وعنتهم
في الكبر على الحق والاتباع للباطل في الارض اي ارض مصر قال
البقاعي ولعله عرفها اشارة الى انه لو قدر على ذلك في غيرها
فعل بغير الحق اي بغير استحقاق قال البقاعي والتعبير بالتعريف
يدل على ان التعظيم بنوع من الحق ليس بكبر وان كانت صورته كذلك
واما تكبره سبحانه فهو بالحق كله قال صلى الله عليه وسلم فيما حكاه
عن ربه الكبريا ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما
القيته في النار وظنوا اي فرعون وجنوده ظنا بنوا عليه اعتقادهم

في اصل الدين الذي لا يكون الا بقاطع **انهم الينا** اي الي حكمنا خاصة الذي يظهر عنده انقطاع الاسباب **لا يرجعون** بالنشور وقرأ نافع وحمزة والكسائي بفتح الياء وكسر الجيم والباقون بضم الياء وفتح الجيم ولما تسبب عن ذلك هلاكهم قال تعالى **فاخذناه وجنوده** كلهم اخذ قهر ونقمة وذلك علينا هين واشار تعالى الي احتقاره بقوله تعالى **فنبذناهم** اي طرحناهم **في اليم** اي البحر الملح فغرقوا وكانوا اعلم كثرة منهم وقوة بكميات صفار قد فيها الرامي السديد الدرس بيده في البحر وكذلك قوله تعالى والتينا فيها رواسي شامخات وقوله تعالى وحملت الارض والجبال فدككتا دكة واحدة ولما بينت هذه الاية من العلوم ما لا يحيط به الفهوم قال تعالى **فانظر** اي ايها المتعرف للايات الناظر فيها نظر اعتبار **كيف كان عاقبة** اي آخر امر **الظالمين** حيث صاروا الي المهالك هذا وقد مكر عن مثلهما وفي هذه الاشارة الي ان كل ظالم تكون عاقبته هكذا ان صابره المظلوم المحق ورد الصحتي يحكم الله وهو خير الحاكمين ولما كان من سن سنة حسنة كان له اجرها واجر من عمل بها الي يوم القيمة ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الي يوم القيمة قال الله تعالى **وجعلناهم** اي في الدنيا **ائمة** اي قدوة للضلال بالحمل على الاضلال وقيل بالتسمية كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا او بمنع الالطاف الصارفة عنه **يدعون** اي يوجدون الدعاء من اعتقدهم بجاههم فضلا بفضله لهم **الي النار** اي الي موجباتها من الكفر والمعاصي **وايام القيمة** اي بالخذلان **لا ينصرون** وفي وجبات الجنة من فعل الطاعات والنهي عن المنكرات جعلنا الله تعالى واحبابنا معهم بمحمد وآله ولما كان الغالب من حال الائمة

النصرة وكان قد اخبر عن حد لا نفع في الدنيا قال تعالى **ويوم القيمة** اي الذي هو يوم التغابن **لا ينصرون** اي لا يكون لهم نوع نصرة تدفع العذاب عنهم **واتبعنا في هذه الدنيا لعنة** اي طردا عن الرحمة ودعاء عليهم بذلك من كل من سمع خبرهم بلسانه او خاطنهم او بفعله الذي يكون عليهم مثل وزره او زرائهم وانما قال تعالى الدنيا ولم يقل الحياة قال التتابعي لان السياق لاختيار امرهم ودناءة شانهم **ويوم القيمة هم** اي خاصة دون غيرهم **من المقبوحين** اي المبعدين الصغار المخزيين مع قبح الوجوه والاشكال والشناعة في الاحوال والافعال والاحوال من القبح الذي هو ضد الحسن من قولهم قبحه الله اي بعده عن كل خير وقال ابو عبيدة من الكلمة قال التتابعي فيا ليت شعري اي صراحة بعد لله اني ان اقول عدو الله في الاخرة كما كان عدو الله في الدنيا فلعنة الله علي من يقول انه مات مؤمنا وانه لا صراحة في القرآن انه من اهل النار وعلي من شك في كفره بعد ما ارتكبه من جلي امره لا وقد قدمت الكلام في سورة يونس علي قول فرعون وانا من المسلمين ثم ان الله تعالى اخبر عن اساس امامة بني اسرائيل مقسما عليه من الافتتاح بحرف التوقع بقوله **ولقد اتينا** اي تحالفنا من الجلال والكمال **موسى الكتاب** اي التوراة الجامعة للهدي والخير في الدارين قال ابو حيان وهو اول كتاب نزلت فيه الفرائض والاحكام **من بعد ما اهلكنا القرون الاولى** اي من قوم نوح الي قوم فرعون وقوله تعالى **بصائر للناس** حال من الكتاب جمع بصيرة وهي نور القلب اي انوار القلوب فيبصر بها الحقائق ويميز بين الحق والباطل كما ان البصر نور العين الذي يبصر به **وهدى** اي للعامل بما فيه الى كل خير **ورحمة** اي نعمة هنية سرمدية لا يمانها قابلية الفهم واذ ذكر حالها

ذكر حالهم بعد اتى لهما بقوله تعالى **لعلهم يتذكرون** اي ليكون حالهم
حال من يرجى تذكرهم ان الله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم
بقوله تعالى **وما كنت** اي يا افضل الخلق **بجانب الغربي** قال قتادة بجانب
الجبل الغربي وقال الكلبي بجانب الوادي الغربي اي الوادي من الطور الذي
راى موسى عليه السلام فيه النار وهو ما يلي البحر من جهة الغرب
على يمين المتوجه الى ناحية مكة المشرفة من ناحية مصر فنادانيه
العزيز الجبار وهو ذو طوى **اذ** اي حين **اوحينا** اي اوحينا **الى موسى**
الامر اي الرسالة الى فرعون وقومه وما يريد ان يفعل من ذلك في
اوله واثنايه واخره مجملا فكان كلما اتى فاتحه مطابقا تفصيله لاجماله
وما كنت اي بوجه من الوجوه **من الشاهدين** لتفاصيل ذلك الامر
الذي اجملناه لموسى عليه السلام حتى تخبر به كله على هذا الوجه
الذي اتيناك به في هذه الاساليب المعجزة ولا شك انه سعرفتك
لذلك من قبيل الاخبار عن المغيبات التي لا تعرف الا بالوحي ولذلك
استدرك عنه بقوله تعالى **ولكنا** اي بما لنا من العظمة **انشانا** بعد ما
اهلكنا اهل ذلك الزمان الذين علموا هذه الامور بالمشاهدة
وهم السبعون المختارون للميقات او بالاخبار كلهم **قرونا** اي امما
كثيرة بعد موسى عليه السلام **فتطاول** اي بمروره وعلوه **عليهم**
العمر اي ولكنا اوحينا اليك انا انشانا قرونا بعد موسى
فتطاولت عليهم المدد فنسوا العهود وانمحت العلوم وانقطع
الوحي فحذف المستدرك وهو اوحيناه واقام سببه وهو الانشاء
مقامه على عادة الله تعالى واختصاراته فهذا الاستدراك
شبيه بالاستدراكين بعده فانه قيل ما الفائدة في اعادة قوله
تعالى وما كنت من الشاهدين بعد قوله وما كنت بجانب الغربي

لانه ثبت بذلك انه لم يكن شاهدا لان الشاهد لا بد ان يكون حاضرا
اجيب بان ابن عباس قال التقدير ولم تحضر ذلك الموضع ولو
حضرت فاسمعتك تلك الوقايع فانه يجوز ان يكون هناك
ولا يشهد ولا يرى وقرا ابو عمرو في الوصل بكسر الهاء والميم وحمزة
والكسائي بضم الهاء والميم وحمزة في الوقف بضم الهاء وسكون الميم
والباقون في الوصل بكسر الهاء وضم الميم وكما نفى العلم عند ذلك
بطريق الشهود نفى سببه العلم بذلك بقوله تعالى **وما كنت ثاويا**
اقامة طويلة مع الملازمة **بمدين** بن ابراهيم عليه السلام اي قوم شعيب
عليه السلام كمقام موسى في شعيب فيهم **تتلوا** اي تقرا عليهم قصتهم
منهم **اياتنا** العظيمة التي منها قصتهم لتكون من تمام باهور الوحي و
تبصرة دقيق اخباره فيكون جزما وجاء موسى عليه السلام معك
ولكنا كنا مرسلين اياك رسولا وانزلنا عليك كتابا فيه هذه
الاخبار تتلوها عليهم ولولا ذلك ما علمتها ولم تخبرهم بها **وما كنت**
بجانب الطور اي بناحية الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى
اذ اي حين **نادينا** اي اوقعنا النداء الموسى عليه السلام فاعطينا
التوراة واجبناه بما لا يمكن الاطلاع عليه الا من قبلنا وقبله
ومن ثم المشهور انكم تطلعون على شيء من ذلك من قبله لانك
ما خالطت احدا ممن حمل تلك الاخبار عن موسى عليه السلام
ولا احد حملها ممن حملها عنه ولكن كان ذلك لتكون شاهدا وهو معنى
قوله تعالى **ولكن** اي انزلناها اردنا وارسلناك به **رحمة من ربك**
لك خصوصا وللمخلوق عموما وقيل اذ نادينا موسى هذا الكتاب
بتوه وقال وهب قال موسى يا رب اراني محمدا قال انك لن تقدر
الى ذلك وان شئت نادبت امته واسمعتك صوتهم قال بلى يا رب

قال الله تعالى يا امة محمد فاجابوه من اصلاب ابائهم وقال ابو زرعة
نادى يا امة محمد قد اجبتكم قبل ان تدعوني واعطيتكم قبل ان تسالوني
وروي عن ابن عباس ورفعه بعضهم قال الله تعالى يا امة محمد
فاجابوه من اصلاب الاباء وارحام الامهات لبيك اللهم لبيك ان الحمد
والنعمة لك والملك لا شريك لك قال الله تعالى يا امة محمد ان رحمتي
سبقت غضبي وعفوي عقابي وقد اعطيتكم قبل ان تسالوني وقد
اجبتكم من قبل ان تدعوني وقد غفرت لكم من قبل ان تستغفروني
من جاء يوم القيمة يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبدي ورسولي
دخل الجنة وان كانت ذنوبه اكثر من زبد البحر تنبيه قال البيضاوي
لعل المراد به اي بقوله تعالى وما كنت بجانب الطور اذ نادينا وقت
ما اعطاه التوراة وبالاول اي بقوله تعالى وما كنت بجانب الغربي
اذ قضينا حيث استبانه لانهما المذكوران في القصة وقوله تعالى لتنذر
اي ليحذر تحذيرا كثيرا قوما اي اهل فترة وغفلة ليس بهم عاص عن
اسماعيل الخبر الفظيعة الاعراض عنك وهم العرب ومن في ذلك الزمان
من الخلق يتعلق بالفعل المحذوف ما اتاهم وعم النفي بزيادة
الكاف في قوله تعالى من نذير وزيادة ما في قوله تعالى من
قبلك اي لهلي الزمن القريب وهو زمن الفترة بينه وبين عيسى
عليهما الصلاة والسلام وهو خمسمائة وخمسون سنة وقوله هذا
قوله تعالى لتنذر قوما ما انذر اباؤهم وقيل ليس المراد زمن
الفترة بل ما بينه وبين اسماعيل عليهما السلام على ان دعوة
موسى وعيسى كانت مختصة ببني اسرائيل وبما حولهم لعلهم
يتذكرون اي يتعظون ولولا ان تصيبهم اي في وقت من
الاوقات مصيبة اي عظيمة بما قدمت ايديهم اي من المعاصي

التي

التي تقضينا بانها مما لا يعفى عنه فيقولوا ربنا اي يا ايها المحسن الينا
لولا اي هلا ولم لا ارسلت الينا اي علي وجه التشريف لنا لنكون على
علم بانا ممن يعتني الملك الاعلى به رسولا واجاب التحضيض الذي
شانه ان يدخل على الامر ليكون كل منهما باعثا على الفعل بقوله تعالى فنتبع اي
فيتسبب عن ارسال رسولك ان نتبع اياتك ونكون اي كونا هو في
غاية الرسوخ من المومنين اي الكاملين فقل لكل من كلما اتى به عندك
رسولك تنبيه لولا الا ولي امتناعية وجوابها محذوف تقديره كما قال
الزجاج ما ارسلنا اليهم رسولا لانه يقتضي ان نحاسبهم على ارسال الرسل
اذا حتى علمهم بهذا القول فهو كقوله تعالى لئلا يكون للناس على الله
حجة بعد الرسل والثانية تحقيقية ونتبع جوابه كما مر فلذلك
نصب باضمار ان فان قيل كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت
العقوبة هي السبب لدخول الامتناع عليه دون اجيب بان القول
هو المقصود بان يكون سببا للارسال ولكن العقوبة هي السبب
لا القول وكان وجوده جعلت العقوبة كانها سبب للارسال بواسطة
القول فادخلت عليها لولا وجيء بالقول معطوفا عليها بالفاء
المعطية معنى السببية ويوول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا
اذا اصابتهم مصيبة بما ارسلنا ولكن اخترت هذه الطريقة
لتكذيبهم اياهم لو لم يجابوا سئلا على كفرهم وقد عاينوا ما اجبروا
به الى العلم اليقين ببطلان دينهم لم يقولوا لولا ارسلت الينا
رسولا بل انما يقولون اذا نالهم العقاب وانما السبب في قولهم
هذا هو العقاب لا غير لا التاسف على ما فاتهم من الايمان بخلافهم
وهو قوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولكان التقدير
ولكنا ارسلناك عبثا الى قطع حجتهم لئلا يبنى عليه فلما جاءهم اي اهل مكة

الحق اي الذي هو اعم من الكتاب والسنة وما تواطئ عليهما وهو في نفسه
حد برهان يقبل لكونه في ذروة العليا من البيانات وكيف وهو حق عندنا
على ما لنا من العظمة وهو على لسانك وانت اعظم الخلق قالوا اي اهل
الدعوة من العرب وغيرهم تعنتا كفرا به لولا اي هلا ولم لا اوتي اي
هذا الاتي بما يزعم انه احق من الايات مثل ما اوتي موسى من الايات
كاليد البيضاء والعصى وغيرهما من كون الكتاب انزل عليه جملة واحدة
قال الله تعالى اولم يكفروا اي العرب ومن بلغته الدعوة من بني اسرائيل
وهن كانت مثلهم في البشرية والعقل في زمن موسى بما اوتي موسى
عليه السلام من قبل اي من قبل مجيء الحق على لسان محمد صلى الله
عليه وسلم ولما كان انكارهم قد قيل سلكان كفروا به قبل قالوا اي
فرعون وقومه ومن كفر من بني اسرائيل ساحران اي هو كما اخوه
عليهما السلام تظاهرا اي اعان كل منهما صاحبه على سحر حتى
صار سحرهما معجزا فغلبا جميع السحرة وتظاهر الساحرين من
تظاهر السحرين على قراءة الكوفيين بكسر السين وسكون الحا
وقرأ الباقون بفتح السين وكسر الحا والف بينهما تنبيه يجوز ان يكون
الضمير محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام قاله البقاعي وهو اقرب
وذلك لانه روي ان قريشا جاءت الى يهود فسألوهم عن محمد صلى الله
عليه وسلم فاخبروهم ان نعته في كتابهم فقالوا هذه المقالة
فيكون الكلام استئنافا فالجواب من كانه قال ما كان كفرهم بهما فقيل
قالوا اي العرب الرجلان ساحران والكتابان ساحران ظاهر
احدهما الاخر مع علم كل ذي لب ان هذا القول زيف لانه لو كان
سرطا اعجاز السحر لتظاهر لكانت سحرة فرعون اعجز اعجازا لانه
تظاهر عليه جميع سحرة بلاد مصر وعجزوا عن معارضة ما اظهر

موسى

موسى عليه السلام من الاية كالعصى واما محمد صلى الله عليه وسلم فقد
دعا اهل الارض من الجن والانس الى معارضة كتابه واخبرهم انهم عاجزون
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فعجزوا عن اخرهم ولما تعنتوا من تولهم ذلك الكفر
صرحوا به وقالوا اي كفارقريش انا بكل اي من الساحرين والسحرين اللذين
تظاهرا بهما وما اتيتنا به من عند الله كافرون جراة على الله تعالى وتكبرا
على الحق ثم قال الله تعالى قل اي لهم الزاما ان كنتم صادقين في ان ساحرا
وكتابه سحر وكذلك موسى عليه السلام فاتوا بكتاب من عند الله اي الملك
العلي الاعلى هو اي الذي تاتوا به اهدى منهما اي من الكتابين وقوله اتبعه
اي وانتم جواب الامر وهو فاتوا ان كنتم اي ايها الكفار صادقين اي
في انا ساحران فاتوا ايها الزعيم به قال البيضاوي وهذا من الشرط
الذي يراد به الالزام والتبكيت ولعل مجيء حرف الشك لتهكم بهم فان لم
يستجيبوا لك اي دعاءك الى الكتاب الاهدى فحذف المفعول للعلم به
ولان فعل الاستجابة يتعدى بنفسه الى الدعاء وباللام الى الداعي
فاذا عدي اليه حذف الدعاء غالبا كقوله القائل وداع اي رب داع
دعانا من يجيب الى الذاع فلم يستجبه عند ذاك مجيب الشاهد
في يستجيبه حيث عداه الى الداعي وحذف الدعاء والتقدير فلم يستجب
دعاءه فاعلم انما يتبعون اي بغاية جهدهم فيما هم عليه من الكفر
والتكذيب اهواءهم اي دايما واكثر المهوي مخالف للمهدي فلهم ظالمون
غير مهتدين بل هم اضل الناس وذلك معنى قوله تعالى ومن اضل
ممن اتبع اي بغاية جهده هواه اي لا احد اضل منه فهو استفهام
بمعنى النفي وقوله تعالى بغير هدى من الله في موضع الحال للتوكيد
والتقييد فان هوى النفس قد يوافق المهدي ان الله لا يهدي
القوم الظالمين اي وان كانوا اقوى الناس لاتباعهم اهواءهم

ولقد وصلنا قال ابن عباس بينا وقال الغوا انزلنا ايات القرآن يتبع
بعضهم بعضا لهم اي خاصة فكان تخصيصهم بذلك منة عظيمة يجب عليهم
شكرها القول اي القرآن فقال مقاتل بينا لكفار مكة بما في القرآن
من اخبار الامم الخالية كيفما عذبوا بتكذيبهم وقال ابن زيد وصلنا
لهم حبل الدنيا بحبل الاخرة حتى كانهم عاينوا الاخرة في الدنيا لعلهم
يتذكرون اي ليتكون حال من يرجى لهم ان يرجعوا الى عقولهم فيجدوا
فيما طبع فيها ما يذكرهم باكثر من كانه قيل هل تذكر منهم احدا فقيل نعم
اهل الكتاب الذين هم اهله حقا تذكروا وذلك معنى قوله تعالى الذين
اتيناهم الكتاب من قبله اي القرآن وقيل محمد صلى الله عليه وسلم
هم به اي بما تقدم يؤمنون ايضا نزل في جماعة اسلموا من اليهود عبد
الله بن سلام واضرابه وقال مقاتل هم اهل الانجيل الذين قدموا
من الحبشة وامنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال سعيد بن جبير
هم اربعون رجلا قدموا مع جعفر من الحبشة على النبي صلى الله عليه
وسلم فلما رآهم المسلمين من الخاصة قالوا يا نبي الله ان لنا اموالا
قال اذن لنا ان نفرقها فجيئنا باموالنا فواسينا بها المسلمين فانزل
لهم فانفقوا اموالهم فواسوا بها المسلمين فنزل فيهم ذلك الى
قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وعن ابن عباس نزلت في ثمانية
من اهل الكتاب اربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة
وثمانية من الشام هم وصفهم الله تعالى بقوله تعالى واذا يتلى اي يتجدد
تلاوة القرآن عليهم قالوا اي مسارعين امنا به انه الحق اي الكامل الذي ليس وراءه الا الباطل مع كونه من ربنا
اي المحسن الينا ثم علوا امارتهم بقولهم انا كنا من قبله اي القرآن
مسلمين اي منقادين غاية الانقياد مخلصين لله بالتوحيد موحدين

محمد صلى الله عليه وسلم انه نبي حق اولئك اي العالو الرتبة يؤتون اجرهم
مرتين اي لايمانهم به غيبا وشهادة اي بالكتاب الاول ثم بالكتاب الثاني
بما صبروا اي بسبب صبرهم على دينهم وقال مجاهد نزلت في نوفل من اهل
الكتاب اسلموا فاوذوا وعن ابي بردة عن ابي موسى ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ثلاثة يؤتون اجرهم مرتين رجل كانت له جارية
فاد بها فاحسن ادبها ثم اعتقها وتزوجها ورجل كان من اهل الكتاب
امن بكتابه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعبد احسن عبادة الله
ونصح سيده ولما كان الصبر لا يتم الا بالاقتران بالمحاسن والانخلاع عن
المساوي قال تعالى عاطفا على ما مضى يدفعون مشيرا الى تجديد هذه الافعال
بالحسنى ويدرءون اي يدفعون بالحسنة من الاقوال والافعال السيئة
اي ينحون بها وقال ابن عباس يدفعون بما سمعوا من الاذى
والشتم من المشركين بالصفح والعفو ومما رزقناهم اي بعظمتنا لا بحولهم
ولا قوتهم قليلا كان او كثيرا ينفقون اي يتجددون معتمدين
في الخلف على الذي رزقه وقد ذكر ان السماح ما تسمح به النفوس
به من فضول الاموال من امارات الايمان اذ يبعد ان حرب ما تبذله
الانفس من فضول الاقوال من علامات العرفان بقوله تعالى واذا
سمعوا اللغو اي ما لا ينفع في دين ولا دنيا من شتم وتكذيب وتعيير
ونحوه اعرضوا عنه تكرما عنه تحاشا وقبل اللغو القبيح من القول
وذلك ان المشركين كانوا يسبون النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فيقولون لهم
شاكة تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم وقالوا وعظا
وتنبيها لقائليه لنا خاصة اعمالنا لا تتابعون على شيء منها ولا تقارفون
ولكم ايضا خاصة اعمالكم لا نطالب بشيء منها فنحن لا نشتغل بالرد
عليكم سلام عليكم متاركة لهم وتوديعا ودعالهم بالسلامة عما هم

فيه لاسلام تحية واكرام ونظير ذلك واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ثم اكد ذلك بقوله تعالى حاكيا عنهم **لا نبتغي** اي لا نكلف انفسنا ان نطلب **الجاهلين** اي من يد سيا من احوالهم واقوالهم او عين ذلك من خلالهم وقيل لا نريد ان نكون من اهل الجهل والسفه فبل نسخ ذلك بالامر بالقتال وهو بعيد لان ترك المسافهة مندوب واذا كان القتال واجبا ونزل في حرصه صلى الله عليه وسلم على ايمان عمه ابي طالب **انك لا تهدي من احببت** اي نفسه او هداية يخلق الايمان في قلبه روي سعيد بن المسيب عن ابيه انه قال لما حضرت ابا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده ابا جهل وعبد الله بن ابي امية بن المغيرة فقال اي عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله فقال ابو جهل وعبد الله بن ابي امية اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل صلى الله عليه وسلم يعرضها ويعيدانه بتلك الكلمة حتى قال ابو طالب آخر ما كلمهم به على ملة عبد المطلب وابى ان يقول لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم انه عن ذلك فانزل الله تعالى ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين وانزل الله تعالى في ابي طالب فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لا تهدي من احببت الاية وفي مسلم عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم امره بالتوحيد فقال له لولا ان يقبح بي نساء قريش تقول انما حمله على ذلك الجزع لاقررت بها عينك فانزل الله تعالى الاية وروي ان ابا طالب قال عند موته يا معشر بني هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم ترى امرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد منك

منك كلمة واحدة فانك في آخر يوم من ايام الدنيا تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال يا ابن اخي قد علمت انك صادق ولكني اكره ان يقال جزع عند الموت ولولا ان تكون عليك وعلى بني ابيك غضاضة وسبة بعدي لقلتها ولا قررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك ونصيحتك ولكن سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وعبد مناف فان قيل قال الله تعالى في هذه الاية انك لا تهدي من احببت **ولكن الله يهدي من يشاء** وقال تعالى في اية اخرى وانك لتهدي الى صراط مستقيم اجيب بانه لا تنافي بينهما فان الذي اثبته واضافه اليه الدعوة والذي نفي عنه هداية التوفيق وشرح الصدور وهو نور يقذف في القلب فيحيي به القلب كما قال تعالى او من كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس **وهو اعلم** اي عالم **بالمهتدين** اي الذين هيأهم لقبول الهدى بعد خلقهم سواء كانوا من اهل الكتاب او من العرب اقارب كانوا او اباعد ثم حكى الله تعالى عن كفار قريش شبهة تتعلق باحوال الدنيا بقوله تعالى **وقالوا ان نتبع الهدى** اي الاسلام فنوحد الله تعالى من غير استراك **معك** وانت على ما انت عليه من مخالفة الناس **نتخطف** اي من اي خاطف اراد لانا لا ناصر قليل لا يمنع كثير من غير **قومنا من ارضنا** كما تتخطف العصافير لمخالفة كافة العرب لنا وليس لنا نسبة الى كثرتهم ولا قوتهم فيسرعوا الينا فيخطفونا اي يقصدون خطفنا واحدا واحدا فانه لا طاقة لنا على اطاقة الاجتماع وان الاسيد بعضنا عند بعض قال المبرد وتخطف الانتزاع بسرعة نزلت في الحارث بن نوفل بن عبد مناف قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لنعلم ان الذي تقوله حق

عد

ولكن ان اتبعناك على دينك وخالفنا العرب بذلك وانما نحن اكلة رأس
خفنا ان تخرجنا العرب من ارضنا مكة فمر الله تعالى عليهم هذه الشبهة
والتهم بحجته بقوله تعالى اولم نمكن اي بغاية التمكين لهم اي في وطانهم
وحال سكناهم بما لنا من القدرة حرما آمنا اي ذا امن يأمن فيه كل
خائف حتى الطير من كواسرها والوحش من جوارحها حتى ان سيل
الحل لا يدخل الحرم بل اذا وصل اليه عدل عنه وروي ان مكة كانت
في ايام اهلية لا تعرض فيها ظلما ولا بغيا ولا يبغي فيها احد الا اخرجته
وكان الرجل يلقى قاتل ابيه وابنه فيها فلا يمسه ولا يتعرض له
بسوء وروى الازرقي في تاريخ مكة عن حويطب بن عبد العزى
قال كان في الكعبة حلق يد خل الخائف يده فيها فلا يرمي احد
فجا خائف ليد خل يده فاخذ به رجل فشلت يده فلقد رايته في
الاسلام وانه لاشل وعن ابن عباس قال اخذ رجل ذودا بن عم له
فاصابه في الحرم فقال ذودي فقال اللص كذبت قال فاحلف
فحلف عند المقام فقال رب الذود بين الركن والمقام باسط يديه
يدعو فما برح مقامه يدعو حتى ذهب عقل اللص وجعل يصيح بمكة
مالي ولعلا ذا رب الذود فبلغ ذلك عبد المطلب فجمع الذود
ودفعه الى المظلوم فخرج به وبقي الآخر حتى وقع من جبل فتردى
فاكلته السباع وعن ابن جريج ان غير قريش من العرب كانوا يطوفون
بالبيت عراة الا ان اعارتهم قريش ثيابا فجاءت امرأة لهم جمال فطافت
عريانة فراها رجل فاعجبته فدخل فطاف الى جنبها فادنى عضوه
من عضدها فالتزقت عضده بعضدها فخرجا من المسجد هاربين
فزعين علي وجوههما لما اصابهما من العقوبة فلقيتهما شيخ من
قريش فاثنا عليهما ان يعودا الى المكان الذي اصابا فيه الذنب فيدعوا

ويخلصان

ويخلصان ان لا يعودا فعادا ودعوا واخلصا النية فافترقت اعضادهما
فذهب كل واحد منهما في ناحية وعن عبد العزيز بن رواد ان قوما
انتهوا الى ذي طوى فاذا ظبي قد دنا منهم فاخذ رجل منهم بقائمة من
قوائمه فقال له اصحابه ويحك ارسله فجعل يضحك وابى ان يرسله
فبعد الظبي وبالهم ارسله فاموا في القافلة ثم انتهوا فاذا الحية
مشدوقة على بطن الرجل الذي اخذ الظبي فلم تزل الحية عنه حتى كان
منه ما كان سئل ما كانت من الظبي وعن مجاهد قال دخل قوم مكة
تجارا من الشام في ايام اهلية فنزلوا اذا طوى فاختبزوا عملة لهم ولم
يكن معهم ادام فرمى رجل منهم ظبية من ظباء الحرم وهي حولهم ترتعي
فقاموا اليها فسلخوها وطبخوها ليأكلوا من لحمها فبينما هم كذلك
يغلي لحمهم اذ خرجت من تحت العقدة عنق من النار عظيمة فاحرقت
القوم جميعا ولم تحرق شيئا منهم ولا امتعتهم وعن ايوب بن موسى ان امرأة
في ايام اهلية كان معها ابن عم لها صغير فقالت له يا بني اني اغيب عنك
واني اخاف ان يظلمك احد فان جاءك ظالم بعدي فاذهب بمكة بيتا
سيمنعك منه فجاءه رجل فذهب به فاسترقه فلما راى الغلام البيت عرف
الصفة فنزل يشتد حتى تعلق بالبيت فجاء سيده فمد يده ليأخذه
فيبست يده فمد الاخرى فيبست فاستغيث فافتى ان يخبر عن
كل واحدة من يديه بدنة ففعل فاطلقت يداه وترك الغلام وخلى
سبيله وعن ابي ربيع بن سالم الكلاعي ان رجلا من كنانة بن هذيل
ظلم ابن عم له فتوعده بالدعاء في الحرم فقال له هذا قتلي فلانة اركبها
فاذهب اليه فاجتمعا في الدعاء فجاء في الحرم في الشهر الحرام فقال
اللهم اني ادعوك جاهدا مضطرا على ابن عمي فلانة ترميه بداء لا دواء
له الا الفرق فوجد ابن عمه قد رمي في بطنه فقطع مثل الزق فمات ال

يستغني حتى انسق وعن عمر رضي الله عنه انه سأل رجلا من بني سليم عن ذهابه
بصره فقال يا امير المومنين كنا بنبي صنما عشرة وكان لنا ابن عم فكنا نغلبه
فكان ذبن كرنا بالله وبالرحم فلما راى انا لا ننكف عنه اتى البيت الحرام في
الاشهر الحرم فحمل يرفع يديه ويقول اللهم ادعوك دعا جاهدا
اقتل بني الصنما الا واحدا ثم اضرب الرجل ودعه قاعدا اعمى
اذا قيد يعني القائد قال فما اتت علي التسعة حتى تسعة اسهم
في كل سهم واحد وبقيت انا فمشيت ورماني الله عز وجل في رجلي
فليس بلا يعني قايد فقال عمر حمل الله هذا في الجاهلية اذ لا دين
حرمة حرمها الله وكف فيها ليرجع الناس عن انتهاك ما حرم
مخافة تعجيل العقوبة فلما جاء الدين صار التوعد للسلعة ويستجيب
الله تعالى لمن شاء واتقوا الله وكونوا مع الصادقين واما الكرث من هذه
الحكاية ليكون الداخل للحرم على حذر فان الله تعالى جاء ومكن
اهله في الحرم الذي امنه بحرمة البيت وامن قطانه بحرمته وكانت
العرب في الجاهلية حولهم تتغاورون وتتناهبون وهم امنون في
حرمهم لا يخافون وبحرمة البيت هم قارون بواد غير ذي زرع والثمرات
والارزاق تجبى اليهم كما قال تعالى يجبى اي يجمع ويحمل اليه اي خاصة
دون غيره من جزيرة العرب ثمرات كل شيء من النبات الذي بارض
العرب من ثمر البلاد المجاورة كالبسر والرطب والبقل والبادرة كالعنب
والتفاح والرمان والخوخ فاذا خولهم الله تعالى ما خولهم من الامن
والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة اصنام فكيف
يستقيم اذ بغيرهم للخوف والتخطف وسبيلهم الامن اذا اضيفت الى
حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى اهل الحرم حقيقة
والى الحرم مجاز تنبيه معنى الكلية هنا الكثرة كقوله تعالى

واوتيت

واوتيت من كل شيء ولكن في تعبيره بالمضارع وما بعده اشارة الى
الاستمرار وانه يأتي اليه بعد ذلك من كل ما في الارض من الممالك
يجلى لاحد منهم في بال وقرا نافع بالتاء الفوقية والياقوت بالياء التحتية
واما حمزة والكسائي بخلفه وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون
بالضم ثم انه تعالى بين ان الرزق من عنده بقوله تعالى رزقا من لدنا
اي فلا صنع لاحد فيه بل هو محض تفضل تنبيه انتصاب رزقا على المعنى
من معنى يجبى اذ الحال من ثمرات لتخصيصها بالاضافة كما تنتصب عن
النكرة المخصصة واذ جعلته اسما للمرزوق انتصب على الحال من
ثمرات ولكن اكثرهم اي اهل مكة وغيرهم ممن لا هداية له لا يعلمون اي ليس
لهم قابلية للعلم حتى يعلموا انا نحن الفاعلون لذلك فهم جملة لا
يتفطنون له ولا يتفكرون ليعلموا او قيل انه متعلق بقوله تعالى من
لدنا اي قليل منهم يتدبرون فيعلمون ان ذلك رزق من عند الله
اذ لو علموا لما خافوا غيره ثم بين تعالى ان الامر بالعكس فانهم احقا
بان يخافوا من بأس الله تعالى على ما هم عليه لقوله تعالى وكم
اهلكنا من قرية اي من اهل قرية واسناد اهي سبب الاهلاك بقوله
تعالى بطرت معيشتها اي وقع منها البطر في زمن عيشها الرخي
الواسع فكان حالهم كما تكرر في الامن وادرار الرزق فلما بطروا معيشتهم
اهلكناهم ومعنى بطرهم لما قال عطاءهم اكلوا رزق الله وعبدوا
غيره وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله تعالى
فيه وفيه تنبيه انتصاب معيشتها اما بحذف الجار وافضاء الفعل
كما في قوله تعالى واختار موسى قومه او بتقدير حذف ظرف الزمان
اصله بطرت ايام معيشتها واما بتضمين بطرت معنى كفرت او خسرت
او على التمييز او على التشبيه بالمفعول به وهو قريب من سفه

نفسه فتلك مساكنهم خاوية لم تسكن من بعد بعد ان طال ما تقلبوا فيها
وعتوها وزخرفوها وتنوفوا فيها الابكار وفرحوا بالاعمال الكبار الا
سكونا قليلا قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافرون ومارواالطريق
يوما وساعة من ليل او نهار ثم تصير بنا بامر حشته كالعقار
بعد ان كانت متمنعة القناببيعز الصناع وبمر القنا قال الزمخشري
ويحتمل ان نسوم معاهي الممالك من بقي انزه في ديارهم فكل من سكنها
من اعقابهم لم يبق فيها الا قليلا وكنا اي ازلا وابدا نحن لا غيرنا الوارثين
منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تقرفهم في ديارهم وسايرمتصرفاتهم
قال القاضي تخلف الاثار عن اصحابها حينا وبدلكها الفناتتبع
وما كان ربك اي المحسن اليك بالاحسان بالارسال اليالناس
مهلك القرى اي بعد الحبس كلمة بجرم وان عظم حتى يبعث في امها
اي اعظمها واشرفها رسولا لان عنايته لهما ولم يشترط كونه
من امها فقد عيسى عليه السلام من الناصرة وبعث الي
بيت المقدس يتلوا عليهم اي اهل القري كلهم اياتنا الدالة على
ما ينبغي لنا من الحكمة وبما لها من الاعجاز على نفوذ الكلمة وباهر
العظمة الزاما للحجة وقطعا للعذر لئلا يقولوا لو ربنا لولا ارسلت الينا رسولا وكذلك كما ارسلنا محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الانبيا من
ام القري كلها وهي مكة البلد الحرام وما كنا مهلكي القري
اي كلها بعد الارسال الا واهلها ظالمون اي عريقون في
الظلم بالعصيان بترك مئزات الايمان والتكذيب الرسل وما اوتيتم
من شيء من اسباب الدنيا فمتاع اي فهو متاع الحياة الدنيا وليس
يعود نفعه على غيرها فهو الي فساد وان طال زمن التمتع به

وزينتها

ومن زينتها اي التي هي زينة الحياة الدنيا التي هي كلها تفاهة من زينتها الي فنا
فليست هي ولا شيء باذلي ولا ابدي وما عند الله اي الملك الاعلى
وهو ما لا عين رات ولا اذن سمعت خير على تقدير مشاركة ما تي
الدنيا له في الخيرية في ظنكم لان الذي عنده اطيب واكثر واشهي
وازهي وهو مع ذلك كله ابقى لانه وان شاركه متاع الدنيا في انه
لم يكن ازليا فهو ابدي وهذا جواب عن شبهتهم فانهم قالوا لو كنا
الدين ليلا تؤتنا الدنيا فبين تعالى ان ذلك خطا عظيم لان ما عند
الله خير وابقى من وجهين الاول ان المنافع هناك اعظم والثاني
انها خالصة عن السوايب ومنافع الدنيا مشوبة باضدادها لان
فيها اكدارا واما انها ابقى فلانها دايمة غير منقطعة ومن قابل المتناهي
بغير المتناهي كان عدما فظهر بهذا ان منافع الدنيا لا نسبة لها الي
منافع الاخرة فلله الحمد على ذلك بقوله تعالى افلا يعقلون ان
الباقي خير من الفاني فيستبدلون الذي هو ادني بالذي هو خير
فمن لم يرجح منافع الاخرة على منافع الدنيا فانه يكون خارجا عن حد
العقل قال ابن عادل ورحم الله الشافعي حيث قال من وعي بثلث
ماله لا عقل الناس صرف ذلك الثلث الي المشتغلين بطاعة الله
تعالى لان عقل الناس من اعجل العجيل واخذ الكثير وهم الا
المشتغلين بالطاعة فكانه رحمه الله تعالى انما اخذه من هذه الاية
وقرا ابو عمرو بالياء وهو ابلغ في الموعظة لاشتماله على الالتفات
للاعراض به عن خطابهم والباقون بالتاء على الخطاب جريا على ما
تقدم افمن وعدناه على عظمتنا في الغنى والقدرة والصدق وعدا
حسنا لاشيء احسن منه في موافقته للامنية وبهائه وهو الجنة فان
حسن الوعد بحسن الموعود ولذلك سمي الله الجنة بالحسنى فهو لاقيه

اي مدركه لامتناع تخلفه في وعده ولذلك عطفه بالفا المعطية معنى
السببية فمن متعناه متاع الحياة الدنيا اي الذي هو موسوم بالالام
مكدر بالمتاعب متعقب للتحسر على الانقطاع وعن ابن عباس ان الله
تعالى خلق الدنيا وجعل اهلها ثلاثة اصناف المومن والمنافق والكافر
فالمومن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع ثم هو مع ذلك كله
يوم القيمة الذي هو يوم التغابن من حضر فيه لم يربح اصلا من المحضرين
اي المحتومين على الحضور الى مكان يودون لو افتدوا منه بملي الارض
ذهبا لم يقبل منه قال قتادة تجزم المومن والكافر قال مجاهد نزلت
في النبي صلى الله عليه وسلم وابي جهل وقال محمد بن كعب نزلت
في حمزة وعلي وفي ابي جهل وقال السدي نزلت في عمار والوليد
ابن المغيرة تنبيه ثم الراجح في حال الاحضار عن حال التمتع في
الزمانة والرتبة وقرا نافع هو قالون والكسائي بسكون الهاء
والباقون بالضم ويوم اي واذكر يوم ينادي ربهم اي ينادي الله
هولاء الذين يضلون الناس ويصدون عن السبيل فيقول
اجب الله تعالى اين شركائي من الاوثان وغيرهم ممن تبين انهم لا
يستحقون هذا الاسم بقوله تعالى الذين كنتم اي كونا عريقين فيه
تزعمون انها تشفع لكم فدفعوا عنكم وعن انفسهم فيخلصكم من
هذا الذي نزل بكم تنبيه تزعمون معمول له محذوف
اي تزعمونهم شركائي قال الذين حق اي ثبت ووجب عليهم القول
اي بدخول النار وهم رؤساء الضلالة وهو قوله تعالى لاملان جهنم
من الجنة والناس اجمعين وغيره من ايات الوعيد وقولهم ربنا
هولاء اشارة للاتباع الذين اغوينا اي اوقعنا الاغواء وهو الاضلال
بهم وقولهم اغوينا هم اي نفوا اي صفته والعايد محذوف باختيارهم

كما غوينا اي بحتم فهو لاء مبتدا والذين اغوينا هم صفته والراجع الى
الموصول محذوف واغوينا هم اخبر والكاف صفته مصدر محذوف
واغوينا هم اخبر والكاف صفة مصدر محذوف تقديره اغوينا هم
غوايا مثل ما غوينا يعني انا لم نغو الا باختيارنا لا ان غوايتنا
معلولة لاغوايتك اغوايا تبرانا منهم وانكروا دعوتنا الى الغي وسولوه لنا
نحن لا كذلك اغويناهم باختيارهم لانا اغوانا لهم لم يكن الا وسوسة
وتسويلا لا قسرا والجاءً فلا فرق اذا بيننا وعنهم وان كان
تسويلنا لهم داعيا الى الكفر فقد كان في مقابلة دعاء الله تعالى
لهم الى الايمان بما وضع فيهم من ادلة العقل وما بعث اليهم من الرسل
وانزل اليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر
وما هيء بذلك صارفا عن الكفر وداعيا الى الايمان وهذا معنى
ما حكاه الله تعالى عن الشيطان ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم
فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا
تلوموني ولوموا انفسكم تنبيه اعترض الزمخشري على هذا
الاعراب بان الخبر لابد فيه من زيادة فايدة على ما في صفته ثم انه
اعرب هو هولاء مبتدا والذين اغوينا خبره واغوينا هم صفته ثم انه
اجاب ابو البقا وغيره عن الاول بان الظروف قد تلزم تارة
لتاكيد عمدة في الذهن اشاروا بقولهم تبرانا اليك اي من امورهم
الى انه لا لوم علينا في الحقيقة بسببهم فمن للجملة الاولى ولهذا
خلت عن العاطف وعلى تقدير اغوايتنا لهم ما كانوا اياانا اي
خاصة يعبدون بل كانوا يعبدون الاوثان بامر نيتهم اهولاء ام
وان كان لنا فيه نوع دعاء اليه وحث عليه فاقل ما تزيد ان يوزع
العذاب على من كان سببا في ذلك وقيل ما مصدرية متصلة بتبرانا

اي تبرانا من عبادتهم اياناو لما لم يلتفت الي هذا الكلام منهم بل عد عدوا
لانه لا طالب تحته اشير الي الاعراض عنه لانه لا يستحق جوابا كما
قيل رب قول جوابه السكوت بقوله تعالي وقيل اي ثانيا للاتباع
تهكما بهم واظهارا لعجزهم الملزوم لتحيرهم وعظم تاسفهم وذكر
ذلك بصيغة المجهول للاستهانة بهم وانهم من الذل والصغار
بحيث يجيبون كل امر كائنا من كان ادعوا اي كلكم شركاءكم اي
الذين ادعيتم جهلا شركتهم ليدفعوا عنكم فدعوهم تفعلا بمالا
يغني وتمسكا بما يتحقق انه لا يجيب لفرط الغلبة واستيلاء الحيرة
والدهشة فلم يستجيبوا لهم اي لم يجيبوهم لعجزهم عن الاجابة
والنصرة قال ابن عادل والاقرب ان هذا علي سبيل التقريع
لانهم يعلمون انه لا فائدة في دعائهم ورأوا اي هم العذاب
عالمين بانه مواقعهم لا مانع له عنهم فكان الحال حال متيقنين
لانه يقال من كل يهوانهم لو انهم كانوا يهتدون اي يحصل
منهم هذا ساعة من الدهر تاسفا علي امرهم وتمنيا لخلاصهم
ولو ان ذلك كائن في طبعهم وجواب لو محذوف اي لنجوا من
العذاب ولما رأوه اصلا قال الضحاك ومقاتل يعني المتبوع
والتابع يرون العذاب ولو انهم كانوا يهتدون في الدنيا
ما ابصروه في الاخرة ويوم يناديهم اي الله وهم بحيث يسمعهم
الداعي وينفذهم البصر قد برز الله جميعا من كان منهم
عاصيا ومن كان منهم مطيعا في صعيد واحد قد اخذ بانفاسهم
الزحام وتراكبت الاقدام علي الاقدام واجمهم العرق
وعمهم الغرق فيقول ماذا اي اي شيء اجبتم المرسلين
اليكم تنبيه ويوم معطوف علي الاول قاله تعالي

سيأتي

سيأتي عن اسرارهم به ثم تكذيبهم الانبياء لما لم يكن لهم قدم صدق
ولا سابق حق بما اتتهم الرسل به من الحجج لم يكن لهم جواب الا السكوت ت
وهو المراد بقوله تعالي فعميت اي خفيت واظلمت عليهم الانبا اي
الاخبار المخبية يومئذ اليتبي من العظمة بحيث يخفي لهما في ذلك
اليوم اذ يذكر تنبيه الاصل فهموا عن الانبياء لكنه عكس
مبالغة ودلالة علي ان ما يحضر الذهن انما يفيض ويرد
عليه من خارج واذا اخطاه لم يكن له حيلة الي استحضاره واذا
كان الرسل في ذلك اليوم يخوضون الي علام فما ظنك بالعلا ل
فلهذا قال تعالي فهم لا يتساءلون اي لا يسأل بعضهم بعضا عن
الجواب لفرط الدهشة والعلم بانه مسئلة حال فقد امن اصر
علي كفره فاما من تاب عند نزوله تعالي وآمن تصريح بما علم التزاما
فان الكفر والايمان ضدان لا يمكن تركهما الا باخذ
الاخر وقوله تعالي وعمل صالحا لاجل ان يكون مصدقا لدعواه
باللسان فعسي اذا فعل ذلك ان يكون من المفلحين عند الله
وعسي تحقيق علي عادة الكرام او ترجي من التائب بمعني فليتوقع
ان يفلح ولما كان كأنه قيل ما لاهل القسم الاول لا يتوجون
النجاة من ضيق ذلك البلا الي رحب هذا الرجا وكان الجواب
ربك منهم من ذلك او ما لهم يقطع لهذا القسم بالفلاح كما
قطع لاهل القسم الاول بالشقاء كان الجواب وربك يخلق
ما يشاء ويختار لا موجب عليه ولا مانع له ما كان لهم الخيرة
ايجاب ان يفعلوا ويفعل لهم كما يختارونه تنبيه الخيرة بمعني
التخير كالطيرة بمعني التطير وظاهره نفي الاختيار عنهم
رأسا قال البيضاوي والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار

العبد مخلوق منقوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقال الرازي في اللوامع
وهذه دليل على ان العبد في اختياره غير مختار فلهذا اهل
الرضى حطوا الرحال بين يدي ربهم وسلموا الامور اليه بصفاء
التفويض يعني فان امرهم اولها هم بادروا واذا اصابهم
سهام المصايب العظام صابروا واذا عرضهم اعرضوا انفسهم
واكرموا واذا لهم رضوا وسلموا فلا يرضيهم الا ما يرضيه
ولا يريدون الا ما يريده فيقضيه قال القايل

وقف الهوى بي حيث انت فليس لي • متاخر عنه ولا متقدم
اجد الملامة في هواك لذيذة • حبا لذكرك فليلمني اللوم
واهنتني فاهنت نفسي صاغرا • ما من يهون عليك ممن يكرم

وقيل ما موصولة مفعول لمختار والراجع محذوف والمعنى
ويختار الذي كان لهم فيه الخير اي الخير والصلاح **سبحان الله**
تنزيها له ان يزاحمه احد او ينازع اختياره **وتعالى** اي
علا علوا لا تبلغ العقول توجيه كنه معناه **عما يشركون** اي
عن اشراكهم او مشاركة ما تشاركونه به ولما كانت العقلة
لا تتم الا بالعلم قال تعالى **وربك** اي المحسن اليك المتولي
امرك بتربيتك **يعلم ما تكن** اي تخفي وتستر **صدورهم** من كونهم
يموتون ومن كونهم ما اظهره من اظهر الايمان بلسانه خالصا
او مشوبا ومن كونهم يخفون عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم
وما يعلنون اي يظهرون من ذلك كله ذكر ذلك لديه سواء فلا
يكون لهم مراد الا يخلقه فان قيل هلا اكتفى بقوله تعالى
ما تكن صدورهم عن قوله وما يعلنون اجيب بان علم اخفى
لا يستلزم علم الجلي اما لبعد او لغط واختلاط اصوات

يتبع

يتبع تبيين بعضه عن بعض او غير ذلك ولما كان علمه بذلك انما هو لكونه
آلهها واحدا فرد احمدا وكان غيره لا يعلم من علمه الا ما علمه قال
تعالى **وهو الله** اي المتأثر بالالهية الذي لا اسمي له الذي لا يحيط
الواصفون بكنه عظمته ثم شرح معنى الاسم الاعظم بقوله تعالى
لا اله الا هو وهذا تنبيه على كونه قادرا على كل الممكنات عالما بكل
المعلومات من ذوات المتقابلين والافات ثم علل ذلك بقوله تعالى
له اي وحده **الحمد** اي الاحاطة باوصاف الكمال **في الاولى والاخرة**
لانه الولي للنعم كلها عاجلها واجلها يحمده المومنون في الاخرة كما
حمدوه في الدنيا فان قيل الحمد في الدنيا ظاهر فما الحمد في الاخرة
اجيب بانهم يحمدونه بقولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد
لله الذي صدقنا وعده واخذ عوالهم ان الحمد لله رب العالمين
والتوحيد لهنا على رجم اللغة لا الكلفة وفي الحديث يلهمون
التسبيح والتقديس **وله الحكم** اي القضاء النافذ في كل شيء
وقال ابن عباس حكم لاهل الطاعة بالمغفرة ولاهل المعصية
بالشقاوة **واليه** لا الى غيره **ترجعون** اي باسرا مر يوم النفخ في
الصور لبعثرة القبور بالبعث والنشور مع انكم الآن راجعون
في جميع احكامكم اليه ومقصورون عليه ان شاء ابقاها وان
اراد ردها ولولاها ففي الايات غاية التنوية لقلوب المطيعين
وغاية الزجر والردع للمجرمين ثم بين سبحانه وتعالى بعض
ما يجب ان يحمد عليه مما لا يقدر عليه سواه بقوله تعالى **قل** اي يا افضل
الخلق لاهل مكة **ارايتم** اي اخبروني **ان جعل الله** اي الملك الاعلى **عليكم**
الليل اي الذي بداعتدال حر النهار **سرمدا** اي دايما **الى يوم القيمة**
لا نهار معه **من اله غير الله** اي العظيم الشان الذي لا كفوء له **يا تيكم**

بضيا اي بنهار تطلبون فيه المعيشة افلا تسمعون اي ما يقال لكم سماع
اصغاء وتدبر قل ارايتم ان جعل الله اي الذي له الامر كله عليكم النهار
اي الذي تزايد حرارته بطوله الليل فيتم بها صلاح النبات وغيره
ذلك من جميع المعد وزات سرمدا اي دايما الى يوم القيمة لا ليل فيه
من آله غير الله اي الحليل الذي ليس له مثل يا تيكم بليل اي بشيء
منه ظلام تسكنون فيه استراحة عن متاعب الاشتغال فان قيل
هلا قيل بنهار تبصرون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه اجيب
بانه تعالى ذكر الضيا وهو ضوء الشمس لان منافع اليوم تتعلق
به مكانية ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك
المنزلة ومن ثم قرن بالضيا افلا تسمعون لان السمع يدرك
ما لا يدركه البصر من ذلك منافعه وتصرف في اليوم وقرن بالليل
افلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصر انت
من السكون قال التتائي فالاية من الاحتباك ذكر الضيا اولا
دليلا على حذف الظلام ثانيا والليل والسكون ثانيا دليلا على
حذف النهار والانتشار اولا ولما كان التقدير ومن رحمته جعل
لكم السمع والابصار لتدبروا اياته وتبصروا في مصنوعاته
عطف عليه ومن رحمته اي التي وسعت كل شيء لا من غيرها من
حوف او رجاء او تعلق غرض من الاغراض جعل لكم الليل
والنهار اي بين عظيم تان دبر فيهما وبهما جميع مصالحكم فجعل
اية الليل لتسكنوا فيه فلا تسعوا في معاشكم وجعل اية النهار
مبصرة لتبتغوا من فضله بان تسعوا في معاشكم بجهد كم قال
التتائي فالاية من الاحتباك ذكر اولا السكون دليلا على
حذف السعي في المعاش ثانيا والابتغاء ثانيا دليلا على حذف

عدم

عدم السعي في المعاش اولا ولعلكم تشكرون اي وليكون حالكم
حال من يرجى منه الشكر مما تجدد لكم من تقلبكم من النعم المتوالية
التي لا يحصرها الا خالقها واما الاخرة فما كانت غير مبنية
على الاسباب وكانت اجنبة لا تتعب فيها بوجه كان لا حاجة فيها
ويوم ينادي يهم فيقول اين شركاي الذين كنتم تزعمون تقريع
بعد تقريع للاشعار بانه لا شيء اجلب لغضب الله تعالى من
الاشراك به كما انه لا شيء ادخل في مرضاته من توحيده اللهم
كما ادخلتنا في اهل توحيدك فادخلنا في الناجين من وعيدك
ومننا بالنظر الى وجهك الكريم يا ارحم الراحمين ويحتمل ان يكون
الاول للتقرير فساد رايهم والثاني لبيان انه لم يكن عن سند
وانما كان محض تشهي وهوي او انه ذكر الثاني كما قالا الحلال المحلي
يبني عليه ونزعنا اي اخرجنا وافردنا بقوة وسطهم من كل امة
شهيدا اي وهو رسولهم ليشهد عليهم بما قالوه فقلنا اي فتسبب
عن ذلك ان قلنا اللام هاتوا برهانكم اي دليلكم القطعي الذي
تزعمتم في الدنيا انه كما هو شان ذوي
العقول انهم لا يبنون شيا على غير اساس فعلموا اي بسبب هذا
السوال لما اضطروا ولم يجدوا لهم سندا ان الالهية لله
اي الملك الذي له الامر كله لا شريك فيها احد وضل اي غاب
عنهم غيبة الضايع ما كانوا يفترون اي يقولونه قولا كاذبا
المتعمد للكذب لكونه لا دليل عليه ولا شبهة للغلط فيه ان
قارون ويسمى في التوراة فودح كان من قوم موسى قال الكرخي
المفسرين كان ابن عمه لان قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي
ابن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث بن لاوي وقال ابن اسحق

كان قارون عم موسى كان اخا عمران دهما ابنا يصهر ولم يكن في بني اسرايل
اقرا للتوراة من قارون ولكنه نافق كما نافق السامري وكان
يسمى المنور لحسن صوته وعن ابن عباس كان ابن خالته فبغى
عليهم اي تجاوز الحد في احتقارهم بما حولناه فيه كان عالما لكثرة
علم بني اسرايل وكان بغيه عليهم وظلمهم وقال قتادة بغى عليهم
بكثرة المال ولم يرع لهم حق الايمان بل استخف بالفقر وقال
الضحاك بغى عليهم بالشرك وقال سمير بن حوشب زاد في
طول ثيابه شبرا روي عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيمة الى من جر ثوبه خيلاء
وقال القفال طلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت يده وقال
ابن عباس تكبر عليهم وتجبر وقال الكلبي حسد هارون على
الحبوة روي هذا الاخبار ان قارون كان اعلم بني اسرائيل
بعد موسى وهارون واجلهم واغناهم وكان حسن الصوت
فبغى وطغى وكان اول طغيانه وعصيانه ان الله تعالى اوحى
الى موسى ان يامر قومه ان يعلقوا في اردينهم خيوطا اربعة
في كل طرف خيطا احضر كلون السماء يذكرون اذا نظروا اليها
السماء ويعلمون اني منزل منها كلامي فقال موسى يا رب
افلا تامرهم ان يجعلوا اردينهم كلها خضرا فقال ان بني اسرايل
يختصرهذا الخيوط فقال الله تعالى يا موسى ان الصغير من
امرك ليس بصغير فان لم يطيعوني في الامر الصغير لم يطيعوني
في الامر الكبير فدعاهم موسى وقال ان الله تعالى يامركم ان
تعلقوا في اردينكم خيوطا خضرا كلون السماء لكيما تذكروا
ركم اذا رايتموها ففعل بنو اسرايل ما امرهم به واستكبر

قارون

قارون فلم يفعل وقال انما يفعل هذا الارباب بعيد يتم ليتميز واعن
غيرهم وكان هذا ابتداء عصيانه وطغيانه بغيه ولما قطع الله تعالى لبني
اسرايل البحر واغرق فرعون جعل الحبوة لهارون فحصلت له النبوة
والحبوة وكانت له القربان والذبح وكان لموسى الرسالة فوجد قارون
في نفسه لذلك فجاء موسى وقال يا موسى لك الرسالة ولهارون الحبوة ولست
في شيء لا اصبر انا على هذا فقال موسى والله ما فعلت ذلك
لهارون بل الله تعالى جعلها له فقال له قارون والله لا اصدقك
حتى تريني بيانه فجمع موسى رؤساء بني اسرايل واعلمهم ان يجيء كل واحد
منهم بعصى فجاؤا بها فحزمها والقاها موسى عليه السلام في قبة
لكان يعبد الله تعالى وروها فاصبحت عصى هارون وقد اهتز لها ورق اخضر
يجر سوقا بعضهم فاصبحت عصى هارون وقد اهتز لها ورق اخضر
وكانت من شجر اللوز فقال موسى لقارون الا تريد ما صنع الله
تعالى هذا والله ما هذا بامر ابا يجب مما تصنع من السحر فاعتزله قارون وجمع
ناسا كثيرا وولي هارون الحبوة وجرى بينهما قسمة الذبح والقربان
وكانت بنو اسرايل يحملون ما يوجب الاحكام الى هارون فيقضيها في
الذبح وتنزل نار من السماء فتاكلها واعتزل قارون باتباعه وكان
كثير المال والتبع من بني اسرايل فكان ياتي موسى ولا يأنس به
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ان قارون كان من السبعين
المختارة الذين كلموا كلام الله تعالى ولما ذكر الله تعالى بني اسرايل
سبب الحيني بقوله تعالى واتيناه من الكنوز اي الاموال
المدفونة المدخورة فضلا عن الظاهرة التي هي بعيدة الانفاق
منا لما عساه يعرض من الحاجات ما اي الذي اوتيه شيئا كثيرا
لا يدخل تحت حصر حتى الا مفاتحه اي مفاتيح الاقفال التي هو

قارون

مد قوته فيما روى ابو ايوب **لتنوء** اي تميل بتمهد ومشقة بثقلها **بالعصبة** اي الجماعة الكثيرة التي تعصب اي يشد بعضهم بعضا **اولي** اي اصحاب **القوة** اي تميلهم من ثقلها اياهم تشبيه في المبالغة بالتعبير بالكنوز والمفاتيح والنوء والعصبة الموصوفة ما يدل على انه اوتي من ذلك ما لم يؤته احد من هو في عدده وكل ذلك مما يستبعده العقول فلذلك وقع التاكيد واختلفوا في عدد العصبة فقال مجاهد ما بين الخمس الى خمسة عشر وقال الضحاك عن ابن عباس ما بين الثلاثة الى العشرة وقال قتادة ما بين العشرة الى الاربعين وقيل اربعون رجلا وقيل سبعون وروي عن ابن عباس كانت مفاتحه اربعون رجلا اقوى ما يكون من الرجال وقال الجويبر عن الضحاك عن خيثمة قال وجدت في الانجيل ان قارون كان يعطى من الذهب وقر بيتين بغلا ما يزيد فيها مفتاح على اصبع لكل مفتاح كنز وقيل كان قارون ابن عم موسى وكان يحمل مفاتيح كنوزه وكانت من جلود البقر على طول الاصابع جعلت من خشب فثقلت فحملها من جلود البقر على طول الاصابع وكانت تحمل معه اذا ركب على اربعين بغلا والباغي بالعصبة وهمان اولهما للتعدية كالهمزة ولا قلب في الكلام والمعنى لتنيء المفاتح العصبة الا نوءا كما تقول جاءته وجئت به واذهبته وذهبت به والباغي قال ابو عبيدة اذ في الكلام قلبا والاصل لتنوء العصبة بالمفاتح اي لتنهضهم بما كثر لهم عرضت الناقة على الحوض واذ ظرف لما ذكر الله تعالى بغيه ذكر قصته بقوله تعالى **اذ قال له قومه** اي من بني اسرائيل **لا تفرح** اي بكثرة المال فرح بطر فان الفرح بالعرض الزائل دليل على الركون اليه وذلك يدل على نسيان الاخرة وعلى غاية الجهل وقلة التامل بالعواقب قال ابن عباس كان

فرحه ذلك سرورا لانه ما كان يخاف معه عقوبة الله عز وجل **ان الله** اي الذي له صفات الكمال **لا يحب** اي لا يعامل معاملة المحب **الفرحين** اي البطرين الاشرين الراسخين في الفرح بما يفني الذين لا يشكرون الله تعالى بما اعطاهم فان من هم يدل على سقوط الهمم كما قال تعالى ولا تفرحوا بما اتاكم وقال القائل • ولست بمفراح اذا الدهر سرني • وقال اخر • اشد الغم عندي في سرور • تيقن عنه صاحبه انتقالا • فلا يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمان فاما من قبله الى الاخرة وعلم انه مفارقها فانه لا يفرح بها ولا يطمئن **وابتغ** اي اطلب طلبا تجد فيه وتشكر فيه **فيما اتاك الله** اي الملك الذي لا امر الا له كله بيده من الغنى والمروءة **الدار الاخرة** بان تقوم بشكر الله فيها انعم الله عليك وتنفقه في رضى الله تعالى فتجازى بكرامته **ولا تنس** اي ولا تترك **نصيبك من الدنيا** قال مجاهد لا تترك ان تعمل في الدنيا للاخرة حتى تنجو من العذاب لان حقيقة نصيب الانسان من الدنيا ان يعمل للاخرة قال السري بالعدقة وصلة الرحم وقال علي رضي الله تعالى عنه لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك ان تطلب بها الاخرة ردي الله على اسعد عليه وسلم قال فيما خذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار وعن عيسون الازدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وقال لحسن احسن كما احسن

التفضل وعيسك ما ينفيه وقال مغفورين ذا دانى فى تلك وقوة اهلك
واحسن اى ارفع الاحسان به فى المال الى المحاويج والانفاق فى جميع
الطاعات ويدخل فى ذلك الاعانة بالجاه وطلاقة الوجه وحسن
اللقاء وحسن الذكر كما احسن الله اليك
بان تتطلى عطاء من لا يجازيك الفتر كما اوسع عليك ولا تبغ اى ولا
تزد ارادة ما الفساد فى الارض بتقتير ولا تبذير ولا تكبر على عباد
الله ولا تختير ثم اتبع ذلك علة موكدة لان اكثر المفسدين
يبسط لهم فى الدنيا واكثر الناس يستبعد ان يبسط فيها لهم يجوز
فقيل ان الله اى العالم بكل شئ القدير على كل شئ لا يحب المفسدين
اى لا يعاملهم معاملة من يحبه وقيل ان القائل له هذا موسى عليه
السلام وقيل موسى لقومه وكيف كان فقد جمع فى هذا الوعظ
ما فيه من لم يكن ابى ان يقبل بل زاد عليه كبرة النعمة بان
قال اى قارون فى جواب انما اوتيته اى هذا المال على علم
حاصل عندى فانه كان اعلم بنى اسرائيل بالتوراة وقرأ فيها
اهلا تفضلنى بهذا المال عليكم كما فضلنى بغيره وقيل هو علم
الكيميا وقال سعيد بن المسيب كان موسى علم الكيميا فعلم
يوشع بن نون ذلك العلم وعلم كالبة بن يوقنا شمعون
وعلم قارون شمعون فخذ عنهما قارون حتى افنى علمهما الى علمه
وذلك بسبب امواله وقيل على علم عندى بالتجر فى التجارات
والزراعات وانواع المكاسب ثم اجاب الله تعالى عن كلامه بقوله
تعالى اولم يعلم ان الله اى بحاله من خفاء الحلال والعظمة والكمال
قد اهلك وقوله تعالى من قبله من القرون فيه تنبيه على انه
لم يتعظ مع مشاهدته لتلك الملكين الموصوفين مع قرب الزمان

وبعده

وبعده وقوله تعالى من هو اشد منه قوة اى فى البدن والمعانى من
العلم وغيره والانصار واكثر جمعا فى المال والرجال احزاهم
قرعون الذى يشاهده فى ملكه وحشمه امره يوم هلكه فلم تغن
وقوبخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قرأ
فى التوراة فكان اعلمهم بكتبهم من حفاظ التواريخ واختلف فى
معنى قوله تعالى ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون فقال قتادة يدخل
النار بغير سؤال ولا حساب وقال مجاهد لا تسأل الملائكة عنهم
لانهم يعرفونهم بسيماهم وقال الحسن لا يسألون سؤال استعلام
وانما يسألون سؤال توبيخ وتقريع وقيل المراد ان الله تعالى اذا
عاقب المجرمين فلا حاجة الى السؤال فان قيل كيف الجمع بين هذا
وبين قوله تعالى لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون اجيب
بحمل ذلك على وقتين وقال ابو مسلم السؤال قد يكون للمحاسبة
وقد يكون للتوبيخ والتقريع وقد يكون للاستعتاب لقوله تعالى
ثم لنقولن للذين كفروا ولا يهم يستعتبون فهذا اليوم لا يعتذرون
ولا يؤذن لهم فيعتذرون فخرج اى فتسبب عن تجبره واغتراره بماله
ان خرج على قومه اى الذين نصحوه فى الاقتصاد فى شأنه والاكثار
فيما يكون على اخوانه وقوله تعالى فى زينته فيه دليل على ان خرج
بمعنى ظهر فى زينة واكملها وليس فى القرآن الا هذا العدد والناس
ذكروا وجوها مختلفة فقال ابراهيم التيمى خرج يوم عيد فى سبعين
الف مع كل واحد منهم جاريتان وعليه المعصفرات
وقال مقاتل خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب
عليه الارجوان وعليه اربعة آلاف فارس عليهم وعلى دوابهم
الارجوان وعليه ثلثمائة جارية بيض على خيل بيض عليهن الحلى والثياب

اجمع علي المقال ولما كان كذلك قيل ما قال قومه قيل **قال الذين**
يريدون الحياة الدنيا منهم لسفول هممهم وقصور نظرهم علي الفاني
لكونهم اهل جهل وان كان قد لهم من باب الغبطة للامن الحسد الذي
هو تمني زوال النعمة المحسود **يا ليت لنا** اي يتفق تمنيا عظيما اي لو قدر لنا
اي موت كان وعلي اي وصف كان **مثل ما اوتي قارون** اي من
هذه الزينة وما تسبب عنه من العلم حتي لا تزال اصحاب اموال تهم
عظيما اما بتوليهم موكدين لعلمهم انه لم يرد ليتكثر عليهم **انه لذو حظ**
اي نصيب وبخت من الدنيا **عظيم** بما اوتيه من العلم الذي كان
سببا له الي جمع هذا المال وهولاء الراغبون يحتمل ان يكونوا من الكفار
وان يكونوا من المسلمين الذين يحبون الدنيا ودل علي جهلهم وقلة
العلم الرباني وحقارة ما يتكاثرون من المال والعلم الذي اذي الله
اتباعه قوله تعالي **وقال الذين اوتوا العلم** وهم اهل الدين قال
ابن عباس يعني الاحبار من بني اسرايل وقال مقاتل هم المؤمنون
بما وعد الله في الاخرة قالوا للذين تمنوا **ويلكم** ويل اصله
الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث علي ترك
ما يغير وهو منصوب بمحذوف اي الزمكم الله ويلكم **ثواب الله**
اي تحليله العظيم **خير** اي من هذا الحطام الذي اوتيه قارون من
الدنيا بل من الدنيا وما فيها ومن فاته الخير حل به الويل ثم بين
مستحقة بقطعها له وترغيبا للسامع في حاله بقولهم **لمن آمن وعمل**
فقد بين لاي امة صلحا ثم بين تعالي عظمة هذه النصيحة وعلو قدرها
بقوله تعالي **ولا يلقاها** اي هذه النصيحة التي قالها اهل العلم وهي الزهد
في الدنيا والرغبة فيما عند الله او الجنة المشار بها **الا الصابرون**
اي علي اداء الطاعات والانزجار عن المحرمات وعلي الرضاء
بقضا

بقضاء الله في كما تسمع من المنافع والمضار الذين صار الصبر لهم خلقا
ولما تسبب عن نظره هذا الذي اوصله الي الكفر بربه خسف به العذاب
اشار الي ذلك بقوله سبحانه وتعالي **اذ الكلام** اي بما لنا من العظمة
وملائكته به وبداره الارض روي انه كان يؤذي موسي عليه
السلام كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما وهو
يؤذيه كل وقت ولا يزيد الا عتوا وتجبرا ومعاداة لموسي حتي بني دارا
وجعل بابها من الذهب وضرب علي جدرانها صفائح الذهب
فكان الملا من بني اسرايل يغدون اليه ويروحون فيطعمهم
الطعام وهنيا حكوه قال ابن عباس نزلت الزكاة علي موسي
فاتاه قارون فصالحه عن كل الف دينار بدينار وعن كل الف درهم
بدرهم وعن كل الف شاة بشاة فلم يسخ بذلك نفسه فخرج بين
اسرايل وقال لهم ان موسي قد امركم بكل شيء فاطعتموه وهو الآن
يريد ان ياخذ اموالكم فقالوا انت كبيرنا فمرنا بما شئت قال امركم
ان تجيئوا بفلانة الباغية بجعل لها جعلا حتي تفتن موسي بنفسها
فاذا فعلت ذلك خزم عليه بنو اسرايل ورفضوه فدعاها
فجعل لها قارون الف درهم وقيل الف دينار وقيل طشتا من
ذهب وقيل قال لها اني اعولك واخلطك بنسائي علي ان تقذفي
موسي بنفسك عند اذا جمع بنو اسرايل فلما كان من الغد وكان
يوم عيد لهم قام موسي عليه السلام خطيبا فقال من سرق قطعنا
ومن زنا غير محصن جلدناه ومن زنا محصنا رجمناه فقال له
قارون ولو كنت انت قال ولو كنت انا قال ان بني اسرايل يزعمون
انك فجرت بفلانة قال ادعوها فان قالت فهو كما قلت فلما اتاها
قال لها موسي يا فلانة انا فضلت بكل ما يتولد ونعظم علي

وسالها بالذي خلق البحر لبني اسرائيل وانزل التوراة الا صدقت
فتداركهما الله تعالى بالتوفيق وقالت في نفسها احدث اليوم توبة
افضل من اوذي رسول الله فقالت لا كذبوا ولكن حمل لي قارون حملا
على ان ارميه بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي ويقول اللهم ان كنت
رسولك فاغضب لي فاوحى الله تعالى اليه اني امرت الارض ان تطيعك
فمرها بما شئت فقال موسى يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون
كما بعثني الى فرعون فما كان معه فليلبث مكانه ومن كان معي فليعتزل
فاعتزلوا ولم يبق مع قارون الا رجلان ثم قال موسى يا ارض خذيهم
فاخذت الارض باقدامهم وفي رواية كان على فراش وسريره
فاخذته حتى غيبت سريره ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال
خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى
الاعناق وقارون واهله ينادي موسى يا موسى يا موسى فيناشده
قارون الله والرحم حتى رحمه الله فناشده سبعين مرة وموسى في كل ذلك
لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال يا ارض خذيهم فانطبقت عليهم
الارض فاوحى الله تعالى اليه ما اغلظ قلبك استغاث بك سبعين
مرة فلم ترحمه وعزتي وجلالي لو دعاني مرة واحدة لاجبته وفي
بعض الآثار لما اجعل الارض بعدكم طوعا لاحد قال قتادة خسف
بهم حتى يتجلجل في الارض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قعرها الى يوم
القيمة قال فاصبح بنو اسرائيل يتناجون فيما بينهم انما موسى انما
دعا على قارون لشسيبه داره وكنوزه فدعا الله تعالى حتى
خسف بداره وباموالهم فايا كم يا امة هذا النبي ان ترددوا ما اتاكم
من الرحمة فتملكوا وان كنتم اقرب الناس اليه فان قارون كان من
اقارب موسى عليه السلام فان الانبياء كما انهم لا يورثون الدنيا

في قلوب

في قلوب المحمديين لعدا فكذلك لا يمنعهم من الرد ولا يشفعون الا لمن
ارتضى فما اي فتسبب عنه انه ما كان له اي لقارون واكد النفي لما
استقر في الاذهان ان الاكابر مصورون بزيادة كبار في قولهم فما
من فيه اي اعوان واصل الفيئة الجماعة من الطير كانما سميت بذلك
لكرة رجوعها وسرعته الى المكان الذي ذهبت منه ينصرونه من
دون الله اي غيره بان يمنعوا عنه الملائكة وما كان من المنتصرين
اي الممتنعين عنه من قولهم نصره من عدوه فانتصر اذا منعه منه
فامتنع والمخسوف به واستصغر اجمالا الذين لم كالمهم لا يرون
الا المحشوشات ذكر حالهم بقوله واصبح اي وصار ولكنه ذكره
لمقابلة الممسا الذين تمنوا اي ارادوا ارادة عظيمة بغاية الشدة
ان يكونوا مكانه اي يكونوا احواله ومنزلته في الدنيا لهم بالامس
اي الزمان الماضي القريب وان لم يكن يلي بوسهم الذي كلهم فيه فالا
حسن
نه يذكر ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك ولكن الوقت المستقرب
على طريق الاستعارة يقولون ويكان الله يبسط اي يوسع الرزق
لمن شاء من عباده بحسب مشيئته وحكمته لا لكرامته عليه ويقدر
اي يضيق على من شاء لا لهوانه من يضيق عليه بل لحكمة وقضايه
ابتلاه منه وفتنة ودي اسم فعل بمعنى اعجب اي انا والكاف بمعنى
اللام وهذه الكلمة والتي بعدها متصلة باجماع المصاحف واختلف
القراء في الوقف فالكسائي وقف على اليا قبل الكاف ووقف
ابو عمرو على الكاف ووقف الباقون على النون وعلى الهاء وحمزة
يسهل الهمزة في الوقف على اصله واما الوصل فلا خلاف بينهم
وكما لاح لهم من واقعته ان الرزق انما هو بيد الله اتبعوه
على ما دل انهم اعتقدوا الغنا ان الله قادر على ما يريد من غير

الرزق كما هو قادر على الرزق من قولهم لولا انت من الله اي تتفضل
الملك الاعظم علينا بجوده ولم يعطنا ما تمنيناه من الكنوز على
سبل حاله لخسف بنا مثل ما خسف به ويكانه لا يفلح الكافرون
لنعمة الله كقارون والمكذبون لرسله وبما وعد لهم من ثواب الاخرة
وقوله تعالى تلك الدار الاخرة اشارة تعظيم وتفخيم لشانها اي
تلك التي سمعت بذكرها وبلغك وصفها وتلك مبتدا والدار صفته
وخبر نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض بالبغي ولا
فسادا بعمل المعاصي فلم تتعلق تعالى الوعد بترك العلو والفساد
ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب اليهما كما قال تعالى ولا تركنوا
اليه الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن علي رضي الله تعالى
عنه ان الرجل يعجبه ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل
صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قرأها ثم قال ذهبت
الاماني ها هنا وعن عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه انه
كان يرددها حتى يقضي قال الزمخشري ومن الطماع من يجعل العلو
لفرعون والفساد لقارون متعلقا بقوله تعالى ان فرعون علا
في الارض وبقوله تعالى ولا يبتغي الفساد في الارض فيتولد لهما
بكين مثل فرعون وقارون فلتلك الدار الاخرة ولا يبعد بر قوله
تعالى والعاقبة اي المحمودة للمتقين اي عقاب الله تعالى بعمل
طاعته كما تدل عليه والفضيل وعمر رضي الله تعالى عنهم ولما
بين تعالى ان الدار الاخرة لبست لمن يريد علوا في الارض ولا
فسادا بل هي للمتقين بين بعد ذلك ما تحصل فقال تعالى من جاء
بالحسنة فله خير منها من عشرة اضعافها الى سبعين الى سبعمائة
ضعف الى ما لا يحيط به الا الله تعالى ومن جاء بالسيئة وهي ما نهى الله

تعالى

عنه وهذه خاتمة المومنين ولا يجزى اي من جاء كافرا وظاهر ما في هذا الفعل
من الضمير العايد على من بقوله تعالى الذين عملوا السيات تقبيحا
لحالهم تقبيحا لها وتنفيرا من عملها الا جزاء ما كانوا يعملون اي مثله
وهذا من فضل الله العظيم وكرمه الواسع انه لا يجزي السيئة الا مثلها
ويجزي الحسنة باكثر منها كم فان قيل قال تعالى ان احسنتم احسنتم
لانفسكم وان اسأتم فلها كرر ذلك الاحسان واكتفى في ذكر
الاساءة مرة واحدة وفي هذه الاية كرر الاساءة واكتفى في ذكر
الاحسان مرة واحدة فما السبب في ذلك اجيب بان هذا المقام
تقام ترغيب في الدار الاخرة فكانت المبالغة في النهي عن المعصية مبالغة
في الدعوة الى الاخرة واما الاية الاخرى فهي سرح حالهم فكانت
المبالغة في ذكر مساءتهم اولى فان قيل كيف الله تعالى لا يجزي
السيئة الا بمثلها مع ان المتكلم بكلمة الكفر اذا مات في اكمال عذب
ابد الاباد اجيب بانه كان على عزم انه لو عاش ابدا لقال ذلك
فلهذا لم يمتنع عزمه ان الذي فرض اي انزل عليك القران قاله اكثر
المفسرين وقال عطا اوجب عليك العمل بالقران وقال ابو علي فرض
عليك احكامه وفرائضه لرادك الى معاد اي معاد ليس لغيرك من
البشر وهو المقام المحمود الذي وعدك ان يبعثك فيه وتنكير المعاد
لذلك وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس يعني الى الموت وقال
الزهري وعكرمة الى القيمة وقيل الى الجنة وروى الكلبي عن ابن
عباس يعني الى مكة وهو قول مجاهد قال المتنبي معاد الرجل
بلده سفرن ثم يعود الى بلده وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم
لما خرج من الغار مهاجرا الى المدينة سار في غير الطريق مخافة الطلب
فلما امن رجع الى الطريق ونزل الجحفة بين مكة والمدينة وعرف

الطريق الي مكة استشار اليهما فاتاه جبريل عليه السلام فقال استشار
الي بلدك وموليدك قال نعم قال فان الذي فرض
عليك القرآن لرادك الي معاد قال الزمخشري وهو الاظهر لان ظاهر
انكار لمعاد انه كان منيه وفارقه وحصل العود وذلك لا يليق الا
بمكة وان كان سائر الوجوه محتملا لكن ذلك اقرب قال اهل التحقيق
وهذا آخر ما يدل علي نبوته لانه اخبر عن الغيب ووقع كما اخبر به
فيكون معجزا ودل اجوابا لقولهم انك علي ضلال مبين. قل
اي للمشركين ربي اعلم بمن جاء بالهدي وما يستحقه من الثواب في
المعاد يعني نفسه ومن هو في ضلال مبين يعينهم وما يستحقونه
من العذاب في معادهم فهو اجاء بالهدي وهم في الضلال تنبيه
من جاء مغلوب يعلمه اي يعلم اوباعلم اذ جعلناها بمعني علام واعملنا
اعماله وما كنت ترجو اي في سالف الدهر بحال من الاحوال ان يلقي
اي ينزل علي وجه لم تقدر علي رده اليك الكتاب اي يوحي اليك
القرآن قال البيضاوي اي سيرك الي معاد كما التي اليك الكتاب
وما كنت ترجو وهو ظاهر علي ان المراد بالمعاد مكة وقوله تعالي
الا رحمة استثناء منقطع اي لكن القي اليك الكتاب رحمة من
ربك اي ما اعطاك القرآن وقيل متصل قال الزمخشري يجوز ان
يحمل علي المعني كانه قيل وما القي اليك الكتاب الا للرحمة فيكون من
استثناء من الاحوال اومن المفعول له فلا تكونن ظهيرا اي معينا
للكافرين علي دينهم الذي دعوك اليه فاي مقاتل وذلك حين
دعاه الي دين ابايه فذكره الله تعالي بنعمه ونهاه عن مظاهرتهم
علي دينهم عليه ولا يصدنك عن ايات الله اي قراءتها والعمل بها
بعد اذ انزلت اليك اي لا ترجع اليهم في ذلك وادع اي ادع

الدعا

الي عبادته وتوحيده ولا تكونن من المشركين اي باعانتهم
ولم يؤكد لازم في الفعل لتنافيه مخاطبته في بعيدنك فانه حذف منه
نون الرفع اذا صله يصدونك حذفت نون الرفع للجازم ثم حذفت
الواو لالتقاء الساكنين ولا تدع اي لا تعبد مع الله اي الجامع لجميع صفات
الكمال الها آخر فان قيل هذا وما قبله لا يقع منه صلي الله عليه
وسلم فما فايدة ذلك النهي اجيب بانه ذكر للتهييج وقطع اطماع
المشركين عن مساعدته لهم او ان الخطاب وان كان معه لكن
المراد غيره كما في قوله تعالي لئن اشركت ليحبطن عملك ثم علل ذلك
بقوله تعالي لا اله الا هو اي للنافع والضار والمعطي والمانع الا
هو كقوله تعالي رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا
فلا يجوز اتخاذ اله سواه ثم علل وحدانيته بقوله تعالي كل شئ
هالك الا وجهه اي ذاته فان الوجه يعبر به عن الذات وقال
ابو العالية الا ما اريد به وجهه وقيل الا الملك واختلفوا في قوله
تعالي هالك من الناس هل من نفس الملاك باخراجه عن كونه
شيئا به بالاماتة او بتغيير الاجزاء وان كانت اجزاءه باقية
خروجه عن كونه منتفعا به ومنهم من قال معني كونه
هالكا كونه قابلا للهلاك فاطلق عليه اسم الهالك نظرا
الي هذا الوجه وعلي هذا يجوز ان يقال عرق النسخ في بعض الكلام
سبقة لا تفني العرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار
بالعلم من تملك بكيفية العذاب واكواب العين والارواح للحكم
اي القضاء النافذ في الخلق واليه وحده ترجعون اي في جميع احوالكم
في الدنيا وبالنشور من القبور للجزا في الاخرة فيجازيكم باعمالكم
وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري من قوله صلي الله عليه

وسلم من قراطيم التعنيف كان له من الاجر بعدد من صدق بموسى
وكذب وبمن بقي ملكا في السموات والارض الا شهد له يوم
القيمة انه كان صادقا محبا موضوع والله اعلم ∴
سورة العنكبوت مكية الا عشر اياتٍ من اولها الى قوله
تعالى وليعلمن المنافقين قال الحسن فانها مدنية وهي تسع
وستون اية والف وشمانية واحدى وثمانون كلمة واربعة
الاف وخمسمائة وخمسة وشعون حرفا **بسم الله** الذي احاط
بجميع القوة فاعز جنده **الرحمن** الذي شمل جميع العباد بنعمه **الرحيم**
بجميع خلقه وقوله تعالى **الم** سبق القول فيه في اول البقرة وقوله
الا استفهام بعده دليل على استقلاله بنفسه فيكون اسما
للسورة اي القرآن او الله او انه سر استأثر بعلمه الله تعالى او
استقلالا له بما يضمر معه بتقدير مبتدا او خبر او غيره مما مر اول
سورة البقرة وتيل في آلم اشارة بالالف الدال على القيام الا
على المحيط واللام الوصلة والميم التمام بطريق الرمز الى انه تعا
ارسل جبريل الى محمد عليهما الصلاة والسلام والما قال تعالى في
اخر السورة المتقدمة واتبع الي ربك وكان في الدعا اليه اكراب
والعذاب والطعان لان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه كانوا
مامورين بالجهاد فشق على البعض ذلك فقال تعالى **احسب الناس**
اي كافة **ان يتركوا** اي ظنوا انهم يتركون بغير اختبار وابتلاء
وقد تا بوجه من الوجوه تنبيه ان يتركوا اسد مسد مفعولي حسب
عند الجمهور **ان** اي بان **يقولوا** اي بقولهم **آمنا وهم** اي والحال انهم
لا يفتنون اي يختبرون بما يتميز به حقيقة ايمانهم بمشاق التكاليف
كالهجرة والجهاد ونحوهما ورفض الشهوات وانواع المصايب في الانفس
والاموال

والاموال ليتبين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب وليثاب الاول بالصبر
عليها على الدرجات فان مجرد الايمان وان كان عن خلوص لا يقتضي
غير الخلاص من الخلود في العذاب واختلفوا في سبب نزول هذه
الاية فقال الشعبي نزلت في اناس كانوا بمكة كانوا اقروا بالاسلام
ثم هاجروا فتبعهم الكفار فمنهم من قتل ومنهم من نجا فانزل الله تعالى
هاتين الايتين وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال انما نزلت
في عمار بن ياسر وعياش بن ابي ربيعة والوليد بن الوليد وسلمة
ابن هشام كانوا يعذبون بمكة وقال ابن جريج نزلت في عمار بن
ياسر كان يعذب في الله عز وجل وقال مقاتل نزلت في مهجع بن
عبد الله مولى عمر كان اول قتيل قتل من المسلمين يوم بدر فقال صلى
الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى الى باب الجنة
من هذه الامة فجزع عليه ابوه وامرأته فانزل الله تعالى فيهم هذه الاية
وقيل وهم لا يفتنون بالاوامر والنواهي وذلك ان الله تعالى امرهم
في الابتداء بمجرد الايمان ثم فرض عليهم الصلاة والزكاة وسائر الشرايع
فشق على بعض فانزل الله تعالى هذه الاية ثم عزاهم فقال **ولقد**
فتنا الذين من قبلهم اي من الانبياء والمومنين فمنهم من نشر بالمناشير
ومنهم من قتل وابتلى بنو اسرائيل ببخت نصر فكان يسومهم سوء
العذاب فتلك سنة قديمة جارية في الامم كلها فلا ينبغي ان يتوقع
خلافه **فليعلمن الله** اي الذي له الكمال كله **الذين صدقوا** في ايمانهم على
مشاهدة للخلق والا فالله تعالى لا يخفى عليه خافية **وليعلمن الكاذبين**
فيه ايجاز فيظهر الله الصادقين من الكاذبين في الايمان فلا يلحق بعض
المحقين للمواية اي علامة بما يعرف الصادق في عشقه من
الكذاب سهر الليل دايما ونحول الجسم والموت في رضى الاحباب

ام حسب اي ظن الذين يعملون السيئات اي السرك والمعاصي فان العمل
يعم افعال القلوب والجوارح ان يسبقونا اي يفوتونا فلا ننتقم منهم
وهذا اساد مسد مفعولي حسب وام منقطعة والاضراب فيها لان
هذا الحساب اهل من الاول لان صاحب ذلك يعتقد انه لا يمتحن
لايمانه وصاحب هذا الظن انه لا يجازى بمساويه ولهذا اعقبه بقوله
تعالى ساء ما يحكمون اي بيس الذي يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم
هذا الحذف المخصوص بالذم والذي بين تعالى بقوله احسب الناس
ان يتركوا ان العبد لا يترك في الدنيا سدى وبين في قوله تعالى
ام حسب الذين يعملون السيئات ان من ترك ما كلف به يعذب عذابا
بين ان من يترك بالاخرة ويجازى بما لا يضيع عمله بقوله تعالى من
كان يرجو لقاء الله اي الملك الاعلى قال ابن عباس ومقاتل من
كان يخشى البعث والحساب والرجا بمعنى الخوف وقال سعيد بن
جبير من كان يطمع في ثواب الله فان اجل الله اي الوقت المعروب
للقائه لآت اي لجاء لا محالة فانه لا يجوز عليه اخلاف الوعد فان
قيل كيف وقع فان اجل الله لآت جوابا للشرط اجيب بانه اذا
كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء آتيا لا محالة كما تقول من كان يرجو
لقاء الملك فان يوم الجمعة قريب وقال مقاتل يعني يوم القيمة
لكائن وهو في الاية ان من يخشى الله تعالى ويامله فليستعد
له وليعمل لذلك فان ذلك اليوم كما قال تعالى فمن كان يرجو لقاء
ربه فليعمل عملا صالحا وهو السميع اي لما قالوه العليم بعلم من عدل
فيما قال ومن كذب فيثيب ويعاقب على حسب عمله قال الرازي وفيها
لطيفة وهي ان للعبد امورا بعضها اصناف حسنات عمل قلبه وهو
التصديق وهو لا يرى ولا يسمع وانما يعلم وعمل لسانه وهو يسمع

وعمل

ويعمل اعضائه وجوارحه وهو يرى فاذا اتى بهذه الاشياء يجعل الله تعالى
لمجموعها ما لا اذن سمعت ولا عين رات ولا خطر على قلب بشر حكم وصف في الخبر في وصف الجنة انتهى تنبيه
لم يذكر تعالى من الصفات غير هذين الصفتين كالعزيز والحكيم وذلك
لانه سبق القول في قوله احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا وسبق
العمل بقوله تعالى وهم لا يفتنون وبقوله تعالى فليعلمن الله الذين
صدقوا وبقوله تعالى ام حسب الذين يعملون السيئات ولا شك
ان القول يدرك بالسمع والعمل يشمله ما يدرك بالبصر ومنه ما لا
يدرك به كما علم مما مر والعلم يشملهما ولما بين تعالى ان التكليف حسن
واقع وان عليه وعدا وايعادا بين لهما دافع يبين ان طلب الله
تعالى ذلك من المكلف ليس لينفع يعود اليه بقوله تعالى ومن جاهد
اي جهد في جهاد عدو او نفس حتى كان بسياتي اخر في الاعمال
الصالحة فانما يجاهد لنفسه لانه نفعه جهاده له لان الله تعالى غني
عن كل شيء مطلق كما قال تعالى ان الله اي المتعرف في عباده بما شاء لغني
عن العالمين اي الانس والجن والملائكة وعن عبادتهم وفي هذا
كبر في القرآن كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه وقوله تعالى
ان احسنتم احسنتم لانفسكم فينبغي للعبد ان يكثر من العمل الصالح
ويخلصه لانه من عمل قليلا يطلب به ملكا ويعلم ان الملك يراه يحسن
العمل ويتقنه واذا علم ان عمله لنفسه لا لاحد يكثر منه فنسأل
الله الكريم الفتاح الذي يوفقنا للعمل الصالح وان يتقبل ذلك
بفضله انه ذو رحمة وكرم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
تم بحمد الله تعالى حامدا لله تعالى على نعمه المسمى
اشارة الى التغذيب بما ذكر حاله المحسن بقوله تعالى

والذين امنوا وعملوا نقد تقالايمانهم الصالحات اي في الشدة والرخا
علي حسب طاقتهم وفي ذلك اشارة الي ان رحمته اتم من غضبه
وفضله اتم من عدله واشار بقوله تعالي لنكفرن عنهم سيئاتهم الي
ان الانسان وان اجتهد لابد من ان يزل لانه مجبول علي التقصير
فالصلاة الي الصلاة كفارة لما بينهما مالم توت الكبايروالجمعة الي
الجمعة ورمضان الي رمضان ونحو ذلك مما ورد به الاخبار عن
النبي المختار فالصغاير تكفر بعمل الصالحات واما الكباير فتكفر
بالتوبة ولما بشرهم بالعفو عن العقاب اتم البشري بالامتنان
بالثواب فقال عاطفا علي ما تقديره ولنثيبنهم حسناتهم
ولنجزينهم احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء ما عملوه
وهو الصالحات واحسن نصب بنزع الخافض وهو الباء ولما كان
من جملة العمل الصالح الاحسان الي الوالدين ذكر ذلك بقوله
تعالي ووصينا الانسان بوالديه اي وان علينا حسنا اي بهما
وعطفا عليهما اي وصيناه بانيا والديه حسنا او بايلاء والديه
حسنا لانهما سبب وجود الولد وسبب تغايه بالتربية المعتادة
والله تعالي سبب له في الحقيقة بالارادة وسبب تغايه بالاعادة
للسعادة فهو ادلي باث يحسن العبد حاله معه فيطيعهما حالتم
يامراه بمعصيته الله كما قال تعالي وان جاهداك لتشرك بي وقوله
تعالي مالبس لك به علم اي لاعلم لك به البتة موافق للواقع فلا
معلوم له اوالمراد اذا كان لايجوز ان يتبع فيما لايعلم صحته مما لادليل
ان لايتبع فيما علم بطلانه فلا تطعهما في ذلك كما جاء في الحديث لاطاعة
لمخلوق في معصية الله تعالي ولابد من اضمار القول اذ لم يعمل مثل
ثم علل ذلك بقوله تعالي الي مرجعكم اي من آمن منكم ومن كفر ومن

ثم

بر والديه ومن عق ثم سبب عنه قوله تعالي فانبئكم بما كنتم تعملون اي
اخبركم بصالح اعمالكم وسيئها فاجازيكم عليها نزلت هذه الاية في سعد
ابن ابي وقاص الزهري واحد عشرة بنت ابي سفيان بن امية بن
عبد شمس روي انها لما سمعت باسلامه قالت له يا سعد بلغني
انك قد صبات قوالله لا يظلني سقف بيت من الضح وهو بكسر الضاد
المعجمة وتشديد الحاء مهملة الشمس والريح واذا الطعام والشراب علي
حرام حتي تكفر بمحمد وكانت احب اولادها اليها فابي سعد ولبثت
ثلاثة ايام لا تستقل من الضح ولا تاكل ولا تشرب فلم يطعمها سعد
بل قالوا والله لو كانت مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما كفرت
بمحمد صلي الله عليه وسلم فلما رات سعد اتي النبي صلي الله عليه وسلم
وشكي اليه نزلت هذه الاية وهي التي في لقمان والتي في الاحقاف
فامره صلي الله عليه وسلم ان يبر امها ويرضاها بالاحسان وروي
انها نزلت في عياش بن ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر هو عمر
ابن الخطاب رضي الله تعالي عنه مسافرين حتي نزلا المدينة فخرج
ابوجهل بن هشام والحارث بن هشام اخواه لامه اسماء بنت
مخرمة امراة من بني تميم بنت حنظلة فنزلا بعياش وقالا له ان
امك قد نذرت ان لا يمس رأسها مشط ولا تستظل بيت حتي تراك وهي اشد حبا لك منا فانشد
عمر فقال هما اكبر عائك ولك علي ان اقسم مالي بيني وبينك
فان لا فحتي اطاعهما وعصي عمر فقال عمر ما اذا عصيتني فخذ
ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فان رابك فيهم ريب فارجع
فلما انتهوا الي البيداء قال ابوجهل ان ناقتي قد كلت فاحملني معك
قال نعم فنزل ليوطي لنفسه وله فاخذاه فشداه واوثقاه

د

وحليه كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في
عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت رضي الله عنه وارضاه ونفعنا
به في الدنيا والاخرة ولما كان التقدير فالذين اشركوا وعملوا
السيئات لندخلنهم في المفسدين ولكنه طواه لدلالة السياق
عليه عطف عليه زيادة في الحث على الاحسان الى الوالدين
قوله تعالى والذين امنوا وعملوا تحقيقا لايمانهم الصالحات لندخلنهم
في الصالحين اي الانبيا والاوليا بان نحشرهم معهم او مدخلهم روضة
الجنة والصلاح منتهى درجات المومنين وبينهما انبيا الله والمرسلين
ولما بين سبحانه وتعالى المومن بقوله تعالى وليعلمن الله الذين صدقوا
وبين الكافر بقوله تعالى وليعلمن الكاذبين بين الله بقي قسم ثالث
من الذب بقوله تعالى ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا اوذي
في الله جاء عذاب الناس اي ما
يصيبه من اذيتهم في منعه عن الايمان الى الكفر كعذاب الله
اي في الصرف عن الكفر الى الايمان ولئن لام قسم جاء نصر اي للمومنين
من ربك اي بفتح وغنيمة ليقولن حذف منه نون الرفع لتوالي
النونات والواو ضمير الجمع للفئة الساكتين انا كنا معكم في الايمان
فاشركوا نالي الغنيمة واما عند الشدة فجبنوا كما قال الشاعر
وما كرّ الاصحاب حين تقدموا • ولكنهم في النائبات تليل قال الله
تعالى اوليس الله باعلم اي بعالم بما في صدور اي قلوب العالمين
من الايمان والنفاق وليعلمن الله الذين امنوا اي بقلوبهم وليعلمن
المنافقين فيجازي الفريقين واللام في الفعلين لام قسم وانما
بين الفرق الثلاثة ذاكرا لهم ذكر ان الكاذبين ليدعو من يقول امنا
الى الكفر بقوله تعالى وقال الذين كفروا اي ظاهرا وباطنا للذين
امنوا

امنوا اي ظاهرا وباطنا لم يحملوا الاذى والذل اتبعوا سبيلنا
اي الذي نسلكه في ديننا ولنحمل عنكم خطاياكم ان كان ذلك فقالوا
نحن نتحمل عذاب الله تعالى علي خطيئة اتباعكم فقالوا اللهم اتبعونا
ولنحمل خطاياكم ان كان ذلك خطيئة وان كان بعث ولم يكن
قال الجلال المحلي والامر بمعنى الخبر وهو قول البيضاوي وانما
امروا انفسهم بالحمل حاطفين على امرهم بالاتباع مبالغة في
تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتحتيف الاوزار عنهم ان كانت تبعيتهم
للمومنين على الاتباع وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله وما
هم اي الكفار بحاملين من خطاياهم اي المومنين من شيء انهم
لكاذبون في ذلك قال الزمخشري ونري في المتسلمين بالاسلام
من يستهين بذلك فيقول لصاحبه اذا اراد ان يشجعه على ارتكاب
بعض العظائم افعل هذا وانا في عنقي وكم من معزور
بمثل هذا الضمان من صفقة العامة وجهلتهم ومن ما يحكي
ان ابا حنيفة المنصور رفع اليه بعض اهل الحسوة حوائجه فلما قضاها
قال يا امير المومنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هي قال تشفع لي
يوم القيمة فقال له عمرو بن عبيد رحمه الله اياك وهو لاء فانهم
قطاع الطريق في الممر من فات قيل كيف سماهم الله تعالى كاذبين
وانما ضمنوا شيئا علم الله تعالى انهم لا يقدرون على الوفاء به وضامن
ما لا يلزمه اداؤه على الوفاء به لا يسمى كاذبا لاحين ضمن ولا حين
عجز لانه في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشيء
لا على ما هو عليه اجيب بانه الله تعالى بشبه حالهم حيث علم انهم
ما ضمنوه لا طريق لهم الى ادائه فكان ضمانهم عنده لا على ما
عليه المعذور بالكاذبين والذين جنس بهم لا على ما عليه المخبر عنهم

ويجوز ان يريد انهم كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على
خلاف الذين يعبدونه الشيء وفي قلوبهم نية مخالفة لتنبيه
من الاولى للتبيين والثانية من البقاء والتقدير وما نقم
منا مسلمين شيئا من خطايانا هم فانا نعتذر قال الله تعالى وما
هم بحاملين شيئا من خطاياهم من شيء قال تعالى وليحملن
اي الكفرة اثقالهم اي اثقال ما اقترفته انفسهم واثقالا
مع اثقالهم اي اثقالا لاقوتهم لمن اتبعوا سبيلنا وبا
ضلالهم تضليلهم فكيف الجمع بينهما اجيب بان قوله تعالى
حملا فلان على فلان تريد ان حمل فلان فحق وانهم يخيل
حمله فلا يكون قد حمل منه شيئا فقوله تعالى وما هم بحاملين
من خطاياهم يعني لا يرفعون عنهم خطيئة بل يحملون اوزار
انفسهم واوزارا بسبب اضلالهم كقوله صلى الله عليه
وسلم من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل
بها من غير ان ينقص من وزره شيء وقال تعالى في اية اخرى
ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة ومن اوزار الذين يضلونهم
بغير علم الا ساء ما يزرون وقال تعالى وما يحملون من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون
من غير ان ينقص من اوزار من يتبعهم شيء وليسئلن يوم
القيمة اي سؤال توبيخ وتقريع عما كانوا يفترون اي
يختلقون من الكاذيب والاباطيل واللام في الفعلين
لام قسم وحذف فاعلهما الواو ونون الرفع وانما كان السؤال
ليلا والامتحان والعبر على الهوا فذكر من الرسل الكرام
عليهم السلام من طال صبره على البلاء ولم يفتر عزمه
عن نصيحة العباد فقوله تعالى ولقد ارسلنا نوحا الى اول

رسل

رسل الله الى المخالفين الى العباد وهو معنى الى قومه وعمره اربعة
سنة فان الكفر كان قد عم اهل الارض وكانت عليه السلام اطول
الانبياء بلاء بهم ولذلك قال تعالى معتبا عن ذلك ومعتبا فلبث
فيهم اي بعد الرسالة الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى
توحيد الله فكذبوه فاخذهم الطوفان اي اتاهم الكثير يغرقهم
وهم ظالمون قال ابن عباس ساسئركون وني ذلك تسلية للنبي
صلى الله عليه وسلم ولنا تبعيه رضي الله تعالى عنهم وتثبيتا لهم
ومحمد بن القرشي قال ابن عمر عباس كان عمر نوح عليه السلام
الف وخمسون سنة بعث على راس اربعين سنة ولبث في قومه
تحاية وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى
كثر الناس وفشوا وروي عن ابن عباس انه بعث وهو ابن
اربعمائة وثمانين سنة وعاش بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين
سنة فان كان هذا محفوظ عن ابن عباس فيضاف الى لبثه
في قومه وهو تسعمائة وخمسون سنة فيكون قد عاش الف
سنة وسبعمائة وثمانين سنة واما ما يروه روي ابن جرير
والازرقي حدثنا مرسلا ان قبره بالمسجد الحرام وبين
بئر زمزم والحجر الاسود فهو بعيد جدا وقيل بقرية الثنية بالشام
بلدة البقاع يعرف اليوم بكرك نوح وهناك مسجد جامع قد
بني بسبب ذلك وعن وهب انه عاش الفا واربعمائة سنة
والاية تدل على خلاف قول الاطباء العمر الانساني لا يزيد
على مائة وعشرين سنة وليس هذا العمر الطبيعي فلا يدوم
عليه ولا يجاوزه فضلا عن مائة او اكثر فان قيل هلا
قال تسعمائة سنة وخمسين سنة كاملة وافية العدد الا ان
ذلك احضر واعذب لفظا واملا بالطلاقة وفيه نكتة اخرى

وهي الى الغاية مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلام من
امته وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم وتثبيتا له فكان ذكر راس العدد الذي
لا راس اكبر منه اوقع واوصل الى الغرض من استمالة
السامع مع مدة صبره وعن الثاني بان ذكر بالفظ
الواحد في الكلام الواحد حقيق بالاجتناب في البلاغة
الا اذا وقع ذلك لاجل غرض نكتة المتكلم من تفخيم
او تهويل او تنويه او نحو ذلك والطوفان لغة ما اطاف
واحاط بكثرة وغلبة من سيل او ظلام او نحوه فقال
العجاج وغمر الطوفان الظلام الا سما فانجيناه اي نوحا
واصحاب السفينة اي الذين كانوا فيها من الغرق
وكانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم
اناث سمهم اولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم
وعن محمد بن اسحاق كانوا عشرة خمسة رجال وخمسة
نسوة وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا
ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة وجعلناها اي السفينة
او الحادثة والقصة آية اي عبرة وعلامة على قدرة الله
تعالى وعلمه واعجابه للطائع والهلاك للعاصي للعالمين
اي لمن بعدهم من الناس ان عصوا رسولهم فانتظروا
الدهر حادثة اعظم منها ولا اغرب ولذا اشتهر في الخلق
انها جميع الارض تطوى لحما والعرض واعزاق جميع ما على
من حيوان انسان وغيره ولما ذكر تعالى قصة نوح وكانت
بلاد ابراهيم عليه السلام غيظها في قذفه في النار واخراجه

من بلاده اتبعه بقوله تعالى وابراهيم وهو منصوب باذكر ويكون
اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه اي خافوا عقابه بدل اشتمال
لان الاحيان تشتمل ما فيها واما معطوف على نوحا واذ ظرف
لارسلنا اي ارسلناه حين بلغ من السن والعلم مبلغا صح فيه
ان يقال قومه ونصحهم ويعرض عليهم لكن ويامرهم بالعبادة
والتقوى ذلكم اي الامر العظيم الذي هو اخلاصكم في عبادتكم
له وتقواكم خير لكم اي من كل شيء ان كنتم تعلمون اي في عداد من
يتجدد له علم فينظر في الامور بنظر العلم دون نظر الجهل واما
امرهم بما تقدم ونفي العلم عمن جهل خيريته دل عليه بقوله
انما تعبدون من دون الله اي غيره اوثانا اي اصناما فلا
تستحق العبادة لانها مخلوقة لا ترزق لها وتخلقون اي
تصورون باييديكم افكا اي شيئا مصروفا عن وجهه فانه مصنوع
وانتم تسمونه باسم الصانع ومرتب وانتم تسمونه ربا او
تقولون كذبا في تسميتها الهة وادعاء شفاعتها عند الله
بيان ان الله تعالى نفى عنها النفع بقوله تعالى ان الذين تعبدون
من دون الله لا يملكون لكم رزقا اي شيئا من الرزق الذي لا قوام
لكم بدونه وانتم تعبدون ما فكيف بغيره فكم فتسبب عن ذلك
قوله تعالى فابتغوا اي اطلبوا عند الله اي الذي لصفات
الكمال الرزق اي كله فانه لا يشتمل منه الا وهو بيده فادخل
لم تذكروا الرزق في قوله تعالى لا يملكون لكم رزقا وعرفه في
قوله تعالى فابتغوا عند الله الرزق اجيب بانه نكره في معرض
النفي اي لا رزق عندهم اصلا وعرفه عند الاثبات عند

الله تعالى اي كل رزق عنده فاطلبوه منه واكفوا الرزق من الله
معروف بقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
والرزق من الاوثان غير معلوم فتركه لعدم حصول العلم به واعبدوه
اي عبادة تقبلها وهو ما كان خالصا عن الشرك واشكروا اي
اوقعوا الشكر له خاصة على ما افاض عليكم من النعم ثم علل
ذلك بقوله تعالى اليه وحده ترجعون اي معنى في الدنيا والاخرة
فانه الحاكم في الحقيقة لا حد سواه وهيا بالنشور والحشر بايسر
امر فيثيب الطائع ويعذب العاصي ولما فرغ من بيان التوحيد
الذي يعبد بالتمديد قال وان تكذبوا اي وان تكذبوني فقد اي فيكفيكم
في الوعظ والتهديد معرفتكم بانه قد كذب امم اي في الازمان
الكائنة من قبلكم اي من قبلي من الرسل فجزي الامم قبلهم على
سنن واحد لم يختلف قط في نجاة المطيع للرسول وهلاك العاصي
له ولم يعهد ذلكم الرسول شيأ وما على الا انفسهم وما على
الرسول ان يتعهدكم على التصديق بل ما عليه الا البلاغ المبين
الموضح مع ظهوره في نفسه للامر بحيث لا يبقى فيه شك باظهار
المعجز واقامة الوحدانية على الادلة تنبيه في المخاطب بهذه
الاية والايات بعدها التي تولى تعالى عما كان جواب قوم ابراهيم
الاول انه قوم ابراهيم لان العقفة له فكان ابراهيم عليه السلام
قال لقومه ان تكذبوني فقد كذب امم من قبلكم وانما اتيت بما
علي من التبليغ فان الرسول ليس عليه الا التبليغ والبيان
فان قيل ان ابراهيم لم يسبقه الا قوم نوح وهم امة واحدة
اجيب بانه قبل نوح ايضا كان اقوام كقوم ادريس وقوم شيث
وآدم وايضا فان نوحا عاش اكثر من الف سنة وكان الذين

يجوز ويجيء اولاده والا بابو صوف الابناء لامتناع ان الاتباع
تكفي بقوم نوح انما ولقد عاش ادريس الف سنة بني قومه
الى ان رفع الى السماء وامن به الف انسان منهم على عدد سنيه
واعقابهم على التكذيب الثاني ان الاية مع قوم هم صلى الله عليه
وسلم لان هذه العقصص اكثرها المقصود منه تذكير قومه بحال من
مضى حتى يمتنعوا من التكذيب ويرتدعوا عن فامن التعذيب فقال
ين اتاكما يا تمر يا قوم ان تكذبوا فقد كذب قبلكم اقوام هلكوا
فان كذبتم فاني اخاف عليكم ان يقع بكم ما وقع بغيركم وعلى هذا
التقدير الكلام الجملي والتهاعي وهذه الاية تذكير كما قال ابن
عادل على انه لا يجوز تاخير البيان عن وقت الحاجة لان الرسول
اذا بلغ شيأ ولم يبينه فلم يات بالبلاغ المبين اولم يروا اي
يتفكروا كيف يبدئ الله اي الذي له كمال الخلق اي تخليقهم الله تعالى
ابتدا نطفة ثم مضغة ثم علقة ثم هولا عينه يعيده اي الخلق كما كان
ان ذلك اي المذكور من الخلق الاول والثاني على الله اي كما مع كمال
كمال المنزه عن كل مشابهة نقص يسير فكيف ينكرون الثاني فان
قيل متى راي الانسان بدا الخلق حتى يقال اولم يروا كيف يبدئ
الله الخلق اجيب بان المراد بالرؤية العلم الواضح الذي كالرؤية
فالعاقل يعلم ان المبداء من الله تعالى لان الخلق الاول لا يكون
من مخلوق والا لكان الخلق الاول خلقا اول فهو من الله
تعالى فان قيل علق الرؤية بالكيفية لا بالخلق ولم يقل اولم
يروا ان الله خلق اول بدا الخلق والكيفية غير معلومة اجيب بان
هذا القدر من الكيفية معلوم وهو انه خلقه ولم يكن شيأ
مذكورا وانه خلقه من نطفة هي من غذا هو من قاو تراب

وهذا القدر كاف في حصول العلم بامكان الاعادة فان قيل لم لا يجوز ان يقال
في ان ذلك على الله يسير ولم يقل ان ذلك عليه كما قال ثم يعيده من غير ان
اجيب بانه مع اقامة البرهان على انه يسير اكثر باظهار اسمه فانه
يوجب المعرفة ايضا بكون ذلك يسيرا فان الانسان اذا سمع لفظا اسمه
وفهم معناه انتهى الفهم ربما بدلالة كاملة لا يمتنع شيء يحيط بذرات كل
ما دل الارادة فيقطع بجواز الاعادة وقرأ حمزة والكسائي وخلف قرؤا
بالتاء على الغيبة ولما ساق تعالى هذا الدليل الذي حاج به خليله قال
تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل اي لهؤلاء الذين تقلدوا ما
تقلدوا واعذاهب اباءهم سيروا ان لم تقتدوا بابائكم ابراهيم عليه السلام
وتتأهلوا لما اقام من الدليل القاطع والبرهان الساطع في الارض
ان لم يكفكم النظر في احوال البلاد كما فانظروا اي نظر اعتبار كيف بدأ ربكم
الذي خلقكم وربى بكم الخلق من الحيوان والنبات والزرع والاشجار
وغير ذلك مما تضمنته الجبال والسهول ثم الله اي الجامع لجميع صفات
الكمال ينشئ النشأة الآخرة بعد النشأة الاولى وقرأ ابن كثير وابو عمرو
بفتح الشين والقصر والباقون بسكونها والمد والهمزة بعد الشين ثم علل ذلك بقوله تعالى ان ذلك
كل شيء قدير لان نسبته الاشياء كلها اليه واحدة فان قيل ابرز اسم الله
في الاية الاولى عند البدء فقال كيف بدأ الله واضمره عند الاعادة
وها هنا اضمره عند البدء وابرزه عند الاعادة فقال ثم الله ينشئ
اجيب بانه في الاية الاولى لم يسبق ذكر الله تعالى بغير اسمه حتى يسند
اليه البدء فقال كيف بدأ الله الخلق ثم يعيده اكتفاء بالاولى وفي الثانية
كان ذكر البدء مسندا الى الله تعالى فاكتفى به ولم يبرزه واما اظهاره عند
الانشاء ثانيا فقال ثم الله ينشئ مع انه كان يكفي ان يقول ثم ينشئ

النشأة

النشأة الاخرة فلحكمة بالغة وهي انه مع اقامة البرهان على امكان الاعادة
اظهر اسمه حتى يفهم به صفاته كماله وتفوت جلالة فيقطع بجواز الاعادة فقال
ثم الله يظهر ليقطع في ذهن الانسان من اسمه كمال قدرته ويحزل علمه
وتتوفر ارادته فيقترن بوقوع بدايه وجواز اعادته فان قيل قال في الاولى
ولم يرد كيف يبدأ الخلق بلفظ المستقبل وها هنا قال فانظروا بلفظ
الماضي قلت الحكمة اجيب بان الدليل الاول هو الدليل العقلي الموجب للعلم وهو
يوجب العلم بمبدا الخلق واما الدليل الثاني فمفاده ان كان ليس لكم علم بمبادئ
بدء الخلق فانظروا الى الاشياء المخلوقة فيحصل لكم العلم بان الله بدأ خلقها
ويحصل من هذا القدر بانه ينشئ كما بدأ ذلك فان قيل قال في هذه الاية
ان ذلك يسير فما فائدته اجيب بانه يفيد ما افاده الاولى ان الدليل الاول وهو
الدليل العقلي وهو وان كان موجبا للعلم التام ولكن عند تمام الدليل
الا في القليل فيحصل العلم التام فلا بد بالنظر الى نفسه علم حاجته الى غيره ورجوعه
اليه فتم علمه بان كل شيء من الله فقال عند تمام الدليل ان الله على كل شيء
قدير وقال عند الدليل الواحد ان ذلك وهو الاعادة على الله يسير اي ان
ان العلم الاول اتم وان كان الثاني اعم وكون الاعم يسيرا على الفاعل
اتم من كونه مقدورا له بدليل قولك لمن يحمل مائة رطل انه قادر عليه
فان اجاب سلبت عنه حمله عشرة ارطال تقول ذلك مسهلا لبيرا وتقول لكان القدر
ان لم يحصل لكم العلم التام بامكان الامور عند الله كملة يسيرة فيسير في الدرجة
الثانية ان المقدور ونفس كونه مقدورا كافيان في امكان الاعادة ولما تم
الدليل على الاعادة اتبع ذلك ان قال يعذب اي بعد له من يشاء تعذيبه اي
منكرو من غير كم في الدنيا والاخرة ويرحم اي بفضله ورحمته من يشاء رحمته
فلا تمسه سوء فان قيل لم قدم التعذيب في الذكر على الرحمة مع ان
رحمته سابقة كما قال صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى سبقت رحمتي غضبي

ده

لينة

اجيب بان السابق ذكر الكفار فذكر العذاب لسبق ذكر مستحقه بحكم
الاضداد وعقبه الرحمة فذكر الرحمة وقع سببا ليلا يكون ذكر العذاب مذكورا
وحده وهذا التحقيق قوله رحمتي سبقت غضبي واليه وحد تقلبون
اي ترددون بعد موتكم باسوء سبي وما انتم بمعجزين ربكم عن
ادراككم في الارض كيف انقلبتم في ظاهرها وباطنها واختلف في
معنى قوله تعالى ولا في السما لان الخطاب مع الادميين وهم ليسوا
في السما فقال الفرا معناه ولا من في السما بمعجز ان عصى كقوله ان
ابن ثابت ثمن كابي رسول الله منكم وممدعه وبصره سواء اراد ومن
ممدعه وبصره فاضمر من يريد اي لا يعجز الارض من في الارض
ولا اهل السما من في السما معنى ان من في السموات عطف بتقدير
ان يعجزني وقال الفرا وهذا من عوامض العربية وقال قطرب وما انتم
بمعجزين في الارض ولا في السما لو كنتم فيها كقول القائل ما يقوتني
فلان هذا ولا في البصرة اي ولا بالبصرة لو كان بها كقوله تعالى ان
استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض اي على تقدير ان
تكونوا فيها قال ابن عادل والبعد من ذلك من قدر موصولين محذوفين
اي وما انتم بمعجزين من في الارض من الجن والانس ولا من في السما
من الملائكة فكيف تعجزون خالقهما وعلى قولكم يكون المعنى
محذوفا اي وما انتم بمعجزين اي فائتين ما يريد الله تعالى وقال النيسابوري
ويمكن ان يكون نظرا الى قصة نمرود وبنايه الصرح الذي اراد به التوصل
الى السما لاسيما والايات مكتنفة بقصة ابراهيم عليه السلام من قبلها
ومن بعدها ولما اجرموا انهم معتقدون على بطلانهم وكانوا يعلمون ان عجزهم يفضحهم
صرح بنفسه في قوله تعالى وما لكم اي اعجمين والتفات الى المغفول لتبكيتهم
ما سواه بقوله تعالى من دون الله اي غيره والكد النفي بالبات لكان

بقوله

بقوله من ولي اي قريب يحميكم لاجل القرابة ولا نصير ينصركم من عذابه
وما بين الاصلين التوحيد والاعادة وقررهما بالبرهان هدد من
خالفه على سبيل التفصيل بقوله تعالى والذين كفروا اي ستروا ما الظاهر
لهم انوار العقول بايات الله اي بسبب دلايل الملك الاعظم المربية
والمجموعة التي لا اوضح منها ولقايه بالبعث بعد الموت الذي اقام
به وافام الدليل اولئك اي البعداء البغضا يئسوا اي تحقق ياسهم من
الآن بل من الازل لانهم لم يرجوا لقاء الله يوما ولا تاب قابل فاعرض عنهم
واعفر لي خطيئتي يوم الدين من رحمتي اي من ان افعل بهم ما
الاكرام بقبول التوبة وغيرها فعل الراحم واولئك لهم عذاب اليم
اي مولم بالغ اصله فان قيل هلا اكتفى بقوله تعالى اولئك مرة واحدة
اجيب بان ذلك تكرير تجنيسا للاخر فالياس وصف لهم لان الحي من شانه
يكون راجيا خاشيا واما الكافر فلا يحظر بباله رجاء ولا خوف وعن قتادة
ان الله تعالى ذم قوما فقال اولئك يئسوا من رحمتي
وقال ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فينبغي للمؤمن ان
لا ييأس من روح الله ولا من رحمته وان لا يامن من عذابه وعقابه
فصفة المؤمن ان يكون راجيا خايفا ثم ان الله تعالى اخبر عن
مقالة قوم ابراهيم وتكريرهم بقوله تعالى فما كان جواب قومه لما امرهم
بالتوحيد وتوبيخ الله تعالى الا ان قالوا اي قال بعضهم لبعض او قاله واحد
منهم وكانوا يعبدون اصنامهم اقتلوه او حرقوه بالنار فان قيل كيف
سمي قولهم اقتلوه او حرقوه جوابا مع ان ليس بجواب اجيب عنه
من وجهين احدهما انه خرج مخرج كلام المتكبر كما يقول الملك لرسول
خصمه جوابك السيف مع ان السيف ليس بجواب وانما معناه لا
اقابل بالجواب وانما اقابل بالسيف وثانيهما ان الله تعالى اراد بيان

صلاتهم وانهم ذكروا ما لايسن بجواب في معرض الجواب فبين انهم لم يكن لهم جواب اصلا وذلك ان من لا يجيب غيره وسكت لا يعلم انه قد يقيد رعلى الجواب ام لا الجواز ان يكون سكوته لعدم الالتفات واما اذا اجاب بجواب فاسد علم انه قصد الجواب وما قدروا عليه ممن اجابهم استقر رأيهم على الاحراق فجمعوا له حطبا الى ان صار كالجبال واضرموا فيه النار وبقي احرقت ما دون مما بعظم الاشتعال وقذفوه فيها بالمنجنيق فانجاه الله بما له من كمال العظمة من النار اي من احراقها واذا نجاه ونفقته بان احرقت وثاقه ان في ذلك اي ما ذكر من امره وما استملت عليه قصته من الحكم لايات اي براهين قاطعة في الدلالة على جميع امر الله من تفرده في الاعيان والمعاني لكون النار لم تحرقه واحرقت وثاقه وكل ما مر عليه من طاير واحمادها مع عظمها في زمان يسير واشارة من حكامها وردي انه لم ينتفع في ذلك اليوم الذي القي فيه ابراهيم بالنار وذلك لذهاب حرقها لقوم يومنون اي يجدد توحيد الله وقدرته لانهم المنتفعون بالتحذير عنها والتامل فيها وقال اي ابراهيم عليه السلام غير هايب لتهديدهم بقتل او غيره انما اتخذتم اي اخذتم باصطناع وتكلف واشار الى غفلة الدنيا وعلو شانه من دون الله الذي كل شيء تحت قهره اوثانا اي اصناما تعبدونها وما مصدرية مودة بينكم اي توادد تم على محبتها في الحياة الدنيا بالاجتماع عندها والتواصل في امرها بالتناصر والتعاضد كما يتفق ناس على مذهب فيكون ذلك سبب تصادقهم وهذا دال على ان جمع العشوق لاهل الدنيا هو العادة المستمرة واما التحاب في الله والاجتماع له عز وجل لما فيه من قطع علايق الدنيا وشهواتها التي زينت للناس على ما فيها من

الالباس وعظيم الباس وقرا نافع وابن عامر وشعبة مودة بالنصب والتنوين وبينكم بنصب النون فنصب مودة على انه مفعول له اي لاجل مودة وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائي برفع مودة من غير تنوين وكسر النون على ان مودة خبر مبتدا محذوف اي هي مودة والباقون بنصب مودة من غير تنوين وكسر النون وهذا ايضا كما عرابه المنونة وما اشار الى هذا النفع الذي هو في الحقيقة ضر اتبع ذلك ما يعقبه من الضر البالغ معبرا باداة البعد بقوله ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض فينكر كل منكم محاسن اخيه ويتبرا منه بل من الاتباع القادة وتلعن القادة الاتباع كما قال تعالى ويلعن بعضكم بعضا وتنكرون ذلكم عبادة الاوثان ثارة اذا تحققتم انها ضر لا تنفع لها ولا تضر وتبرؤكم فريء طالبين نفعها راجين منفعتها فتنكر الاوثان عبادتكم وتجحد منفعتكم وماواكم النار اي جميعا انتم والاوثان وما لكم من ناصرين يحمي لكم منها ثم بين تعالى اول من امن بابراهيم بقوله تعالى فامن له اي لاجل دعايته له مع ما راى من الايات لوط وكان ابن اخيه هاران وهو اول من صدقه من الرجال وقال اي ابراهيم عليه السلام لما هو جديد بالانكار من الهجرة لصعوبتها اني مهاجر اي خارج من ارض وعيشي التي علي وجه تنتقل وتختار الى ربي اي الى ارض ليس فيها انيسي ولا عيشي ولا من يرجى نصرته ولا من تنفع مودته فيها خرج من كوثى من سواد الكوفة الى حران ثم منها الى الارض المقدسة فكانت له هجرتان ومن ثم قالوا لكل نبي بجرة ولابراهيم هجرتان وهو اول من هاجر في الله وكان معه في هجرته لوط وامراته سارة قال مقاتل وكان لوط ابن اخي ابراهيم وكان ابن سبعة وخمسين فان قيل لم لم يقل مهاجر الى حيث

امر ربي مع ان المهاجرة لوجب لجهته اجيب بان هذا القول ليس في الاظلا
كقول لما بي ربي لان الملك اذا صدر منه امر بروح الاخبار بمران واحدا منهم
سار الي ذلك الموضع لفرغ من نفسه فقد هاجر الي حيث امره الملك
ولكن لا يخالف هذا لو جمه هذا قال مهاجر الي ربي يعني لو جهي الي جهة
المامور بالهجرة اليها ليس طلبا للجهة انما هو طلب لله تعالى
ذلك بما يسلبه عن مفارقة ارضه واهله ووده من ذوي رحمه وابنائه
بقوله انه هو اي وحده العزيز اي الموجود بالا عن ان ينال من انقطع اليه
الحكيم فيما وفقه لاعن احد استفته حكمته من التوكل له بالاذلال بفضل
او مقال ولما كان التقدير فاعزنا عما ظن بنا عطف عليه قوله
ووهبنا له اي بعظيم قدرتنا شكرا على هجرته اسحاق من زوجته
سارة رضي الله تعالى عنها التي جمعت اليه العقم في شبابها واليأس في
كبرها ويعقوب من ولده اسحاق عليهما السلام قال قتيل لم لم يذكر
اسماعيل عليه السلام وذكر اسحاق وعقبه اجيب بان هذه السورة
لما كان السياق فيها للامتحان وكان ابراهيم عليه السلام قد ابتلي
في اسماعيل ببفراقه مع امه وهو صغير في قطيعة من الارض لا انس
بها ليذكره بقرب مجانبي سياق الامتحان والفرد اسحاق لانه لم يقتل قط
شيء من ذلك ولان الامتحان به لكونه اعمر وزاعقهما اكبر وزاعظم
لانهما اعجب وذكر اسماعيل تلو اسحاق في قوله تعالى وجعلنا اي بعز تنا
وحكمتنا في ذريته من ولد اسحاق واسماعيل عليهما السلام النبوة
فلم يكن بعده اجنبي عنه بل جميع الانبياء من ذريتهما اسحاق الانسنا
قتيل ان الله تعالى جعل في ذريته النبوة فيه ولد اسحاق اكثر اجيب
بان الله تعالى قسم الزمان من وقت ابراهيم الي يوم القيمة ثمانية

والناس

والناس اجمعين في القسم الاول من الزمان بعث الله تعالى اليهم انبيائهم
فقاتل جمة وجاوا واثنا واحدا بعد واحد ومجيء من بني عصر واحد كلهم
من ذرية اسحاق عليه السلام في القسم الثاني من الزمان اخرج من
ذريته ولده اسماعيل عليه السلام واحد اجتمع عليه ما كان فيهم وارسله
الي كافة الخلق وهو محمد صلى الله عليه وسلم وجعله خاتم النبيين وقد
دام الخلق علي دينه اولاده اسحاق اكثر من اربعة الاف سنة ولا
يبعد ان نبي الخلق علي ذرية اسماعيل ذلك المقدار والكتاب فلم
ينزل كتاب الا علي اولاده فان قتيل لم انزل الكتاب مع انهما اربعة التوراة
والانجيل والزبور والفرقان اجيب بانه انزله ليدرج تناول
الخمسة الكتب الاربعة لانه للاسم يسمى اذ ذاك الاحد المنزل فيها او كان
راجعا الي ما ولو جمع لم يفد هذا المعنى واتيناه علي هجرته في الدنيا ما
فعلناه به مما لا يقدر عليه غيرنا من سعة الرزق ورغد العيش
وكثرة الولد والخدم في الشيخوخة وكثرة النسل والثناء الحسن والمحبة
من جميع الخلق وغير ذلك قال الزمخشري وفي الاية لطيفة وهي ان الله
تعالى بدل جميع احوال ابي ابراهيم عليه السلام في الدنيا باضدادها
لما اراد القوم قذفه بالنار كان وحيدا فريدا فجعل الله وحدته
بالكثرة في ملا الدنيا من ذريته ولما كان اولا قومه واقاربه القريبة
منه مفلسين من جملتهم ازيد بدل استهتار اقاربه باقارب ممتدين
عادين وهم ذريته الذين جعل الله فيهم النبوة والكتاب وكان اولا
لا اولاد له وللمال وبما غاية المنزلة الدنيا وية اتاه الله تعالى من
المال والجاه حتى كان له من المواشي ما علم الله تعالى عدده حتى قيل انه
كان له اثنا عشر الف كلب حارس بابا طوائف الذهب واما الجاه فصار

بحيث تقترن الصلاة عليه بالصلاة على سائر الانبياء الى يوم القيمة فصار
معروفا بالشيخ الى حين بعد ان كان خليلا حتى قال قايلهم سمعنا فتى
يذكرهم يقال له ابراهيم وهذا الكلام لا يقال الا لمجهول عند الناس واجعل لي
الاخرة اي التي هي الدار ومحل الاستقرار لسان الصالحين اي الذين
خصصناهم بالسعادة وجعلنا لهم لسان حسن وزيادة قال ابن عباس
من الاجر والفرج وفيه اعراب قوله تعالى ولوطا ما تقدم في اعراب نظيره
ابراهيم اذ ظرف قال لقومه اهل سدوم الذين سكن فيهم وجاهرهم
وانقطع اليهم فصار فيهم قومه حين فارق عمه ابراهيم انكم لتاتون الفاحشة
انكار اي من حالهم وقبح فعلهم هو كذا اذا اتوت الفاحشة وهي
ذبار الرجال المجاوزة للحد للقبح فكأنها لذلك لا فاحشة غيرها لتناهيها
عللوا نهيها فاحشة استيناف بقوله ما سبقكم بها وهي حالة مبينة
لقبحهم جراءتهم على المنكر اي غير مسبوقين به واعرفت في الدنيا بقوله
من احد واراد بقوله من العالمين اي كلهم من الانس والجن اي لفضلا
عن خصوص الناس ثم كرر الانكار تاكيدا لتجاوزهم قبحها الذي ينكرونه
بقوله اينكم لتاتون الرجال اتيانا للشهوة وعطف على اتاتون ما هو في
معنى المنكر بقوله وتقطعون السبيل اي طريق المارة بالقتل واخذ المال
او بفعلكم الفاحشة بمن يمر بكم فتركه الناس المرور بكم او تقطعون النسا
بالاعراض عن الحرث واتيان ما ليس بحرث وتاتون في ناديكم المنكر اي
تفعلون في مجتمعكم فعل الفاحشة بعضكم ببعض وهو ما تتكلم به الرايح
والمروات والتهم للتحاسد عن ابن عباس هذه المجتمع الذي يتحاشى فيه
الانسان من فعل الخلاف الاولى من غير ان يستحي بعضكم من بعض
قال ابن عباس المنكر هو الخذف بالحصا والرمي بالبنادق والقرقعة
ومضغ العلك والسواك بين الناس وهل الاستهزاء والسباب
والقهقهة

والقفار طعن بالسهم والمضغ والمزاح وعن عايشة كانوا يتباقون
وقيل السخرية بمن يمر بهم وقيل المجاهرة في نواديهم بذلك العمل وكل
معصية فاظهارها الفتح من مزحها ولذلك جاء من مزح وجلباب بالحبشية
فلا عيبة ولا نقال للمجلس ناديا الا ما دام فيه اهله فاذا قاموا عنه
لم يبق ناديا وعن مكحول في اخلاق قوم لوط مضغ العلك وتظريف
الاصابع بالحناء وهل الاستهزاء والعيث والخزف واللوطية ودل على
عنادهم بقوله تعالى مسببا عن هذه القبايح بالنهي عن تلك القبايح
فما كان جواب قومه اي الذين يمهم وقعة وكلمة بحيث لم يبق
وبتي اذاهم لما انكر عليهم ما انكر الا اذ قالوا عنادا وجهلا واستهتارا
ايتنا بعذاب الله وعبروا بالاسم الاعظم زيادة في الجراة ان كنت
من الصادقين اي في استفتاح ذلك واذا العذاب نازل بنا عاجلا
فان قيل قال قوم ابراهيم اقتلوه او حرقوه وقال قوم لوط ايتنا بعذاب
الله وما هدده به مع ان ابراهيم كان اعظم من لوط فان لوطا كان
من قومه اجنبيا بان ابراهيم كان يقدح في دينهم ويسفه احلامهم ويعيب
صفات تقصيرهم بقوله لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يغني وابراهيم في البلد
غريب فلم يخافوا جزاء القتل والتحريق ولوط كان منكرا عليهم فعلهم
ويتهم الى ارتكاب المحرم وهم حاكموا اليه ولذا ان نفذ واجب على
الدين فلم يصعب عليهم مثل ما صعب على قوم ابراهيم كلام ابراهيم
فقالوا انك لتقول اذ نفذ احرام والله يعذب عليه فان كنت صادقا
فاتنا بالعذاب فان قيل ان الله تعالى قال في موضع آخر فما كان جواب
قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قريتكم وقال في موضع آخر
قومه الا ان قالوا ايتنا فكيف الجمع اجيب بان لوطا كان نائبا على
الارشاد مكررا عليهم النهي والوعيد فقالوا ولا ايتانهم لما كرر ذلك

عنه ولم يسكت عنهم قالوا اخرجوا ولما ايس منهم طلب النصرة من الله وذكرهم
بما لا يجب الله بان قال اي لوط عليه السلام معرضا عنهم مقبلا بكليته
على المحسن اليه رب اي يا المحسن الي انصرني على القوم اي الذين
فيهم من القوة ما لا طاقة لي بهم معه المفسدين اي العاصين باتيان
الرجال ووصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب واشعارا بانهم
احقاء بان يجعل لهم العذاب ولما دعا لوط على قومه بقوله رب انصرني
استجاب الله تعالى دعاءه وامر ملائكته باهلاكهم وارسلهم مبشرين
ومنذرين ثم قال تعالى ولما جاءت واستغنى عن الفاء لانه لم يتصل القول
بالاول اتصال ما كان قبله السلام والضيافة وعظم الرسل بقوله تعالى
رسلنا اي من الملائكة تعظيما لهم في انفسهم ابراهيم بالبشرى اي
باسحاق ولدا وبيعقوب ولدا لاسحاق عليهما السلام قالوا اي الرسل
عليهم السلام لابراهيم عليه السلام بعد ان بشروه وتوجهوا نحو سدوم
انا مهلكوا اهل هذه القرية اي قرية سدوم والاضافة لفظية لان
المعنى الاستقبال ثم عللوا ذلك بقولهم ان اهلها كانوا ظالمين
اي عريقين في هذا الوصف فلا حيلة في رجوعهم عنه فان قيل قال
تعالى في قوم نوح فاخذهم الطوفان وهم ظالمون يعني ذلك اشارة
الى انهم كانوا ظالمين ولم يتركوا وهم ظالمون اجيب بانه لا فرق في
الموضعين في كونهما مهلكين وهم مصرون على الظلم لكن هناك
اخبار عنه تعالى على الماضي حيث قال فاخذهم وهم عند الوقوع
في العذاب ظالمون وهاهنا الاخبار من الملائكة عن المستقبل
حيث قالوا انا مهلكوا فذكروا ما امروا به فان الكلام عن الملك
بغير اذنه سوء ادب وهم كانوا ظالمين في وقت الامر وكونهم يبقون
كذلك الى العلم لهم به ولما قالت الملائكة لابراهيم ذلك قال لهم موكدا

تنبيها

تنبيها على حالة ابن اخيه ان فيها لوطا ولم يقل عليه السلام منهم لوط لانه
نزيل عندهم مدرجا الى التقريع بالسؤال عنه قالوا اي الرسل له نحن اعلم
اي منك بمن فيها اي من لوط وغيره لننجينه واهله الا امراته كانت
من الغابرين اي الباقين في العذاب وهم النجوة لبعم وجهها العبرة وقرا
حمزة والكسائي بسكون النون الثانية وتخفيف الجيم بعدها والباقون
بفتح النون وتشديد الجيم بعدها ولما ان جاءت رسلنا لوطا اي المعظمون
بنا سيء اي حصلت لهم المساءة والغم بهم اي بسببهم مخافة ان يقصدهم
قومه بسوء لما راى من حسن اشكالهم وهو يظن انهم من الناس لانهم
جاءوا من عند ابراهيم اليه على صورة البشر روي انهم كانوا يجلسون
بمجالسهم وعندهم رجل منهم قصعة فيها حصى فاذا مر بهم عابر سبيل
حذفوه فايهم اصابه كان اولى به وقيل انه كان ياخذه معه وينكحونه ويغرم
ثلاثة دراهم ولهم قاض بذلك ولذا قيل اجور من قاضي سدوم
وضاق اي باعمال الحيلة في الدفع عنهم بهم ذرعا اي ذرعه اي طاقته
والاصل في ذلك ان من طال ذراعه الى ما لا دنيا له قصيرها يضرب
مثلا في العجز والقدرة ولما راوه على هذه الحالة حنفوا عليه وقالوا
لا تخف انا رسل ربك لاهلاكهم ولا تحزن اي على تمكنهم منا وعلى احد
ممن يهلك فانه ليس في احد منهم خير يوسف عليه بسببه فانهم
وصلوا في الخبث الى حد لا مطمع في الرجوع عنه مع ملازمته لدعائهم
من غير ملل ولا ضجر ثم عللوا ذلك بقولهم مبالغين في التاكيد
انا منجوك اي مبالغون في انجائك وقولهم واهلك منصوب على
محل الكاف الا امراتك كانت من الغابرين فان قيل القوم عذبوا
بسبب ما صدر منهم من الفاحشة وامراته لم يصدر منها ذلك فكيف
كانت من الغابرين معهم اجيب بان الدال على الشر كفاعله كما ان

الدال على المحذوف كما علم وبي كانت لقد اقوم على ضيوف لوط حتى كانوا
يقصدونهم فنهض الدال للنصارى كما حدثهم فان قيل ما مناسبة قولهم انا
مهلكوك لقولهم لا تخف فان خوفه كان على نفسه اجيب بان لوطا
لما ضاق عليهم وحزن لاجلهم قالوا له لا تخف علينا ولا تحزن لاجلنا
فانا ملائكة ثم قالوا له يا لوط خفت علينا وحزنت لاجلنا ففي مقابلة
خوفك وقت الخوف نزيل خوفك وفي تحزنك وفي مقابلة حزنك نزيل
حزنك ولا نترك تتضجع في اهلاك قالوا انا منجوك واهلك والمهلك وتراه
بالتخفيف وسكون الهاء وحذف الالف كما يسكون النون وتخفيف الجيم
والباقون بفتح النون وتشديد الجيم ثم اخبروا عن عذابهم بقولهم انا
منزلون اي لا محالة على اهل هذه القرية رجزا اي عذابا
من السما فهو عظيم وقد شدد بعضهم واختلف في ذلك الرجز
فقيل حجارة وقيل نار وقيل خسف وعلى هذا يكون المراد ان
المراد بالخسف والقضاء من السما وقرا ابن عامر بفتح النون
وتشديد الزاي والباقون باسكان النون وتخفيف الزاي تشبيها
بكلام الملائكة مع لوط جرى على نمط كلامهم مع ابراهيم فقنطوا
السبابة على ان زال العذاب فقالوا انا منجوك ثم قالوا انا منزلون
ولم يعللوا التنجية فلم يقولوا انا منجوك لانك نبي او عابد وعللوا
الاهلاك فقالوا بما كانوا يفسقون اي بجزجون في كل وقت من
دايرة العقل والحياء فقولهم هناك ان اهلها كانوا ظالمين وفي
كانت التقدير فعللنا رسلنا ما وعدوه به من انجايه واهلاك
جميع قراهم فتركناها كما تراها لم يسكنها احد عطف عليه قوله فيها
ولقد تركنا اي بما لنا من العظمة منها اي من تلك القرية اية
اي علامة على قدرتنا على كل ما نريده بينة اي ظاهرة قال

ابن

ابن عباس بقي اثارها وقال لهم الحجارة وقال قتادة بقي الحجارة التي اهلكوا بها
ابناها السبيل حتى ادركهما اوايل هذه الامة وقال مجاهد بقي ظهور
الماء الاسود على وجه الارض فايدة اتفق القرا على ادغام الدال
في التاء تنبيه في هذه الاية اشارة الى غفلة المخاطبين بهذه القصة
من العرب وغيرهم وانه ليس بينهم وبين المهلكين الا تذكرهم في امرهم
مع الاتعاظ من الهوي وانما يكون ذلك لقوم يعقلون اي يتفكرون
فعلى من لم يستبصر بذلك فهو غير عاقل تنبيه هاهنا اسئلة الاول
كيف جعل الاية في لوط وابراهيم بالنجاة فقال فانجيناه واصحاب
السفينة وجعلناها اية وقال فانجاه الله من النار ان في ذلك
لايات وجعل هاهنا المهلك اية الثاني ما الحكمة في قوله تعالى
في السفينة جعلناها اية ولم يقل بينة وقال ههنا اية بينة الثالث
ما الحكمة في قوله تعالى هناك للعالمين وقال هاهنا لقوم يعقلون
اجيب عن الاول بان الاية في ابراهيم كانت في النجاة لان في ذلك
الوقت لم يكن الهلاك واما نوح فلان الانجا من الطوفان الذي
على الجبال باسرها امر عجيب الهي وما به النجاة وهو السفينة
كان باقيا والغرق لم يبق له بعد اثر فجعل الباقي اية واما
ههنا فنجاة لوط لم تكن بامر يبقى اثره للحس والمهلك اثره
محسوس في البلاد فجعل الاية الامر الباقي هاهنا البلاد
وهناك السفينة وههنا لطيفة وهي ان الله تعالى رتب قدرته
بوجودة الانجا والاهلاك فذكر من كل باب اية وتقدم ايات
الانجا لانها اثر الرحمة واخر ايات المهلك لانها اثر الغضب
ورحمته سابقة وعن الثاني في باب الانجا بالسفينة لا يفتقر الى
امر آخر واما الاية ههنا محسنة وجعلت بازاء المعقولة عالمها

سائلها ولو ليس بمعتاد وانما ذلك بارادة قادر تخصصه بمكان دون مكان
وبزمان دون زمان تجري بينة لا يمكن ان يجاهل ان يكون كذلك فيقال
له فلو دام المتاخي ينفذ ارادهم كيف كان يحصل لهم النجاة ولو سلط
الله عليهم الريح العاصفة كيف تكون احوالهم وعند الثالث فالسفينة
موجودة معلومة في جميع اقطار العالم فعند كل قوم مثال السفينة
يتذكرون بها حالة نوح واذا اركبوها يطلبون من الله النجاة ولا
يقع احد بمجرد السفينة بل يكون دائما مرتجف القلب متضرعا الى
الله تعالى طالبا للنجاة واما الرياح المهلكة فهي في بلاد لوط ففي موضع
مخصوص لا يطلع عليها الا من مر بها وهبل اليها ويكون لم يعقل بعلم
ان ذلك من الله تعالى وارادته بسبب اختصاص بمكان دون مكان
ووجوده في زمان دون زمان ولما كان شعيب عليه السلام
قد ابتلي بتكذيب قومه اتبع قصته لقصة لوط بقوله تعالى والى
مدين اي ولقد ارسلنا وبعثنا الى مدين اخاهم اي في النسب لا البلد
شعيبا ومدين قيل اسم رجل في الاصل وجعل ولد ذريته فاشتهر
في القبيلة كتميم وقيس وعيلان وقيل اسم ماسب القوم اليه
فاشتهر القوم قال الرازي والاول كان اصح لانه تعالى اضاف
اخا الى مدين بقوله تعالى ولما ورد ماء مدين ولو كان اسم ماكانت
الاضافة غير صحيحة او غير حقيقية والاصل في الاضافة
التغاير حقيقة فان قيل قال تعالى في نوح ولقد ارسلنا نوحا
الى قومه ثم نوحا في الذكر وعرف القوم بالاضافة اليه وكذلك
في ابراهيم ولوط وههنا ذكر القوم اولا واضاف اليهم اخاهم شعيبا
فما الحكمة في ذلك اجيب بان الاصل في الجميع ان يذكر القوم ثم
يذكر رسولهم لان الرسل لا تبعث الى غير معينين وانما تبعث

الرسل

الرسل الى قوم محتاجين الى الرسل فرسل الله تعالى اليهم من يحثهم على ما ان
قوم نوح وابراهيم ولوط لم يكن لهم اسم خاص ولا نسبة مخصوصة يعرفون
بها فعرفوا بالنبي فقيل قوم نوح وقوم لوط فاما قوم شعيب وهود وصالح
فكان لهم نسب معلوم اشتهروا به عند الناس فجرى الكلام على اهله
وقال تعالى والى عاد اخاهم هودا والى مدين اخاهم شعيبا فقال
اي فتسبب عن ارساله وتعقبه ان قال يا قوم اعبدوا الله اي الملك
الاعلا وحده ولا تشركوا به شيئا فان العبادة التي فيها شرك ظاهر او
خفي عدم لاذ الله تعالى عن الشركاء ولو لا يقبل الا ما كان خالصا
فان قيل لم يذكر عن لوط انه امر قومه بالعبادة والتوحيد وذكر عن
شعيب ذلك اجيب بان لوطا كان في قوم ابراهيم وفي زمانه وكان
ابراهيم سبقه بذلك واجتهد فيه حتى اشتهر الامر بالتوحيد عند
الخلق من ابراهيم فلم يحتج لوط الى ذكره وانما ذكر ما اختص به من
المنع من الفاحشة وغيرها وان كان هو ايضا امر بالتوحيد اذ ما
من رسول الا ويكون اكثر كلامه في التوحيد واما شعيب فكان بعد
انقراض ذلك الزمن وذلك القوم فكان هو اصلا في التوحيد
فلذا لم ولما كان السياق لاقامة الادلة على البعث الذي هو من
مقاصد السورة وارجوا اليوم الاخر اي واعملوا ما ترجون به لها
فان تيسر مقام السبب اوامروا بالرجاء والمراد اشتراط ما يلوح
من الايمان كما يومر الكافر بالاستعانة على ارادة الشرط وقد هو
من الرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا في الارض حال كونكم مفسدين اي
متعمدين الفساد ولما نسب عن هذا النصح وتعقبه تكذيبهم
فتسبب عنه وتعقبه اهلاكهم تحقيقا لان اهل السيادة لا يتبعون
قال تعالى فكذبوه في ذلك فان قيل ما حكاه الله تعالى عن شعيب

امر وهي والامر لا يكذب ولا يعبث قال ومن قال لغيره اعبد الله
لا يقال له كذبت اجب بان شعيبا كان يقول امرا واحدا فاعبدوه ونهى
كاين فارجوه والفساد محرم فلا تقربوه وهذه فيما اخبارا فكذبوه فيما
اخبر به فاخذتهم الرجفة اي الزلزلة الشديدة وعن الضحاك صيحة
جبريل لانها القلوب رجفت لها فاصبحوا في دارهم اي في بلدهم او
دورهم فالكثير بالواحد ولم يجمع لامن اللبس جاثمين اي باركين على
الركب ميتين فان قيل قال تعالى في الاعراف وهاهنا فاخذتهم
الرجفة وقال في هود فاخذتهم الصيحة والحكاية واحدة اجيب
بانه لا تعارض بينهما لان الصيحة كانت سببا للرجفة لان جبريل
لما صاح تزلزلت الارض من الصيحة فرجفت قلوبهم والاضافة
الى السبب لا تنافي الاضافة الى سبب السبب فان قيل ما الحكمة
في انه اذا قال فاخذتهم الصيحة قال في ديارهم وحيث قال فاخذتهم
الرجفة قال في دارهم اجيب بان المراد من الدار هو الديار والاضافة
الى الجمع يجوز ان تكون بلفظ الجمع وان تكون بلفظ الواحد اذا امن
اللبس كما مر وانما اختلف اللفظ للهيئة وهي ان الرجفة هائلة
في نفسها فلم يجئ الا بما يدل على واحد والصيحة مغيرها هائلة لكن تلك
الهائلة كانت عظيمة حتى احدثت الزلزلة في الارض ذكر الديار
بلفظ الجمع حتى تعلم هيئتها والرجفة بمعنى الزلزلة عظيمة عند
كل احد فلم يحتج الى معظم لامرها ولما كان معنى فاصبحوا
فاهلكناهم عطف على ذلك المعنى قوله تعالى وعادا اي واهلكنا
عادا وثمودا مع ما كانوا فيه من العلق والتمكن والعلو لان
من المقاصد العظيمة الدلالة على اشياع بعض هذه الامم بعضا
بالخبر والزجر على هنن وكيف يتم في اهلاك الملك الجبار بين واخاه الصديق

طبقا عن طبق وقرا حمزة وحفص في الوصل وهمز بعضهم تنوين عادا وثمود
القبيلة وفي الوقف بسكون الدال والباقون بالتنوين وفي الوقف
بالالف وقد تبين لكم اي ما حل لهم من مساكنهم اي ما وصف من
مساكنهم وما كانوا فيه من شدة الاجسام وسعة الاحلام وعلو الا
قدام وثقوب الاذهان وعظم الشان عند من رآكم بتلك المساكن
ونظركم اليها ففي حرف بكم في التجارة الى الشام صرفوا في الاقبال على
الاستماع بالعوض الفاني من هذه الدنيا فاملوا البعيد او بنوا مشيدا
ولم يغن عنهم شيء من ذلك شيأ من امر الله وزين لهم الشيطان البعيد
من الرحمة المحترق بالنعمة بقوة احتياله وحبوب ضلاله ومحاله
اعمالهم اي الفاسدة من الكفر والمعاصي فاهلوا بكليتهم على ما
فصدهم اي فتسبب عن ذلك صدهم عن السبيل اي منعهم عن
سلوك الطريق الذي لا طريق الا هو لكونه يوصل الى النجاة وغيره
يوصل الى الهلاك ولما كان ذلك ربما ظن لوطء غباوتهم قال
وكانوا مستبصرين اي عقولهم بين الناس من العقلاء البصراء
ولما كان ذلك عجبا ومن ذكر معه من العلق مكانا دالا يختفي لما اتوا من
القوة بالاموال والرجال قال وقارون اي اهلكناه وقد سلف
وقوعه في اسباب الهلاك اعجب لكونه من بني اسرائيل والذين
ابتلي بالمال والعلم فكان ذلك سبب اعجاب فتكبر على موسى
وهارون عليهما السلام فكان ذلك سبب هلاكه وفرعون وهامان
ولقد جاءهم من قبل موسى بالبينات اي بما يعجز الظاهرات التي لم تدع
لبسا فاستكبروا اي تطلبوا ان تكون لهم الكبرة من كل كبير بان كانت
افعالهم افعال من يطلب ذلك في الارض بعد مجيء موسى عليه السلام

الجم الكثير مما كانوا قبله وما كانوا سابقين اي فايتين بل ادركهم امر الله من سبق طالبه اذا فاته فكلا اي اخذ عقوبة ليعلم الله لا احد يعجزه اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا اي ريحا عاصفا فيها حصبا كقوم لوط وعاد ومنهم من اخذته الصيحة اي التي تقطع سدد تماسك الريح العاصفة اكاملة لها الواقعة لعقدها فتن جف لعظمتها الارض كقارون وثمود ومنهم من خسفنا به الارض بان غيبناه فيها كقارون وجماعته ومنهم من اغرقنا بالغين في الماء كقوم نوح وفرعون وقومه وعذاب قوم صالح المعد في الاعراف والمعد في الخسف فما ارادها ليظلمهم بريح تقذف بالحجارة كقوم لوط او في الارض كعاد وما كان الله اي الذي لا يسعه حسن الجلال والكمال الا ذلك ليظلمهم اي فيعذبهم بغير ذنب ولكن كانوا انفسهم اي لا غيرها يظلمون بارتكاب المعاصي التي لم يقبلوا النصح من عجزهم ولا خافوا العقوبة على ضعفهم وقلة بين تعالى انه اهلك من اشرك عاجلا وعذب من كذب آجلا ولم ينفعه معبوده مثل تعالى اتخاذه ذلك بمعبود اكاتخاذه العنكبوت بيتا فقال مثل الذين اتخذوا اي تكلفوا اذ اتخذوا من دون الله اي الذي لا كفوء له فمن صح ابالدعاء الذي لا ينفع ولا يغني عوضا عمن لا يكلفه الاوهام والظنون اولياء ينفردون بهم بزعمهم دن معبودات وغيرها في الضعف والهوان كمثل العنكبوت اتخذت بيتا حرا ولا برد ذلك الصنام اي الدابة المعروفة ذات الارجل الكثيرة الطوال اتخذت بيتا اي تكلفت اخذه في صنعته لما له ليقيها الردا ويحميها البلا ثم تكلف هؤلا اصطناع ارباب لينفعوهم ويصنعوهم بزعمهم كان ذلك البيت مع تكلفها في امرها وتشبها الشديد في شانه في غاية الوهن وان اي ولكان ان

اوهن

اوهن البيوت اي اضعفها لبيت العنكبوت لا يدفع عنها حرا ولا بردا كذلك الاصنام لا تنفع عابدها لو كانوا يعلمون اي لو كانوا يعلمون انما هذا مثلهم وان امرديهم بالغ هذه الغاية من الوهن والهنا ان اذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت فقد تبين ان دينهم اوهن الاديان لو كانوا يعلمون اي لو كان لهم نوع ما من العلم لانتفعوا به فعلموا ان هذا مثلهم فما بعدوا عن اعتقاد ما هذا مثله ولقايل ان يقول مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المومن الذي يعبد الله مثل عنكبوت تتخذ بيتا بالاضافة الى رجل يبني بيتا باجر وجص او بخشب من ساج كما اذا وهن البيوت اذا استقر بتها بيتا بيت العنكبوت كذلك الاديان اذا استقر بتها دينا دينا عبادة الاوثان فان قيل لم مثل تعالى باتخاذ العنكبوت ولم يمثل بنسجها اجيب بان نسجها غنية فايدة ولولا ما حصلت وهو اصطياد الذباب من غير ان تنتفع تماما هو اعظم منه واتخاذهم الاوثان يفيدهم ما هو اقل من الذباب من متاع الدنيا ولكن يفوتهم ما هو اعظم منها وهو الدار الاخرة التي هي خير وابقى وليس اتخاذهم كنسج العنكبوت تنبيه خوت العنكبوت اصلية والواو والتا من بدل تا فاتبدليل قولهم على عناكب وتصغيره عنيكب ويذكر ويونث فمن التانيث قوله تعالى اتخذت ومن التذكير قول القايل على مطالهم سفع بيوت كان العنكبوت هو ابتناها وهذا مطلع قصيدة اشتملت الاجناس تذكر ونونث وقرا ورش وابو عمرو وحفص البيوت بضم الباء والباقون بكسرها ولما ضرب المثل بالشي لا يصح الا من العالم بذلك الشي قال الله تعالى ان الله اي الذي له صفات الكمال يعلم ما اي الذي يدعون اي يعبدون من دونه اي غيره من شيء

اي سواء كان منها ام انسيا ام جنيا **وهو العزيز** في ملكه **الحكيم** في صنعه وقرا
ابو عمرو دعائهم بدعون بالياء التحتية والباقون بالفوقية ولما ذكر
مثلهم وما تتوقف صحته عليه كان كانه قيل علي وجه التعظيم لهذا المثل
هذا مثلهم وعطف عليه قوله تعالي استانفه الي امثال القران كلها
تعظيما لها وتنبيها علي جليل قدرها وعلو شانها **وتلك الامثال**
اي العالية عن ان تنال بنوع احتيال ثم استانف قوله تعالي **نضربها** اي
بما لنا من العظمة بيانا **للناس** اي تصويرا للمعاني المعقولات بصور
المحسوسات لعلهم بتقرب من عقولهم فينتفعوا بها وهكذا حال
التشبيهات كلها بي طرق للافهام الي المعاني المحتجبة في الاستار
تبرزها وتكشف عنها وتصورها ربما ان الكفار قالوا كيف يضرب
خالق الارض والسموات الامثال بالهوام والحشرات كالذباب
والبعوض والعنكبوت فقال تعالي بجهلهم **وما يعقلها** اي حق
عقلها فينتفع بها **الا العالمون** اي الذين هيئوا للعلم وجبلوا طبعا
لهم بما ثبت في قلوبهم من انواره واسرق في صدورهم من اسراره
فهم يفهمون الاشياء مواضعها روي البخاري عن ابي امامة عن جابر
ان النبي صلي الله عليه وسلم قال العالم الذي عقل عن الله وعمل
بطاعته واجتنب سخطه قال البغوي والمثل كلام سايره يتضمن
تشبيه الاخر بالاول يريد امثال القران التي يشبه بعضها
احوال كفار هذه الامم المتقدمة ولما قدم تعالي انه لا معجز له
سبحانه ولا ناصر لمن خذله استدل علي ذلك بقوله تعالي **خلق**
الله اي الذي لا يعادي في عظمته **السموات والارض بالحق** اي الامر
الذي يطابقه الواقع او بسبب اثبات الحق وابطال الباطل او بسبب
انه محق غير قاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقهما افاضة

ايجاد

الوجود والدلالة علي ذاته وصفاته كما اشار اليه بقوله تعالي **ان في ذلك لاية**
اي دلالة ظاهرة علي قدرته تعالي **للمؤمنين** واختص المؤمنون بذلك لانهم
المنتفعون به ثم خاطب تعالي راس اهل الايمان بقوله تعالي **اتل ما اوحي**
اليك من الكتاب اي القران الجامع لكل خير لتعلم انه نوحا ولوطا
وغيرهما كانوا علي ما انت عليه بلغوا الرسالة وبالغوا في اقامة
الدلالة ولم ينفعهم وافق منهم من المقاتلة وهذا تسلية للنبي صلي
عليه وسلم ولما ارشد تعالي مفتاح العلم دل علي قانون العمل بقوله
تعالي **واقم الصلاة** اي التي هي اجل العبادات ثم علل ذلك بقوله
تعالي **ان الصلاة تنهي** اي توجد النهي وتجدده للمواظب علي اقامتها بجميع
حدودها **عن الفحشاء** اي عن الخصال التي بلغت قبحها **والمنكر** وهو ما لم
يرد في الشرع فان قيل كم من مصل يرتكبه لجيب بان الصلاة التي
هي الصلاة عند الله المستحق بها الثواب ان يدخل فيها فقد مات التوبة
العموم المعتبر لقوله تعالي انما يتقبل الله من المتقين ويصليها
خاشعا بالقلب والجوارح فقد روي عن حاتم كان رجلا علي الصراط
والجنة عن يميني والنار عن شمالي وملك الموت من ورائي واصلي
بين الخوف والرجاء يموطها بعد ان يصليها ولا يحبطها فتنهي الصلاة
التي تنهي عن الفحشاء والمنكر وقال ابن مسعود وابن عباس في
الصلاة تنهي وتزجر عن معاصي الله فمن لم تامره بالمعروف ولم
تنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته الا بعدا وقال الحسن وقتادة من لم
تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه وقيل من كان
مراعيا للصلاة حق ذلك اي ان ينتهي عن السيئات بوعد فقد روي انه
قيل لرسول الله صلي الله عليه وسلم ان فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال
ان صلاته لترده وروي ان فتي من الانصار كان يصلي مع الصلوات

ولا يدع شيأ من الفواحش الا ركبه فوصف له فقال ان صلاته ستنهاه
فلم يلبث ان تاب وقال ابن عرفه معنى الاية ان الصلاة تنهى صاحبها
عن الفحشاء والمنكر مادام فيها وعلى كل حال فان المراعي للصلاة
لا بد ان يكون ابعد من الفحشاء والمنكر من لا يراعيها والفينا فكم من
مصلين تنهاهم الصلاة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضي ان لا يتخلف
واحد من المصلين عن تقييتها كما تقول ان زيدا ينهى عن المنكر فليس
عن ذلك انه ينهى عن جميع المناكر وانما تريد ان هذه الخصلة موجودة
فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم وقيل المراد بالصلاة القرآن
كما قال تعالى ولا تجهر بصلاتك اي بقراءتك واراد به من غير القرآن
في الصلاة فالقرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر روي انه قيل لرسول
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا يقرا القرآن كله واصبح سارقا
قال ستنهاه قراءته ولما كان الناهي في الحقيقة انما هو ذكر الله اتبع
ذلك بقوله تعالى ولذكر الله اكبر اي لانه املك الممتثي لكل صفات كمال
الجلال من كل شيء فذكر الله تعالى افضل الطاعات قال صلى الله عليه وسلم
الا انبئكم بخير اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم
وخير من اعطاء الذهب والفضة وان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناقهم
ويضربوا اعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله وقال
صلى الله عليه وسلم اي العبادة افضل عند الله درجة يوم القيمة
قال الذاكرون الله كثيرا قالوا يا رسول الله ومن الغازين في سبيل
الله قال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب
دما لكان الذاكر الله كثيرا افضل منه درجة وروي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم مر على جبل في طريق مكة يقال له جمدان فقال
سيروا هذا جمدان سبق المفردون قالوا وما المفردون يا رسول الله

قال

قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات اي والصلاة اكبر من غيرها من الطاعات
وسميها بذكر الله كما قال تعالى فاسعوا الى ذكر الله وانما قال ولذكر الله اكبر ليستقل
بالتعليل كانه قال ولا الصلاة اكبر لانها ذكر وعن ابن عباس ولذكر الله
تعالى اياكم بر حمته اكبر من ذكركم اياه بطاعته وقال عطاء ولذكر الله اكبر مني ان
يتقي معه معصية والله اي المحيط علما وقدرة يعلم اي في كل وقت
ما تصنعون من الخير والشر فيجازيكم على ذلك ولما بين تعالى طريقة
ارشاد المزكين بين طريقة ارشاد اهل الكتاب بقوله ولا تجادلوا اهل
الكتاب اي اليهود والنصارى ظنا منكم ان الجدال ينفع او يزيد
في اليقين او يرد احدا عن ضلال مبين الا بالتي اي بالمجادلة التي
هي احسن كالمعارضة المشفوعة باللين والتعطف بالكظم والدعا الى الله
تعالى بايانه والتنبيه على حججه كما قال تعالى ادفع بالتي هي احسن
الا الذين ظلموا منهم بان حاربوا وابوا ان يقروا بالجزية فجادلوهم
بالسيف الى ان يسلموا او يعطوا الجزية وقيل الا الذين اذوا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقيل الا الذين ابتغوا الولد والشريك وقالوا
يد الله مغلولة وعن قتادة الاية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين
لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا مجادلة اشد من السيف ولما
بين تعالى عن وجوب الخلاف امر بالاستطراف بقوله تعالى وقولوا اي
لمن قبل الاقرار بالجزية اذا اخبر وكم نبيئ مما في كتبهم امنا بالذي
انزل الينا اي من هذا الكتاب المعجز وانزل اليكم من كتبكم اي لا ندفي
احد قي وان كان قد نسخ منه ما نسخ وان حدثكم منه بشيء ليس
عندكم ما يعضده قرآن ولا ما يكذبه فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم لما روي
ابو داود ورد الله صلى الله عليه وسلم قال لا تصدقوا اهل الكتاب
ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان قالوا باطلا

لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم اي فان هذا ادعى الى الانصاف وانفى للجحود ولما لم يكن هذا جامعا للفريقين اتبعه بما يجمعهم بقوله تعالى **والهنا والهكم واحد** اي لا اله لنا غيره وانا ادعي بعضكم عن ابراد المسيح **ونحن له** اي خاصة **مسلمون** ايخاضعون منقادون تمام الانقياد فيما يامرنا به بعد الخصوص من الفروع سواء كانت موافقة لغرض وغير كالتوجه بالصلاة الى بيت المقدس اذا مسخت كالتوجه الى الكعبة ولا تتخذوا الاحبار و الرهبان اربابا من دون الله فنأخذ ما يشرعونه لنا مخالفا للكتاب وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم **وكذلك** اي ومثل ذلك الانزال الذي انزلناه الى انبيائهم من التوراة وغيرها **انزلنا اليك الكتاب** اي القرآن مصدقا لسائر الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله تعالى **فالذين اتيناهم الكتاب** اي التوراة كعبد الله بن سلام وغيره **يؤمنون به** اي القرآن **ومن هؤلاء** اي اهل مكة او ممن في عهده صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب **من يؤمن به** وهم يومنوا اهل مكة واهل الكتابين **وما يجحد** اي لا يؤمن قارئ قتادة ويجحد دائما يكون بعد المرة **بآياتنا** اي التي جاوزت اقصى غايات العظمة حتى استحقت الاضافة الينا **الا الكافرون** اي اليهود ظهر لهم ان القرآن حق وايقنوا به بحيث وجد ذلك منهم بعد التغيير لهم عما هم عليه يعني انكم امتم بكل شيء من امر ديننا عن اذكى كين بكل فضيلة الاهذه المسئلة الواحدة وبانكارها تتحقق بهم وتعطلون مزايا كم فان انكار واحد باية يصير كانكار الكل **وما** اي وما كان **انزلنا اليك** والحالة انك **كنت تتلو** اي تقرأ اصلا **من قبله** اي هذا الكتاب الذي انزلناه اليك **من كتاب** اصلا **ولا تخطه** اي تجدد وتلازم خطه وصور الخطاء اكده **بيمينك** فان قيل ما فائدة قوله بيمينك اجيب بانه ذكر لبيان الواقع اذ لو

اي اقرب اعتبارين وهي التي يزاولها بيمينه لحفظ زيادة تصوير لما نفى عنه من كونه كاتبا الا ترى انك اذا قلت في الاثبات رايت الامير بخط هذا الكاتب بيمينه كان اسد لانباتك انه تولى كتبه فكذلك النفي وفي ذلك اشارة الى تحدث الريبة في امره لعاقل الا بالمواظبة القوية التي ينشأ عنها ملكة فكيف اذا لم يحصل اصل الفعل ولذلك قال تعالى **اذا** اي لو كنت ممن يخط ويقرأ **لارتاب** اي شك **المبطلون** اي اليهود فيك وقالوا الذي في التوراة انه لا امي لا يقرأ ولا يكتب او ولا ارتاب مشركوا مكة وقالوا لعله تعلمه او التقطه من كتب الاقدمين وكتبه بيده فانه قتل لم يسلموا مبطلين ولو لم يكن اميا وقالوا ليس بالذي نجده نعتي كتبنا لكانوا اصاروا قتين محقين ولكان اهل مكة ايضا على حق في قولهم لعله تعلمه او كتبه بيده فانه رجل كاتب قارئ اجيب بانه بسماهم مبطلين لانهم كفروا به وهو امي بعيد من الريب فكانه قال لعدوا المبطلون في كفرهم به لو لم يكن اميا لارتابوا اشد الريب فكيف بقارئ وكاتب فلا وجه لارتيابهم وايضا سائر الانبياء لم يكونوا اميين ووجب الايمان بهم وما جاؤا به لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات فهب انه قارئ كاتب فما لهم لم يومنوا به من اول الامر الذي امنوا منه بموسى وعيسى على انا نمنع ان المنزلين لنبينا معجزين وهذا المنزل له معجز فاذن هم مبطلون حيث لم يومنوا وهم امي ومبطل حيث لم يومنوا وهو غير امي ولما سماه التقدير لكنه لا ريب لهم اصلا ولا شبهة لقولهم انه باطل قال تعالى **بل هو** اي القرآن الذي جئت به وارتابوا فيه فكانوا مبطلين كذلك على كل تقدير **آيات** اي دلالات **بينات** اي واضحات جدا في الدلالة على صدقك **في صدور الذين اوتوا العلم** اي الموصلين بحفظه فلا يقدر احد على تحريف شيء منه

لبيان كي لا يفهم وفي ذلك اشارة الي ان خفاءه عن غيرهم وقال ابن عباس
وقتادة بل هو بيني محمد صلي الله عليه وسلم ذو ايات بينات في صدور الذين
اوتوا العلم من اهل الكتاب لانهم يجدونه بنعته ووصفه في كتبهم وما
يجحد وكان الاصل به ولكنه اشار الي عظمته بقوله تعالي بايانتا ايا
ينكرها بعد المعرفة علي مالها من العظمة باضافتها الينا والبيان
الذي لا يجهله احد الا الظالمون اي المتوغلون في الظلم المكابرون فان
قيل ما الحكمة في قوله تعالي هاهنا قال الظالمون ومن قبل قال الكافرون
اجيب بان ما ههنا في قوله تعالي هاهنا قال الظالمون ومن قبل قال الكافرون
السبب انه تذكر بعضها وللعقل ابي اكرها وما اوتي البشر من العلم الا
قليلا ولكن الحكمة ههنا انهم قبل بيان المعجزة قيل لهم انكم المزايا فلا
تبلغوها بانكار محمد صلي الله عليه وسلم فتكونوا اكافرين فلما ظهر الكافر
عناده ابلغ تهمتهم عن ذلك لانتفاء فهم عن الكفر بعد بيان المعجزة
قال لهم انتم محمد مع هذه الاية لزمكم انكار ارسال الرسل فتلتحقون
في اول الامر بالمشركين وتلتحقون عند محمد هذه الايات بالمشركين
حقيقة فتكونوا ظالمين اي مشركين كما قال تعالي ان الشرك لظلم
عظيم بهذا اللفظ هنا ابلغ ولما كان التقدير لم يجحد وها بالهم من
الرسوخ في الظلم ولم يعدوها ايات فضلا عن كونها بينات عطف
عليه قوله تعالي وقالوا اي وهم من مكر اظهار العدة بادني ما يدل علي
العدق لولا اي هلا انزل عليه اي محمد صلي الله عليه وسلم علي
اي وجه كان من وجوه الانزال ايات اي تكون بحيث تدل قطعا علي
صدق الاتي بها من ربه اي الذي يليق بي احسانه اليكم انزل علي
الانبيا قبله كناقة صالح وعصي موسي ويد عيسي عليهم السلام
لمستدل بها علي صدق مقاله وصحة ما يدعيه من حالم وقد انا فع

وابو

وابو عمرو وابن عامر وحفص ايات بالجمع لان بعده قل انما الايات بالجمع
اجماعا والباقون ذاية بالافراد لانها للجنس جاءت في القرآن كذلك ولما
كان هذا انكار المتحمس بعد تردد منهما ومكابرة فيما يتحدي به من المعجزات
بعد حقق قهما اشار اليه بقوله تعالي قل اي لهم ارخا للعنان حتي انكم
ما ايتهم ليست انما الايات عند الله اي الذي له الامر كله يتزل ما اقتضاه
فلا يقدر علي انزال شيء منها غيره فانما الا له هو لا سواه وقد شاء ان
يتزل ما يقترحونه لفعل وانما انا نذير مبين اي فليس في شاني الا
الانذار وابانته بما اعطيته من الايات وليس لي ان اقترح عليه الايات
فاقول انزل له علي اية كذا علي ان المقصود من الايات الدلالة علي
الصدق وهي كلها في حكم اية واحدة في ذلك ولم يذكر السائل لانه
ليس من اسلوب ما وقوله تعالي اولم يكفهم جواب لقولهم لولا انزل
عليه ايات من ربه ايمان كانوا طالبين التي هي مقترحاتهم اية معجزة
عن كل اية انا انزلنا اي بما لنا من العظمة عليك الكتاب اي القرآن
الجامع لسعادة الدارين بحيث صار خلقا يتلي عليهم اي ينجد دعنا بعد
تواله عليهم مثبا بعد كتبي في كل مكان في كل زمان من كل قائل مصدقا
لما في الكتب القديمة من نعتك وغير من الايات الدالة علي صدقك
فاعظم بها اية باقية لا تزول ولا تضمحل ان كل اية سواه مقتضية
ماضية وتكون في مكان دون مكان فالقرآن اتم من كل معجزة
لوجوه الاول ان تلك المعجزات قد وجدت وما دامت فانه قلب العصي
ثعبانا واحيا الميت لم يبق لنا منه الا قلوا نكره واحد لم يمكن اثباته
عند بدون الكتاب واما القرآن فهو باق لو انكره واحد فيقال الاية
باقية فمن مثله الثاني ان قلب العصي ثعبانا كان في آن واحد ولم
يره من لم يكن في ذلك المكان واما القرآن فقد وصل الي المشرق

وقا

والمغرب وسمعه كل احد وهاهنا لطيفة وهي ان الايات التي صلى الله عليه وسلم
كانت اشيا لا تختص بمكان دون مكان لان من جملتها انشقاق القمر وهو
يعم الارض لان الخسوف اذا وقع عم وذلك لان بؤبؤته كانت عامة تنظر
دون نظر وغاص بحيرة في قطر وسقط ايوان كسرى في قطر وانهدت
الكنيسة بالروم في قطر آخر اعادها ما بانه يكون امرا عاما الثالث ان
غير هذه المعجزة يعتقد الكافر المعاند هذا سحر وعمل به والقرآن لا يمكن
هذا القول فيه وقال ابو العباس المرسي خشع بعض الصحابة في سماع
بعض اليهود بعض التوراة فعوتبوا اذا تخشعوا من غير القرآن وهم
انما يخشعوا من التوراة وهي كلام الله تعالى فما ظنك بمن اعرض عن
كتاب الله وتخشع بالمعازف والغناء ولما كان هذا اعظم من كل اية
يعتبر حوزها قال تعالى ان في ذلك اي انزال الكتاب على الوجه البعيد
المثال البعيد المثال لرحمة اي نعمة عظيمة في كل لحظة وتظهر لحيث
الغوص في كل لمحة وذكرى اي عظة مستمرا تذكيرها ولما عم بالقول
حض من حيث النفع فقال لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بذلك ولما
كان من المعلوم انهم يقولون نحن لا نصدق ان هذا الكتاب من عند الله
فضلا عن ان يكتفي به قال تعالى قل اي جوابا لما قد يقولونه من نحو هذا
كفى بالله اي الحائز لجميع العظمة وسائر الكمالات بيني وبينكم شهيدا
اي قد تبلغتكم ما ارسلت به اليكم ونصحتكم والذار تكم وانتم قابلون لي
بالجحود والتكذيب وقد صدقني بالمعجزات وروي ان كعب بن
الاشرف وغيره قالوا يا محمد من يشهد لك انك رسول الله فنزلت
ثم وصف الشهيد وعلل كفايته بقوله يعلم ما في السموات اي كلها
والارض اي كذلك لا يخفى عليه شيء من ذلك فهو عليم بما تنسبونه
الي من التقول عليه وبما تنسبه اليه من هذا القرآن الذي يعجز

ب

به عجز كم عنه فهو شاهد والله في الحقيقة هو الشاهد لي بنيه بالشا
علي والشهادة لي بالصدق لانه قد ثبت بالمعجز عنه انه كلامه والباقي
تعالى الطريقين في ارشاد الفريقين المشركين واهل الكتاب عاد
الى الكامل الشامل لهما والانكار العام فقال والذين امنوا بالباطل
اي وهو ما يعبد من دون الله وكفروا بالله اي الذي يجب الايمان به
والشكر له لانه له الكمال كله وكل ما سواه هالك ليس له من ذاته الا
العدم اولئك اي البعداء البغضاء هم الخاسرون اي الغريقون في الخسارة
فانهم خسروا انفسهم ابد الآبدين فان قيل قوله اولئك هم الخاسرون
يقتضي الحصر فيمن آمن بالباطل وكفر بالله فمن يأتي باحدهما دون
الآخر لا يكون اجيب بانه يستحيل ان يكون الآتي باحدهما لا يكون
اتيا بالآخر لان المؤمن بما سوى الله تعالى مشرك لانه جعل غير الله
مثله وغير الله عاجز ممكن باطل فيكون ت الله تعالى كذلك ومن كفر
بالله تعالى وانكره فيكون قائلا بان العالم واجب الوجود له فيكون
قائلا بان غير الله آله فيكون اتيا بالغير الله واتيا بانه فان قيل
اذا كان الايمان بما سواه كفرا به فيكون كل من آمن بالباطل فقد كفر
بالله فهلا لم هذا العطف فالفائدة غير التاكيد الذي في قول القائل قم
ولا تقعد واقترب مني ولا تبعد اجيب بان فيه فائدة غيرها وهو انه
ذكر الثاني لبيان قبح الاول كقول القائل اتقول بالباطل وتترك بي
لبيان ان القول بالباطل قبيح وعاد الذم صلى الله عليه وسلم والوعيد
بالعذاب ان لم يؤمنوا اخبر الله تعالى عنهم بقوله تعالى ويستعجلونك بالعذ

ب

نزلت في النضر بن الحارث حين قال فامطر علينا حجارة من السماء ان
كنت من الصادقين ويجابون تاخيره عنهم شبهة لهم فيما يرجون من
التكذيب ولولا اجل مسمى قدر لوقت عذابهم فلا تقدم فيه ولا تاخر

لجاءهم العذاب وقت استعجالهم لان القدرة تامة والعلم محيط وليأتينهم
بغتة اي فجاءة في الدنيا كوقعة بدر او الاخرة عند نزول الموت بهم وهم
لا يشعرون بل هم في غاية الغفلة عنه والاستغراق بما ينسيه بحيث لو زاد
في التعجيب من جهلهم بقوله تعالى مبتدا يستعجلونك بالعذاب اي يطلبون
منك اتيانه بهم تاجيزا ولو كان ذلي غير وقته اللايق به ولو علموا ما هم
صائرون اليه لتمنوا انهم لم يخلقوا فضلا عن ان يستعجلوا ولا عملوا
جميع جهنم بحيث لا خلاص عنه وان جهنم التي هي من عذاب الاخرة
لمحيطة بالكافرين اي ستحيط بهم يوم يأتيهم العذاب او هي كالمحيطة
بهم الآن لاحاطة الكفر والمعاصي التي توجبها بهم وانما بالظاهر
موضع المضمر تنبيها على ما استحقوا به عذابها وتعميما للكل من الصنف
به ثم اذكر تعالى كيفية احاطة جهنم بقوله تعالى يوم يغشاهم العذاب
اي يلحقهم ويلصق بهم من فوقهم ومن تحت ارجلهم فعلم بذلك احاطة
من جميع الجوانب فان قيل لم خص الجانبين ولم يذكر اليمين والشمال
وخلف وقدام اجيب بان المقصود ذكر ما تتميز به نار جهنم عن نار
الدنيا ونار الدنيا تحيط بالجوانب الاربعة فان من يدخلها تكون
الشعلة قدامه وخلفه ويمينه وشماله واما النار من فوق لا تنزل
وانما تصعد من اسفل في العادة وتحت الاقدام لا تبقى الشعلة
بل تنطفي الشعلة التي تحت القدم وناره تنزل من فوق ولا
تنطفي بالرؤس موضع القدم فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى من
فوقهم ومن تحت ارجلهم ولم يقل من فوق رؤسهم ولا قال من فوقهم
ومن تحتهم بل ذكر الاضافة عند ذكر تحت ولم يذكره عند ذكر فوق
اجيب بان نزول النار من فوق سواء كان من سمت الراس او من
موضع اخر عجب للانطباع النار المعهود الي فوق فلهذا لم يحتمه

بالرؤس واما بقاء النار تحت القدم فهو عجيب والا فمن جوانب القدم في
الدنيا تكون الشعلة فذكر العجيب وهو ما تحت الارجل حيث لم ينطفئ
بنطفئ بالرؤس وما فوق على الاطلاق وقيل له تعالى ونقول قرأة
نافع والكوفيين بالياء اي الموكل بالعذاب من ملائكته بامره والباقون
بالنون اي نامر بالعذاب ولما بين عذابهم بين احسانهم بين عذاب
اعدائهم وعذاب اوليائهم على سبيل التنكيل والاهانة فذوقوا ما كنتم
تعملون حمل ذلك عين ما كانوا يعملونه بالغة بطريق اسم المسبب
على السبب فان عملهم كان سببا لعذابهم وهذا كثير في الاستعمال
ولما ذكر تعالى حال المشركين على حدة وحال اهل الكتاب على
حدة وجمعهما في الانذار وجعلهما من اهل النار استدعا دفعهم
وازدجارهم وسعوا في ايذاء المؤمنين ومنعهم من العبادة قال
تعالى يا عبادي الذين امنوا فنشرفهم بالاضافة اليه ان ارضي واسعة
اي في الذات والرزق وطالما تترك من الرفق ان لم تتمكنوا بسبب
هؤلاء المعاندين الذين يفتنونكم في دينكم فارحلوا مقاتل والكلبي
نزلت في ضعفاء مسلمي مكة يقول الله تعالى اذا كنتم في ضيق بمكة
من اظهار الايمان فاخرجوا الي ما فان ارضي واسعة وكذا يجب على
كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر
الي حيث يتهيأ له العبادة ولكن صارت البلدان في زماننا كلها
نشاوية فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقرأ ابن كثير الياء ابن
عامر والباقون بتسكينها وقيل نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة
بمكة وقالوا نخشى ان هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فانزل
الله تعالى هذه الاية ولم يعذرهم بترك الخروج وقال مطرف بن عبد
الله ارضي واسعة رزقي لكم واسع فاخرجوا ردي الشعبي عن

الحسن البصري من سلامة من قريب بينه من ارض الي ارض ولو كان شبرا
استوجب الجنة وكان رفيق ابي ابراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما
تنبيه قوله تعالي يا عبادي لا خوف عليكم اليوم الكافر لوجهين الاول قوله
تعالي ان عبادي ليس لك عليهم سلطان والكافر تحت سلطنة
الشيطان فلا يدخل في قوله تعالي يا عبادي الثاني قوله تعالي
يا عبادي الذين اسرفوا علي انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الثالث
ان العباد ما حق ذم من العبادة والكافر لا يعبد الله فلا يدخل في
قوله تعالي عبادي وانما يختص بالمؤمنين الذين يعبدونه الرابع
الاضافة بين الله تعالي والعبد يقول العبد الهي ويقول الله عبدي
فان قيل اذا كان عباده لا يتناول الا المؤمنين فما الفائدة في قوله
الذين امنوا مع ان الوصف انما يذكر لتمييز الموصوف كما يقال يا ايها
المكلفون المؤمنون بايها الرجال العقلاء تمييزا بين الكافر والجاهل
اجيب بان الوصف يذكر لا لتمييز بل لمجرد بيان ان فيه الوصف
كما يقال الانبياء المكرمون والملائكة المطهرون مع ان كل نبي مكرم
وكل ملك مطهر وانما يقال ليبان ان فيهم الاكرام والطهارة وشبه
قوله تعالي ادخلوها بسلام امنين اي وقت دخولكم الجنة قبل الفتح
بالهجرة الي ارض تامنون فيها فاعبدون اي وحدوني وان كان
في الماضي اعبدني في المستقبل الدائم الخلاص يا من عبد غيري
يعبدني اخلص العمل لي ولا تعبد غيري فان قيل ما معني الفاء

فاعبدون اجيب بان الفاء جواب شرط محذوف لان المعني ان ارضي
فانتم لم تخلصوا العبادة لي فاخلصوها في غيرها ولما امر الله تعالي عباده
بالهجرة علي العبادة وصدق الاهتمام بها حتي يتطلبوا الي ارض
البلاد وان شسعت وشق عليهم ترك الاوطان ومفارقة الاخوان
طوفهم بالموت لتهون عليهم الهجرة بقوله تعالي كل نفس ذائقة الموت
اي كل نفس مفارقة ما الفته حتي بدنا طالما البسته وانسها
وانسته فاذا اطاعت ربها انجت نفسها ولم تنقصها الطاعة من
الاجر شيأ والا اوبقت نفسها ولم تزدها المعصية في الاجل شيأ
فاذا اقدر الانسان انه مهما سهلت عليه الهجرة فانه اذا لم
يفارق بعض ما الفه بها فارق كل ما الفه بالموت وقد ورد
اكثروا من ذكر هادم اللذات اي الموت فانه ما ذكر في قليل
الا نغصه ولا في كثير الا قلله وما هون امر الهجرة حذر من رضي في دينه بنوع نقص
شيء من الاشياء حتي علي الاسقد اد بقوله تعالي انما يوفي الصابرون
اجرهم بغير حساب بقوله تعالي كم النيا ير جبون علي ايسر وجه فيجازي كلا
منكم بما عمل وقرا ابو بكر بالياء التحتية والباقون بالتاء الفوقية
والذين امنوا وعملوا اي لقديما منهم الصالحات لنبوئنهم اي
لننزلنهم من الجنة غرفا اي بيوتا عالية قال البقاعي تحتها قايمات
واسعة وقرا حمزة والكسائي بعد النون ثا مثلثة ساكنة وبعدها
واو مكسورة وبعد الواو ياء مفتوحة اي لننوينهم اي لنقيمنهم من
الثواء وهو الاقامة يقال ثوي الرجل اذا اقام فيكون انتصاب
غرفا لاجرايه مجري لننزلنهم او بنزع الخافض اتساعا اي في غرف
او تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم كقوله لاقعدن لهم صراطك والباقون

بعد النون بيا موحدة وبعد ها راء مشددة وبعد الواو همزة مفتوحة
وعلى هذه القراءة فانتصابهما على انهما مفعول ثان لاذ بواتبوئ
لانهما قال الله تعالى تبوا المومنين مقاعد للقتال وتتبوأ
باللام قال تعالى واذ بوانا لابراهيم ولما كانت العلالي لاتورد
الا بالرياض قال تعالى تجري من تحتها الانهار ومن المعلوم انه لا
يكون في موضع انهار الا يكون به بساتين كبار وزروع وريا ض
واذ هار فنسئ فون علمها من تلك العلالي ولما كانت محالة لا تكن
فيها بوجب بهجة في لحظة ساكني عنه بقوله تعالى خالدين فيها اي
لا يبغون عنها حولا ثم عظم اجرها وشرف قدرها بقوله تعالى نعم اجر
العاملين اي هذا الاجر وهذا في مقابلة قوله تعالى للكفار وتوا
ما كنتم تعملون ثم وصفهم بما يرغب في المجتهد بقوله تعالى الذين
صبروا اي اوجدوا هيئة الحقيقة حتى استقرت عندهم فكانت سجية
لهم فلم يقنطوها على كل كائن من التكاليف من هجرة وغيرها فان
الاشياق قل ان ينفك عن مرتبة من مراتب الصبر عليه ثم رغب
في الاستراحة بالتفويض اليه بقوله وعلى ربهم اي المحسن اليهم وحده
لا على اهل ولا وطن يتوكلون اي يوجدون التوكل اي اتجادا مستمرا
التجدد كل منهم بنوعين لهم له ولما اشار بالتوكل الى انه الكافي
في امر الرزق والقربة للاهل ولا الاهل قال عاطفا على ما تقدير
فكاين من متوكل عليه كفاه ولم يوجه الى احد سواه فليبادر
من انقذه من الكفر وهداه الى المكرمة طلبا لرضاه وكاين من
دابة اي كثير من الدواب العاقلة وغيرها لا تحمل اي لا تطيق
ان تحمل رزقها اي لاذ خر شيا لساعة اخرى لانها قد لا تدرك
ذلك وقد تدركه وتتوكل وعن الحسن لا تدخر شيا فاصبح فيرزقها
الله

الله تعالى وعن ابن عيينة ليس شيا يحيا الا الانسان والنملة والفارة
وعن بعضهم قال رايت البلبل يبعر في حضيره ويقال للعقعق تخابى
الا الله يشاها ولا تحمده او للتطيق حمله لضعفها ثم كانه قيل ثم من يرزقها
فقيل الله العليم بحالها فلذلك قدم المتصف بكل كمال يرزقها على ضعفها
وعي لا تدخر والسميع لاقوالكم دعاءكم واخباركم العليم بنياتكم
ثم ذكر لقريش بين ما عليه ضعفهم وعدم ادخارها وبرزقه لكم على قوتكم
وادخاركم فانه هو المسبب وحده فان الغريقين تاركو التجدد وتاركو
التجدد وفيهم الادخار وعدمه غير معتد به ولا منظور اليه وقرا
ابن كثير بعد الكاف بالفا وبعد الالف همزة مكسورة والباقون بعد
الكاف بهمزة مفتوحة وبعد ها يا مشددة ووقف ابو عمرو على
الياء ووقف الباقون على النون ومن وقف على الوقف يسهل الهمز على
اصله تنبيه كاين كلمة تركبت من كاف التشبيه واي التي تستعمل
استعمال من ما ركبتا وجعل المركب بمعنى كم ثم لم تكتب الا بالنون
ليفصل بين المركب وغير المركب لان كاين تستعمل غير مركب
كما يقول القايل رايت رجلا لا كما ي رجل يكون ذو روح لا يكون كاين
مركبا فاذا كانت كاين ههنا مركبا كتبت بالنون للتمييز وهو السميع
لاقوالكم تحتي الخفي والضعيفة العليم بما في ضمايركم واختلف
في سبب نزول هذه الاية فعن ابن عمر انه قال دخلت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم حايطا من حوايط الانصار فجعل رسول الله
صلى الله عليه وسلم يلتقط الرطب بيده وياكل فقال لي يا ابن عمر
قلت لا استهيه يا رسول الله قال لكني استهيه وهذه صبح رابعة
لم اطعم طعاما ولم اجده فقلت يا رسول الله ان الله المستعان
فقال يا ابن عمر لو سالت ربي لاعطاني مثل ملك كسرى وقيصر

اصفا لحصفا عفة ولكني اجوع يوما واشبع يوما فكيف بك يا ابن عمر
اذا عمرت وبقيت في حثالة من الناس تجبون رزقك سنة ويضعف
اليقين فنزلت وكأين من دابة وروي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة واذا لهم المشركون هاجروا الى
المدينة فقالوا كيف نخرج الى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال
ممن يطعمنا فيستقينا فنزلت وعن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان لا يدخر شيأ وقال صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله
حق توكله لرزقتكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا وقال
صلى الله عليه وسلم ايها الناس ليس من كسب يقربكم الى الجنة ويباعدكم
من النار الا وقد امرتكم به وليس كسب يقربكم من النار ويباعدكم
من الجنة الا وقد نهيتكم عنه وان الروح الامين نفث في روعي
انه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله واجملوا
في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق ان تطلبوه بمعاصي الله
فان الله لا يدرك ما عند الا بطاعته ولئن اللام لام قسم سألتهم
اي كفار مكة وغيرهم من خلق السموات والارض على هذا النظام
العظيم وسخر الشمس والقمر لاصلاح الاقوات ومعرفة الاوقات
وغير ذلك من المنافع ليقولن الله اي الذي لجميع صفات الكمال
لما تقرر في فطرهم من ذلك وتلعثموا موافقة للحق في نفس الامر
فانى اي فكيف ومن اي وجه يؤفكون اي يصرفون عن توحيده
بعد اقرارهم بذلك فان قيل اذا ذكر في السموات والارض اخلق ولئن
الشمس والقمر التسخير اجيب بان مجرد خلق السموات والارض اية
ظاهرة بخلاف خلق الشمس والقمر فانهما لو كانا في موضع واحد
لا يتم كان ما هل الليل والنهار ولا الصيف والشتاء فاذن الكمة

الظاهرة

الظاهرة في تحريكهما وتسخيرهما ولما كان قد يشكل على ذلك التفاوت
في الرزق عند من لم يتأمل حق التأمل فيقول ما بال الخلق متفاوتين
في الرزق قال تعالى الله اي بماله من الاحاطة بصفات الكمال
يبسط الرزق بقدرته التامة امتحانا لمن يشاء من عباده على ما يعلم
من بواطنهم ويقدر اي يضيق له بعد البسط او لمن يشاء ابتلاء فظهر من
ذلك قدرته وحكمته وانت ترى الملوك وغيرهم من الاولياء يتفاوتون
في الرزق بين امم لهم بحسب ما يعلمون من علمهم الناقص باحوالهم
فما ظنك بملك الملوك العالم علما لا تدنو من ساحته ظنون ولا
تشوبه شكوك كما قال تعالى ان الله بكل شيء اي من الامر بقدر ومن
الارزاق وكيف يمنع او يساق او غير ذلك عليم يعلم مقادير الحاجات
والارزاق فيرتب على ذلك كله قدر ما يعلم ما يصلح العباد من ذلك
وما يفسدهم ويعطيهم بحسب ذلك ان شاء فكم رام بعض الاقوياء
اغناء فقيرا وفقار غنيا فكشف الحال عن فساد مرامه من الانتقال
ولما قال الله تعالى الله يبسط الرزق ذكر اعترافهم بذلك بقوله
تعالى ولئن اللام لام قسم سألتهم من نزل من السماء ماء بعد ان كان
مبثوثا في جهة العلو فاحيى به الارض الغبراء واثار بانبات
مجاري ترب الانبات من زمان الممات فقال من بعد موتها
اشارت حفرا تهتز بعد ان لم يكن لها شيء من ذلك ليقولن الله
مقرين بانه الموجد للممكنات باسرها اصولها وفروعها لعلمهم بانهم
يشركون به بعض مخلوقاته الذي لا قدرة له على شيء من ذلك فاذا
ثبت انه الخالق بدأ واعادة كما سيشاهد في كل زمان قال منبها
على عظمة صفاته اللازم من اثباتها صدق رسول الله صلى
الله عليه وسلم قل يا افضل المخلوقين منبها منهم في جحودهم يقرون

بما يلزم منهم التوحيد ثم لا يوحدونه **الحمد لله** الذي لا سمي له وليس لغيره
احاطة بشيء من الاشياء فلزمتهم الحجة بما اتوا به من احاطته وهم
لا يشبتون ذلك باعراضهم **بل اكثرهم لا يعقلون** فيما يقولون حيث
يقرون بانه المبدئ لكل ما عداه ثم انهم يشركون به غيره مما هم مقرّ
بانه خلقه فهم لا يعرفونه معرفة حيث لم يعملوا به وهم من امن
بعد ذلك فكانت في الذروة من كمال العقل في التوحيد الذي يلزم
سائر العروض ومنهم من كان دون ذلك فكانت نفي العقل عنه
مقيدا بالكمال ولما تبين لهذه الايات ان الدنيا مبنية على الفنا
والزوال والتقلع والارتحال وصح ان السرور بها في غير موضعه
فلذلك قال معبرا بعد سلب العقل عنهم الى انهم فيما كانوا فيها يشبه.
وما هذه الحياة الدنيا فحقرها بالاشارة ولفظ الدنا مع الاشارة
الى هذا الاعتراف هذا الاسم كاف في الالزام بالاعتراف بالاخرى
الا لهو وهو الاستمتاع بلذات الدنيا **ولعب** وهو العبث سميت بهما
لانهما فانية وقيل اللهو الاعراض عن الحق واللعب الاقبال على
الباطل فان قيل قال تعالى في الانعام وما الحياة الدنيا ولم
يقل وما هذه الحياة وقال هاهنا وما هذه الحياة فما فائدته
اجيب بان المذكور من قبل هاهنا امر الدنيا فاجيب به الا ترى
من بعد حتما قال هذه والمذكور قبلها هناك الاخرة حيث قال
يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم
فلم تكن الدنيا في ذلك الوقت في خاطرهم فقال تعالى وما الحياة
الدنيا فان قيل ما الحكمة في تقديمه هناك اللعب على اللهو
وها هنا اخر اللعب عن اللهو اجيب بانه لما كان المذكور من قبل
هناك الاخرة واظهارهم للحسرة ففي ذلك الوقت يبعد الا

ستمرار

ستمرار في الدنيا بل نفس الاشتغال بما واخر الابعد وها هنا لما
كان المذكور من قبل الدنيا وهي خداعة تدعو النفوس الى الاقبال
عليها والاستمرار فيها اللهم الا لمانع يمنع من الاستمرار فيشتغل
بما من غير استمرار فيها او لعاجم يعجمه فلا يشتغل بما اصلا
وكان الاستمرار اقرب من عدمه فقدم اللهو ولما كانوا ينكرون
الحياة بعد الموت اخبر على سبيل التاكيد انه لا حياة غيرها بقوله تعالى
وان الدار الاخرة اي خاصة **لهي الحيوان** اي الحياة التامة الباقية
فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى هناك ولدار الاخرة خير وقال
هاهنا وان الدار الاخرة لهي الحيوان اجيب بانه لما كان
الحاصل هناك حال اظهارهم الحسرة ما كان المكلف يحتاج الى
وازع قوي فقال الاخرة خير ولما كان الحال هنا حال الاشتغال
بالدنيا احتاج الى وازع قوي فقال لا حياة الا حياة الاخرة والحيوان
مصدر حيي وقياسه حيان فقلبت الياء الثانية واوا وبه سمي
ما فيه حياة حيوانا وهو ابلغ من الحياة لما في بناء فعلان من
الحركة والاضطراب اللازم للحياة ولذلك اختير عليها ههنا
ولما كانوا قد غلطوا في الدارين كليهما فمن لو اهل واحدة منهما
غير من لتمامه فمه والدنيا وجودا دايما على هذه الحالة وعدوا
الاخرة عدما لا وجود لها بوجه قال تعالى **لو كانوا يعلمون** لم يؤثروا
عليها الدنيا التي اصلها عدم الحياة والحياة فيها عارضة سريعة
الزوال فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى في الانعام افلا يعقلون
وقال ههنا لو كانوا يعلمون اجيب بان المثبت هناك كون
الاخرة خيرا وللنظاهر لا يتوقف الا على العقل والمثبت هنا
ان لا حياة الا حياة الاخرة وهذا دقيق لا يعرف الا بعلم نافع

فاذا اي فتسبب عن عدم عقلهم المستلزم لعدم علمهم انهم اذا ركبوا
البحر في الفلك اي السفن دعوا الله اي الملك الاعلى مخلصين بالتوحيد
له الدين معرضين عن الشرك بالقلب واللسان حيث لا تذكر وذا الا
وهو ولا يدعون سواه لعلمهم بانه لا يكشف الشدايد الا هو فلما نجاهم
اي الله سبحانه وتعالى موصلا لهم الى البر اذا هم اي حين الوصول
الى البر يشركون به كما كانوا فهذا اخبار عنهم بانهم عند الشدايد
مقرون بان القادر على كشفها هو الله عز وجل وحده فاذا زالت
عادوا الى كفرهم قال عكرمة كان اهل الجاهلية اذا ركبوا في البحر
حملوا معهم الاصنام فاذا اشتد عليهم الريح القوها في البحر
وقالوا يا رب وقال الرازي في اللوامع وهذا دليل على ان
معرفة الرب في فطرة كل انسان وانهم ان غفلوا في السراء فلا
شك انهم يلوذون اليه في حال الضراء اه فعلم ان الاشتغال
بالدنيا هو الصاد عن كل خير وان الانقطاع عنها معين للعظم
الاولى المستقيمة وهذا تجد الفقراء اقرب الى كل خير وفي اللام
في قوله تعالى ليكفروا بما اتيناهم وجهان اظهرهما ان اللام فيه
لام كي اي يشركون ليكونوا كافرين بشركهم نعمة النجاة فيكون
ذلك فعل من لا عقل له اصلا وهم يتجاسرون عن مثل ذلك
والثاني ان كونها للامر وليتمتعوا باجتماعهم على عبادة الاصنام
وقواعدهم عليها وقرا ورش وابو عمرو وابن عامر وعاصم
بالكسر وهي محتملة للوجهين المتقدمين والباقون بالسكون
وهي ظاهرة في الامر فان كانت اللام الاولى للامر فقد عطف
امرا على مثله فان قيل كونها للامر مشكل اذ كيف يامر الله
تعالى بالكفر وهو متوعد عليه اجيب بان ذلك على سبيل
التهديد

التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم فان كانت اللام الاولى للامر
فقد عطف امرا على مثله وان كانت للعلة فقد عطف كلاما على
كلام فيكون المعنى لا فائدة لهم في الاشراك الا الكفر والتمتع بما
سيستمتعون به في العاجلة من عيش لخسيس في الاخرة فسوف يعلمون
يوم يحل بهم من العقاب ولما كان الانسان يكون في البحر على
اخوف ما يكون وفي بيته يكون على امن ما يكون لا سيما اذا كان
بيته في بلد حصين فلما ذكر الله المشركين عند اكوف الشديد وراوا
انفسهم في تلك الحالة راجعة الى الله ذكر نعم حالهم عند الامر العظيم
بقوله تعالى اولم يروا اي اهل مكة يعبرون بصائرهم انا جعلنا
بلدتنا لهم حرما وقال آمنا لانه لا خوف على من دخله فلما امن كل
من دخله كان كانه هو نفسه الامن وهو حرم مكة فانها مدينتهم
وبلدهم وفيها مسكناهم ومولدهم وهي حصينة بحصن الهيبة والحرمة
موجبة للتوحيد والاخلاص لانكم في اخوف ما انتم دعوتم وفي
امن ما حصلتم عليه كفرتم بالله وهذا امتناقض لان دعاكم في
ذلك الوقت على سبيل الاخلاص فما كان الا لعظمكم بان النعمة
من الله لا غير وهذه النعمة العظيمة التي حصلتم وقد اعترفتم
بانها لا تكون الا من الله فكيف تكفرون بها والاصنام التي قلتم
في حال الخوف ان لا امن لها كيف امنتم بها في حال الامن والحال
انه يتخطف الناس من حولهم اي من حول من فيه من كل جهة
قتلا وسبيا مع قلة من بمكة وكثرة من حولهم فالذي خرق العادة
في فعل ذلك حتى صار على هذا السنن قادر على ان يعكس
الحال فيجعل من بالحرم متخطفا ومن حوله آمنا ويجعل الكل في
الخوف على منهاج واحد افبالباطل من الشياطين والاديان

وغيرهم يوسنون والمحال انه لا يشكر عاقل في بطلانه وبنعمة الله التي
احدثها لهم من الانجاد ارسال محمد صلي الله عليه وسلم يكفرون حيث
جعلوا موضع شكرهم له عليها التجاة وغيرها سركهم بعبادة غيره
ومن اظلم اي اشد وضعا للاشياء في غير مواضعها ممن افترى اي تعمد علي
الله كذبا اي اي كذب كان من الشرك وغيره كما كانوا يقولون اذا فعلوا
فاحشة وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها او كذب بالحق اي النبي صلي
الله عليه وسلم او القرآن المعجز المبين علي لسان هذا الرسول الامين
الذي ما اجترح جبرا الا طابقه الواقع لما اي حين جاءه من غير امهال
الي ان ينظر ويتامل بل سبادر الي التكذيب اول ما سمعه وقوله
تعالي اليس في جهنم مثوي للكافرين استفهام تقرير لثوائهم كقولهم
الستم خير من ركب المطايا والذي العالمين بطون راح قال بعضهم
ولو كان استفهما ما اعطاه الحقيقة مائة مل الابل وحقيقته
ان الهمزة همزة الانكار دخلت علي النفي فرجع الي معني التقرير
والمعني اما للجهنم الكافر الكذب ما وعي في جهنم حتي اجترا مثل هذه
الجراءة والذين جاهدوا اي اوقعوا الجهاد بنهاية جهدهم علي ما دل
عليه بما ممن علة فينا اي بسبب حقنا ومراقبتنا خاصة بلزوم
الطاعات من جهاد الكفار وغيرهم من كل ما ينبغي الجهاد فيه بالقول
والفعل في السنة والرخاء ومخالفة الهوي عند هجوم الفتن وشدائد
المحن مستحقرين لعظمتنا لنهدينهم مما يجعل لهم من النور الذي
لا ينال من صحبه هداية تليق بعظمتنا سبلنا اي طريق السير الينا
وهي الطريق المستقيمة والطريق المستقيمة هي التي توصل الي
رضا الله عز وجل قال سفيان بن عيينة اذا اختلف الناس
فانظروا ما عليه اهل الثغور فان الله تعالي قال والذين جاهدوا
فينا

فينا لنهدينهم سبلنا وقال الحسن ابي جهاد مخالفة الهوي وقال الفضيل
ابن عياض والذي جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به
وقال سهل بن عبد والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل
ثوابنا وقال ابو سليمان الداراني والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم
الي ما لم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لم يعلم وقيل ان
الذي يري من جهلنا انما لم نعلم انما هو من تقصيرنا فيما نعلم وقيل
المجاهدة هي الصبر علي الطاعة وقرا ابو عمرو بسكون التاء الوحدة
والبون بضمهما وان الله اي بعظمته وجلاله وكبريائه لمع المحسنين
اي الموسنين بالنصر والمعونة في دنياهم والمغفرة والثواب في عقبا
ورواه البيهقي وفيه للذين يجتنبون من اذي صلي الله عليه وسلم
قال من قرا سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد
المومنين والمنافقين فيه حديث موضوع ورواه ابن عادل عن ابي امامة
عن ابي بن كعب سورة الروم مكية وهي ستون اية وثمانمائة وتسع
عشرة كلمة وثلاثة الاف وخمسمائة واربعة وثلاثون حرفا بسم الله
الذي يملك الامر كله الرحمن الذي رحم الخلق بنصب الدلايل
الذي لطف باوليائه وقوله تعالي الم تقدم الكلام علي ذلك في
اول سورة البقرة وقال البقاعي لما ختم سبحانه التي قبلها بانه مع
المحسنين قال الم مشيرا بالف القيام وبيم التمام الي ان لله الملك
الاعلي القيوم ارسل عبده بالحق عليه الصلاة والسلام الذي هو
وصلة بينه وبين اوليائه عليهم السلام الي اشرف خلقه محمد صلي
الله عليه وسلم المبعوث لاتمام مكارم الاخلاق يوحي اليه وحيا معجلا
بالشاهد والغايب فيا تي الامر علي ما اخبر به دليلا علي صحة
رسالته وكمال علم مرسله وسمي له قدرته ووجوب وحدانيته

غلبت الروم وهم اهل كتاب غلبتها فارس وليسوا اهل الكتاب بل يعبدون
الاوثان في ادنى الارض اي اقرب ارض الروم الي فارس بالجزيرة
التقي فيها الجيشان والبادي بالغزو الفرس وهم اي الروم من بعد
غلبهم اضيف المصدر الي المفعول اي غلبة فارس اياهم سيغلبون
فارس في بضع سنين وهو ما بين الثلاث الي التسع او العشر
فالتقي الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الاول وغلبت
الروم فارس وسبب نزول هذه الاية علي ما ذكره المفسرون
انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون ان تغلب
فارس لانهم اهل فارس كانوا مجوسا اميين والمسلمون يودون
غلبة الروم علي فارس لكونهم اهل كتاب فبعث كسري جيشا
الي الروم واستمد عليهم رجلا يقال له شهربا ذ فاستمد قيصر
وهي ادنى الشام الي ارض الكلثة لعرب فغلبت فارس الروم
وبلغ ذلك النبي صلي الله عليه وسلم واصحابه وهم بمكة فشق
ذلك عليهم وكان النبي صلي الله عليه وسلم يكره ان تظهر الاميون
من المجوس علي اهل الكتاب وفرح كفار مكة وقالوا للمسلمين انتم
اهل كتاب والنصاري اهل كتاب ونحن اميون وقد ظهر اخواننا
من اهل فارس علي اخوانكم من اهل الروم ولئن ظهرتم عليكم
لنظهرن عليكم فنزلت هذه الاية فخرج ابو بكر الصديق الي الكفار فقال لهم لا تفرحوا
بظهور اخوانكم فلا تفرحوا فوالله ليظهرن الروم علي فارس
اخبرنا بذلك نبينا فقال له امية بن خلف الجمحي كذبت يا ابا
فصيل فقال ابو بكر انت اكذب يا عدو الله فقال اجعل بيننا اجلا
اناحبك عليه والمناحبة المراهنة فناحبه علي عشر قلائص من
كل واحد منهما فان ظهرت الروم علي فارس غرمت وان ظهرت

فارس

فارس وجعلا الاجل ثلاث سنين فجاء ابو بكر الي رسول الله صلي الله عليه
وسلم فاخبره بذلك فقال ما هكذا ذكرت انما البضع ما بين الثلاثة
الي التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فخرج ابو بكر فلقي اميا
فقال لعلك ندمت قال لا فقال ازايدكم في الخطر وماديكم في
الاجل فاجعلها مائة قلوص الي تسع سنين وقيل الي سبع سنين
قال قد فعلت فلما خشي ابي بن خلف ان يخرج ابو بكر من مكة اتاه
فلزمه وقال اني اخاف ان تخرج من مكة فاقم لي كفيلا فكفل له
ابنه عبد الله بن ابي بكر فلما اراد ابي بن خلف ان يخرج الي احد جاه
عبد الله بن ابي بكر فلثم حمه وقال والله لا ادعك حتي تعطيني كفيلا
فاعطاه كفيلا ثم خرج الي احد ثم رجع ابي بن خلف فمات بمكة من
جراحته التي جرحه رسول الله صلي الله عليه وسلم حين بارزه وظهرت
الروم علي فارس يوم الحديبية وذلك عند راس سبع سنين من
مناحبتهم وقيل كان يوم بدر فاخذ ابو بكر الخطر من ذرية ابي وجاء
به الي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال لقد تدت به وهذه الاية
من الايات البينة الشاهدة علي صحة النبوة وان القرآن من عند
الله لانه اخبار عن علم الغيب الذي لا يعلمه الا الله فان قيل كيف صحت
المناحبة والمناحبي قمار اجيب بان قتادة رحمه الله تعالي قال
كان ذلك قبل تحريم القمار قال الزمخشري ومذهب ابي
حنيفة ومحمد ان العقود الفاسدة من عقود الربا
جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجا علي صحة
ذلك بما عقده ابو بكر بينه وبين ابي بن خلف ولما كان تقليب
ملك علي ملك من الامور المهايلة وكان الاخبار قبل كونه اهول
اهول ذكر علة ذلك بقوله تعالي لله اي وحده الامر من قبل اي

قبل دولة فارس علي الروم ثم دولة الروم علي فارس **ومن بعد** اي بعد
دولة الروم عليهم ودولتهم علي الروم ولما اخبر تعالي بهذه المعجزة اخبر
بمعجزة اخري بقوله تعالي **ويومئذ** اي تغلب الروم علي فارس **يفرح**
المؤمنون اي العارفون في هذا الوصف من اتباع محمد صلي الله عليه وسلم
بنصر الله اي الذي لا راد لامره الروم علي فارس وقد نوحوا بذلك
وعلموا به يوم وقوعه يوم بدر بنزول جبريل بذلك فيه مع نزولهم بنصرهم
علي المشركين يوم بدر وظهور اهل الكتاب علي اهل الشرك وعن ابن
سعيد الخدري وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم يفرح المؤمنون
ينصر من ينشا من ضعيف وقوي لا راد لامره ولا تسيير مما يفعل
فالغلبة للذل لعلي الحق بل الله قدير يديل علي نوائب المؤمن فيبتليه
ويسلط عليه الاعادي وقد يختار تعجيل العذاب الادني دون العذاب
الاكبر قتل يوم الميعاد **وهو العزيز** فلا يعز من عادي ولا يذل من والى
وقرا قالون وابو عمرو والكسائي بسكون الهاء والباقون بالضم ولما
كان السياق لبشارة المؤمنين قال **الرحيم** بخصهم بالاعمال
الزكية والاخلاق المرضية **وعد الله** اي الذي له جميع صفات الكمال
مصدر مؤكد لناصبه معنى اي وعدهم الله ذلك وعد اظهار الروم علي
فارس **لا يخلف الله** اي الذي له الامر كله **وعده** به وهذا
معترض لمعنى هذا المصدر ويجوز ان يكون قوله تعالى
لا يخلف الله وعده حالا من المصدر فيكون كالمصدر
الموصوف فهو مبني للنوع كانه قيل وعد الله وعدا غير مخلف
ولكن اكثر الناس بجهلهم وعدم تفكرهم **لا يعلمون** ذلك وقوله تعالى
يعلمون بدل من قوله تعالى لا يعلمون وفي هذا الابدال من النكتة ابنة
ابدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده ليعلم انه لا فرق

بين

بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا
ظاهرا من الحياة الدنيا يفيد ان للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرها ما
يدركه الجهال من امر معايشهم كيف يكسبون ويتجرون وميتي يزرعون
ويبذرون ويحصدون وكيف يبنون ويعرشون فالمحسن اذا حدثهم
بشيء الدنيم بحرف ظرفه فيذكر وزنه ولا يخطي وهو لا يحسن يصلي واما
هذا الهم كثير وهو وان كان عند اهل الدنيا عظيما فهو عند الله حقير
فلذلك حقره لانهم ما زاد وا فيه علي ان سالوا الي ما هم فيه ادراكها ما
ينفعها فقد فقدوا نوع من الخداع واما علم باطنها وهو انها مجاز الي
الاخرة يزود منها بالطاعة فهو ممدوح وهي تذكير الظاهر انهم لا يعلمون
الا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها **وهم** اي هولا الموصوفون خاصة
عن الاخرة اي التي هي المقصودة بالذات وما خلقنا الدنيا الا للتوصل
بها اليها ليظهر الحكم بالقسط وجميع صفات العز والكبريا والجلال
والاكرام **هم غافلون** اي في غاية الاستغراق والاضراب عنها بحيث
لا يخطر في خواطرهم تشيء هم الثانية يجوز ان تكون مبتدا وغافلون
خبره والجملة خبر هم الاولي وان تكون تاكيدا للاولي وغافلون
خبر الاولي وايا كانت فذكرها شاهد علي انهم معدن الغفلة عن الاخرة
ومقرها ومعلنها وانما منهم تتبع واليهم ترجع **اولم يتفكروا** اي يجتهدوا
في اعمال الفكر وقوله تعالى **في انفسهم** يحتمل ان يكون ظرفا كانه
قيل اولم يجدوا الفكر في انفسهم اي في قلوبهم الفارغة من التفكر
والتفكر لا يكون الا في القلب ولكنه زيادة تقرير لحال المتفكرين
كقولك اعتقده في قلبك واضمره في نفسك واذ يكون جملة اي اولم
يتفكروا في احوالهم حتي يعلموا ان من كان منهم قادرا كاملا
لا يخلف وعده وهو انسان ناقص فكيف بالالة الحق ويعلموا ان

ن

الذي سماوي بينهم في الايجاد من العدم وطوريهم في اطوار الصور وفاوت
بينهم في التقوي والقدر وبين احوالهم في الطول والقصر وسلط بعضهم
علي بعض بانواع الضرر ومات اكثرهم مظلوما قتيل العقاعق والنظف
لا بد في حكمته البالغة من جمعهم للعدل بينهم في جزا من وفي اوعذر
او شكر او كفر فمضي ذلك دلالة علي وحدانيته ثم تعالي وعلي بعثهم
ثم ذكر تعالي نتيجة ذلك وعلله بقوله في اسلوب التاكيد لاجل انكارهم
وعلي التقدير الاول يكون المنكر فيه ما خلق الله اي بعز جلاله وعلوه
في كماله السموات والارض علي ما هما عليه من النظام المحكم والقانون
المتقن وافرد الارض لعدم دليل حسي او عقلي يدل لهم علي تعددها
بخلاف السما اه وقد يرد هذا بقوله تعالي خلق سبع سموات ومن الارض
مثلهن وما بينهما من العالم في الجو بما كل منهما الا خلقا ملتبسا
بالحق اي الامر الثابت الذي يطابقه الواقع فاذا ذكر البعث الذي هو
احد الاخرة التي بها سلوك وجد الواقع في تقوير النفوس وتنعيم
الروح وتمييز الصالح منهما للتقوير من الفاسد بطابق ذلك واذا تدبر
النبات بعد اذ كان هشيما تذروه الرياح فتنزل عليه الماء فزهي واهتز ورابي
وجد مطابقا لامر البعث واذا ذكر الفدفد فهو اي اختلاف الليل
والنهار وتسير الكواكب الصغار والكبار وامطار الامطار واجراء الانهار
وغير ذلك من الاسرار راه مطابقا لكل ما يخطر ولما كان عندهم ان هذا
الوجود حياة وموت الي فناء قال تعالي واجل لابد ان ينتهي اليه
مسمي اي في العلم من الازل لذلك يفنيه عند انتهائه وبعده البعث
ولما كانوا ينكرون ذلك علي كفرا كد قوله تعالي وان كثيرا من الناس
مع ذلك علي وضوحه بلقاء ربهم اي الذي ملأهم احسانا يرجو عمهم في
الاخرة اي العرض عليه للثواب والعقاب لكافرون اي لا يوقنون

بالبعث بعد الموت فان مثل هذه الغاية في قوله تعالي هاهنا وان كثيرا من
الناس وقال من قبل ولكن اكثر الناس اجيب بان فايدته انه من قبل
لم يذكر دليلا علي الاصليين وههنا قد ذكر الدلائل الراسخة والبراهين
اللائحة ولا شك في ان الايمان بعد الدليل اكثر من الايمان قبل
الدليل فبعد الدليل لابد ان يومن من ذلك فلا يبقي الا كثر كما هو
فقال بعد اقامة الدليل وان كثيرا وقال قبله ولكن اكثر الناس لان
بعد الدليل لا يمكن الذهول عنه وهو السموات والارض لان من البعيد
ان يذهل الانسان عن السما التي فوقه والارض التي تحته فلهذا ذكر
ما يمنع الذهول عنه وهو احوالهم وحكاية اشكالهم فقال اولم يسيروا
في الارض اي بسير اعتبار وقوله تعالي فينظروا كيف كان عاقبة
الذين من قبلهم من الامم وبي اهلاكهم بتكذيبهم رسلهم تقرير لسيرهم
في اقطار الارض ونظرهم الي اثار المدمرين كعاد وثمود كانوا اشد منهم
اي العرب قوة اي في ابدانهم وعقولهم واثاروا الارض اي حرثوها
وقلبوها للزرع والغرس والمعادن والمياه وغير ذلك وعمروها
اي اولئك السالفون اكثر مما عمروها اي هولا الذين ارسلت اليهم
بل ليس كلهم من اثارة الارض وعمارتها كبير امر فان بلاد العرب انما
هي في جبال سود وبيا في غير ذي هو الا تمتكم بهم وبيان لضعف حالهم
في دنياهم التي لا تحسن لهم بغيرها وجاءتهم رسلهم بالبينات اي بالحجج
مثل ما اتاكم به رسولنا من وعودنا الصادقة وامورنا الخارقة فكذبوهم
الاسرا وما اظهر فيه من الغرايب كالاخبار بان العبور تقدم في يوم
كذا ابتدا مما جعل صفته كذا وغير ايره كذا فظهر كذلك وما اهتم به
كالم يومن من كان اشد منكم قوة فما اي تسبب الله ما كان الله الذي
عليه ماله من اوصاف الكمال مريد ليظلمهم بان يفعل معهم فعل من

تعبدون انتم ظالما بان يملككم في الدنيا ام يعتقكم منهم في القيمة قبل اقامة
الحجة عليهم بارسال الرسل بالبينات ولكن كانوا بغاية جهدهم انفسهم
اي خاصة يظلمون اي يجدون الظلم لها بايقاع الضرر تم جلب
النفع ثم كان عاقبة اي آخر امر الذين اساءوا وقوله تعالى السوآى تانيث
الاسوا وهو الاقبح كما ان الحسنى تانيث الاحسن والمعنى انهم عوقبوا في
الدنيا بالدمار ثم كان عاقبتهم السواي الاانه وضع المظهر موضع
المضمر اي العقوبة التي هي اسوا العقوبات هي الاخرة وهي جهنم
التي اعدت للكافرين وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وعاقبة بالرفع
على انها اسم كان والسوآى خبرها والباقون بالنصب على انها خبر
كان وقيل السوآى اسم جهنم كما ان الحسنى اسم الجنة واسائتم ان اي
بان كذبوا بايات الله اي القران وقيل تفسير السواي ما بعده وهو
قوله تعالى ان كذبوا اي بان كان عاقبة المسيئين التكذيب حملتهم
تلك السيئات على ان كذبوا بايات الله وكانوا بها مع كونها من البدي
من المعجزة يستهزءون اي يستمرون على ذلك بتجديده في كل حين
ولما كان حاصل ما مضى انه قادر على الاعادة كما قدر على الابتدا
صرح بذلك في قوله تعالى الله اي المحيط علما وقدرة يبدؤا الخلق
اي يبدا منه ما رايتم وهو يجدد في كل وقت ما يريد من ذلك كما
تشاهدون ثم يعيده اي خلقهم بعد موتهم احياء ولم يقل يعيدهم
لرده الى الخلق ثم اليه ترجعون للجزا فيجزيهم باعمالهم وقرا ابو
عمرو وشعبة بالياء على الغيبة على السنق الماضي والباقون
بالتاء على الخطاب اي اليه ترجعون يعني في امركم كلها في الدنيا
وان كنتم لقصور النظر تنسبونها للاسباب وحسابه بعد قيام الساعة
وفي البلخ من التراة الاولى لانما الغض على المقصود ولما ذكر

الرجوع

الرجوع اتبعه ببعض احواله بقوله تعالى ويوم تقوم الساعة سميت بذلك
اشارة الى عظيم القدرة على ما مع كثرة الخلائق على ما هم فيه من العظمة
والكبرياء الروسا يبلس المجرمون اي يسكت المشركون لانقطاع حجتهم
فالابلاس ان يبهت بايسا ساكتا من خير اقال ناظرته فابلس من
الناقة المبلاس اي التي لا ترغو وقال مجاهد معناه يحزنون وقال قتادة
المعنى يبأس المشركون من كل خير ولما كانت السالكة ربما اعتاده عن
الكلام عبر بنفي ذلك بقوله تعالى تحقيقا له يجعله ماضيا ولم يكن وهنا
لم يكونوا لهم من شركائهم اي ممن اشركوهم بالله وهم الاصنام شفعا
ينقذونهم مما هم فيه ليتبين لهم غلطهم وجهلهم المعرطاني قولهم هولا
شفعاونا عند الله ولما ذكر تعالى حال الشفعا معهم ذكر حالهم مع
الشفعا بقوله تعالى وكانوا اي هم خاصة بشركائهم اي ممن عبدوهم من دون
الله كافرين اي متبرين منهم بانهم ليسوا الهة وقيل كانوا في الدنيا كافرين بسببهم وكتب شفعوا
في المصحف بواو وقبل الالف كما كتب علموا بني اسرائيل وكذلك كتب
السواي بالف قبل الياء اثباتا للهمز على صورة الحرف الذي منه
حركتها ويوم تقوم الساعة اي وبالحري من يوم زاد في تهويله بقوله
تعالى يومئذ يتفرقون اي المومنون الذين يعترفون بنعم الله
والكافرون تفرقة لا اجتماع بعدها هولاء في عليين وهولاء في اسفل
سافلين كما قال تعالى فاما الذين امنوا اقروا بالايمان بانفسهم
وعملوا لقد بقالا يمانهم الصالحات تهم اي خاصة في روضة وهي
ارض عظيمة جدا منبسطة واسعة ذات مياه غدقة ونبات معجب
يسر الناظرين هذا اصله في اللغة قال الطبري ولا يجد احسن منظرا ولا طيب
نشرا من الرياض الا ذا تشكيره لانها مع امرها وتخيمه والروضة عند
العرب كل ارض ذات نبات وماء ومن امثالهم احسن من بيضة في

روضة يرتيدون النعامة يجبرون قال ابو بكر بن عياش التيجان على رؤسهم وقال ابو عبيدة لسير وذاي على سبيل التجدد كل وقت سرورا تشرق له الوجوه وتتبسم الافواه وتزاهر العيون ويظهر حسنها ويعني فتظهر النعمة بظهور انارها على اسهل الوجوه واسيرها وقال ابن عباس يكرمون وقال قتادة ينعمون وقال الاوزاعي اذا اخذ في السماع في السمع لم يبق في الجنة شجرة الا وردت وقال ليس احد من خلق الله احسن صوتا من اسرافيل فاذا اخذ في السماع قطع على اهل سبع سموات صلاتهم وتسبيحهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي آخر القوم اعرابي قال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا اعرابي ان في الجنة نهرا حافتيه الابكار على كل بيعة حوصانية يتغنين باصوات لم تسمع الخلائق بمثلها فقال ذلك افضل نعيم الجنة قال الدارمي سئلت ابا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح ورويا ان في الجنة لاسجارا على ابواب الجنة من ذهب فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا **والذين كفروا** اي على ما كشفته انوار العقول **وكذبوا** عنادا **بآياتنا** اي التي لا اصدق منها ولا اصوء من انوارها بما لها من عظمتنا وهو القرآن **ولقاء الآخرة** اي بالبعث وغيره **فاولئك** اي البعداء **في العذاب** كما مر لاغيره **محضرون** اي مدخلون له ليغيبوا عنه **فسبحان الله** اي سبحوا الله بمعنى صلوا **حين تمسون** اي تدخلون في المساء وفيه صلاتا المغرب والعشاء **وحين تصبحون** اي تدخلون في الصباح وفيه صلاة الصبح وقوله تعالى **وله الحمد في السموات والارض** اعتراض ومعناه يحمده اهلهما وقوله تعالى

وعشيا

وعشيا عطف على حين وفيه صلاة العصر **وحين تظهرون** اي تدخلون في الظهيرة وفيه صلاة الظهر قال نافع بن الازرق لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس ومواقيتها في القرآن فقرأها بين الايتين وقال جمعت الايات الصلوات الخمس ومواقيتها وانما خص هذه الاوقات مع ان افضل الاعمال ادومها لان الانسان لا يقدر ان يعرف جميع اوقاته التي التسبيح لانه يحتاج الى ما يعيشه من مأكول ومشروب وغير ذلك فيخلق الله عند العبادة في غالب الاوقات دائما فيها في اول النهار ووسطه وآخره وفي اول الليل ووسطه فاذا صلى العبد ركعتي الفجر فكأنما سبح قدر ركعتين وكذلك باقي الركعات وبين سبع عشرة مع ركعتي الفجر فاذا صلى الانسان الصلوات الخمس في اوقاتها فكأنما سبح الله سبع عشرة ساعة من الليل والنهار يبقى عليه سبع ساعات من يوم الليل والنهار وهي مقدار اليوم والنائم مرفوع عنه القلم فيكون قد عرف جميع اوقاته بالتسبيح في العبادة او بمعنى تنزهوه من السوء بالثناء عليه بالخير في هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعم الله الظاهرة عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يات احد يوم القيمة بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال او جاء به زاد عليه وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وعن جويرية بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم انه خرج ذات غداة من عندها وكان اسمها برة فحول له

رسول الله صلى الله عليه وسلم فسماها جويرية فكرهت ان يقال خرج من عند
برة فخرج وهي في مسجدها اي في مصلاها فرجع بعد ما تعالى النهار
فقال ما زلت في مجلسك هذا منذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد
قلت بعدك اربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بكلماتك لوزنتهن
سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد
كلماته وعن سعد بن ابي وقاص قال كنا عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ايعجز احدكم ان يكتسب في كل يوم الف حسنة قال
يسبح مائة تسبيحة فيكتب له الف حسنة او يحط عنه الف خطيئة وفي
غير رواية مسلم ويحط بغير الف ولما كان الانسان عند الاحتجاج
يخرج من نسمة الموت وهو النوم الى نسمة الوجود وهي اليقظة
وعند العشا يخرج من اليقظة الى النوم اتبعه الاحياء والاماتة
حقيقة بقوله تعالى **يخرج الحي** كالانسان والطائر **من الميت** ج
كالنطفة والبيضة **ويخرج الميت** كالنطفة والبيضة **من الحي** علي عكس
ذلك او يعقب الحياة الموت وبالعكس وقيل يخرج المؤمن من الكافر
والكافر من المؤمن **ويحيي الارض** اي بالمطر واخراج النبات **بعد موتها**
اي يبسها **وكذلك** اي ومثل هذا الاخراج **تخرجون** يا بني آدم من
الارض بعد تفرقة اجسامكم فيها احياء للبعث والحساب وقرأ نافع
وحفص وحمزة والكسائي الميت بكسر الياء المشددة والباقون
بالسكون وقرأ حمزة والكسائي وابن ذكوان بخلاف عنه بضم التاء
قبل الخاء وضم الراء على البناء للفاعل والباقون بفتح التاء وفتح
الراء على البناء للمفعول **ومن اياته** اي من جملة علاماته توحيده
وكمال قدرته **ان خلقكم** اي اصلكم وهو آدم **من تراب** لم يكن له اهلية
التصاف بما بحياة او انه خلقكم من نطفة والنطفة من الغذاء والغذاء

النبات يتولد من الماء والتراب **ثم اذا انتم بشر تنتشرون** في الارض كقوله
تعالى وبث فيها رجالا كثيرا ونساء تنبيه الترتيب والمهلة تعتبر في ظاهر
فانهم يصيرون بشرا بعد اطوار كثيرة وتنتشرون حال واذا اي
الفجائية لان الفجائية اكثر ما تقع بعد الفاء لما تقتضي التعقيب
ووجد رتوعها مع ثم بالنسبة الى ما يليق بالحالة الحاضرة اي بعد
تلك الاطوار التي قصها علينا في موضع آخر من كونها نطفة ثم علقة
ثم مضغة ثم عظاما مجردا ثم عظاما مكسوا لحما فاجأ البشرية والانتشار
ومن اياته اي على ذلك **ان خلق لكم** اي لاجلكم ليبقى نوعكم بالتوالد
وفي تقديم الجار وهو تر له تعالى **من انفسكم** اي جنسكم بعد ايجادها
من ذات ابيكم آدم عليه السلام **ازواجا** اناثا هن نشوع لكم دلالة
ظاهرة على حرمة على حرمة التزوج من غير الجنس كما لجن قال
البقاعي والتعبير بالنفس اعلم في كونها من بدن الرجل اي فخلق
حواء من ضلع آدم **لتسكنوا** ما يلين **اليها** بالشهوة والالفة من
قولهم سكن اليه اذا مال واطمأن واطمأن اليه ولم يجعلها من
غير جنسكم ليلا تنفر وامنها قال ابن عادل وهو الصحيح ان المراد
من جنسكم كما قال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم ويدل عليه قوله
تعالى لتسكنوا اليها يعني ان الجنسين المختلفين لا يسكن احدهما
اي لا يثبت نفسه معه ولا يميل قلبه اليه ولما كان المقصود بالسكن
لا ينتظم الا بدوام الالفة قال تعالى **وجعل** اي صير بسبب الخلق على
تلك الصفة **بينكم مودة** اي معنى من المعاني يرجب ان لا يحب احد
من الزوجين ان يميل الى صاحبه بحيث يكره **ورحمة** اي معنى يحمل
للاخر على ان يجتهد للاخر في جلب الخير ودفع الضرر وقيل المودة
كناية عن الجماع والرحمة عن الولد لتسميتهم بقوله تعالى ذكر رحمة

ربك عبده زكريا وقوله تعالي ورحمة منا ان في ذلك اي الذي تقدم من
خلق الازواج علي الحال المذكور وما يتبعه من المنافع لايات اي
دلالات واضحات علي قدرة فاعله وحكمته لقوم يتفكرون اي
يستعملون افكارهم علي القوانين المحررة ويجتهدون في ذلك فيعلمون
في ذلك من احكم وما بين تعالي دلالة الانفس ذكر دلايل الافاق
بقوله تعالي ومن اياته اي الدالة علي ذلك خلق السموات علي علوها
واحكامها والارض علي اتساعها واتقانها وقدم السما علي الارض
لان السما كما ذكر لهما وما اشار تعالي دلايل الانفس والافاق
ذكر ما هو من صفات الانفس بقوله تعالي واختلاف السنتكم
اي لغاتكم من العربية والعجمية وغيرهما وتغماتكم وهيا ئتما فلا
تكاد تسمع منطقين متفقين في همس ولاجهارة ولا سنة ولارخاوة
ولا لكنة ولا فصاحة وغير ذلك من صفات النطق واشكاله وانتم
من نفس واحدة واختلاف الوانكم من ابيض واسود واشقر
واسمر وغير ذلك من اختلاف الالوان وانتم بنو رجل واحد وهو
آدم والحكمة في ذلك ان الانسان يحتاج الي التمييز بين الاشخاص
ليميز صاحب اكتى من غيره والعدو من الصديق ليحترز قبل وهلة
العدو اليه وليقبل علي الصديق قبل ان يفوته الاقبال عليه
وذلك قد يكون بالبصر فخلق اختلاف الصور وقد يكون بالسمع
فخلق اختلاف الاصوات واما اللمس والشم والذوق فلا تفيد
فائدة في معرفة العدو والصديق فلا يقع بها التمييز بل كل
واحد بشكله وحليته وصورته ولو اتفقت الصور والاصوات
وتشاكلت وكانت صورة واحدة لوقع التجاهل والالتباس
ولتعطلت مصالح كثيرة ودعا داعية توامين يشتبهان في الكلية

فيغفر لك

فيغفر لك الخطا في التمييز بينهما فسبحان من خلق الخلق علي ما اراد وكيف
اراد وفي ذلك اية بينة حيث ولد وا من اب واحد وفرعوا من اصل
قد وقع علي الكثرة التي لا يعلمها الا الله تعالي يختلفون منا ويتوذ ولما
كان هذا في غاية الوضوح لا يخفى بجنس من الخلق دون غيرهم قال
ان في ذلك اي الامر العظيم العالي الرتبة في بيانه وظهوره برهانه لايات
اي دلالات واضحات جدا علي وحدانيته تعالي للعالمين اي لذوي
العقول والعلم ولا يختص بصنف دون صنف من جنسنا ولا انس ولا
غيرهم فهذا هو حكمة قوله تعالي هنا للعالمين وفيما تقدم بقوله تعالي
لقوم يتفكرون وقرا حفص وحده بكسر اللام ولما ذكر تعالي بعض
العرضيات اللازمة وهو الاختلاف ذكر الاعراض المفارقة ومن
جملتها النوم بالليل والحركة في النهار طلبا في الرزق كما قال تعالي ومن
اياته الدالة علي القدرة والعلم منامكم اي نومكم وكانه وزيادة الف
فيه لكم بجيء لانه يستطيعون له دفعا بالليل والنهار قيل وله وابتغاؤكم
من فضله ايد منامكم في الزمانين لاستراحة القوي البدنانية
وقوة القوي الطبيعية وطلب معاشكم فيهما فان كثيرا مما يكسب
الانسان بالليل او منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار فلف وضم
بين الزمانين والفعلين بما طفين وهما الواو اذ شعارا بان
كلا من الزمانين واد اختص باحدهما فهو صالح للاخر عند الحاجة
ويوجد فيه ايات اخر كقوله تعالي وجعلنا الليل لباسا وجعلنا
النهار معاشا وقوله تعالي وجعلنا النهار اية مبصرة ويكون التذكر
هكذا ومن اياته منامكم وابتغاؤكم بالليل والنهار من فضله واخر
الابتغاء وقرنه في اللفظ بالفضل اشارة الي ان العبد ينبغي ان لا
يرى الرزق من كسبه وحذقه بل من فضل ربه ولهذا قرن الابتغا

ع كوذ نهم

ي

بالفضل في كثير من المواضع منها قوله تعالى فاذا قضيتم الصلاة فا
انتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله وقوله تعالى ولتبتغوا من فضله
تنبيه قدم تعالى المنام بالليل على الابتغاء بالنهار في الذكر لان
الاستراحة مطلوبة لذاتها والطلب لا يكون الا لحاجة فلا يبعث الا
محتاج في الحال وحالف من المآل **ان في ذلك** اي الامر العظيم
العالي الرتبة من ايجاد النوم بعد النشاط والنشاط بعد النوم
الذي هو الموت الاصغر وايجاد كل من المارين بعد اعدامهما ولكل
من الابتغاء بعد المفارقة في التحصيل **لايات** عديدة على القدرة
والعلم لاسيما البعث **لقوم يسمعون** اي سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة تنبيه قال هنا
ايات لقوم يسمعون وقال تعالى من قبل لقوم يتفكرون وقال
تعالى للمؤمنين لان المنام بالليل والابتغاء يظن اكثر اهلها والغافل
انهما بما يقتضيه طبع حيوان فلا يظهر لكل احد كونهما من نعم الله
تعالى فلم يقل ايات للعالمين ولان الامرين الاولين وهما
اختلاف الالسنة والالوان قائمان بدوامات تدوم الانسان
فجعلهما ايات عليه وما قوله تعالى لقوم يتفكرون فان من
الاشياء ما يعلم من غير تفكر ومنها ما يكفي فيه مجرد التفكر ومنها
ما يحتاج الى موقف يوقف عليه ومرشد يرشد اليه فيفهمه
اذا سمعه من ذلك المرشد ومنها ما يحتاج بعض الناس في فهمه
الى امثال حسية كالاشكال الهندسية لان خلق الازواج لا
يقع لاحد انه بالطبع الا اذا كان جامد الفكر فاذا تفكر علم
كون ذلك الخلق اتيا واما المنام والابتغاء فقد يقع لكثير انهما من
افعال العباد وقد يحتاج الى مرشد ينفي لذكر فقال لقوم يسمعون

ويعقلون

ويجعلون بالهم من كلام المرشد ولما ذكر تعالى العرضيات اللازمة
للانفس والمفارقة ذكر العرضيات التي للآفاق بقوله تعالى **ومن**
اياته الدالة على عظيم قدرته **يريكم البرق** اي اذا تكمر له على
هيئات وكيفيات طال ما شاهد نحوها تارة تاتي بما يخوف وتارة بما
يسر كما قال تعالى **خوفا** اي للخائفة من الصواعق المحرقة **وطمعا**
اي وللاطماع في المياه المذنبة **وينزل من السماء ماء** اي لا لذي
لا يمكن لاحد غيره دعواه وقرا ابن كثير وابو عمرو بسكون النون
وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي **فيحيي به**
اي بذلك المائع الذاكر الارض للاحياء بغيره **الارض** اي
بالنبات الذي هو لها كالروح لجسد الانسان **بعد موتها** اي
يبسها **ان في ذلك** اي الامر العظيم العالي القدر **لايات** لاسيما على
القدرة على البعث **لقوم يعقلون** اي يتدبرون فيستعملون
عقولهم في استنباط اسبابها وكيفية تكونها ليظهر لهم كمال قدرة
الصانع بتنبيه كما قدم السماء على الارض قدم ما هو من السما
وهو البرق والمطر على ما هو من الارض وهو النبات والاحيا
وكما ان في انزال المطر وانبات الشجر منافع كذلك في تقديم
الرعد والبرق على المطر منفعة وهي ان البرق اذا لاح فالغيث
لا يكون تحت كن يخاف الابتلال فيستعد له والذي لم يرتج
او موضع يحتاج الى المأوى يسوي مجاري الماء وانهيا اهل
البوادي لا يعلمون ان البلاد المعشبة ان لم يكونوا قد راوا البرق
اللائحة من جانب دون جانب واعلم ان دلائل البروق وفوائده
وان لم تظهر للمقيمين في البلاد ففي ظاهرة للبادين فلهذا قدم
تقديم تنزيل الماء من السماء نعمة واية فان قيل ما الحكمة في

قوله تعالى ايات لقوم يعقلون وفيما تقدم لقوم يتفكرون اجيب بانه
لما كان حدوث الولد من الوالد امرا عاديا مطردا قليل الاختلاف
كان ميلت الى الاوهام العامية ان ذلك بالطبيعة لان المطرد
اقوى الى الطبيعة من المختلف والبرق والمطر ليس امرا مطردا غير
مختلف بل يختلف انه يقع ببلدة دون بلدة وفي وقت دون وقت
وتارة يكون قوي وتارة يكون ضعيفا فمن اظهر في العقل دلالة على
الفاعل المختار فقال هو اية لمن له عقل وان لم يتفكر تفكرا
تاما ثم ذكر تعالى من لوازم السما والارض قياسهما بقوله تعالى
ومن اياته اي علي تمام القدرة وكمال الحكمة ان تقوم السما والارض
بامره قال ابن مسعود قيامها علي غير عمد بامره اي بارادته فان
الارض لثقلها يتعجب الانسان من وقوفها وعدم نزولها وكون
السمآء علوها يتعجب من علوها وثباتها من غير عمد وهذا من
اللوازم فان الارض لا تخرج عن مكانها الذي هي فيه وانما افرد
السما والارض لان السما الاولى او الارض الاولى لا تقبل النزاع
لانها مشاهدة مع صلاحية اللفظ بالكل لان جنس تنبيه ذكر
تعالى من كل باب امرين اما من الانفس فقوله تعالى خلقكم وخلق
لكم واستدل بخلق الزوجين ومن الافاق السما والارض فقال
تعالى خلق السموات والارض ومن لوازم اللسان واختلاف
الالوان ومن عوارض الافاق البرق والامطار ومن لوازمهما
قيام السما والارض لان الواحد يكفي للاعتبار بالحق والثاني
يفيد الاستقراء فهو ومن هذا اعتبر شهادة شهادتين فان قول
احدهما يفيد الظن وقول الاخر يفيد تاكيده ولهذا قال ابراهيم
عليه السلام بلى ولكن ليطمئن قلبي فان قيل ما الفايدة في قوله

تعالى

تعالى هنا ومن اياته ان تقوم وقال تعالى قبله ومن اياته يريكم ولم يقل
ان يريكم ليعبر كالمصدر بان اجيب بان القيام لما كان غير معتبر اخرج
الفعل بان عن الفعل المستقبل ولم يذكر معه احرف المصدرية فان
قيل ما الحكمة انه ذكرت دلايل وذكر في اربع منها ان في ذلك لايات
ولم يذكر في الاول وهو قوله تعالى ومن اياته ان خلقكم من تراب
ولا في الاخر وهو قوله تعالى ومن اياته ان تقوم السما والارض اجيب
باما الاول فلان قوله بعده ومن اياته ان خلق لكم ايضا دليل
الانفس فخلق الانفس وخلق الازواج من باب واحد على ما تقدم
من الله تعالى ذكر من كل باب امرين التقرير والتوكيد فلما قال في
الثانية ان في ذلك لايات كان عايدا اليهما واما في قيام السما
والارض فلانه ذكر في الايات السماوية انها ايات للعالمين ولعقوم
يعقلون وذلك لظهورها فلما كان في اول الامر ظاهرا في اخر
الامر بعد سرد الادلة يكون اظهر فلم يخص احدا في ذلك عن الاخر
ثم انه تعالى لما ذكر الدليل على القدرة والتوحيد ذكر مدلوله وهو
قدرته على الاعادة بقوله تعالى ثم اذا دعاكم واشار الى هوان
ذلك القول عنده بقوله تعالى دعوة اي واحدة من الارض بان
ينفخ اسرافيل في الصور للبعث من القبور فيقول ايها الموتى اخرجوا
اذا انتم تخرجون اي منها احيا بعد اصحملا لكم بالموت والبلا ولا يبقى
نسمة من الاولين والاخرين الا قامت تنظر كما قال تعالى ثم ينفخ فيه
اخرى فاذا هم قيام ينظرون فان قيل بم يتعلق من الارض ابالفعل
ام بالمصدر اجيب بهما اذ اجاز من الله وهو الفعل بطل ثم فعل
وهو المصدر وثم اما التراخي زمانه او لعظم ما فيه فان قيل
ما الفرق بين اذا واذا اجيب بان الاولى لكشرط والثانية للمفاجاة

وهي تتوب مناب الفاء في جواب الشرط ولذلك ثابتة مناب الفاء في جواب
الاولي تنبيه قال ههنا اذا انتم تخرجون وقال تعالي في خلق الانسان
اولا ثم اذا انتم بشر تنتشرون لان ههنا كيكون خلق وتقدير وتدريج
حتي يصير التراب قابلا للحياة فينفخ فيه روحه فاذا هو بشر واما في
الاعادة فلا يكون تدريج وتراخ بل يكون فاذا خروجه فلهم يقل ها هنا
ثم ولما ذكر تعالي الايات التي تدل علي القدرة علي المحسوس الذي
هو الاصل الاخر والوحدانية التي هي الاصل الاول اشار اليهما بقوله
تعالي **وله من في السموات والارض** ملكا وخلقا **كل له قانتون**
قال ابن عباس كل له مطيعون له في الحياة والفناء والموت والبعث وان
عصوا في العبادة وقال الكلبي هذا خاص بمن كان منهم مطيعا
ومفس السموات والارضين له وملكه فكله صفاردون فلا شريك
له اصلا ثم ذكر المدلول الاخر بقوله تعالي **وهو الذي يبدؤا الخلق**
اي علي سبيل التجديد كما تشاهدون واشار اليه بتعظيم الاعادة بادا
التراخي فقال **ثم يعيده** اي بعد الموت للبعث وفي قوله تعالي **وهو**
اهون عليه قولان احدهما انما للتفضيل علي بابها وعلي هذا يقال
كيف يتصور التفضيل والاعادة والبداءة بالنسبة الي الله تعالي
علي حد سواء وفي ذلك اجوبة احدها ان ذلك بالنسبة الي اعتقاد
البشر باعتبار المشاهدة من ان اعادة الشيء اهون من اختراعه
لاحتياج الابتدا الي اعمال فكر غالبا وان كان هذا منتفيا عن
الباري تعالي فخوطبوا بحسب ما الفوه ثانيها ان الضمير في عليه
ليس عايدا علي الله تعالي انما يعود علي الخلق اي والعود اهون
علي الخلق اي اسرع لان البداة فيها تتدرج من طور الي طور
الي ان صار انسانا والاعادة لا تحتاج الي هذه التدريجات فكانه

قيل

قيل وهو اقرب عليه وايسر واقل انتقالا والمعني يقولون بهيمة
واحدة فيكون اهون عليهم بمعني من ان يكونوا اطفالا ثم مضغا ثم علقا
الي ان يصير رجالا ونساء وفي رواية الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس
قالها ان الضمير في عليه يعود علي المخلوق بمعني والاعادة علي
المخلوق اي اعادته شيا بعد ما انشاه هذا في عرف المخلوقين
فكيف ينكرون ذلك في جانب الله تعالي والثاني ان اهون
ليس للتفضيل بل هي صفة بمعني هين كقولهم الله اكبر اي الكبير وفي
رواية العوفي عن ابن عباس وتذكير الفعل بمعني الفاعل كقول
الفرزدق انا الذي سمك السما بنا لنا بيتا دعائمه اعز واطول
اي عزيزة طويلة وعود الضمير علي الباري تعالي اولي لموافق الضمير
في قوله تعالي **وله المثل** اي الوصف العجيب الشاذ كالقدرة
العامة والحكمة الشاملة قال ابن عباس هو انه ليس كمثله شيء وقال
قتادة هو انه لا اله الا الله قال البيضاوي ومن فسره بلا اله الا الله
اراد به الوصف بالوحدانية **الاعلى** اي الذي ليس لغيره ما يساويه
او يدانيه ولما كان الخلق لقصورهم معتقدين بما لهم بنوع مشاهدة قال
في السموات والارض اللتين خلقهما ولم يستعصيا عليه فكيف
يستعصي عليه شيء فيهما **وهو** اي وحده **العزيز** اي الذي اذا اراد شيا
كان له في غاية الانقياد كائنا ما كان **الحكيم** اي الذي اذا اراد شيا
اتقنه فلم يقدر غيره الي التوصل الي بعض شيء منه ولا تتم حكمة
هذا الكون علي هذه الصورة الا بالبعث بل هو الحكمة الاعظم
لتصل كل ذي حق الي حقه باقصي التحرير والمبادات من هذا الله تعالي
المنزه بالملك بسجود العلم وتمام القدرة وكمال الحكمة اتصل بتبين
اشاله واحكام مقاله وفعاله قوله تعالي **ضرب** اي جعل **لكم** بحكمته

ايها المركون في امر الاصنام وبيان الباطل من يشركهما وفساد قوله باجلى
ما يكون من التقرير مثلا ابتدا من انفسكم التي هي اقرب الاشيا اليكم
ثم بين المثل بقوله تعالى هل لكم اي يا من عبد وامع الله غيره مما اي من
بعض ما ملكت ايمانكم اي من العبيد والاماء الذين هم بشر مثلكم وهم
في الدني الذي هو المراد بالاستفهام بزيادة الجار بقوله تعالى من شركا
اي في حالة من الحالات ليسوغ لكم بذلك ان تجعلوا لله شركا فيما رزقناكم
من الاموال وغير ها مع ضعف ملككم فيه فانتم في معظوعة عن ما
فانتم اي معاشر الاحرار والعبيد فيه اي الشي الذي وقعت فيه الشركة
سوا فيكون انتم وهم شركا يقرر فون فيه كتقرر فكم مع انهم بشر مثلكم فان
قيل اي فرق بين من الاولى والثانية اجيب والثالثة في قوله تعالى
من انفسكم اجيب بان الاولى للابتدا كانه قال اتخذ مثلا وانتزعه من
اقرب شي منكم وهي انفسكم ولم يبعد والثانية للتبعيض والثالثة
من زيدة لتاكيد الاستفهام التجاري مجرى النفي ثم بين المساواة بقوله تعالى
تخافونهم اي معاشر السادة في التصرف في ذلك الشي المشترك كخيفتكم
انفسكم اي كما تخافون بعض من تشاركونه ممن سيا وكلم في اكرية والغلة
ان تتصرفوا في الامر المشترك بشي لا يرضيه وبدون اذنه وظهر ان حالكم
في عبيدكم مثل له فيما اشركتموهم به موضح لبطلانه فاذا لم ترضوا هذا
لانفسكم وهواه تستوي عبيدكم معكم في الملك فكيف ترضونه لخالقكم
في هذه الشركا التي زعمتموها فتسوونها به وهي من اضعف خلقه افلا
تستحيون كذلك اي مثل هذا التفصيل العالي نفصل الايات اي نبينها فان
التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لقوم يعقلون اي تيد برون هذه
الدلايل بعقولهم والامر لا يخفى بعد ذلك الا على من لا يكون له عقل
بل اتبع الذين ظلموا اي اشركوا افهم وضعوا الشي في غير موضعه فضل

الماشي

الماشي في الظلام اهوايهم وهو ما تميل اليه نفوسهم بغير علم اي جاهلين
لا يكفهم شي فان العالم اذا اتبع هوى احد بمارده علمه ثم بين تعالى ان
ذلك بارادته بقوله تعالى فمن يهدي من اضل الله الذي لم الامر كله
اي لا يقدر احد على هدايته وما لهم من ناصرين اي مانعين يمنعونهم من
عذاب الله لا من الاصنام ولا من غيرها ولما تحررت الادلة وانتصبت
الاعلام اقبل تعالى على خلاصة خلقه اعني انابانة للفهم ذلك فقال
فيه غيره بقوله تعالى فاقم وجهك اي قصدك كله للدين اي اخلص
دينك لله قال ابو سعيد بن جبير وقال غيره سدد عملك والوجه ما يتوجه
اليه وقيل اقبل لكلك على الدين عبر بالوجه عن الذات كقوله تعالى
كل شي هالك الا وجهه اي ذاته بصفاته وقوله تعالى حنيفا حال من
فاعل اقم او مفعوله او من الدين ومعنى حنيفا اي مايلا اليه مستقيما
عليه ومعرضا عن كل شي لا يكون في قلبك شي آخر وهذا قريب من معنى
قوله تعالى ولا تكونن من المشركين وقوله تعالى فطرت الله اي
خلقته منصوب على الاغرا او المصدر دل عليه ما بعدها وهي بنا
بجر وقف عليها ابن كثير وابو عمرو والكسائي بخلفهما والباقون
بالتا وكد ذلك بقوله تعالى التي فطر الناس قال ابن عباس خلق الناس
عليها وهو دينه وهو التوحيد قال صلى الله عليه وسلم ما من
مولود الا وهو يولد على الفطرة وانما ابواه يهودانه وينصرانه او
يمجسانه فقوله على الفطرة يعني على العهد الذي اخذه عليهم
بقوله الست بربكم قالوا بلى وكل مولود في العالم على ذلك الاقرار
وهي الحنيفية التي وقعت المخلقة عليها وان عبد غيره قال الله
تعالى ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ولكن لا عبرة بالايمان النظري

في احكام الدنيا وانما يعتبر الاباء الشرعي المامور به وهذا قول ابن عباس
وجماعة من المفسرين وقيل الاية مخصوصة بالمومنين وهم الذين فطرهم
الله تعالى على الاسلام روي عن عبد الله بن المبارك قال معنى الحديث
ان كل مولود يولد على فطرة اي على خلقته التي جبل عليها في علم الله
تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهما صائر في العاقبة الى ما فطر
عليها وعامل في الدنيا بالعمل المشاكل لها فمن علامات الشقاوة ان يولد
بين يهوديين او نصرانيين فيحملانه لشقاوته على اعتقاد دينهما وقيل
معنى الحديث ان كل مولود يولد في مبدا الفطرة على الخلقة اي
الجبلة السليمة والطبع المتهيي لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر
على لزومها لان الدين موجود حسنه في العقول وانما يعدل عنه من
يعدل الى غيره لافة من التشويه والتقليد فمن يسلم من تلك الافات
لم يعتقد غيره ذكر هذه المعاني ابو سليمان الخطابي في كتابه وكانت
سلامة الفطرة امرا مستمرا قال تعالى لا تبديل لخلق الله اي لملك
الاعلى الذي لا كفو له فلا يقدر احد ان يغيره فمن حمل الفطرة على
الدين قال معناه لا تبديل لدين الله فهو خبر بمعنى النهي اي لا تبدلوا
دين الله قاله مجاهد وابراهيم والمعنى الزموا فطرة الله اي دين الله
واثبتوا ولا تبدلوا التوحيد بالشرك ومن حملها على الخلقة قال
معناه لا تبديل لخلق الله اي ما جبل عليه الانسان من السعادة
والشقاوة فلا يصير السعيد شقيا ولا الشقي سعيدا وقال عكرمة
معناه تحريم اخصاء البهايم اي في غير المأكول وفي المأكول الكبش اما
المأكول الصغير فانه يجوز ويليق بالخصاء الحرم كل تغيير محرم كالوشم
ذلك اي الشان العظيم الدين القيم اي المستقيم الذي لا عوج فيه
توحيد الله تعالى ولكن اكثر الناس لا يعلمون ان ذلك هو الدين المستقيم

لعدم

لعدم تدبرهم وقوله تعالى منيبين اي راجعين اليه تعالى فيما امر به ونهى
عنه حال من فاعل اقم قال الزمخشري فان قلت لم وحد الخطاب اولا
ثم جمع قلت خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم اولا وخوطب
الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد ذلك
للبيان والتلخيص واتقوه اي خافوه فانكم وان عبد عمرو فلا تامنوا
ان تزيغوا عن سبيله واقيموا الصلاة اي داوموا عليها وعلى اداتها في
اوقاتها ولا تكونوا من المشركين اي لا تكونوا ممن يدخل في عداد هم
بموادة او معاشرة او عمل تتابعونهم فيه فانه من تشبه بقوم فهو منهم
وهو عام في كل شرك سواء كان بعبادة صنم او نار او غير ذلك وقوله
تعالى من الذين بدل من المشركين باعادة الجار فرقوا دينهم اي الذي هو
الفطرة الاولى فعبد كل قوم منهم شيا واتوا دينا غير دين من سواهم
وهو معنى وكانوا شيعا اي فرقا مختلفين كل واحدة منهم تشايع من
دان بدينها على من خالفهم حتى كفر بعضهم بعضا واستباحوا الدماء والاموال
فعلم قطعا انهم كلهم ليسوا على الحق وقرا حمزة والكسائي بالف بعد
الفاء وتخفيف الراء والباقون بغير الف وتشديد الراء فعلى القراءة
الاولى فارقوا اي تركوا دينهم الذي امروا به ولما كان هذا امرا يتعجب
من وقوعه زاده عجبا بقوله تعالى استيناقا كل حزب اي منهم بما
لديهم اي عندهم فرحون اي مسرورون ظنا انهم صادفوا الحق
وفارقوا الباطل دون غيرهم وما بين تعالى التوحيد بالدليل وبالمثل
بين ان لهم حالة يعترفون بما وان كانوا ينكرون بما في وقت وهي
حالة الشدة بقوله تعالى واذا مس الناس ضر اي قحط وشدة
دعوا ربهم اي الذي لم يشركه في الاحسان اليهم احد منيبين اي
راجعين من جميع ضلالاتهم اليه دون غيره عالما منهم بانهم لا فرج لهم

عنده مني عيبهم قال الرازي في اللوامع في اواخر العنكبوت وهذا دليل على
ان معرفة الرب في فطرة كل انسان وانهم ان عقلوا في السراء فلا شك
انهم يلوذون اليه في حال الضراء ثم اذا اذاقهم منه رحمة اي خلاصا
من ذلك الضر اذا فريق منهم بربهم اي المحسن اليهم دايما المجد لهم هذا
الاحسان من هذا الضر يشركون اي فاجا فريق منهم الاشراك بربهم
الذي عافاهم فاذا للمجازاة ووقعت جواب الشرط لانها كالعاطفة في انها
للتعقيب ولا تقع اوله كلام وقد تجامعها الفاء الداخلة فان قيل ما
الحكمة في قوله ههنا اذا فريق منهم وقال في العنكبوت فلما نجاهم الى البر
اذا هم يشركون ولم يقل فريق اجيب بان المذكور هناك غير معين
وهو ما يكون من هول البحر والمتخلص منها للنسبة الى الخلق
قليل والذي لا يشرك منهم بعد الخلاص فرقة منهم فهم في غاية
القلة فلم يجعل المشركين فريقا لقلة من خرج من الشرك واما
المذكور ههنا الضر مطلقا فتناول ضرر البحر والامراض والاهوال
والمتخلص من انواع الضر خلق كثير بل جميع الناس يكونون قد
وقعوا في ضر ما فتخلصوا منه والذي لا يبقى بعد الخلاص مشركا
من جميع الانواع اذ منهم فريق خلق عظيم وهو جميع المسلمين فانهم
تخلصوا من ضر ولم يبقوا مشركين واما المشركون فلم يتخلصوا من ضر
البحر باجمعهم فلما كان الناجي من الضر اكثر من هلك ذكر اسم الباقي
فريقا وقوله تعالى ليكفروا بما اتيناهم يجوز ان تكون اللام
لام الامر كقولك تمتعوا ثم تموتون ويجوز ان تكون لام الامر ومعناه التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم ف
ثم خاطب بعد ذلك الذين فعلوا خطاب تهديد بقوله تعالى فسوف
تعلمون عاقبة تمتعكم في الاخرة وفي هذه التفات من الغيبة الى
انزلنا عليهم سلطانا اي دليلا واضحا قاهرا او ذا سلطان اي

ملك

ملك معه برهان فقوله تعالى فهو يتكلم على الاول كلام مجازي وعلى
الثاني كلام حقيقي وعلى كلا الحالين هو جواب الاستفهام الذي
تضمنته ام المنقطعة بما اي بحجة حاكانوا به يشركون اي فيما سموهم
بالاشراك بحيث لا يجدون ولا ابدا من متابعته لتزول عنهم الملامة وهذا
الاستفهام بمعنى الانكار اي ما انزلنا بما يقولون سلطانا قال ابن
عباس حجة وعذرا وقال قتادة كتابا يتكلم بما كانوا به يشركون ان
البينة لشركهم وما بين تعالى حال المشرك الظاهر شركه بين
تعالى حال المشرك الذي دونه وهو من تكون عبادته للدنيا بقوله
تعالى واذا معبرا باداة التحقيق اشارة الى ان الرحمة اكثر من النقمة
واسند الفعل اليه في مقام العظمة اشارة الى سعة جوده فقال
اذا قنا الناس رحمة اي نعمة من خصب وكثرة مطر وغني ونحوه لا
سبب لها الا رحمتنا فرحوا بها اي فرح بطر مطمئنين من زوال ما لهم ناسين
شكر من انعم بها ولا ينبغي ان يكون العبد كذلك فان محل الفرح
بالرحمة ما امر به قال تعالى بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
وههنا ذمهم على الفرح بالرحمة اجيب بانه قال هناك فرحوا بي حمة
الله من حيث انها مضافة الى الله وههنا فرحوا بنفس الرحمة حتى
لو كان المطر من غير الله كما نطق فهم به مثل فرحهم اذا كان من الله
وان تصبهم سيئة اي شدة من جدب وقلة مطر وفقر ونحو ه
بما قدمت ايديهم من السيئات اذا هم يقنطون اي ييأسون من
رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمنين فانهم يشكرون عند النعمة
ويرجونه عند الشدة وقرا ابو عمرو والكسائي يبسط الرزق بعد
الثاني والباقون بالفتح اولم يروا اي يعلموا ان الله يبسط الرزق
لمن يشا امتحانا ويقدر اي يضيق لمن يشا ابتلاء وهذا

سبحانه يسامح الشخص الواحد في اوقات متعاقبة متباعدة ومتقاربة
ومع الاشخاص ولو في الوقت الواحد فلو اعتبر واحال قبضه سبحانه
لم يبسطوا ولو اعتبروا حال بسطه لم يقنطوا بل كانت حالهم الصبر
في البلا والشكر في الرخا والارتداع عن السيئة التي نزل بسببها
القضا ولم تغن عن احدهم في استجلاب الرزق قوته وعزارة
عقله وبدنه فكم من كريم جميله ولا مزع صفقه وقلة عقله بخير
حليلة وكان هلاك المرء عظما ومن عاجم سئة ظهوره وجلا لئم
فخنيا دقيقا قال بعضهم كم عاقل عاقل اعيت مذاهبه • وجاهل
جاهل تلقاه مرزوقا • اشار سبحانه وتعالى الى عظمته بقوله يوكد
لان عملهم في سئة اهتمامهم بالسعي في الدنيا عمل من يظن ان تحصيله
انما هو على قدر الاجتهاد في الاسباب ان في ذلك اي الامر العظيم
من الاقتار في وقت والاغنا في آخر والتوسيع على شخص والتقتير
على آخر والامر من زوال المحاصرين من النعم مع تكرر المشاهدة
للزوال في النفس والغير واليأس من حصولها عند المحبة مع
كثرة وجدان العزم وغير ذلك من اسرار الامة لايات اي
دلالات واضحات على الوحدانية سبحانه وتعالى وتمام العلم وكمال القدرة
والفعل لا فاعل في الحقيقة الا هو لكن لقوم اي ذي فهم وكفاية
للقيام بما يحق لهم ان يتوصلوا به يوقنون اي يوجد وان هذا
الوصف وكيد يكون تجديده كل وقت لما يتواصل عندهم من قيام
الادلة بادامة التامل والامعان والتفكر والاعتماد في الرزق
على من تكال ولقد سيرنا القرآن للذكر فهل من مدكر اي من طالب
علم فيما من عليه فلا يغتر ون بالنعم اذا حصلت خوفا من زوالها
اذا اراد القادر ذلك ولا يغتمون بها اذا زالت رجاء في اقبالها

تفضلا

تفضلا عن الرازق لان افضل العبادة انتظار الفرج بل هم بما علمهم
من وظايف العبادة واجبها ومندوبها معرضون عما سوى ذلك
قد وكلوا امر الرزق الى من تولى امره وفرغ من قسمه وقام بضمانه
وهو القدير العليم ولما اتهم ذلك عدم الاكتراث بالدنيا لان الاكراث
بها لا يزيدها والتهاون بها لا ينقصها قال تعالى مخاطبا لاعظم المتاهلين
لتنفيذ اوامر فات ياخير خلق ذا القربى اي القرابة حقه اي من
البر والصلة لانه احق الناس بالبر صلة للرحم وجودا وكرما له
والمسكين سواكان ذا قرابة ام لا وابن السبيل وهو المسافر كذلك
من الصدقة وامة البتول صلى الله عليه وسلم تبع له في ذلك بتنبيه
علما ذكر بقية الاصناف يدل على ان ذلك في صدقة التطوع ودخل
الفقير من باب اولى فانه اسوا حالا من المسكين فان قيل تعلق
قوله تعالى فات ذا القربى حقه بما قبله حتى جي بالفا اجيب بانه
لما ذكر ان السيئة اصابتهم بما قدمت ايديهم اتبعه ذكر ما يجب ان
يفعل وما يجب ان يترك وقد احتج ابو حنيفة بهذه الاية في وجوب
النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند
الشافعي لا نفقة بالقرابة الا على الولد والوالدين قياس سائر
القرابة على ابن العم لانه لا ولادة بينهم ولما امر بالايتاء هدد عند
فيه بقوله تعالى ذلك اي الايتا العالي الرتبة خير للذين يريدون
وجه الله اي ذاته او جهته وجانبه اي يقصدون بعبر وفهم اياه
فالوجه كقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى اي يقصدون
جهة التقرب الى الله تعالى لا جهة اخرى والعصيان مستقر بانه
ولكن الطريق مختلفة واولئك اي العالوا الرتبة لشانهم عن كل
فان هم المفلحون اي الفايزون الذين له سيثوب فلا يهمهم شيء

واما غيرهم فجانب اما من لم ينفق في اوضح واما من انفق على وجه الرياء فقد
حبس ماله وابقي عليه وباله كما قال تعالى **وما اوتيتم من ربا** اي مال
على وجه الربا المحرم بزيادة في المعاملة او المكروه بعطية يتوقع بها
مزيد مكافاة وكان هذا اول ما حرم على النبي صلى الله عليه وسلم لقوله
تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تعط وتطلب اكثر مما اعطيت تشريعا له
وكره لعامة الناس فسيمي باسم المطلوب من الزيادة في المعاملة
فالربا ربوان فالحرام كل قرض يوخذ فيه اكثر منه او بجر منفعة للمذ
ليس بحرام ان يستدعي بعد تيه او بهبته اكثر منها وقرا ابن كثير
بقصر الهمزة بمعنى ما جيتم به من اعطاء ربا والباقون بعدها **ليربوا**
بزيد ويكثر ذلك **في اموال الناس** اي يحصل فيه زيادة تكون اموال
الناس ظرفا لها فهو كناية عن ان الزيادة التي ياخذها المرابي هي
اموالهم لا يملكها اصلا وقرا نافع بتا الخطاب بعد اللام معنية وسكون
الواو والباقون بالياء التحتية مفتوحة وفتح الواو **فلا يربوا** اي يزكوا
ويميوا فلا بركة فيه **عند الله** اي الملك الاعلا الذي له الغنا المطلق
وصفات الكمال وكل ما لا يربو عند الله فهو ممحوق ولا وجود له فانه
الى فنا واذ كر يمحق الله الربا ويربي الصدقات ما زيادة تنقص
اثمه ما نقصه زيادة يقول له **وما اتيتم** اي اعطيتم **من زكاة** عدقة
وعبر عنها بذلك لتفيد الطهارة والزيادة اي تطهرون بها اموالكم
من الشبه وابدانكم من مواد الخبث واخلاقكم من الغل
والدنس ولما كان الاخلاص عزيزا شار الى عظمته بتكثيره بقوله
تعالى **تريدون** اي بها **وجه الله** اي عظمة الملك الاعلى فيغفرون
من حقه ما يتلافى عندهم كل ما سواه فيجازيهم له **فاولئك هم**
المضعفون اي ذو الاضعاف الذين ضاعفوا اموالهم في الدنيا بسبب

ذلك

ذلك بالحفظ والبركة وفي الاخرة بكثرة الثواب عند الله من عشر امثال
الى ما لا حصر له وتقدم الضعف للقوي والموسى لذي القوة والسيار
ولما وضح بهذا انه لا زيادة الا فيما يريده الله وللمخبر الا فيما يختاره
الله بين تعالى ذلك بطريق لا اوضح منه بقوله تعالى **الله** اي بعظيم
جلاله لا غيره **الذي خلقكم** اي اوجدكم على ما انتم عليه من التقدد
لا تملكون شيا **ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم** اي ممن
اشركتم بالله **من يفعل من ذلكم** مشيرا الى علو رتبته باداة البعد
وخطاب الكل ولما كان الاستفهام الانكاري التوبيخي في معنى النفي
قاله مؤكدا له مستغرقا لكل ما يمكن منه ولو قل جدا **من شي** اي يستحق
هذا الوصف الذي تطلقونه عليه ولما الزمهم قطعا ان يقولوا لا احد
مالهم ولا لاحد منهم فعل شي من ذلك قال تعالى معرضا عنهم منزها
لنفسه الشريفة **سبحانه** اي تنزه تنزها لا يحيط به الوصف عن ان
يكون محتاجا الى شريك **وتعالى** اي علوا لا اقل اليه العقول **عما يشركون**
في ان يفعلوا شيا من ذلك تنبيه يجوز في خبر الجلالة الكريمة وجهان
اظهرهما انه الموصول بعدها والثاني انه الجملة من قوله تعالى هل
من شركائكم والموصول صفة والرابط من ذلك لانه بمعنى من افعاله
ومن الاولى والثانية يفيد شيوع كل في جنس الشركاء والافعال
والثالثة مزيدة لتعميم النفي فكل منها مستقلة بتاكيد لتعجيز الشركا
وقرا حمزة والكسائي بتا الخطاب والباقون بالياء التحتية ولما
بين لهم تعالى من حقارة شركائهم ما كان حقهم به ان يرجعوا فلم
يفعلوا اتبعه ما اصابهم به على غير ما كان في اصلاقهم على قبيح
ما ارتكبوا استطرادا للتوبة بقوله تعالى **ظهر الفساد** اي النقص
في جميع ما ينفع الخلق **في البر** بالمحط والخوف وقلة المطر ونحو ذلك

والبحر بالغرق وقلة الفوايد من الصيد وغيره من كل ما كان يحصل منه وقلة
المطر كما تؤثر في البر تؤثر في البحر فتخلو اجواف الاصداف من اللولو
وذلك لان الصدف اذا حا المطر يرتفع على وجه الماء وينفتح فما
وقع فيه من المطر صار لولوا وقال اذا انقطع المطر عميت دواب
البحر وقيل المراد بالبر البوادي والمفاوز وبالبحر المدائن والقرى
التي على المياه الجارية قال عكرمة العرب تسمي المطر بحرا تقول
اجدب وانقطعت مادة البحر بمعنى سببه بقوله تعالى بما كسبت
ايدي الناس اي بسبب شؤم ذنوبهم ومعاصيهم كقوله تعالى وما
اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم قال ابن عباس الفساد في
البر قتل احد ابني آدم اخاه وفي البحر غصب الملك الجبار السفينة
قال الضحاك كانت الارض حضرة ونقية لا يأتي ابن آدم بشجرة
الا وجد عليها ثمرة وكان ما البحر عذبا وكان لا تقصده الاسد البقر
والغنم فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت الارض وشاكت
الاشجار فصار ما البحر ملحا زعاقا وتقصد الحيوان بعضها بعضا
وقال قتادة هذا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم امتلات
الارض ظلما فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم رجع
راجعون من الناس وقيل اراد بالناس كفار مكة ولما ذكر تعالى
علته الجزائية ذكر علته الجزائية بقوله تعالى ليذيقهم
بعض الذي عملوا كرما وحلما وتعوفا عن كثير اما صلاحا راسا
واما عن المعاجلة به ويوخره الى وقت ما في الدنيا او الاخرة
وقرا قنبل بالنون بعد اللام والباقون بالتحتية ثم علل
الغاية بقوله تعالى لعلهم يرجعون اي عما هم عليه ولما بين تعالى
حالهم بظهور الفساد في احوالهم بسبب فساد اقوالهم بين ضلال

اسالهم

امثالهم واشكالهم الذين كانت افعالهم كافعالهم بقوله تعالى لنبيه صلى
الله عليه وسلم قل اي لهم يا اولا الذين لا همم لهم سوى الدنيا سيروا
في الارض فان سير كم الماضين لكن لم لم تعتبروا عبرة عدم فانظروا نظر
اعتبار كيف كان عاقبة الذين من قبل اي من قبل اياكم لتروا
مناذلهم ومساكنهم خالية فتعلموا ان الله تعالى اذا اتاهم وبال امرهم
واوقعهم في حفار مكرهم كان اكثرهم مشركين اي فلذلك اهلكناهم
ولم تغن عنهم كثرتهم وانجينا المومنين وما خص بهم قلتهم ولما نهى تعالى
الكفار عما هم عليه امر المومنين بما هم عليه وخاطب النبي صلى
الله عليه وسلم ليعلم المومن تفضيلية ما هو مكلف به فانه امر به
اشرف الاشياء بقوله تعالى فاقم وجهك للدين القيم اي المستقيم
وهو دين الاسلام من قبل ان ياتي يوم اي عظيم لا مرد له لا يقدر
احد يرده وقوله تعالى من الله يجوز ان يتعلق بيات اي يجد وفي بدل
عليه المصدر اي لا يرده من الله احد والمراد بيوم القيمة لا يقدر احد
على رده من الله وغيره عاجز عن رده فلا بد من وقوعه يومئذ اي
اذ ياتي يصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة وفريق في السعير ثم
اشار الى التفرقة بقوله تعالى من كفر اي منكم فعليه كفره اي وبال كفره
ومن عمل صالحا اي بالايمان وما يترتب عليه فلانفسهم يمهدون
اي يوطئون منازلهم في القبور وفي الجنة بل وفي الدنيا فان الله
تعالى نشرهم بغير طاعته تنبيه اظهر قوله تعالى صالحا ولم يضمر
ليلا يتوهم عود الضمير على من كفر وسياتي بان اهل الجنة كثير وان
كانوا قليلا لان الله تعالى هو مولاهم فهو يزكيهم وافرد الشرط
وجمع الجزا في قوله تعالى فلانفسهم اشارة الى ان الرحمة اعم من
الغضب فتشمله واهله وذريته وفيه ترغيب في العمل عن غير

نظر الي مساعد وبانه ينفع نفسه وغيره لان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد
بعضه بعضا واقل ما ينفع والديه ويسعى في ذلك العمل وقوله تعالى
ليجزيه اي الله سبحانه وتعالى الذي انزل هذه السورة لبيان ان ينصر
اولياءه لاحسانهم لا لنفع المحسنين ولذلك اقتصر هنا علي ذكرهم
بقوله تعالى **الذين امنوا وعملوا** اي تصديقا لايمانهم **الصالحات من**
فضله علة ليجزيهم اولي يعود والاقتصار علي جزاء الموصوفين
للاشعار بانه المقصود للذات والاكتفاء علي بحر ي قوله تعالى
انه لايحب الكافرين فان فيه اثباتا للبغض لهم فيعذبهم واجنة للمؤمنين
فيثيبهم وتاكيد اختصاص الصلاح المفهوم من تركيب لهم يعني بهم الي
التفريح بهم بتقليده به وقوله تعالى من فضله دال علي ان الاثابة بفضل
محض ولما ذكر تعالي ظهور الفساد والهلاك بين الشرك ذكر ظهور
الصلاح ولم يذكر انه بسبب العمل الصالح لان الكريم لا يذكر
لاحسانه عوضا ويذكر لاضراره سببا لئلا يتوهم به الظلم قال
تعالي **ومن اياته** اي دلالته الواضحة **ان يرسل الرياح مبشرات**
اي بالمطر كما قال تعالى نشرا بين يدي رحمته اي قبل المطر وقيل
مبشرات باصلاح الاهوية والاحوال فان الرياح لولم تهب لظهر
الربا والفساد وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي الريح بالافراد
علي ارادة الجنس والباقون بالجمع وهي الجنوب والشمال والصبا
لانها رياح الرحمة واما الدبور فمنوا العذاب وعنه عليه الصلاة
والسلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقوله تعالى **وليذيقكم**
اي بها **من رحمته** اي نعمته من المياه العذبة والاشجار الرطبة
وصحة الابدان وما يتبع ذلك من امور تجبى الاجلها فانها معطوفة
علي مبشرات علي المعني كانه قيل ليبشركم وليذيقكم او علي

علة

علة محذوفة دل عليها مبشرات او علي يرسل باضمار فعل معلل دل
عليه اي وليذيقكم ارسلها **ولتجري الفلك** اي السفن في جميع
البحار وما تجري مجراها عند هبوبها وانما زاد **بامره** لان الريح
قد تهب ولا تكون موافقة فلا بد من ارسال السفن والاحتيال
لتحسبها ربما عصفت واعز فقتها **ولتبتغوا** اي تطلبوا **من فضله**
من رزقه بالتجارة في البحر **ولعلكم** اي ولتكونوا اذا فعل بكم ذلك
علي رجاء من الكرم **تشكرون** اي انعم عليكم من نعمه ودفع عنكم نقمه
قال تعالي في ظهور الفساد ليذيقهم بعض الذي عملوا وقال ههنا
بعض الذي عملوا فاضاف ما اصابهم الي انفسهم واضاف ما اصاب
المؤمن الي رحمته فقال تعالي من رحمته لان الكريم لا يذكر لرحمته
واحسانه عوضا فلا يقول اعطيتك لانك فعلت كذا بل يقول هذا
لك مني واما ما فعلت من الحسنة فمني اوه وبعد عندي والفيا
فلو قال ارسلت بسبب فعلكم لا يكون سبالة عظيمة واما اذا
قال من رحمته كان غاية السبالة والفيا فلو قال بما فعلتم
لكان ذلك موهما لنقصان ثوابهم في الاخرة واما في حق الكفار
فاذا قال بما فعلتم انبا عن نقصان عقابهم وهو كذلك وقال
هناك لعلهم يرجعون وقال ههنا ولعلكم تشكرون قالوا
واشارة الي توفيتهم للشكر في النعم وعطف علي النعم قوله
تعالي **ولقد ارسلنا** اي بما لنا من القوة وقال تعالى **من قبلك رسلا**
تنبيها علي انه خاتم النبيين بتخصيص ارسال غيره بما قبل
زمانه وقال **الي قومهم** اعلاما بان امر الرسل اذا جاء لا ينبغي فيه
تريث ولا بعيد **فجاءوهم بالبينات** فانقسم قومهم الي مسلمين
ومجرمين **فانتقمنا** اي فكانت عاداة المسلمين للمجرمين هنا

سبيا لانا انتقمنا بما لنا من العظمة **من الذين اجرموا** اي اهلكنا الذين
كذبوبم لاجرامهم وهو قطع ما امرنا هم بوصله ولما كان محط الفائدة
الزاجرة سبحانه لنفسه مما تفضل به قدمه تجميلا للسرور وتطييبا
للنفوس فقال تعالى **وكان** اي علي سبيل الثبات والدوام **حقا**
علينا اي ما اوجبناه بوعدنا الذي لاخلف فيه **نصر المؤمنين**
اي العريقين في ذلك الوصف في الدنيا والاخرة ولم يزل هذا
دابنا في كل ملة علي مدا الدهر فليعتمد هو لا عمثل هذا اوله
وليباحثه واذلك لهبته لنظرائه من القلوب ولعل بعضهم روي
الترمذي عن رسول الله صلي الله عليه وسلم انه قال لي من امن
مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا علي الله ان يرد عنه نار
جهنم يوم القيمة ثم تلي قوله تعالي وكان حقا علينا نصر المؤمنين
قال البقاعي فالا يتمن الاحتباك اي وهو ان يوفي ركلا من
حذف من كل منهما سي يكون نظيرها بحيث يدل ما اثبت في كل
علي ما حذف من الاخر فحذف اولا الاهلاك الذي هو اثر
الحذف لان دلالة النصر عليه وثانيا الانتقام لدلالة الانتقام
عليه ثم نبه تعالي علي كمال قدرته وهو الناصر للمبين بقوله
تعالي **الله** اي وحده **الذي يرسل** مرة بعد اخري **الرياح** مختلفة
هابجة بعد ان كانت ساكنة **فتثير سحابا** اي تزعجه وتنشره **فيبسطه**
بعد اجتماعه **في السماء** اي جهة العلو **كيف يشاء** في اي ناحية شاء
قليلا تارة كسي ساعة وكثيرا اخري تكسير ايام علي حسب
ارادته واختياره لا مدخل فيه لطبيعة ولا غيرها **ويجعله**
اذا اراد كسفا اي قطعا غير متصل بعضها ببعض اتصالا
يمنع نزول الماء وقرا ابن عامر بسكون السين بخلاف عن
هشام

هشام والباقون بفتحها **فتري** بسبب ارسال الله له او بسبب جعله ذا هيئة
وشكل فيا من فيه اهل الروية او يا اشرف خلقا الذي لا يعرف هذا
حق معرفته سواه **الودق** اي المطر **يخرج من خلاله** اي السحاب الذي هو
اسم جنس في حالتي الاتصال والانفصال **فاذا اصاب** اي الله به اي
بالودق **من** اي ارض من **يشاء** دله علي ان ذلك بقضائه لا يجب عليه
لاحد شي اصلا بقوله تعالى **من عباده** اي الذين لم تزل عبادته واجبة
عليهم جديرون بملازمة شكره والخضوع لامره **اذا هم يستبشرون**
اي يظهر عليهم البشر وهو السرور الذي تشرق به البشرة حال الانفتاح
لظهور ابالغا عظيما بما يرجونه مما يحدث عنه من الاثر النافع من الخصب
والرطوبة والليمن ثم بين تعالي عجزهم بقوله تعالي **وان** اي والحال انهم
كانوا في الزمن الماضي **من قبل ان ينزل عليهم** اي المطر وقرا ابو عمرو
وابن كثير بسكون النون وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون وتشديد
الزاي وقوله تعالى **من قبله** من باب التكرير والتاكيد كقوله تعالي فكان
عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها ومعني التوكيد فيه الدلالة علي ان
عهدهم بالمطر قد تطاول بعده فاستحكي باسهم وقوله تعالى **لمبلسين**
اشارة الي انه تمادي ابلاسهم فكان الاستبشار علي قدر اهتمامهم
بذلك وقيل الاولي ترجع الي المطر والثانية الي انشاء السحاب فلا
تاكيد **فانظر الي اثر رحمت الله** والرحمة هي الغيث واثرها النبات وقرا
ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي وانف بعد النون المسلمة والباقون
بغير الف ورسمت رحمت هنه مجرورة في قف ابن كثير وابو عمرو وهو لكل
بالهاء والباقون بالتاء **كيف** اي الله **الارض** باخراج النبات **بعد موتها**
اي يبسها **ان ذلك** اي الامر العظيم الشان الذي قدر علي احيا الارض
لمحيي الموتي كلها من الحيوانات والنباتات اي ما زال قادرا علي ذلك

كما قال تعالى وهو على كل شيء من ذلك وعيني قدير لان نسبة القدرة منه سبحانه وتعالى الى كل ممكن على حد سواء ولما بين انهم عند توفف الخبر يكونون آيسين وعند ظهوره يكونون مستبشرين بين تلك الحالة الهيا لابد وان يدل عليها بقوله تعالى ولئن ارسلنا اي بعد وجود هذا الاثر الحسن ريحا عقيما فراوه اي الاثر لان الرؤية تعلقت بالعين واثرها هو النبات او الزرع لدلالة السياق عليه مصفرا قد اسود واخذ في التلف من سنة يبس الزرع اما بالحر او البرد وقيل راوا السحاب لانه اذا كان مصفرا لم يمطر ويجوز ان يكون الضمير للمزرع من التعبير بالسبب عن المسبب تنبيه اللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وقوله تعالى لظلوا اي لصاروا من بعده اي اصفراره يكفرون اي بما سلف من روح الله جواب قسم سد مسد الجزاء وكذلك فسر بالاستقبال تنبيه سمي النافعة ريحا والضارة ريحا لوجوه احدها ان النافعة كثيرة الانواع كثيرة الافراد جمعها لان في كل يوم وليلة تهب نفحات من الرياح النافعة ولا تهب الريح الضارة في اعوام بل الضارة لا تهب في الدهور ثانيها ان النافعة لا تكون الا رياحا واما الضارة فتارة واحدة تقتل كريح السموم ثالثها جاء في الحديث ان ريحا هبت فقال عليه الصلاة والسلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا اشارة الى قوله تعالى فارسلنا عليهم الريح العقيم وقوله تعالى ريحا صرصرا تنزع الناس ولما علم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وجوه الادلة ووعد واوعد ولم يزدهم دعاؤه الا فرارا وكفرا وازدادوا قال تعالى فانك لا تسمع الموتى اي ليس في قدرتك اسماع الذين لا حياة لهم فلا نظر ولا اسماع او موتى القلوب اسماعا ينفعهم لانه مما اختص به تعالى وهؤلاء منهم مثل الاموات لان الله تعالى قد ختم على

على مشاعرهم ولا تسمع اي الذين لا سماع لهم الصم الدعاء اذا دعوتهم ولما كان الاصم قد يحس بدعائك اذا كان مقبلا بحاسة بصره قال تعالى اذا ولوا وذكر الفعل ولم يقل ولت اشارة الى قوة التولي ليدلا على انه اطلق على المجانبة مثلا ولهذا قال تعالى مدبرين وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وتسهيل الهمزة الثانية بين الوصل والباقون بالتحقيق ولذا قالون وقنبل وحمزة وهشام على الدعاء ابدال الهمزة الفا مع المد والتوسط والقصر وما انت بهادي العمي اي بموجد لهم هدايته عن ضلالتهم اذا ضلوا عن الطريق وقرا حمزة تبا الخطاب مفتوحة وسكون الفاء والعمي بنصب الياء والباقون بالياء المرفوعة وكسر الهاء والعمي بالخفض تنبيه قد جعل الله تعالى الكافر تجهله الصفات وهو انه شبهه اولا بالميت وارشاد الميت محال ابعد من الممكن ثم بالاصم وارشاد الاصم صعب فانه لا يسمع الكلام وانما يفهم بالاشارة والافهام بالاشارة صعب ثم بالاعمى وارشاد الاعمى ايضا صعب فانك اذا قلت لمعتلا الطريق عن يمينك بئر وبالقرب منه لكنه لا يبقى عليه بل يمشي عن قريب فارشاد الاصم اصعب ولهذا تكون المعاشرة مع الاعمى اسهل من المعاشرة مع الاصم الذي لا يسمع لان غاية الافهام وليس كل ما يفهم بالكلام يفهم بالاشارة فان المعدوم والغايب لا اشارة اليه فبدا اولا بالميت لانه اعلى ثم بالاصم الذي دونه وهو الاصم وقيده بقوله تعالى اذا ولوا مدبرين ليكون ادخل في الاستماع لان الاصم اذا كان مقبلا بحاسة بصره فانما يفهم بالاشارة فاذا ولى لا يكون نظره الى المشير فامتنع افهامه بالاشارة ايضا ثم بالاعمى الذي دونه وهو الاعمى لما مر قال تعالى ان ما تسمع اي سماع افهام وقبول الا من يؤمن بآياتنا اي القرآن

فاثبت للمومن اسماع الايات فلزم ان يكون حيا سميعا بصيرا لان المومن
ينظر في البراهين ويسمع زواجر الوعظ تظهر منه الافعال الحسنة ويفعل
ما يجب عليه فهم مسلمون اي مطيعون كما قال تعالى عنهم قالوا اسمعنا
واطعنا ولما اعاد تعالى دليل الافاق بقوله تعالى الله الذي يرسل
الرياح اعاد دليل الانفس وهو خلق الادمي وذكر احواله
بقوله تعالى الله اي الجامع لصفات الكمال الذي خلقكم من ضعف
اي ماء ضعيف لقوله تعالى الم نخلقكم من ماء مهين ثم جعل من بعد
ضعف احر وهو ضعف الطفولية قوة اي قوة الشباب ثم جعل من
بعد قوة ضعفا اي ضعف الكبر وشيبة اي شيب المهرم وهي بياض
في الشعر يحصل اوله في الغالب في السنة الثالثة والاربعين
وهو اوله سن الاكتهال والاحذاق النقص بالفعل بعد الخمسين
الي ان يزيد النقص في الثالثة والستين وهو اول سن الشيوخ
ويقوى الضعف الي ماشاء الله تعالى وتراعاهم وخرقة نخلة وعن
حفص بفتح العاد في الثلاثة وهو لغة تميم والباقون بالضم وهو
الفصيح وبما كانت هذه هي العادة الغالبة وكان الناس
مستقاد ويتين بها وكان من الناس من يطعن في السن وهو قوي
واقع ذكر كلما انه لابد ان يكون التصرف بالاختيار مع شمول
العلم وتمام القدرة قال تعالى يخلق ما يشاء اي من هذا وغيره وهو
العليم بتدبير خلقه القدير على ما يشاء فان قيل ما الحكمة في قوله
تعالى هنا وهو العليم القدير وقوله تعالى من قبل وهو العزيز
الحكيم والعزة اشارة الي كمال القدرة والحكمة اشارة الي كمال العلم
فقدم القدرة هناك على العلم اجيب بان المذكور هناك الاعادة
بقوله تعالى وهو اهون عليه وله المثل الاعلى في السموات والارض

وهو

ويوم العزيز الحكيم لان الاعادة بقوله تعالى كن فيكون فالقدرة هناك
اظهر وههنا المذكور الابدء وهو اطوى لاحوال العالم والعلم بكل احوال
العالم ههنا اظهر ثم ان قوله تعالى وهو العليم القدير فيه تنبيه والله اعلم
انه اذا كان عالما باحوال الخلق يكون عالما باحوال المكلفين فان عملوا جزاهم
على ما عملوا وان عملوا سرا علمه ثم ان كان قادرا وعلم الجزاء ثاب واذا علم
السر عاقب ولما كان العلم باحوال المقبل الاثابة والعقاب قال تعالى
وهو العزيز الحكيم ولما ثبت قدرته على البعث وعلمه عطف عليه قوله
اذا السعولة ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ويوم تقوم
الساعة اي القيمة سميت بذلك لانها تقوم في اثر ساعة من ساعات
الدنيا او لانها تقع بغتة او اعلاما بتيسير الله تعالى وصارت
علما بالغلبة عليها كالكوكب للزهرة يقسم اي يحلف المجرمون اي الكافر
وقوله تعالى ما لبثوا جواب قوله تعالى يقسم وهو على المعنى اذ لو حكى قولهم
بعينه لقيل ما لبثنا اي في الدنيا غير ساعة استقلوا اجل الدنيا
لما عاينوا الاخرة وقال مقاتل والكلبي ما لبثوا اي في قبورهم غير
ساعة كما قال تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا ساعة
من نهار وقيل فيما بين فناء الدنيا والبعث وفي حديث رواه
الشيخان ما بين النفختين اربعون وهو محتمل للساعات والايام
والاعوام كذلك اي مثل ذلك الصرف على حقائق الامور اي يسكون عما
كانوا في الدنيا كونا هو كالجبلة لهم يؤفكون اي يصرفون عن الحق
في الدنيا وقال مقاتل والكلبي كذبوا في قولهم غير ساعة كما كذبوا
في الدنيا ان للبث والمعنى انه تعالى لما اراد ان يفهمهم خلقوا على
كذب بينن لاهل الجمع انهم كانوا يؤفكون ثم ذكر ان كما ارى المومنين علمهم بقوله تعالى
وقال الذين اوتوا العلم والايمان وهم الملائكة والانبياء والمومنون

لقد لبثتم في كتاب الله اي فيما كتب الله لكم في سابق علمه وقضائه او في اللوح المحفوظ او فيما وعد به في كتابه من الخبر والبعث فيكون في كتاب الله متعلق بلبثتم وقال معاتل وقتادة فيه تقديم وتاخير معناه وقال الذين اوتوا العلم بكتاب الله والايمان لقد لبثتم الى يوم البعث وفي ترد بمعنى الباء قد وما قال هو لاء الكفار وحلفوا عليه واطلقوهم على الحقيقة ثم رد وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقولهم فهذا يوم البعث الذي انكرتموه وقرا نافع وابن كثير وعاصم باظهار الثاء المثلثة عند التاء المثناة والباقون بالادغام تنبيه سبب اختلاف القرا بين ان الموعود بوعد اذا ضرب له اجل اذا علم ان مصيره الى النار وهو الكافر يستقل مدة اللبث ويختار ياجير الحسر والابقاء في القبر واذا علم ان مصيره الى الجنة وهو المومن فيستكثر المدة ولا يريد تاخيرها فيختلف القرا في وفي هذه الثاء قولان اظهرهما انها عاطفة هذه الجملة على لبثتم وقال الزمخشري هي جواب سؤال مقدر اي اذا كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث اي فقد تبين بطلان ما قلتم ولما كان التقدير قد اتى كما كتابه عالمين فلو كان لكم نوع من العلم لصدقتم نا في اخباره فتنفعكم ذلك الان عطف عليه قوله ولكنكم كنتم اي كونا هو كالجبلة لكم فيه انكاركم له لا تعلمون اي ليس لكم علم اصلا لتغرير بكم في طلب العلم من ابوابه والتوصل اليه باسبابه فلذلك كنتم به فاستوجبتم جزا ذلك التكذيب اليوم ولما كانت الايات دالة على ان هذه الدار دار عمل وان الاخرة دار الجزا وان البرزخ حايل بينهما فلا يكون في واحدة منهما وللاخرة تسبب عن ذلك قوله تعالى فيومئذ اي اذ يقع ذلك ويقول الذين اوتوا العلم تلك المقالة لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم في انكارهم

له ولا هم يستعتبون اي لا يطلب منهم اب الرجوع الى ما يرضي الله تعالى كما دعوا اليه في الدنيا من قولهم استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته وقرا الكوفيون لا ينفع بالتا التحتية لان المعذرة بمعنى العذر ولان تانيثها غير حقيقي وقد فصل بينهما والباقون بالتا الفوقية مراعاة لتالي الى ازالة الاعذار والالتبا بما نوقف الكفا يتمن الانذار وان لم يبق من جانب الرسول صلى الله عليه وسلم تقصير بقوله تعالى ولقد ضربنا اي جعلنا للناس في هذا القرا ان اي في هذا السورة وغيرها من كل مثل اي معنى غريب هو واضح وابلغ من اعلام الاقوال في عبارة بي او رشق من سايل الامثال فان طلبوا شيا آخر غير ذلك فهو عناد محض لا داعي لتكذيبه دليلا لا يصعب عليه تكذيب الدلايل بل لا يجوز للمستدل ان يشرع في دليل آخر بعد ذكره دليلا حبيبا مستقيما ظاهر الاشكال عليه وعايده بحكم وبعد امن العالم فكيف به اكرم خلق الله عليه وسلم فان قتله الانبيا عليهم الصلاة والسلام ذكر انواعا من الدلايل احيانا بجمع بعضها بعض وتارة افرد كل دليل عليه من وجود الاول كذا والثاني كذا والثالث كذا وفي مثل هذا عدم الالتفات الى عناد المعاند لانه يريد بصبح الوقت كليل يتمكن المستدل من الاتيان بجميع ما اراد عند من الدليل فتحط درجته والى هذا اشار بقوله تعالى ولئن اللام لام قسم جيتهم يا افضل الخلق بآية مثل العصى واليد لموسى ليقولن الذين كفروا منهم ان اي ما انتم الا مبطلون ان اي اصحاب اباطيل فان قيل لم وحد في قوله تعالى جيتهم وجمع في قوله تعالى انتم اجيب بان ذلك لنكتة وهي ان الله تعالى اخبر في موضع اخر فقال ولئن جيتهم بكل اية اي جات بها الرسل فقال الكفار ما انتم ايها

المدعون الرسالة كلكم لا كذا وقال الجلال المحلي ان انتم الا مجمد واصحابه
واما الذين امنوا فيقولون نحن بهذه الاية مومنون كذلك اي مثل هذا
الطبع العظيم يطبع الله اي الذي له العظمة والكمال على قلوب الذين
لا يعلمون توحيد الله فان قيل من لا يعلم شيأ اي فائدة في الاخبار
عن الطبع على قلبه اجيب بان معناه ان من لا يعلم الان فقد طبع
على قلبه من قبل كما ان الله تعالى سلي نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله
تعالى فاصبر اي على ايذائهم مع هذا الكفاح والرد بالباطل والاذا
فان الكل فعلنا لم يخرج منه شيء عن ارادتنا ان وعد الله اي الذي له
الكمال كله بنصرك واظهار دينك على الدين كله وفي كل ما وعد به
حق اي ثابت جد الطابقته الواقع كما تكشف عن الزمان وتاتي به
وقايا الحدثان ولما كان التقدير فلا تعجل عطف عليه قوله تعالى
ولا يستخفنك اي يحملنك على الخفة ويطلب ان يخف باستعجال النصر
خوفا من عواقب تاخيره او بتقصيرك عن التبليغ الذين لا يوقنون
اي اذي الذين لا يهيد قون بوعدنا من البعث والحشر وغير ذلك
لقد تبانا ثابتا في القلب بل هم اما شاكون وادني شيء يزلزلهم كمن
يعبد الله على حرف او مكذبون فهم يبالغون في العداوة والتكذيب
حتى انهم لا يهيد قون في وعد الله لنصر الروم على فارس كالمقر على
ثقة وبصيرة من امرهم في ان ذلك لا يكون فاذا صدق الله
وعده في ذلك باظهاره عن قرب علموا كذبهم عيانا وعلموا ان كان
لهم علم ان الوعد بالساعة لاقامة العدل على الظالم والعود
بالفضل على المحسن كذلك يا في وهم صاغرون ويحيزون وهم
اخرون وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون فقد اللطف
من السورة على اولها وانقضل به المقال القريب بالقريب

وها انا

وها انا اسال الله تعالى القريب المجيب ان يغفر ذنوب من كتب هذا
وهو محمد الشربيني الخطيب وبفضل ذلك على والديه واولاده ومشايخه
وكل محب له وحبيب وقوله البيضاوي وبقية المفسرين عن النبي
صلى الله عليه وسلم من قرا الروم كان له من الاجر عشر حسنات
بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض وادرك ما صنع في يومه
وليلته حديث موضوع رواه الثعلبي في تفسيره ٠ ٠ ٠

سورة لقمان مكية اي الا ولو ان ما في الارض من شجرة
اقلام الايتان وهي اربع او ثلاث وثلاثون اية وخمسمائة وثمان
واربعون كلمة والفان ومائة وعشرة احرف بسم الله اي الذي وسع
كل شيء رحمة وعلما الرحمن الذي شملت نعمته سائر بريته الرحيم
باوليائه فخصهم بمعرفته الم تقدم الكلام عليه في اول سورة البقرة
وقيل الله اشارة لك اي ان الله الملك الاعلى ارسل جبريل عليه
السلام الي محمد صلى الله عليه وسلم بوحي ناطق من الحكم والاحكام
عالم ينطق به من قبله امم ولا يلحقه في ذلك بني هذه الايام فهي
المبدا وهو المختام والي ذلك اوما بمده باداة البعد في قوله تعالى
تلك اي الايات التي هي من العلو والعظمة بمكان اية الكتاب اي
الجامع لجميع انواع التحقيق الحكيم بوضع الاشياء في عوادي امرها
فلا يستطاع نقض شيء من ابرامه ولا معارضة شيء من كلامه الدال
ذلك على تمام علمه منزله وشمول عظمته وقد ارتدى الاضافة بمعنى
من وقوله تعالى هدى ورحمة بالرفع وهي قراءة حمزة خبر مبتدا
مضمر اي هو وقرا الباقون بالنصب على الحال من اية والعامل
ما في اسم الاشارة من معنى الفعل وقد تعالى قال في البقرة ذلك
الكتاب ولم يقل الحكيم وها هنا قال الحكيم لانه لما اذ ذكر وصف

في الكتاب زاد ذكرا من احواله فقال هدي ورحمة وقال هناك هدي
للمتقين فقوله تعالي هدي في مقابلة قوله تعالي الحكيم ووصف
الكتاب بالحكم علي معني ذي الحكمة كقوله تعالي في عيشة راضية
اي ذات رضي وقوله تعالي هناك للمتقين وقال تعالي هنا للمحسنين
لانه لما ذكر انه هدي ولم يذكر شيئا آخر قال للمتقين اي يهدي
به من يتقي الشرك والفساد والمراد قوله تعالي ورحمة فقال
للمحسنين كما قال تعالي للذين احسنوا الحسني وزيادة فتناسب
زيادة قوله تعالي ورحمة ولان المحسن يتقي وزيادة ثم وصف
المحسنين بقوله تعالي **الذين يقيمون الصلاة** اي يجعلونها كاملة
قائمة بسبب اتقان جميع ما امر به فيها وندب اليه ودخل فيها
الحج لانه لا يعلم البيت في كل يوم خمس مرات الا تعظيما للحج فعلا
او وقتا **ويؤتون الزكاة** اي كلها فدخل فيها الصوم لانه لا يؤدي
زكاة الفطر الا من صامه فعلا او وقتا ولما كانت هذه الاركان
هذه الاركان وكان الايمان بالبعث جامعا لجميع انواعه وحاملا
علي سائر وجوه الاحسان قال تعالي **وبالاخرة** اي التي
تقدم ان الحجر بين عمما يحاذيها **هم يوقنون** اي يوجدون بها
ايمان موقت فمن لا يفعل شيئا منها في الايمان ولا يفعل عنه طرفة
عين فهو في الذروة العليا من ذلك فمن يعبد الله تعالي كانه يراه
فاية البقرة بداية وهذه نهاية ولما كانت هذه الكمالات امهات
الافعال الموجبة للكمال وكانت سارية من وجه واية البقرة تتمتها
جمعا منها بعد ان ذمهما بذمهما فقال **اولئك** اي العالي الرتبة
الحايزون من منازل العرب اعظم رتبة **علي هدي** اي متمكنون منه
تمكن المستعلي علي الشيء وقال **من ربهم** مذكرا لهم بانه لولا احسانه

ما وصلوا

ما وصلوا الي شيء ليلزموا بمراعاة الحياة علي الاعتناء في فاتحة
واولئك هم المفلحون اي الفائزون بكل مراد والمابين سبحانه وتعالي
حال من تجلي بهذا الكمال عترفي الي حلية اهل الكمال بين حال اعدائهم
بقوله تعالي **ومن الناس من يشتري لهو الحديث** اي ما يلهي عن ما
يعني كالاحاديث التي لا اصل لها والاساطير التي لا اعتبار فيها والمفاوضة
في فصول الكلام فان قيل ما معني اضافة اللهو في الحديث اجيب
بان معناها التبيين وفي الاضافة بمعني من وان معاني الشيء
الي ما هو منه كقولك حبة حنطة وباب ساج والمعني من يشتري اللهو
من الحديث لان اللهو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث
والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد
يأكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش ويجوز ان تكون الاضافة
بمعني من التبعيضية كانه قيل ومن الناس من يشتري بعض
الحديث الذي هو اللهو قال الكلبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث
ابن كلدة كان يتجر فيأتي الحيرة ويشتري اخبار العجم وكتبها
فيحدث بها قريشا ويقول ان محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وانا
احدثكم بحديث رستم واسفنديار واخبار الاكاسرة فيستملون
حديثه ويتركون استماع القرآن فانزل الله تعالي هذه الاية
وقال مجاهد يعني سماء المغنيات والمغنيين وروي الكلام علي هذا
التاويل من يشتري ذات او ذا لهو الحديث وقيل كان النضر
يشتري المغنيات ولا يظفر باحد يريد الاسلام الا اطلق به
الي قينة فيقول اطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير لك
مما يدعوك اليه محمد من الصلاة والصوم وان تقاتل بين يديه وعن
ابي امامة قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا تحل تعليم

المغنيات ولا يبيعهن وانما ثمنهن حرام وفي مثل هذا نزلت الاية وما
من رجل يرفع صوته بالغنا الا بعث الله عليه شيطانين احدهما على
هذا المنكب والاخر على هذا المنكب ولا يزالان يضربانه بارجلهما
حتى يكون هو الذي يسكت وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب وكسب الزمار وقال
مكحول من اشترى جارية ليسمعها الغناها وعنه نهى معتما
عليه حتى يموت لم اصل عليه ان الله ليقول ومن الناس من
يشتري لهو الحديث الاية وعن الحسن وغيره قالوا لهو الحديث
هو الغنا والاية نزلت فيه ومعنى يشتري لهو الحديث اي يستبدل
ويختار والزامير والمعازف على القراءة وقالوا لصهبك سالت
ابن مسعود عن هذه الاية فقال هو الغنا والله الذي لا اله الا هو
يرددها ثلاث مرات وقال ابراهيم النخعي الغنا ينبت النفاق
في القلب قال وكان اصحابنا يحدثون بافواههم السكك يحرفون
الدفوف وقال ابن جريج لهو الحديث هو الطبل وقال الضحاك
هو الشرك وقاله قتادة توكل لهو ولعب وقيل الغنا معقدة
للحال مسخطة للرب مفسدة للقلب ليضل عن سبيل الله
اي الطريق الواضح الموصل للملك الاعلى المستجمع لصفات الكمال
ضد ما كان عليه المحسنون من الهدى وقرا ابن كثير وابو عمرو
بفتح الياء قيل الغنا من الضلالة بعيني يثبت على ضلاله
والباقون بضمها وذكر قوله تعالى بغير علم ليفيد السلب
العام لكل نوع من انواع العلم اي لانه لا علم يبقى من حال
السبيل على لا حال يعتبرها عالما يستحق اطلاق العلم عليه فان قيل
ما معنى قوله تعالى بغير علم اجيب باذ تعالى لما جعله مشتريا

لهو

لهو الحديث بالقرآن اشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بما حتى
يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق وعزوه قوله تعالى فما
ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين اي وما كانوا مهتدين للتجارة
ويجوز ان يكون ويتخذها اي السبيل التي لا اشرف منها مع ما ثبت له
من الاضلال المطلق عزتي بهمزة بعدها وقرأ حمزة والكسائي وحفص بفتح
الذال عطفا على ليضل والباقون بالرفع على يشتري وسكن
حمزة ذال هزوا وضمها الباقون ولما الفتح هذا الشقاق الدائم بينه
بقوله تعالى وليك اي هؤلاء البعداء البغضاء لهم عذاب مهين لانهم
اتوا باشتياق الباطل عليه ولما كان الانسان انما يهلك في اسباب
الخسران لانه دار على ممر الزمان الاحتياج لكل ما يرد عليه من
البيان بقوله تعالى واذا تتلى عليه اياتنا اي تتجدد عليه تلاوة
القرآن مرة اي تارة كان ولى اي بعيد السماع مطلق التولي سواء
كان على الجانبة وهو ادبرا مستكبرا اي طالبا للكبر موجبا لذلك
عن الطاعة كانا اي كانه لم يسمعها فلهو كم يزل على حالة الكبر كان في
اذنيه وقرا اي صمما يستوي معه تكلم غيره وسكوته تنبيه جملتا
التشبيه حالان من ضمير ولى الاولى بيانا للاولى وقرا نافع
بسكون الذال والباقون بضمها ولما تسبب عن ذلك استحقاقه
لما يزيل كبره وعظمته قال تعالى فبشره اي اعلمه بعذاب اليم
وذكر البشارة تهكم به وهو النضر بن الحارث كما مرت الاشارة اليه
ولما بين تعالى حال المعرض عن سماع الايات بين حال من يقبل
على تلك الايات بقوله تعالى ان الذين امنوا اي اوجدوا الايمان
وعملوا اي لقد يقال له الصالحات لهم جنات اي بساتين النعم اي ينعم
فيها فعكس المبالغة كما ان لهو لا العذاب المهين ووحد

العذاب وجمع الرحمة اشارة الي ان الرحمة واسعة كثيرة بخلاف الغضب وما
كان ذلك قد لا يكون دايما وكذلك السرور بخلاف الغم قال تعالي خالدين
فيها اي دايما بقوله تعالي وعد الله اي الذي لا شيء احق منه مصدر مؤكد
لنفسه لان قوله تعالي خالدين فيها معناه وعدهم الله ذلك وقوله تعالي
حقا مصدر مؤكد لغيره اي فهو موف ذلك فالجملة الاولي وما عملها مختلف
فتقدير الاولي وعد الله ذلك وعدا وتقدير الثاني احق ذلك حقا
فاكد نعيم الجنان ولم يؤكد العذاب الهمداني وهو العزيز فلا يغلبه شيء
الحكيم الذي لا يضع شيئا الا في محله ولما ختم بصفتي العزة وهي غاية
القدرة والحكمة وهي عمدة العلم دل عليها اتقان افعاله بقوله تعالي
خلق السموات علي علوها وكبرها وضخامتها بغير عمد وقوله تعالي
ترونها فيه وجهان احدهما انه راجع الي السموات اي لا ترونها
اصلا وانتم ترونها كذلك بغير عمد الثاني انه راجع الي العمد
ومعناه بغير عمد مرئية وعلي كلا الوجهين هي ثابتة لا تزول
وليس ذلك الا لقدرة قادر حكيم مختار تنبيه اكثر المفسرين بان
السموات مثلثة مسطوحة كصحف مستوية لقوله تعالي يوم نطوي
السماء كطي السجل للكتاب قال بعضهم انما مسطوحة وهو قول
جميع المهندسين والفلكيين رحمهم الله تعالي قال وتحن نراها كذلك
في ذلك قال لهم علينا دليلا من المحسوسات ومخالفة الحس لا يجوز
وان كان في الباب محتمل يؤول بما يحتمله فضلا من ان ليس في القرآن
واخبر ما يدل علي ذلك صريحا بل فيه ما يدل علي الاستدلال بانه لقوله
تعالي كل في فلك يسبحون والفلك اسم لشيء مستدير بدليل الواجب
ان السموات سواء ثبت مستديرة وصفيحة مستقيمة هي مخلوقة
سبحانه باختيار لا يجاب وطبع ولما ذكر تعالي العمد اسند ذكر

الاوتاد

الاوتاد المقترنة بقوله تعالي والقي في الارض اي التي انتم عليها حالا
رواسي والعجب انما من قولهما وجميع الرواسي التي تقر قومنا تكون
من تحت تنبئهما عن انعميد اي تتحرك بكم كما هو شان ما علي ظهر الماويث
اي دب في فيها من كل دابة وقوله تعالي وانزلنا اي بحالنا من القوي
التي ما فيه الغنى عن الغيبة وما تسبب عن ذلك تدبير الاوقات
وكان من آثار الحكمة التابعة للعلم والمحليه بقوله تعالي فانبتنا اي بما
لنا من العلو في الحكمة فيها اي الارض جعلها انبتنا بما من كل زوج اي
صنف من النبات متشابه كريم بما له من البهجة والنضرة الجالبة للسرور
وفي هذا دليل علي عزته التي هي كمال القدرة وحكمته التي هي كمال
العلم ومهدت قاعدة التوحيد وقررها بقوله تعالي هذا اي الذي
تشاهدونه كله خلق الله اي الذي له جميع الكمال فلا كفوء له فاذا عظم
فاروني ماذا الذي خلق الذين من دونه اي غيره بكتهم بان هذه
الاشياء الاخيرة مما خلقه الله تعالي وانشاه فاروني ماذا خلقته
الشركاء حتي استوجبوا عندكم العبادة تنبيه ما استفهام انكار مبتدا
وذا بمعني الذي بصلته خبره واروني معلق عن العمل وما بعده
سد مسد المفعولين هذا ضرب علي تبكيتهم بقوله تعالي بل منها
علي ان الجواب ليس لهم حتي هكذا كان الاصل ولكنه قال تعالي
الظالمون اي الغريقون في الظلم تعميما وتنبيها علي الوصف الذي
اوجب لهم كونهم في ضلال عظيم حيد احاط بهم مبين اي في غاية الوضوح
وهو كونهم يعبدون الاشياء في غير مواضعها لانهم في مثل الظلام
الذي لهم لانحجاب شمس الانوار عنهم بخيل الهوي فلا نور لهم
ثم انه تعالي لما نفاها عنهم اثبتها لبعض اوليايه بقوله تعالي ولقد
اتينا لقمان العظمة والحكمة لقمان وهو عبد من عبيدنا المطيعين

لنا حكمة وهو العلم المؤيد بالعمل والعمل المحكم بالعلم قال ابن قتيبة لا يقال لشخص حكيم حتى تجتمع له الحكمة في القول والفعل قال ولا يسمى المتكلم بالحكمة حكيما حتى يكون عاملا بما وعن ابن عباس رضي الله عنه هي العقل والفهم والفطنة واختلف في نسبه وفي سبب حكمته فقيل هو لقمان بن باعورا ابن اخت ايوب او ابن خالته وقيل كان من اولاد داود وعاش الف سنة وادرك داود وعليه السلام واخذ عنه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود عليه السلام فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال لا اكتفى اذا كفيت وقيل كان قاضيا في بني اسرايل واكثر التاويل انه كان حكيما ولم يكن نبيا اخرج ابن ابي حاتم عن وهب بن منبه انه سيل اكان لقمان نبيا قال لا لم يوح اليه وكان رجلا حكيما وعن ابن عباس لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا اسود رزقه الله تعالى العتق ورضي قوله ووصيته فقص امره في القران لتتمسكوا بوصيته وقاله ابن المسيب كان اسود من سودان مصر حبشيا طا رقال مجاهد كان عبدا اسود غليظ الشفتين سقيق القدمين وقيل كان نجارا وقيل كان راعيا وقيل كان يحتطب لاولاده كل يوم حزمة حطب وقال عكرمة والشعبي كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة وعنه انه قال لرجل ينظر اليه ان كنت تراني اسود فقلبي ابيض وعن عكرمة قال كان لقمان من اهون مملوك على سيده واول ما ظهر من حكمته انه بينما هو مولاه اذ دخل المخرج واطال فيه الجلوس فنادى لقمان ان طول الجلوس على الحاجة ينجع منه الكبد ويكون الباسور ويصعد البخار الى الراس فاخرج وكتب حكمته على الحش قال وسكر مولاه فخاطر قوما على ان يسبق سابحتهم فلما افاق عرف

عرف ما وقع منه وذعي لقمان لمثل هذا اكنت اخبرك قال اجمعهم فلما اجتمعوا قال لعلي اي كي خاطر تموه قالوا ان سبق ما هذه البحيرة قال فاذ لها مواد فاحبسوا مواد ها عنه قالوا وكيف نستطيع ان نحبس مواد ها قال كيف يستطيع ان يسبق وله مواد واخرج الحكيم الترمذي في نوادر الاصول عن ابي مسلم الخولاني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لقمان كان عبدا كثير التفكر حسن الظن كثير الصمت احب الله فاحبه الله فمن عليه بالحكمة يودي بالخلافة قبل داود فقيل له يا لقمان هل لك ان نجعلك خليفة في الارض تحكم بين الناس قال لقمان ان اخيرني ربي قبلت فاني اعلم انه ان فعل ذلك اعانني وعلمني وعصمني وان خيرني ربي قبلت العافية ولم اسال البلاء قالت الملايكة يا لقمان لم قال لان الحاكم بالله في المنازل واكدرها يغشاه الظلم من كل مكان فيخذل او يعان فان اصاب فمع الحرج ان ينجو وان اخطا اخطا طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من ان يكون خاسرا فيها ومن يختر الدنيا على الاخرة تفته الدنيا ولا يصيب الاخرة فعجبت الملايكة من حسن منطقه فنام نومة فاعطي الحكمة فاتته رسول يكلمه بما لم يودي داود بعده بالخلافة فقبلها ولم يسال شرطا شرط لقمان فاهوى في الخطيئة ففتح الله تعالى عنه وتجاوز وكان لقمان يوازره بعلمه وحكمته فقال داود طوبى لك يا لقمان اوتيت الحكمة وصرفت عنك البلية واوتي داود الخلافة فابتلي بالذنب والفتنة واخرج ابن ابي حاتم عن قتادة قال خير الله تعالى لقمان بين الحكمة فاصبح ينطق بها فقيل له كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك فقال انه لو ارسل الي بالنبوة لرجوت بها النزول منه ولكنت ارجو ان اقوم بها ولكنه خيرني فخفت اذا اضعف

عن النبوة فكانت الحكمة احب الي وروي انه دخل على داود وهو يزرد
الدرع وقد لين الله له الحديد كالطين فاراد ان يساله فادركته
الحكمة فسكت فلما اتمها لبسها وقام لبوس اكرب انت فقال لهم
حكمة وقليل فاعله فقال له داود بحق ما سميت حكيما وروي ان
مولاه امره بذبح شاة وبان يخرج منها اطيب مضغتين فاخرج
اللسان والقلب ثم امره عند ذلك ان يخرج اخبث مضغتين فاخرج
اللسان والقلب فساله عن ذلك فقال مما اطيب ما فيها اذا طابا
واخبث ما فيها اذا خبثا وروي انه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة
فقال استعن انا الراعي فلم يلتفت ما بلغت بلغت قال بصدق
الحديث واداء الامانة وترك ما لا يعنيه وعن ابن المسيب انه قال
لا سود لا تحقرن انه كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال
ومهجع مولى عمر ولقمان كان اسود نوبيا ذا مشافر وروي سادات
السودان اربعة لقمان الحبشي والنجاشي وبلال ومهجع وعن
ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الحكمة عشرة اجزاء
تسعة منها في العزلة وواحد في الصمت وقال لقمان للاحلاكهم
ولا معهم كطيب نفسي وقال ضرب الوالد لولده كالسماد للزرع وما
كانت الحكمة الا فتاة على الله قال تعالى ان اشكر لله اي وفقناه له
ان اشكر لله على ما اعطاك من الحكمة ومن يشكر اي يجدد الشكر
ويتعاهده بنفسه كل حين من كان فانما يشكر لنفسه اي لان ثواب
شكره له ومن كفر اي النعمة فان الله غني عن الشكر وغيره حميد اي
يحمد جميع المحامد واذكر ظرف جميع الخلق واذكر اذ قال لقمان لابنه
وهو يعظه يا بني تصغير اشفاق وترا حنص بفتح الياء وسكنها
ابن كثير وكسرها الباقون لا تشرك بالله اي الملك الاعظم ان الشرك

ابي بالله لظلم عظيم فرجع اليه واسلم ثم قال له ايضا يا بني اتحذ تقوى الله تعالى
تجالقه يا بني البر من غير بضاعة يا بني احفر الجنائز ولا تحقر القبر
فان الجنائز تذكر الاخرة والقبر يشهد كل يوم يا بني لا تاكل شبعا
على شبع فانك ان تلقيه للكلب خير من ان تاكله يا بني لا تكن اعجز من
هذا الديك الذي يصوت بالاسحار وانت نائم على فراشك يا بني لا تؤخر
التوبة فان الموت يجيء بغتة يا بني لا ترغبن في ود جاهل فتري انك
ترضي عمله يا بني اتق الله ولا يرى الناس انك تخشى ليكون ذلك
بذلك وقلبك فاجر يا بني اياك وشدة الغضب كان سدته مجتمع
لفؤاد الحكم يا بني عليك بمجالس العلماء واستمع كلام الحكماء فان الله
تعالى يحيي القلب الميت بنور الحكمة كما يحيي الارض بوابل المطر
فان من كذب ذهب ماؤه وحسنه ومن سآ خلقه كثر همه ونقل المحمود
من مواضعهما احسن من اتهام من لا تفهم يا بني لا تفش سر رسولك عن احد
فان لم تجد حكيما فكن رسول نفسك يا بني لا تنكح امة على حرة فتورث
بيتك رقا طويلا يا بني لا تمش على الناس نمام لا تقر فيه عين حكيم
يا بني اجتنب المجالس على عينك فاذا رايت المجلس يذكر فيه الله
عز وجل فاجلس فانك ان تكن عالما ينفعك علمك وان تكن جاهلا
يعلموك وان يطلع الله عز وجل عليهم برحمة تعمك معهم يا بني اياك
في المجلس الذي لا يذكر فيه اسم الله عز وجل فانك ان تكن عالما
لا ينفعك علمك وان تكن جاهلا يزيدوك جهلا وان يطلع الله تعالى
عليهم بعد ذلك بسخط يعمك معهم يا بني لا تاكل طعام من لا يخشى الله تعالى
وشاور في امرك العلماء يا بني ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيها ناس
كثير فاجعل سفينتك فيها تقوى الله وحشوها الايمان بالله وشراعها
التوكل على الله لعلك ان تنجو ولا اراك ناجيا يا بني اني حملتك الجندل

واحمد يد فلم اجد شيا اشد من احبار السوء وذمت المراة كلها فلم اذق
اشد من الفقر يابني كن كما شئت لا يبقين مجرقة الناس ولا يكسب بذمتهم
نفسه حظوة عيا والناس منه في راحة يابني اذا حكمت رحلست
المساكين مجالس الملوك يابني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك
فان الله يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الارض الميتة بوابل المطر
السما يابني لا تتعلم ما لا تعلم حتى تعمل بما تعلم يابني اذا اردت ان
تزاحي رجلا فاعلم نفسه قبل ذلك فان انفتك عنه عفيته والا
فاقذره يابني انك قد نزلت الى الدنيا المستبين تتاوى وتقبلت
الاخرة فدار انت اليها اسرع ترقب من دحو انت عنها تباعد يابني عود
لسانك ان يقول اللهم اغفر لي فان الساعات لا ترد يابني ابارك
والدين فانه ذل النهار وهم الليل يابني ازح الله تعالى رجاك لا يجرمك
على معصيته وخف الله حتى كانك لا يوسيك من رحمته واتما اكررت من
ذلك لعل الله ينفعني ومن طالعه بذلك وسياتي في كلام الله
تعالى من زيادة على ذلك واقتصرت على هذا القدر والا لتمى عظمه
الاسد لو اراد التخفي الاكثار منها لجعل منها مجلدات فخرج
ابن ابي الدنيا عن جعفر بن عمر الكندي قال وضع لقمان جرابا
من حين دل الي جنبه وجعل يعظ ابنه موعظته ويمزح حزدلة
فسمع الحزدل فقال يابني لقد وعظتك موعظة لو وعظتي
جبلا لتصدع فتصدع ابنه فسبحان من يعز ويذل ويغني ويفقر ويسقم
ويمرض ويرفع من يشاء واذكان عبد افلا يسع ان يخفي محمدا صلى
الله عليه وسلم ذا النسب العالي والمنصب المنيف الرسالة من بين
قرشي وانصار يكن من اهل الدنيا المستظلين والماذكر سبحانه وتعالى
ما اوصى به ولده من شكر النعم الاول الذي لا شكر له بي ايجاب

حدود

حد وذكر ما عليه الشكر من الطاعة والشناعة اتبعه وصيته سبحانه
للوالد لكونه المنعم الثاني بالسبب في وجوده بقوله تعالى **ووصينا**
الانسان بوالديه اي امرناه ان يبرهما ويطيعهما ويشكرهما ثم بين
تعالى السبب في ذلك بقوله تعالى **حملته امه وهنا** اي حال كونها ذات
وهن بحمله وبالغ بجعلها نفس الفعل دلالة على شدة ذلك الضعف
على وهن اي ضعف الحمل وضعف للطلق وضعف للولادة ثم اشار
الى ما لها عليه من المنة بعد ذلك بالشفقة وحسن الكفالة وهو لا
يملك لنفسه شيا بقوله تعالى **وفصاله** اي فطامه من الرضاعة بعد
وضعه **في عامين** تقاسي فيهما اني منامه وقيامه حالا بعد حين عملها لله
الله تعالى فان قيل وصى الله تعالى بالوالدين وذكر السبب في حق
الام مع ان الاب وجد منه اكثر من الام لان تعلمه في صلبه سنين ورباه
بكسبه سنين فلم لم يبلغ اجيب بان الشفقة الحاصلة للام اعظم فان
الاب حمله خفيفا لكونه من جملة جسده والام حملته ثقيلا وعياه
مودوع فيها وصبه ووضعه وتربيته لبلا نهارا وبينهما ما لا
يخفى من المشقة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لمن قال له من
ابر امك ثم امك ثم امك ثم قال بعد ذلك ثم اباك وقوله تعالى
ان اشكر لي لاني المنعم بي بالحقيقة **ولوالديك** اي بما كونني جعلتهما
سببا لوجودك والاحسان بتربيتك بتيسير لوصيناه وعلة لم يحذف
الامر بالشكر لهما بقوله تعالى **الي** لا الي غيري **المصير** فاحاسبك
على شكرك ومعاصيك وعلى القيام بحقوقهما قال سفيان ابن
عيينة في هذه الاية من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله
ومن دعا للوالدين في ادبار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين
ولما ذكر تعالى وصيته بهما واكد حقهما اتبعه الدليل على ما ذكر لقمان

من قبلك الشرك بقوله تعالى وان جاهداك اي مع ما اقترنت به من طاعتهما
على ان تشرك بي وقوله تعالى ما ليس لك به علم موافقة للواقع لانه
لا يمكن ان يدل علم من انواع العلوم على شيء من الشرك بل العلوم كلها
دالة على الوحدانية ولما تقرر ذلك ولو اجتهدا على المجاهدة لذلك عليه
فلا تطعهما بل خالفهما وان ادى الى السبق فجاهدهما به لان امرهما
بذلك منافٍ للحكمة حامل على محض جور واسفه ففيه تنبيه لقريش
على محض الغلط في التقليد لاباءهم في ذلك وربما افهم ذلك الاعراض
عنهما بالكلية فلهذا قال تعالى وصاحبهما في الدنيا اي في امورها
التي لا تتعلق بالدين ما دمت حيا معروفا ببرهما انكانا على دين
معترفان عليه وعاملتهما بالحكم والاحتمال وما يقتضيه مكارم
الاخلاق ومعالي الشيم ولما كان ذلك قد يجر الى نوع ودٍ في
الدين الى بعض محاباة نفى ذلك بقوله تعالى واتبع اي بالغ في ان
تتبع سبيل اي دين وطريق من اناب اي اقبل خاضعا الي لم يلتفت
الى عبادة غيري وهم المخلصون فان ذلك لا يحزنك عن برهما ولا
عن توحيد الله تعالى والاخلاص له لتنبيه في هذا الحث على
معرفة الحق واحترجيل المشايخ وغيرهم على محل الكتاب والسنة
فمن كان عمله موافقا لهما اتبع ومن كان عمله مخالفا لهما اجتنب واذا
كان مرجع امورهم كلها اليه في الدنيا ففي الاخرة كذلك كما قال تعالى
ثم الي اي في الاخرة مرجعكم فانبئكم اي افعل فعل من يبالغ في
التعقيب والاختبار عقب ذلك وسببه لان ذلك اشد شيء للخجلة
وتعقيب كل شيء بحسب ما يليق به بما كنتم تعملون اي تجددون
عمله من صغير وكبير وجليل وحقير فاجازي من اريد واغفر لمن
اريد فاعد لذلك عدته ولا تهمل عمل من ليس له مرجع بحاسب

فيه ويجازي على مثاقيل الذر منها عمله والاثبات معترضتان في
تضاعيف وصيته لتمام تاكيد ما فيها من النهي عن الشرك كما انه قال
تعالى وصينا بمثل ما وصى به وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك
فانهما مع انهما تلو البارئ في استحقاق التعظيم والطاعة لا يجوز ان
يستحقا في الاشراك فما ظنكم بغيرهما ونزل لهما في سعد بن ابي وقاص
وامه مكنت لاسلامه ثلاثا لم تطعم فيها شيئا وكذلك قتيل من اناب
الي هو ابو بكر فان سعدا اسلم بدعوة ابي بكر له ثم ان ابن لقمان
قال لابيه يا ابت ان عملت الخطيئة حيث لا يراني احد كيف يعلمها
الله تعالى فقال يا بني مجيبا له مستعظما مصغرا له بالنسبة الي عمل شيء من
عضب الله تعالى انها اي الخطيئة ان تك واسقط النون لعرض الايجاز
في الادجا مثقال اي وزن ثم محقرها بقوله حبة وزاد في ذلك
بقوله من خردل اي ان تكن في الصغر كحبة الخردل وقرا نافع مثقال بالرفع
على ان التامة ضمير الخطيئة كما مر والقصة وكانت تامة وتاينثها لاضافة
المثقال الي الحبة كقول الاعشى وتشرق بالقول الذي قد ذكرته
كما سرقت صدر القناة من الدم والسرق النفوذ يقال
سرق بريقه اي عفر والشاهد في سرقت حيث انثه لاضافة
الصدر الي القناة وصدرها ما فوق نصفها ثم اثبت النون في قوله
ساعر صغيرها فتكن اشارة الي ثباتها في محالها وليزداد سكون
النفس الي محط العناية ويذهب الوهم كل مذهب معبرا عن اعظم
الخفايا واعز الاحوال في صخرة اي صخرة كانت ولو انها اشد الصخور
واخفاها ولما اختفى وضيق اظهر ووسع ورفع وخفض ليكون اعظم
لفضيحة المحتقر بقوله او في السموات اي في اي مكان منها على سعة
ارجائها واعادا ونفا على ارادة كل منها على حدته بقوله او في الارض

الم كما مر في كذلك وهذا كم ترميه لا يعتي ان تكون الصخرة بينهما او في احدهما
واخرج ابن ابي حاتم عن علي بن رباح انه لما وعظ لقمان ابنه وقال
انها ان تك الاية اخذحبة من خردل فتكن في صخرة اشارة الي البعوض فالقاها
في عرض البحر ما شاء الله تعالي ثم ذكر لها وبسط يده فاقبل
بها ذباب حتي وضعها في راحته وقال بعض المفسرين المراد
بالصخرة صخرة عليها الارض وهي لا في الارض ولا في السماوات
التحشر في حيه اضمار تقديره ان تكن في صخرة او في موضع اخر
في السموات او في الارض وقيل لهذا من تقديم الخاص وتاخير
العام وهو جايز في مثل هذا التقسيم وقيل خفيا اي يكون لها
منها ان يكون في غاية الصغر ومنها ان يكون في ظلمة ومنها ان
يكون وراء حجاب فاذا استغت هذه الامور فلا يخفي في العادة
فانبت الروية والعلم مع انتفاء الرابع بقوله ان تك مثقال
حبة من خردل اشارة الي الصغر وقوله فتكن في صخرة اشارة
الي الحجاب وقوله او في السموات اشارة الي البعد وانما البعد
الابعاد وقوله او في الارض اشارة الي الظلمات فان جوف الارض
اظلم الاماكن يات بها الله ايبلغ من قول القايل بعلم الله لان
من يظهر له شي ولا يعتد به علي اطلاقه لغيره يكون في العادون
حال من يظهر له الشي ويظهره لغيره وقوله يات بها الله اي يظهرها
للاشهاد يوم القيمة فيحاسب عاملها ان الله اي الملك العظيم
لطيف اي نافذ القدرة يتوصل علمه الي كل خفي عالم بكنهه
وعن قتادة لطيف باستخراجها خبير اي عالم ببواطن الامور
فيعلم مستقرها وروي في بعض الكتب ان لقمان قال كلمة تكلم بها
لخاف فانشقت مرارته من هيبتها فمات فقال الحسن معني الاية

هو

هو الاحاطة باد سباعيفها وكبيرها وتاييده علي احاطة علمه
سبحانه واقامة للحساب امره بما يدخره لذلك توسلا اليتلقي
لديه وهو بلس ما يصلح به العمل ويصحح التوحيد وقد تبقي له
يابني مكررا للمبالغة تنبيها علي مزيد النصيحة لعزها الشفقة اقم
الصلاة اي بجميع حدودها وشروطها ولا تغفل عنها سيما في بقاء
نفسك وتقضيه سرك فان اقامتها وهو الاتيان علي الوجه المرضي
مانعة من الخلل في العمل ان الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر
لا سيما الاقبال علي من وحدته فاعتقدت انه الفاعل وحده واعرض
عن كل ما سواه لانه في التحقيق عدم ولهذا الاقبال والاعراض
كانت لها بتة للتوحيد وبهذا يعلم ان الصلاة كانت في سايل الملل
عبادات هيابتها اختلفت وترك ذكر الزكاة تنبيها علي انه من حكمة
تخليه وتخلي ولده من الدنيا هتي ما يكفهم لعوتهم ولما امره بتكميله
في نفسه بتوفية حق الحق عطف علي ذلك تكميله لنفسه
بتكميل غيره بقوله وامر بالمعروف اي كل من تتعد علي امره
تتعد با لغيرك وشفقة علي نفسك بتجنيبها ما حسك وانه
اي كل من قدرت علي نهيه عن المنكر حبا لاخيك ما تحب لنفسك
تحقيقا لنصيحتك وتكميلا لعبادتك ومن هذا الطراز قول ابي
الاسود رحمه الله تعالي ابدا بنفسك فانهها عن غيها
فان انتهت عنه فانت حكيم لانه امرها ولا بالمعروف وهو
الصلاة الناهية عن الفحشاء والمنكر فاذا امر نفسه ونهاها
ناسب ان يامر غيره وينهاه وهذا وان كان من قول لقمان الا
انه لما كان من سياق المدح له كنا مخاطبين به فان قيل كيف
قدم في وصيته الامر بالمعروف علي النهي عن المنكر

عن الامر بالمعروف فقال لا تشرك بالله ثم قال اقم الصلاة اجيب بانه كان
يعلم ان ابنه كان معترف بوجوب الاتيان بما امره به هذا المعروف بل عناه
عن المنكر الذي يترتب على هذا المعروف واما ابنه فامره امرا
مطلقا والمعروف تقدم على المنكر ولما كان الغالب على دينه
في غالب الازمان كالتابع على الحجر قال له واصبر صبرا عظيما يجب
تكون مستعليا على ما اي الذي اصابك اي في عبادتك وغيرها من
الامر بالمعروف وغيره سواء كان بوساطة الجماد ام لا كالمرض وقد
بدا بهذه الوصية بالصلاة لانها معاله الاستعانة قال تعالى
واستعينوا بالصبر والصلاة واخرج احمد عن همام بن عروة
عن ابيه قال مكتوب في الحكمة يعني كلمة لقمان لتكن كلمتك
طيبة وليكن وجهك بسيطا تكن احب الناس ممن يعطيهم العطايا
وقال مكتوب في الحكمة اي في التوراة الرفق راس الحكمة وقال
مكتوب في التوراة كما تزرعون تحصدون وقال مكتوب في الحكمة كما
تزرعون تحصدون وقال مكتوب في الحكمة احب خليلك وخليل
ابيك وقيل للقمان اي الناس شر قال الذي لا يبالي ان يراه
الناس مسيئا ومن حكمته انه قال اقصر عن الحاجة ولا اطلق فيما
لا يعنيني ولا اكون معجبا كامن غير عجب ولا مشاء لغير اريب وقيل
من كان له من نفسه واعظ كان له من الله حافظ ومن الف الناس
من نفسه زاده الله بذلك عزا والذل في طاعة الله اقرب من التعزز
بالمعصية وقيل انه كان يقول ثلاثة لا يعرفون الا في ثلاثة مواطن
الحليم عند الغضب والشجاع عند الحرب واخوك عند حاجتك اليه
ولما كان ما احكمه لولده عظيم الجدوى وجعل ختامه الصبر الذي هو
ملاك الامر لا بد على ذلك بقوله على سبيل التعليل او الاستئناف

ان

انه ذلك اي الامر العظيم الذي اوصيك به لا سيما الصبر على المصائب
من عزم الامور اي معدود مما تسمية اسم المفعول او الفاعل
بالمصدر اي الامور المقطوع بها المعزوعة او القاطعة الجازمة يجزم
فاعلها ثم احذاه عن الكبر معبرا عنه بلازمه لانه ينفي الاعم ينفي للاخص
بقوله ولا تصاعر خدك اي لا تملله متعمدا امالته بامالة العنق متكلفا
لها صرفا عن حالة القاصدة قال ابو عبيدة واصل الصعر داء يصيب
البعير يلوي منه عنقه وقرا ابن كثير وابن عامر وعاصم بغير الف
بعد الصاد وتشديد العين والباقون بالف بعد الصاد وتخفيف
العين والرسم يحتملهما فانه رسم بغير الف وهما لغتان لغة الحجاز
التخفيف وتميم التثقيل ولما كان ذلك قد يكون لغرض من الاغراض
التي لا تذم اشار الى المقصود بقوله للناس بلام العلة اي لا تفعل
ذلك لاجل الاملاء بحقهم وذلك لا يكون الا متاوبا من الكبر بل اقبل
عليهم بوجهك كله متبشرا منبسطا من غير كبر ولا علو وعن ابن عباس
لا تتكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك اذا كلموك وقيل هو
الرجل يكون بينك وبينه اسمنة فيلقاك فتعرض عنه وقيل هو
الذي اذا سلم عليه لوى عنقه تكبرا وقيل معناه لا تحقر الفقير
لفقره والغني لغناه بل الغني والفقير سواء عندك مما يتبع ذلك ما يلزمه بقوله ولا
تمش واشار بقوله في الارض الى ان اصله تراب وهو لا يقدر ان
يدوسه وسيصير اليه وادخل المصدر مع الحال والعلة في قوله
مرحا اي اختيالا او تبخترا اي لا تكن منك هذه الحقيقة لان ذلك
مشي اشر بطر مستكبر فهو جدير بان يظلم صاحبه ويحسد ويبغى
بل امش هونا فان ذلك يفضي بك الى التواضع تتصل الى كل خير
وتترفق بك الارض اذا صرت في بطنها ان الله اي الذي له الكبر يا

والعظمة لايحب اي يعذب كل مختال اي مراء للناس في مشيه متبختر
يراه فضلا على الناس بنفسه يظن ان استماع النغم
الدنيوية من محبة الله تعالى له وذلك من جهله فان الله تعالى ليسبغ
نعمه على الكافر كما جاء فينبغي للعارف ان لا يتكبر على عباده فان
الكبر هو الذي تردى به سبحانه فمن نازعه فيه قصمه ولما كان
النهي عن ذلك امرا بمقتضاه قال واقصد اي اقتصد واسلك
الطريق الوسطى في مشيك بين ذلك قواما اي ليكن مشيك قصدا
لا تحيلا ولا ادعاء اي بين سعي اي لا تذب وبين التماوت بين ولد
تب وبين الشطار قال صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب
بهاء المؤمن واما قول عائشة في عمر رضي الله تعالى عنهما كان اذا
مشى اسرع فانما اردت السرعة المرهقة عن دبيب التماوت
وقال عطاء امش بالوقار والسكينة لقوله تعالى يمشون على
الارض هونا وعن ابن مسعود كانوا ينهون عن خبب اليهودي
ودبيب النصراني والقصد في الاعمال كالقصد في الاوزان
قال الرازي في اللوامع وهو المشي الهون الذي ليس فيه
تصنع للخلق لا تواضع ولا تكبر واغضض اي اخفض من
صوتك ليلا يكون صوتك منكرا وتكون برفع الصوت فيه حاجة
كالحمار اجمع سامع لحاجة كالاذان فهو ما هو به وكانت الجاهلية
يمدحون برفع الصوت قال القايل جهير الكلام جهير العطاس
جهير الروا جهير النعم وقال مقاتل اخفض من صوتك فان قيل
لم ذكر المانع من رفع الصوت ولم يذكر المانع من سرعة المشي
اجيب بان رفع الصوت يودي السامع ويقرع الصماخ بقوة وربما
يخرق العشاء الذي داخل الاذن واما سرعة المشي فلا تؤذي

وان

وان اذن فلان ذي عن من في طريقه والصوت يبلغ من على اليمين وعلى
اليسار ولان المشي يوذي الة المشي والصوت يوذي الة السمع على
باب القلب فان الكلام ينقل من السمع الى القلب ولا كذلك المشي
وايضا فلان فتح القول اقبح من فتحها الفعل وحسنه احسن لان
اللسان ترجمان القلب ولما كان رفع الصوت في الحاجة منكرا
كان خفضه دونها قاوت وتكبر وكان قد اشار الى النهي عن هذا
بمن فاعلم ان الطريقين مذمومان علل النهي عن الاول بقوله
ان انكر اي اقطع واشنع واوحش الاصوات كلها المشتركة في انكاره
برفعها في الحاجة واخلى الكلام عن لفظ التشبيه واخرجه مخرج
الاستئناف تصويرا لصوت الرافع صوته في كل حاجة بصورة المهتاف
وجعل الصوت لذلك حمارا مبالغة في التهجين وتنبيها على انه
من كرامة الله بمكان فقال لصوت الحمير اي هذا الجنس لما له من العلو
المفرط من غير حاجة فان كل حيوان قد يفهم من صوته انه يهيج من
مثل او نعب كالبعير وبغيره والحمار لو مات تحت احمال لا يصيح ولو
قتل لا يصيح وفي بعضها وقالت عدم الحاجة يصيح وبين بصوت اوله
زفير واخره شهيق وسماه اهل النار لرفع الصوت ليكون
لها على ارادة الجنس ليدل على ان الاجتماع سر ما في ذلك وتذكير
الحمار مع ذلك من بلاغة الشتم والذم ما ليس لغيره ولذلك يستعمل
التعريض باسمه بل يكنون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون
الطويل الاذنين كما يكنى عن الاشياء المستقذرة وقد عد في مساوي
الاداب ان يحدث بحمار ذكر الحمار في مجلس قوم من ذوي المروة ومن الغرر
ان للبرذون الحمار استنكافا فان بلغت منه الرطلة ان ما ركبه صلى
الله عليه وسلم لمخالفته عادتهم وما ظهر له التواضع من نفسه وانما

الرفع مع الحاجة غير مذموم فانه ليس بمستنكر ولا مستبشع فان قيل
كيف يفهم كونه انكر الاصوات مع ان جزاء الممشار بالمبرد وحد النحاس
بالحديد اشد صوتا اجيب من وجهين الاول ان المراد انكر اصوات
الحيوانات صوت الحمير قال صياح كل شيء تسبيح سوى صياح الحمار وقال
جعفر الصادق في ذلك هي العطسة القبيحة المنكرة قال وهب تكلم
لقمان بانني عشر الف كلمة من الحكمة ادخلها الناس في كلامهم ومن
حكمته قال خالد الربعي كان لقمان عبدا حبشيا فدفع اليه مولاه
شاة فقال له اذبحها وايتني باطيب مضغتين منها فاتاه باللسان
والقلب ثم دفع اليه شاة اخرى فاذبحها وايتني باخبث مضغتين
منها اذا طابا واذا خبثا خبثا وقد مرت الاشارة الى ذلك
ومن حكمته انه قال لابنه يابني لا تتزين لاحد بشيء يكرهه الله
الا جعلت في الهجير منك ان ذلك خير لك ثم قال لابنه يابني ان
الله قد بعث نبيا حكيما حتى تاتيه فتقتبس منه فخرج علي حمار وابنه
علي حمار وتزودا تمرا سارا ياما وليالي حتى لقيتهما مفازة فاخذا
اهبتهما لها فخلا فسارا ما شاء الله تعالى حتى ظمئا وقد هوى
التمر واشتد الحر وفقد الماء والزاد واستبطاء حمارهما فنزلا وجعلا
يتذكران علي سوقهما فبينما هما كذلك اذ نظر لقمان علي عظم في
الطريق فحز حشيا عليه فوثب اليه لقمان وضمه الي صدره واستخرج
العظم باسنانه ثم نظر اليه فرمت عيناه فقالت يا ابت انت تبلى
وانت تقول هذا خير لي وقد نفد الطعام وانما بقيت انا وانت
في هذا المكان فاذا ذهبت وتركتني علي حالي ذهبتهم وغنم
ما بقيت وان امتني مضى متناجيهما فقال يابني ان بكاء فرقة
الوالدين واما ما قلت كيف يكون هذا خيرا فلعل ما صرف

عنك

عنك اعظم مما ابتليت به ولعل ما ابتليت به ايسر مما صرف عنك ثم نظر
لقمان اما يعلم ذلك الدخان والسواد واذا الشخص اقبل علي فرس
ملثم عليه ثياب بيض بيض وعمامة بيضا بيض مسح الهوا مسحا فلم يزل
برهة بعينه حتي كان منه قريبا فتواري عنه ثم صاح انت لقمان
قال نعم قال انت الحكيم قال كذلك يقال قال ما قال لك ابنك قال
يا عبد الله من انت اسمع كلامك ولا اري رجهك قال انا جبريل امرني
ربي بخسف هذه المدينة ومن فيها فاخبرت انكما تزيدانها فدعوت
ربي ان يحبسكما عني بما شاء فحبسكما بما ابتلي به ابنك ولولا ذلك لخسفت
بكما مع من خسفت ثم مسح جبريل بيده علي وجه ابنه فاستوي
قائما ومسح بيده علي الذي كان فيه الطعام فامتلا طعاما وعلي
الذي كان فيه الماء فامتلا ماء ثم حملهما وحمار بعد حمار فحمل بهما كأسرع
الطير فاذا هما في الدار الذي خرجا بعد ايام وليالي وعن عبد الله
ابن دينار ان لقمان قدم من سفر فلقي غلامه في الطريق فقال
ما فعل ابي قال مات قال الحمد لله ملكت امري قال ما فعلت امي
قال ماتت قال ذهب همي قال ما فعلت امرأتي قال ماتت قال جدد
فراشي قال ما فعلت اختي قال ماتت قال سترت عورتي قال
ما فعل اخي قال مات قال انقطع ظهري وعن ابي قلابة قال قيل
للقمان اي الناس اصبر قال صبر لا معه اذي قال فاي الناس اعلم
قال من ازداد من علم الناس الي علمه قيل فاي الناس خير قال
الغني قيل الغني من المال قال لا ولكن الغني اذا التمس عنده خير
وجده والا اغني نفسه عن الناس وعن سفيان قيل للقمان اي
الناس شر قال الذي لا يبالي ان يراه الناس مسيئا وعن عبد الله
ابن زيد قال قال لقمان الا ان بيد الله علي افواه الحكما لا يتكلم احدهم

الا ما هيا الله تعالى له ولما استدل سبحانه وتعالى بقوله خلق السموات بغير
عمد على الوحدانية وبين بحكمة لقمان معرفة ذلك عين مختصة بالنبوة
استدل ثانيا على الوحدانية بالنعم بقوله تعالى الم تروا اي تعلموا علما هو في
ظهوره كالمشاهدة ان الله بما يليق لكل كمال سخر لكم اي لاجلكم ما في
السموات من الانارة والاظلام كالشمس والقمر والنجوم والسحاب
والمطر والبرد وغير ذلك من الانعامات مما لا يحصى قال ابن عمر
والنجوم مسخرات بامره وسخر لكم ما في الارض من الثمار والانهار والاشجار
والدواب والمعادن وغير ذلك مما لا يحصى وان اسبغ اي اتم
وانعم عليكم وقوله تعالى نعمه قراءة نافع وابو عمرو وحفص بفتح العين
وبعد الميم هاء مضمومة والباقون بسكون العين وبعد الميم تاء مضمومة
منونة ومعناها جمع النعمة كقوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
واختلف في قوله تعالى ظاهرة وباطنة على اقوال فقال عكرمة
عن ابن عباس النعمة الظاهرة القرآن والاسلام والباطنة ما ستر
عليك من الذنوب ولم يعجل عليك بالنقمة وقال الضحاك الظاهرة
حسن الصورة وتسوية الاعضاء والباطنة المعرفة وقال مقاتل الظاهر
سوية الخلق والرزق والاسلام والباطنة ما ستر من الذنوب
وقال الربيع الظاهرة الجوارح والباطنة ما ستر من القبيح
التلبيق قال عطا الظاهرة تحقيق الشرائع والباطنة الشفاعة
وقال مجاهد الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الاعداء والباطنة
الامداد بالملائكة وقال سهل بن عبد الله الظاهرة اتباع
الرسول والباطنة محبته وقيل الظاهرة تمام الرزق والباطنة
حسن الخلقة وقيل الظاهرة الامداد بالملائكة والباطنة الغناء
الرعب في قلوب الكفار وقيل الظاهرة الاقرار باللسان والباطنة
الاعتقاد

الاعتقاد بالقلب وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح
الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وما اشبه ذلك ويروى
في دعاء موسى عليه السلام الذي دلني على احقي نعمتك علي عبادك
فقال اخفي نعمتي عليهم النفس ويروى ان اسير ما يعذب به اهل
النار الاحذاء بالاقناس ونزل النضر بن الحارث والاخنس بن خلف واشباههم
كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في الله وفي صفاته ومن
الناس اي اهل مكة من يجادل اي يخاصم فلا هو اعظم من جدال ولا اكبر
منه كبرا ولا ضلال منه ضلالا واظهر من زيادة التشيع على هذا
المجادل بقوله تعالى في الله اي المحيط علما وقدرة ممن يقال مجادلته
انما بغير علم اي مستفاد من دليل بل بالتقاط في ركاكة معانيها لعدم
استنادها الى حس ولا عقل يليحته باصوات الحيوانات اعجم لعجمها كان
ذلك حاراتا بعالم وي ولا هدى اي من رسول عمد من سداد الى
قوال
والاتصال بما اليدي من المعجزات والايات البينات فوجب اخذ
اقوال مسلمة وان لم يظهر معناها ولا كتاب اي من الله تعالى لم
وصفه بما هو لازم له بقوله تعالى منير اي بين غاية البيان بل انما
يجادل بالتقليد كما قال تعالى واذا قيل اي من اي قايل كان لهم اي
المجادلين هذا الجدال اتبعوا ما انزل الله اي الذي خلقكم وخلق
اباكم الاولين قالوا لجمود الانفعال بل نتبع وان اتيتنا بكل دليل ما
وجدنا عليه اباءنا لانهم اثبت منا عقلا واقوم قيلا واهدى سبيلا
فهذه المجادلة في غاية القبح فان النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم
الى كلام الله وهم يأخذون بكلام اباءهم وبين كلام الله تعالى وبين
كلام العالمين عظم فكيف ما بين كلام الله تعالى وكلام امثالهم
اولوا اي اتتبعونهم ولو كان الشيطان اي البعيد من الرحمة

المحترق باللعنة يدعوهم الي الضلال فيوبقهم فيما يتخطا الرحمن فيوديهم ذلك
الي عذاب السعير جواب لو محذوف مثل لما اتبعوه والاستفهام للانكار
والتعجب والمعني ان الله تعالي يدعوهم الي الثواب والشيطان يدعوهم
الي العذاب ويهم مع هذا يتبعون الشيطان وما بين تعالي حاله
المشرك في مجادلته في الله بغير تعالي حال المسلم المستسلم لامر الله
تعالي بقوله تعالي ومن يسلم اي في الحال والاستقبال وجهه اي
قصده وتوجهه وذاته كلها الي الله اي الذي له صفات الكمال بان فوض
امره اليه فلم يبق لنفسه امرا اصلا فهو لا يتحرك الا بامره من اوله
سبحانه وهو اي والحال انه محسن اي مخلص بباطنه كما اخلص ظاهره
فهو مؤمن اما في حال الشهود فقد استمسك اي اوجد الامساك بغاية
ما يقدر عليه من الوثوق في تادية الامور بالعروة الوثقي اي
اعتصم بالعهد الاوثق الذي لا يخاف انقطاعه لان له اوثق العرى
جانب الله تعالي فان كل ما عداه هالك منقطع وهو بات للانقطاع
له وهذا من باب التمثيل مثل حال التوكيل بحال من اراد ان
يتدلي من شاهق واحتاط لنفسه بان استمسك بارثق عروة
من حبل متين مامون الانقطاع فان قيل كيف قال ههنا ومن يسلم
وجهه الي الله فعداه بالي وقال في البقرة بلي من اسلم وجهه لله
وهو محسن فعداه باللام اجيب بان اسلم يتعدي تارة باللام
وتارة بالي كما يتعدي ارسل تارة باللام وتارة بالي قال تعالي وما
ارسلناك للناس رسولا وقال تعالي كما ارسلنا الي فرعون رسولا
والي الله اي الملك الاعلي عاقبة الامور اي تقبر جميع الاشياء اليه
كما ان منه بادئتها وانما خص العاقبة لانهم مقرون بالبادئة وقد
بين تعالي حال المسلم رجع الي بيان حال الكافر فقال تعالي ومن كفر

اي ستر ما اداه اليه عقله من ان الله تعالي لا شريك له واذا لا تدله
اصلا لاحد سواه ولم يسلم وجهه اليه فلا يحزنك اي يهمك ورجعهم كفره
كائنا من كان فانه لم يفتك شيئا فيه ولا معجزتك ليجزنك ولا متبعة له
عليك بسببه في الدنيا ولا في الاخرة وافرد الضمير في كفره اعتبارا
للفظ من للارادة التنصيص علي كل فرد وفي التعبير هنا بالماضي
وفي الاول بالمضارع اشارة الي حصول كفرهم الدين وانهم لا يرتدون
بعد اسلامهم وترغيب في الاسلام لكل من كان كافرا عنه فالاية
من الاحتباك ذكر الحزن ثانيا دليلا علي حذف ضده اولا وذكر
الاستمساك اولا دليلا علي ضده ثانيا الينا اي في الدارين مرجعهم
فننبئهم اي بسبب احاطتنا بامرهم وعتب رجوعهم بما عملوا اي
ومجازيهم عليه اذا ردنا ان الله اي الذي لا كفوء له علیم اي محيط العلم
بما لا مزيد عليه من الاحاطة باوصاف الكمال بذات الصدور اي لا يخفي عليه
سرهم وعلانيتهم فينبئهم بما اسرت صدورهم نمتعهم اي نمهلهم
ليتمتعوا بنعيم الدنيا قليلا الي انقضاء اجالهم فان كل آت قريب
وان ما يزول بالنسبة الي ما يدوم قليل ثم نضطرهم اي نلجئهم ونزيدهم
في الاخرة الي عذاب غليظ اي شديد ثقيل لا ينقطع عنهم اصلا
ولا يجدون لهم منه محيصا من جمعة من جماعة فكانه في شدته
وثقله جرم غليظ حد اذا بركه علي شيء لا يقدر علي الخلاص منه
ثم ان الله تعالي لما سلم قلبه النبي صلي الله عليه وسلم بقوله تعالي فلا
يحزنك كفره اي لا تحزن علي تكذيبهم فان صدقك وكذبهم
يتبين عن قريب وهو رجوعهم الينا علي انه لا يتاخر الي ذلك
اليوم بل ينبئهم قبل يوم القيمة كما قال تعالي ولئن اللام لام قسم
سألتهم من خلق السموات اي باسرها ومن فيها والارض كذلك

وقوله تعالى ليقولن الله اي المسمي بهذا الاسم حذف هنا من الرفع لتوالي
الامثال وداد الهين لالتقاء الساكنين فقد اقروا بان كل ما اشركوا به
بعض خلقه ومصنوع من مصنوعاته وما بين بذلك صدقه صلى الله عليه
وسلم وكذبهم قال الله تعالى مستانفا قل الحمد اي الاحاطة بجميع اوصاف
الكمال لله اي الذي له الاحاطة الشاملة من غير تقييد بخلق الخالقين ولا
غيره على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد بل اكثرهم لا يعلمون اي ليس لهم
علم يمنعهم من تكذيبهم مع اعترافهم بما يوجب تصديقك وما اثبت للقوم
سبحانه الاحاطة بأوصاف الكمال استدل على ذلك بقوله تعالى لله اي
الملك الاعظم ما في السموات كلها والارض كذلك ملكا وخلقا فلا يستحق
العبادة فيها غيره وبما يثبت ذلك اثبت قطعا قوله تعالى ان الله اي
الذي لا تكتنه له هو اي وحده الغني مطلقا لان جميع الاشياء لمحتاجة
اليه وليس محتاجا الى شيء علا الحميد اي المستحق لجميع المحامد لانه المنعم
على الاطلاق المحمود بكل لسان من السنة الاحوال والاقوال لانه
هو الذي انظمها ومن قيد اكثر من اطلقها ولما قال تعالى لله ما
في السموات والارض اتبع تنا سيم ملكه لانحصار ما في السموات والارض
فيهما وحكم العقل الصريح بتناهيهما بين تعالى انه لا يعد ولا يحصط
لمعلوماته وقدرته الموجبة لتجدده بقوله تعالى ولو ان ما في
الارض اي كلها ودل على الاستغراق وتنفي كل فرد فرد من
الجنس بقوله تعالى من شجرة حيث وجدت اقلام اي والشجرة
بعدها من بعدها على سبيل المبالغة سبع بحرات وان ما في
الارض من البحر مداد لتلك الاقلام والبحر اي والحال ان البحر
يمده اي يكون مدادا له وزيادة كائنة من بعده اي من وراءه
سبعة ابحر فكتبت بتلك الاقلام وذلك المداد الذي الارض

كلها

كلها لرداه ما نفدت كلمات الله وفنيت الاقلام والمداد قال المفسرون
نزل بمكة قوله تعالى ويسالونك عن الروح الى قوله وما اوتيتم من
العلم الا قليلا فقيلتنا ام قومك فقال صلى الله عليه وسلم كلا قد عيشت
فقالوا لست تتلو فيما جاءك انا اوتينا التوراة وفيها علم كل شيء فقال صلى الله
عليه وسلم هي في علم الله تعالى قليل وقد اتاكم ما ان عملتم به انتفعتم
قالوا يا محمد كيف تزعم هذا وانت تقول ومن يوت الحكمة فقد اوتي خيرا
كثيرا فكيف يجتمع هذا علم قليل وخير كثير فانزل الله تعالى هذه الآية
وقال قتادة ان المشركين قالوا ان القرآن وما يأتي به محمد يوشك
ان ينفد فينقطع فنزلت فان قيل كان مقتضى الكلام ان يقال ولو ان
الشجر اقلام والبحر مداد جيبا بانه اغنى عن ذكر المداد فقوله تعالى بعده
لانه من الدواة وامدها جعل البحر الاعظم بمنزلة الدواة وجعل
الابحر السبعة بمنزلة مداد انهي نقب فيه مدادها ابدا فما لا يستطيع
والمعنى ولو ان اشجار الارض اقلام والبحر ممدود بسبعة ابحر وكتبت
بتلك الاقلام وبذلك المداد كلمات الله ما نفدت كلماته ونفدت
الاقلام والمداد كقوله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد
البحر قبل ان تنفد كلمات ربي لان المعلوم لا يفي بالمعلوم بالمعلوم
بالنسبة من عظمة لا تتناهي ومن كبريائه لا تتجاري ولا تتقاضي فان
قيل لم قيل من شجرة على التوحيد ومن اسم الجنس اجيب بانه
اريد تفصيل الشجر وتعدادها بشجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر
ولا واحدة الا وقد بريت اقلاما فان قيل الكلمات جمع قلة والموضع
موضع التكثير لا التقليل كما قيل هلا قيل كلم الله اجيب بان معناه
ان كلماته لا تفنى بما لها فكيف بكلمة وقرأ ابو عمرو والبحر بنصب
الراء لكثرة من وجهين احدهما العطف على اسم ان اي ولو ان البحر

ومبتدء الخبر والثاني للفعل فعل مضمر يفسره ما بعده والواو للحال والجملة
حالية ولم يحتج الى ضمير رابط بين الحال وصاحبها للاستغناء عنه بالواو
والتقدير ولو ان الذي في الارض حال كون البحر ممدودا بكذا وقرأ
الباقون برفع الراء وذلك من وجهين ايضا احدهما العطف على ان وما
في حيزها والثاني انه مبتدأ وما بعده الخبر والجملة حالية والرابط الواو وتنكير
قوله تعالى بسبعة ليس لاختصارها في سبعة وانما الاشارة الى المدد
والكثرة ولو بالف بحر وانما خصصت السبعة بالذكر من بين الاعداد
لانها عدد كثير يحصر المعدودات في العادة ويدل على ذلك وجهان
الاول ان المعلوم عند كل احد لما حيط به هو الزمان والمكان
فالزمان منحصر في سبعة ايام والمجموع ينسبون والمكان منحصر في
سبعة اقاليم ولان الكواكب السيارة سبعة والمجموع ينسبون اليها
امورا وقعت السبعة كالعدد الحاصر للممكنات الواقعة في العادة
فاستعملت في كل كثير ومنه قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن ياكل في معا
واحد والكافر ياكل في سبعة امعاء الثاني ان في السبعة معنى يخصها
ولذلك كانت السموات سبعا والارضون سبعا وابواب جهنم سبعة
وابواب الجنة ثمانية لانها الحسنى وزيادة فالزيادة هي
الثامن لان القرب عند الثامن يزيد وفاز وتعاكد بعد الثمانية
الثمانية وليس كذلك الا للاستيناف لان العدد تم بالسبعة ثم يتم
بنتيجة ذلك بقوله تعالى ان الله اي المحيط بكل شيء قدرة وعلما علي ي اي
كامل العلم لا نهاية لقدرته وآياته حكيم اي كامل العلم لا نهاية لمعلوماته
تنبيه قد علم مما تقرر ان الآية من الاحتباك ذكر الاول دليلا على
حذف مثله وذلك السبعة في مبالغة الابحر دليلا على حذفه في الاتجار
والله تعالى اعلم بما يتي الصفتين بعد اثبات القدرة على الابداع من عدم

انتهى

انتهى ذكر بعض آثاره تعالى في البعث بقوله تعالى ما خلقكم اي كلكم في قدرته
وحكمته الا كخلق نفس واحدة واعاد الثاني نضا على كل واحد من الخلق
والبعث على حدته بقوله تعالى وكذا ان الله اي الملك الاعلا سميع اي
بالغ السمع يسمع كل مسموع بصير اي بليغ البصر يبصر كل مبصر لا يشغله
شيء عن شيء وما تقرر تعالى في هذه الآية يجاري قدرته على عليها بامر محسوس
شيء الله كل يوم مرتين بقوله تعالى ألم تر وهو محتمل لوجهين احدهما
ان يكون الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه الاكثر لكادت تعالى
تذكره الخطاب مع غيره لان من هو غيره من الكفار لا قابلية للخطاب معهم
ومن هو غيره من المؤمنين فهم تبع لهم والوجه الثاني المراد منه الوعظ
والواعظ يخاطب ولا يعني احد المعمول بجمع عظيم يا مسكين الى الله
مصيرك فما لصركك ولما ذا تقصر ك ان الله اي بجلاله وعظمته يولج
يدخل ليلا لا مرية فيه الليل في النهار فيغيب فيه بحيث لا يدري بشيء منه
فان النهار وقد عم الارض كلها اسرع من اللمح ويولج النهار اي يدخله
كذلك في الليل فيمحقه حتى لا يبقى له اثر فاذا الليل قد طبق الآفاق
مشارقها ومغاربها في مثل الطرفة فيحق سبحانه كلا منهما من الآخر بعد
اضمحلاله فكذلك الخلق والبعث في قدرته بعزته وحكمته لسلوع
سمعه ونفوذ بصره وسخر الشمس اية للنهار يدحول الليل فيه والقمر
اية لليل كذلك ثم استانف ما سخرا فيه بقوله تعالى كل اي منهما
يجري اي في فلكه سائرا متمادي ابا لغا ومنتهيا الى اجل مسمى لا
يتعداه في مدارك معدودة في جميع الفلك للتقدير ولا ينقض دورا
في السنة مرة وذلك في السنة مرة لا يقدر احدهما ان يتعداه طوعا
ولا ان ينقض دوره ولا ان يغير مسيره لتنبيه قال تعالى يولج بصيغة
المستقبل وقال في الشمس والقمر وسخر بصيغة الماضي لان الايلاج

الليل في النهار ما من يجتهد كل يوم وتسخير الشمس والقمر امر مستمر قال تعالى
حتى عاد كالعرجون القديم وقال ههنا الى اجل وفي الزمر لاجل المعنيين
لاتيان بالحرفين ولا علمك في ايهما وقع قال الاكثرون هذا خطاب
للنبي صلى الله عليه وسلم وقيل عام ولما كان الليل والنهار محل
الافعال بين ان ما يقع في هذين الزمانين الذين لها يعرف الا يخفى
عليه بقوله تعالى ان الله اي بما له من صفات الكمال بما تعملون اي في كل
وقت على سبيل التجدد خبير اي لا يخفى عليه شيء من اعمالكم فيجازيكم
قد وجله واثبت بهذا الاوصاف الحسنى والافعال العلى انه
الموجود بالحقيقة الا الله تعالى قال تعالى ذلك اي المذكور بان اي
بسبب ان الله اي الذي لا عظيم سواه هو وحده الحق اي بسبب انه
الثابت في ذاته الواجب من جميع جهاته المستحق للعبادة وان ما يدعون
اي هؤلاء المخذوم على مرادكم وانتم اليه مسؤول رتبتهم بقوله تعالى
من دونه اي غيره الباطل اي العدم في حد ذاته لا يستحق ان
تضاف اليه الالهية بوجه من الوجوه وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي
وحفص بالتاء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب
وان مقطوعة مما في الرسم وان الله الملك الاعظم وحده هو
العلي على خلقه بالقهر فله الصفات العلى والاسماء الحسنى
الكبير اي العظيم في ذاته وصفاته ولما قال تعالى الم تر ان الله يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر ذكر اية سماوية
واشار الى السبب والمسبب بقوله تعالى الم تر وفي الخاطب بذلك
ما تقدم ان الفلك اي السفن كبارا وصغارا تجري اي بكم حاملة ما تتجرون
عن بعض مسلة في البر في البحر اي على وجه الماء بنعمة الله اي بانعام
الملك الاعلي المحيط علما وقدرة والاحسان اليكم بتعليم صنعتها حتى

بيات لذلك على يد ابيكم نوح العبد الشكور عليه السلام وقيل نعمة
الله هنا هي الريح التي بامر الله ليريكم من اياته اي بعجايب قدرته ودلايل
التي تدلكم على الله الحق الذي يوجب وجوده ما تقرر من الاحوال المتعال
على وجه التام الذي تترتب فيه الابرة فما دونها ان في ذلك اي الامر
الهايل البديع الرفيع لايات اي دلالات وامتحانات على ما له
من صفات الكمال لكل صبار على المشاق فيبعث نفسه في التفكر
في عدم عزمه وفي سيره في البلاد الشاسعة والاقطار البعيدة
وفي كون سيره ذهابا وايابا تارة بريح وتارة بريح واحدة وفي
انجا ابيه نوح عليه السلام ومن اراد الله تعالى من خلقه له
واعتراف غيرهم من جميع اهل الارض وفي غير ذلك من شؤنه
واموره شكور اي مبالغ في كل من الصبر والشكر لانهما الايمان
كما ورد الايمان نصفان نصف صبر ونصفه شكر وعلم من صيغة
المبالغة في كل منهما انه لا يعرف في الرخاء من عظمة الله ما كان يعرفه
في الشدة الا من طبعهم الله تعالى على ذلك ووفقهم له واعانهم عليه
ولهذا قال وقليل من عبادي الشكور وها انا اسال الله الكريم
المنان من فضله ان يجعلني منهم وينفعل ذلك باهلي وباحبابي فانه
كريم جواد ولما ذكر تعالى ان في ذلك لايات ذكر ان الكل مقرون
بعبرات البصير يدركها اولا ويمعن في بصيرته ضعيف لا يدركها اولا كما
قال تعالى واذا غشيهم اي علاهم وعم في الفلك حتى صار كالمظلة
لهم موج اي هذا الجنس الذي هو دون الجبال واعظم ما ينتابه من الرياح
شيئا فشيئا يركب بعضه بعضا كانه شيء واحد واصله من تحرك
والارحام واختلف في قوله تعالى كالظلل فقال مقاتل كالجبال
وقال الكلبي كالسحاب والظلل جمع ظلة شبه بما يرى في كرة تما

دار تتعاونهما فان قيل كيف جعل الموج وهو واحد كالظلل وهو جمع
اجيب بان الموج ياتي منه شيء بعد شيء فلما صاروا اليه هذه الحالة دعوا الله
اي مستحضرين لما يقدر عليه الانسان من كماله بجلاله وجماله عالمين بجميع
مضمون الاية السابقة من حقيقته وعلمه وكبريائه وبطلان ما يدعونه
من دونه مخلصين له الدين اي الدعاء بان يخلصهم لا يدعون شيئا سواه
بانفسهم ولا قلوبهم لما اضطرهم الي ذلك فلما نجاهم اي خلصهم من تلك
الاهوال الي البر نزلوا عن تلك المرتبة التي اخلصوا فيها الدين والتقسيم
قسمين فمنهم اي تسبب عن نعمة الانجاء ان كان منهم مقتصد اي عدل
موف في البر بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له بمعنى بث علي
ذلك وهم قليل دل عليه التعريج بالتبعيض قيل نزلت في عكرمة
ابن ابي جهل هرب في عام الفتح الي البحر فجاءتهم ريح عاصف فقال
عكرمة لئن نجاني الله من هذا لارجعن الي محمد صلي الله عليه وسلم
ولاضعن يدي في يده فسكنت الريح فرجع عكرمة الي مكة فاسلم
وحسن اسلامه وقال مجاهد مقتصد في القول مقر للكفر وقال
الكلبي مقتصد اي من الكفار لان بعضهم كان اشد قولا واعلي في
الاكثر من بعض ومنهم جاحد للنعمة ملتبس للحجاب احيانا في
التعريج بذلك وهو الاكثر كما دل عليه تركه التعريج فيه بالتبعيض
فان قيل ما الحكمة في قوله تعالي في العنكبوت فلما نجاهم الي البر
اذا هم يشركون وقال هنا فلما نجاهم الي البر فمنهم مقتصد اجيب
بانه لما ذكرها هنا امرا عظيما وهو الموج الذي كالجبال بقي اثر ذلك
في قلوبهم فخرج منهم مقتصد وهناك لم يذكر مع ركوب البحر
معاينة مثل ذلك الامر فذكر اشراكهم حيث لم يبق عندهم اثر
وقوله تعالي وما يجحد بايانا الا كل ختار اي غدار فانه ينقض

للعهد

للعهد الفطري اي لما كان في البحر واكثر اشد الغدر كفور اي للنعم في
مقابلة قوله تعالي ان في ذلك لايات اي بعيرة بها الصبار الشكور
ويجوز ان يختار الكفور فالصبار في موازنة المختار لفظا ومعني
والشكور في موازنة الكفور كذلك اما لفظا فيما ظاهر واما كون
المختار في موازنته معني فلان المختار هو الغدار الكثير الغدر اي شديد
الغدر فعال مبالغة من اكثر وهو اشد الغدر والغدر لا يكون الا
من قلة الصبر لان الصبور قد يعهد منه الاصرار فانه يصبر ويفوض
الامر الي الله تعالي واما الغدار فيعاهدك ولا يصبر علي العهد
فينقضه واما ان الكفور في مقابلة الشكور معني فظاهر مما ذكر
تعالي الدلائل من اول السورة الي هنا وعظ بالتقوي بقوله تعالي
يا ايها الناس اي عامة وقيل اهل مكة اتقوا ربكم اي الذي لا يحسن
اليكم غيره واخشوا يوما اي خافوا يوما اي لا يشبه الايام ولا يعد هول
البحر ولا غيره عند ذي هول من اهواله شيا بوجه لا يجزي اي لا يقضي
ولا يغني والد عن ولده والراجع الي الموصوف محذوف اي لا يجزي
فيه وفي التعبير بالمضارع اشارة الي ان الوالد لا ينفك يزال
تدعوه الوالدية الي الشفقة علي الولد ويتجدد عنده العطف
والرقة والمفعول اما محذوف لانه اشد في النفي واما هو الذي يدل عليه
بما في السنة الذي بعده وقوله تعالي ولا مولود عطف علي والد
مبتدا خبره هو جاز عن والده اي فيه شيا من الجزاء وتغيير النظم
للدلالة علي ان المولود اولي بان لا يجزي وتقطع طمع من توقع
من المؤمنين ان ينفع اباه الكافر في الاخرة ان وعد الله اي الذي له
معاقد العز والجلال حق اي ان هذا اليوم الذي هذه شانه هو
كائن لا ان الله تعالي وعد به ووعده حق وقيل ان وعد الله حق

بان لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيا لانه وعد
بان لا تزر وازرة وزر اخرى ووعد الله حق ولا يغرنكم بالله الغرور
اي الذي لا اعظم منه ولا يكافي معه ولا يتبه منكم الغرور اي الكثير
الغرور والمبالغ فيه وهو الشيطان الذي لا احقر منه لما جمع من
البعد والطرد والاحتراق مع عداوته بما يزين لكم من امرها ويلهيكم
به من تعظيم قدرها وتيسيركم كيدها وغدرها وديمتها واذلالها فيوجب
ذلك لكم الاعراض عن ذلك اليوم فلا تقدمونه معادا فلا تتخذونه
له زادا لما اقترن بغروره من علم الله تعالى وامهاله قال سعيد بن
جبير الغرة بالله ان يعمل بالمعصية ويتمنى المغفرة وروي ان الحارث
ابن عمرو اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى تقوم الساعة
واني قد القيت حباتي في الارض متى السماء تمطر وحملت امراتي اذكر
ام انثى وما اعمل غدا واين اموت فنزل قوله تعالى ان الله اي
بجلاله من العظمة وجميع اوصاف الكمال عنده اي خاصة علم
الساعة اي وقت قيامها لا عالم لغيره بذلك اصلا وينزل الغيث
اي في اوانه المعد له والمهل المعين له في علمه وقرا نافع وابن
عامر وعاصم بفتح النون وتشديد الزاي والباقون بسكون
النون وتخفيف الزاي ويعلم ما في الارحام اي من ذكر واثنى
حي لم ميت تام او ناقص وما تدري نفس اي من الانفس الشريفة
وغيرها ماذا تكسب غدا اي من خير او شر وزعا تلتزم على شيء
وتفعل خلافه وما تدري نفس باي ارض تموت اي كما لا تدري
في اي وقت تموت وتعلمه الله تعالى وروي ابن ابي حاتم عن مجاهد
قال رجل من اهل البادية فقال يا رسول الله ان امراتي حبلى
فاخبرني ما تلد وبلادنا مجدبة فاخبرني متى ينزل الغيث وقد

علمت

علمت متى ولدت فاخبرني متى اموت فانزل الله تعالى هذه الاية وعن
عكرمة ان رجلا يقال له الوارث من بني حارث جا الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا محمد متى قيام الساعة وقد اجدبت بلادنا فمتى تخصب
وقد تركت امراتي حبلى فمتى تلد وقد علمت ما كسبت اليوم فماذا
اكسب غدا وقد علمت باي ارض ولدت فباي ارض اموت
فنزلت هذه الاية وعن قتادة قال خمس من الغيب استاثر الله
بعلمهن فلم يطلع عليهن ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ان الله عنده علم
الساعة ولا يدري احد من الناس متى تقوم الساعة وقد اجدبت
بلادنا فمتى تخصب وقد تركت امراتي حبلى فمتى تلد وقد علمت ما اكتسبت
اليوم فماذا اكسب غدا وقد علمت باي ارض ولدت فباي ارض اموت فنزلت
هذه الاية وعن قتادة قال خمس من الغيب استاثر الله بهن فلم يطلع
عليهن ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا ان الله عنده علم الساعة ولا يدري ي
احد من الناس متى تقوم الساعة في اي سنة ولا في اي شهر الليل ام
نهار او ينزل الغيث فلا يعلم احد متى ينزل الليل ام نهار او يعلم ما في
الارحام فلا يعلم احد ما في الارحام اذكر ام انثى احمر ام اسود
ولا تدري نفس ماذا تكسب غدا خير ام شر ولا تدري نفس
باي ارض تموت ليس احد من الناس يدري اين مضجعه من الارض
افي بحر ام في بر ام في سهل ام في جبل وعن احمد وابن ابي
شيبة موقوفا على شهر بن حوشب ان ملك الموت مر على
سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال
الرجل من هذا فقال ملك الموت فقال كانه يريدني فمر الريح
ان تحملني وتلقيني بالهند ففعل فقال ملك الموت كان دوام
نظري اليه تعجبا منه ان امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك

ولا تغرنكم بالله الغرور
وروي في بعض النسخ ولا يغرنكم بالله الغرور
الذي ذكرناه بالوعد اكثر ي

وعن ابن عمر قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس
لا يعلمهن الا الله لا يعلم ما في غد الا الله ولا متى تقوم الساعة الا الله
وما تدري نفس باي ارض تموت الا الله وعن ابي هريرة ان رجلا
قال يا رسول الله متى الساعة قال ما المسئول عنها باعلم من السايل
ولكن سا حدثكم باشراطها اذا ولدت الامة ربتها وذاك من
اشراطها واذا كانت الحفاة العراة رؤس الناس وذاك من اشراطها
واذا تطاول رعاة الغنم في البنيان وذاك من اشراطها في خمس
من الغيب لا يعلمهن الا الله ثم تلى ان الله عنده علم الساعة الي اخر
الاية وعن ابي امامة ان اعرابيا وقف علي النبي صلي الله عليه وسلم
يوم بدر علي ناقة له عشراء فقال يا محمد ما في بطني ناقتي هذه فقال
له رجل من الانصار دع عنك رسول الله صلي الله عليه وسلم وهلم الي
حتي اخبرك وقعت ان عليها وفي بطنها ولدمنك فاعرض عنه
رسول الله صلي الله عليه وسلم ثم قال ان الله يحب كل حي كريم
ويبغض كل قاس لئيم متفحش ثم اقبل علي الاعرابي فقال
خمس لا يعلمهن الا الله ان الله عنده علم الساعة الاية وعن
سلمة بن الاكوع قال كان رسول الله صلي الله عليه وسلم في قبة
حمراء اذ جاء رجل علي فرس فقال له من انت قال انا رسول الله
قال متي الساعة قال غيب وما يعلم الغيب الا الله قال فما تقول
قال غيب وما يعلم الغيب الا الله وعن ابن عمر ان النبي صلي الله
عليه وسلم قال اوتيت مفاتيح كل شئ الا خمس ان الله عنده علم
الساعة الاية وعن ابن مسعود قال اوتي نبيكم صلي الله عليه وسلم
مفاتيح كل شئ غير خمس ان الله عنده علم الساعة الاية وعن علي
ابن ابي طالب رضي الله تعالي عنه لم يتم علي نبيكم الا خمس من

سر ابن

سر ابن الغيب هذه الاية التي آخرها ان الله عنده علم الساعة الي
آخر السورة وعن ربعي قال حدثني رجل من بني عامر انه قال يا رسول
الله هل بقي من العلم شئ لا تعلمه فقال لقد علمني الله خيرا وان من العلم
ما لا يعلمه الا الله اكمن ان الله عنده علم الساعة الاية وعن بنت
معوذ قالت دخل علي رسول الله صلي الله عليه وسلم صبيحة عرسي
وعندي جاريتان تغنيان وتقولان ما تيقن وفينا نبي يعلم ما في
غد فقال اما هذا فلا تقولاه ما يعلم ما في غد الا الله وعن ابي
عزة الهمداني قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا اراد الله
قبض عبد بارض جعل له اليها حاجة فلم ينته حتي تقدمها ثم قرا
رسول الله صلي الله عليه وسلم وما تدري نفس باي ارض تموت
وعن ابي مالك ان النبي صلي الله عليه وسلم بينما هو جالس
في مجلس كنيد اصحابه جاءه جبريل في غير صورته يتخسس رجلا
من المسلمين فسلم فرد عليه السلام ثم وضع يده علي ركبتي النبي
صلي الله عليه وسلم وقال له يا رسول الله ما الاسلام قال ان تسلم
وجهك لله وتشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وتقيم
الصلاة وتوتي الزكاة قال فاذا فعلت ذلك فقد اسلمت قال نعم
ثم قال ما الايمان قال ان تؤمن بالله واليوم الآخر والملايكة
والكتاب والنبيين والموت والحياة بعد الموت والجنة والنار
والحساب والميزان والقدر خيره وشره قال فاذا فعلت ذلك
فقد آمنت قال نعم ثم قال ما الاحسان قال ان تعبد الله كانك تراه
فان كنت لا تراه فانه يراك قال فاذا فعلت ذلك فقد احسنت
قال نعم ثم قال فمتي الساعة يا رسول الله فقال رسول الله صلي
الله عليه وسلم سبحان الله خمس من الغيب لا يعلمها الا الله ان الله

عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري
نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس باي ارض تموت ان
الله اي المختص باوصاف الكمال عليم اي شامل علمه للامور كلها كلياتها
وجزئياتها فاثبت العلم المطلق لنفسه سبحانه بعد ان نفاه عن الغير
في الخمس خبير اي يعلم خبايا الامور وخفايا الصدور كما يعلم ظواهرها
وجلاياها كل عنده على حد سواء من الكليم في ذاته وصفاته ولذلك
اخفى هذه المفاتيح عن عباده لانه لو اطلعهم عليها لفات كثير
من الحكم باختلال هذا النظام على ما فيه من الاحكام فقد انطبق
آخر السورة على اثبات الحكمة باثبات العلم والخبر مع تقدير امر
الساعة التي هي مفتاح الدار الاخرة على اولها المخبر بحكم تضمنته
التي من علمها حق علمها وتخلق بما دعت اليه وحضت عليه لاسيما
الايقان بالاخرة كان حكيما فسبحان من هذا كلامه وتعالى
كبرياؤه وعز مرامه وما رواه البيضاوي تبعا للزمخشري
من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة لقمان
كان له لقمان رفيقا يوم القيمة واعطي من الحسنات عشرا بعدد
من عمل المعروف ومحى عنه المنكر حديث موضوع سورة السجدة
مكية وهي ثلاثون اية وثلاثمائة وثمانون كلمة والف وخمسمائة
وثمانية عشر حرفا بسم الله اي ذي الجلال والاكرام الرحمن بجميع
المشاهد والغائب الرحيم الذي اسكن في قلوب احبابه الشوق
اليه والخشوع بين يديه وتقدم في البقرة وغيرها الكلام على
الم وما لم يسبق بما اشارة الى ان الله تعالى ارسل جبريل عليه
السلام الى محمد الفاتح الخاتم صلى الله عليه وسلم بكتاب معجز وبا
عجازه على صحة رسالته ووحدانيته من ارسله وسرد سبحانه
وتعالى

وتعالى هذه الاحرف في اوائل اربع من هذه السور فتارة ادت على الطوسي
بواحدة اشار تعالى ان هذه المعاني في غاية الثبات لا انقطاع لها
ولما كان المقصود في التي قبلها اثبات الحكمة تمثل لهذا الكتاب الذي
فيه تبيان كل شيء اجل سبحانه وتعالى عن هذا بانه من عنده
بقوله تعالى تنزيل الكتاب اي الجامع لكل هدى ما تزوى من التدريج
من السما لا ريب اي لا شك فيه لان نافي الشك هو الاعجاز معه
لا ينفك عنه فكل ما تقولوه انه مما يخالف ذلك تعنت وجهل من غبي
ريب جاهل كونه من رب العالمين اي الخالق لهم المدبر لمصالحهم فلا
يجوز في عقل ولا يخطر ببال ولا يقع في وهم ولا يتصور في خيال
انه يصل شيء من كتابه تعالى الى هذا النبي الكريم بغير امره ولا
يتخيل انه من كلامه ولكنه اخذه من اهل الكتاب لان هذا لا
يقال مع بعض الملوك فكيف بملك الملوك فكيف بمن هو عالم
بالسر واخفى محيط علمه بالخفي والجلي تنبيه في تنزيل الكتاب
اعرابات مختلفة واظهرها ما جرى عليه الجلال المحلي من ان
تنزيل الكتاب مبتدا ولا ريب فيه خبره ولا يرد من رب العالمين
خبر ثان وقوله تعالى ام يقولون اي مع ذلك الذي لا يمتري فيه
عاقل افتراه اي تعمد كذبه ام فيه هي المنقطعة والاضراب
للانتقال لا للابطال وقيل الميم صلة اي اتقولون افتراه وقوله
تعالى بل هو الحق اي الثابت ثباتا ولا يضاهيه ثبات شيء من الكتب
قبله اضراب ثان ولو قيل بانه اضراب ابطال لنفس افتراه
وحده لكان صوابا وعلى هذا يقال كل ما في القران اضراب

وتعالى

فهو صواب الا نقال الا هذا فانه يجوز ان يكون الطا لانه الطا لقولهم
ام ليس هو كما قالوا مفترى بل هو الحق وفي كلام الزمخشري ما يرشد
الى هذا فانه قال والضمير في فيه راجع الى الجملة مفنون كانه قيل
لا ريب في ذلك اي في كونه من رب العالمين قال ابن عادل وقيل
لو جاهدة ام يقولون افتراه لان قولهم هذا مفترى انكار لا يكون من
رب العالمين وكذلك قوله تعالى بل هو الحق من ربك وما فيه من تقرير
انه من عند الله وهذا اسلوب صحيح محكم الله وقوله تعالى من ربك
اي المحسن اليك بانزال الكتاب واحكامه حال من الحق والعامل فيه محذوف
على القاعدة وهو العامل في لتنذر ويجوز ان يكون العامل في
لتنذر ضميرا اي انزل لتنذر قوما اي ذوي قوة وجلد ومنعة ما
اتاهم من نذير اي رسول في هذه الازمنة القريبة لقول ابن
عباس ان المراد الفترة ويؤيده اثبات الجار في قوله تعالى من قبلك
وتما ذكر تعالى علة الانزال اتبعه علة الانذار بقوله تعالى لعلهم
يهتدون اي ليكون حالهم في مجاري العادات حال من ترجي
هدايته الى كمال الشريعة واما التوحيد فلا عذر لاحد فيه
مع اقامة الله تعالى من حجة العقل مع ما اتبعته الرسل عليهم
الصلاة والسلام آدم فمن بعده من اوضح النقل باثار دعواتهم
وتحاياد لالاتهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لمن سأله عن
ابيه ابي وابوك في النار وعن ذلك من الادلة الدالة على ان
من مات قبل دعوته على الشرك فهو في النار لكن ذكر بعض العلما
ان من حفها نبيه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى احيى له ابويه وآمنا
على يديه ولا بعد في ذلك فان الله تعالى اكرمه باشيا لاحقر منها
ذكر تعالى الرسالة وبين ما على الرسول من الدعا الى التوحيد واقامة

الدليل قال الله اي الكامل في جميع صفات الكمال وحده الذي خلق
السموات كلها والارض باسرها وما بينهما من الاشيا الصنفية والمعنوية
في ستة ايام كما ياتي تفصيله في فصلت ان شا الله تعالى ثم استوى
على العرش وهو في اللغة سرير الملك استوا يليق به لم تعهدوا
مثله وهو انه تعالى احدث في تدبيره وتدبير ما حواه بنفسه
لا شريك له والا نايب فيه ولا وزير كما تعهدون من ملوك الدنيا
اذا اتسعت مما ليكم وتباعدت اطرافها وتناءت انظارها ما لكم من
دونه لا يأكل ما سواه دونه وتحته فتمهيد ودل على عموم النفي بقوله
تعالى من ولي اي يلي امركم ويقوم بمصالحكم فيدفع عنكم اذا اراد بكم شيئا مما
تتذرون به ولا شفيع يشفع عنده في تدبيركم اي في احد منكم بغير
اذنه افلا تذكرون هذا فتستفظون ولما نفى ان يكون له وزير
او شريك في الخلق ذكر كيف يفعل في هذا الملكوم العظيم الذي
لا يعرف فقال استيفا فمصدر المراوا بالاستوا يدبر الامر اي كل
امر هذا العالم بان يفعل في ذلك فعل الناظر في ادباره الاتقان
خواتمه ولوازمه كما ينظر في اقبال الاحكام خواتمه وعواقبه لا يكل
شيا منها الى احد من خلقه قال الرازي في اللوامع وهذا دليل
على ان استوا على العرش بمعنى اظهار القدرة والعرش مظهر
التدبير لا معنى المدبر ولما كان المقصود للقرب انما هو تدبير ملكه
شا الله تم لهم ما اراد العالم قال تعالى مفردا من السما اي ينزل له ذلك
الامر الذي اتقنه كما يتقن من ينظر في ادبار ما يعمله الى الارض
اي غير منصرما الى ما مضى في ذلك على ان السما تشمل كل عال
فيدخل في ذلك جميع العالم العلوي والارض تشمل كل ما سفل
فيشمل ذلك العالم السفلي شبه تهتهم فان مكسورتان

لعلهم
فتوسنون

فقالون وابن كثير بسهلان الاولي كالياء مع المد والقصر ورش وقنبل
بسهلة الثانية وتوليهما ابدالها من غير مد واسقط ابو عمرو الاولي
مع المد والقصر والباقون بتحقيقهما ولما كانت الصعود اشق من
النزول علي ما جربته به العوايد فكان بذلك مستبعدا اشار الي
ذلك بقوله تعالي ثم يعرج اي يصعد اليه اي يصعود الملك الي الله
تعالي اي الموضع الذي شرف اذن امره بالكون فيه كقوله تعالي اني
ذاهب الي ربي ومن يخرج من بيته مهاجرا الي الله ورسوله ومعني
ذلك اني الي الموضع الذي ابتدا منه نزول التدابير الي السما كانه
صاعد في معاريج وهي الدرج علي ما تتعارفون بينكم في اسرع من
لمح البصر في يوم اي من ايام الدنيا كان مقداره لو كان الصاعد واحد
منكم علي ما تعهدون الف سنة مما تعدون من سنيكم التي
تعهدون قال البقاعي والذي دل علي هذا التقدير شيء من الرقي
وشيء من اللفظ اما اللفظ فالتعبير كان مع انقطاع الكلام
بدونها لوايد غير ذلك واما العرف فهو ان الانسان المتمكن ببني
البيت العظيم العالي في سنة مثلا فاذا قرن عند صعده اليه حاد منها
الي اعلاه في اقل من درجتين من درج السلم فلا يكون بسبب
ذلك من زمن بنايه الا جزا ولا يبعد هذا وهو خلق محتاج فما
ظنك بمن خلق الخلق في ستة ايام ولوشا لخلقهم في لمحة وهو غني
عن كل شيء قادر علي كل شيء لو قتل له الامر وعروج العمل في
مسافة الف سنة مما تعهدون وهو ما بين السما والارض فان
مسافة خمسماية تنزل في مسيرة خمسماية سنة ويعرج في خمسمايه
سنة فهو مقدار الف سنة كما ان تعالي يقول لو سار احد من بني آدم
لم يقطعه الا في الف سنة والملايكة يقطعونه في يوم واحد هذا

في وصف

في وصف عروج الملك من الارض الي السما واما قوله تعالي تعرج
الملايكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة اراد
مدة المسافة من الارض الي سدرة المنتهي التي هي مقام جبريل عليه
السلام فسير جبريل والملايكة الذين معه من اهل مقامه مسيرة
خمسين الف سنة في يوم واحد من ايام الدنيا قال مجاهد والضحاك
وورد انه صلي الله عليه وسلم قال بين السما والارض خمسمايه
عام ثم قال اتدرون ما التي تحتها قلنا الله ورسوله اعلم قال السما الاخري
اتدرون كم بينهما قلنا الله ورسوله اعلم قال خمسمايه عام حتي
عد سبع سموات ثم قال اتدرون ما فوق ذلك قلنا الله ورسوله
اعلم قال العرش ثم قال اتدرون ما بينه وبين السما السابعة قلنا
الله ورسوله اعلم قال مسيرة خمسمايه عام ثم قال اتدرون ما هذه تحتكم قلنا
الله ورسوله اعلم قال هذه الارض اتدرون كم بينهما قلنا الله ورسوله
اعلم قال مسيرة خمسمايه عام حتي عد سبع ارضين ثم قال والذي
نفسي بيده لو ان احدكم دلي بحبل لهبط علي علم الله وقدرته ورد في مثل السموات والارض في
الكرسي كحلقة ملقاة في فلاة وان فضل الكرسي علي السموات والارض
كفضل الفلاة علي تلك الحلقة وقوله تعالي وسع كرسيه السموات
والارض يدل علي ان الكرسي محيط بالكل وقيل مقدار الف سنة
وخمسين الف سنة كلها في القيامة وهناك حينئذ يدبر الامر
من السما الي الارض مدة ايام الدنيا ثم يعرج اي يرجع الامر والتدبير
اليه بعد فنا الدنيا في يوم كان مقداره ذلك وذلك اليوم يتفاوت
فهو علي الكافر كخمسين الف سنة وعلي اكرم من دون ذلك بكثير
في الحديث انه يكون علي اكرم من كمثل صلاة مكتوبة صلاها
في الدنيا وقيل ان ذلك اشارة الي ابتدا ايقاع الامر

عن ان يعبر بالف سنة او بخمسين الف سنة لاتفاوت الا ان المبالغة بالخمسين
اكثر وسيأتي بيان فائدة تمام في موضعها ان شاء الله تعالى ولما تقرر هذا من
عالم الاشباح والخلق ثم عالم الارواح والامر بين انه تعالى عالم بما كان
وما يكون بقوله تعالى ذلك اي الاله الواحد القهار عالم الغيب
والشهادة اي ما غاب عن الخلق ومنه الذي تقدمت مفاتيحه وما
حضر وظهر لديه براهينها العزيز اي الغالب على امره الرحيم على
العباد في تدبيره وتنبيه ايقاظا بانه تعالى يراعي المصالح تفضلا
واحسانا ولما ذكر تعالى الدليل على الوحدانية من الافاق بقوله
تعالى خلق السموات والارض وما بينهما اتبعه بذكر الدليل عليهما
من الانفس بقوله تعالى الذي احسن كل شيء خلقه قال ابن
عباس اتقنه واحكمه فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى
حسن واحسن كما قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن
تقويم وقال مقاتل علم كيف يخلق كل شيء من قوله القائل فلان
يحسن كذا اذا كان يتقنه وقيل خلق كل حيوان على صورة
لم يخلق البعض على صورة البعض وقيل معناه احسن الى
كل خلقه وقرأ نافع وكل فيون بفتح اللام وفعلا ماضيا
والجملة صفة للمضاف او المضاف اليه والباقون بسكون اللام على
انه بدل من كل شيء بدل اشتمال والضمير عائد على كل شيء ولما كان
الحيوان اشرف الاجناس وكان الانسان اشرفه خصه بالذكر
ليتوهم دليل الوحدانية بالانفس كما قال بالافاق فقال دالا
على البعث وبدأ خلق الانسان اي آدم عليه السلام من طين
قال الرازي ويمكن ان يقال الطين ماء وتراب مجتمعين فالادمي
اصله مني وامني اصله غذاء والاغذية اما حيوانية واما نباتية

والحيوانية

والحيوانية ترجع الى النباتية والنبات وجوده بالماء والتراب الذي
هو الطين ثم جعل نسله اي ذريته من سلالة اي نطفة سميت سلالة
لانها تنذر من الانسان اي تنفصل منه وتخرج من صلبه وظهره وتراكم
للولد نسليل هذا على التفسير الاول لان ادم كان من طين وقيل
من سلالة من ماء مهين اي ضعيف وعلى التفسير الثاني فهو ان اصله
من طين ثم يوجد من ذلك الاصل سلالة هي ماء مهين وهو نطفة
الرجل واشار الى عظمة ما بعد ذلك من خلقه وتطويره بقوله
تعالى ثم سواه قومه بتصوير اعضائه وابداع المعاني فيه يا بديع
ونفخ فيه اي ادم من روحه اي من جعله حيا حساسا بعد ان كان
جمادا واضافة الروح الى الله تعالى اضافة تشريف كبيت الله وناقة
الله فيا لها من شرف ما اعلاه ففيه اشارة بانه خلق عجيب وان له
شانا له مناسبة الى الحضرة الربوبية قال البيضاوي وفي ذلك اي
والاجل كون ادراكه شانا اخرويا من عرف نفسه فقد عرف ربه
هذا الحديث لا اصل له وتقدير ان له اصلا ليس معناه ما ذكر بل
معناه من عرف نفسه وتامل في حقيقتها عرف ان له صانعا
موجدا له واليه اشار بقوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون ثم ذكر
على ما يترتب على نفخ الروح في الجسد مخاطبا للذرية بقوله تعالى
وجعل لكم بعد ان كنتم نطفا امواتا السمع اي لتدركوا به ما يقال لكم
والابصار اي لتدركوا بها الاشياء على ما هي عليه والافئدة
اي القلوب المودعة عن ايا العقول فان قيل ما الحكمة في تقديم السمع
على البصر والبصر على الافئدة اجيب بان الانسان يسمع اولا كلاما
فينظر الى قائله ليعرفه ثم يتفكر في قلبه في ذلك الكلام ليفهم معناه
فان قيل ما الحكمة في ذكر المصدر في السمع ثم في البصر والمفرد الاسم

ولهذا جمع الابصار والافيدة ولم يجمع السمع لان المصدر لا يجمع اجيب
بان السمع قوة واحدة ولهما محل واحد وهو الاذن ولا اختيار لهما فيه
واذ العضو من اي جانب كان واصل اليه ولا قدرة للاذن على تخصيص
السمع بادراك البعض دون البعض واما البصر فمحله العين ولها فيه اختيار
فانها تحرك الى جانب المرئي دون غيره وكذلك الفؤاد وله نوع
اختيار يلتفت به الى ما يريد دون غيره فالسمع اصل دون محله لعدم
الاختيار له والعين كالاصل وقوة الابصار الهما والفؤاد كذلك وقوة
العلم التي فذكر في السمع المصدر الذي هو القوة وفي الابصار والا
الاسم الذي هو محل القوة ولان السمع قوة واحدة لها محل واحد فتلة
ولهذا لا يسمع الانسان في زمان واحد كلامين على وجه يضبطهما
ويرعى في زمان واحد صورتين فاكثر وبينهما فاصل لم تدرك
السمع هنا وقدم القلب في قوله تعالى في البقرة ختم الله على قلوبهم
وعلى سمعهم وعلى ابصارهم اجيب بانه تعالى عند الاعطاء ذكر
الادنى ثم ارتقى الى الاعلى فكانه قال اعطاكم السمع ثم ما اعطاكم
ما هو اشرف منه وهو القلب وعند السلب قال لي لهم قلب
يدركون به ولا ما هو دونه وهو السمع الذي يسمعون به من له قلب
يفهم الحقائق ويستخرجها ولما لم يبادروا الى الايمان عند التذكير
بهذه النعم جسام قال تعالى قليلا ما تشكرون اي تشكرون تشكرا
قليلا فما مزيدة او كلمة تعليل وقيل له تعالى وقالوا معطوف على جاءتهم
منهم قائلوا محمد ليس برسول والآلهة التي يدعوها لا يمكن
ان يدل على صحة الرسالة بنفي الوحي عن الكتاب ثم على الوحدانية
بسؤال العقلة واحاطة العلم بابداع الخلق على وجه هو نعمة
لهم وختم بالتعجب من كفرهم وكذا استبعادهم للبعث الذي هو

الثالث

الثالث الاعظم كفرهم وهو قولهم ايذا اي ابعد اذا ضللنا
اي غبنا في الارض اي صرنا ترابا مختلطا بتراب الارض لا نتميز منه واصله
من ضل الماء في اللبن اذا ذهب فيه وقولهم اينا لفي خلق جديد اي نبعث
خلقا استفهام انكار زيادة في الاستبعاد فان قيل الله تعالى ذكر في
الرسالة من قبل وذكر دليلها وهو التنزيل الذي لا ريب فيه وذكر
الوحدانية وذكر دليلها وهو خلق السموات والارض وخلق الانسان من
طين ولما ذكر انكارهم الحشر لم يذكر الدليل اجيب بانه ذكر دليله ايضا
وهو ان خلقة الانسان ابتداء دليل على قدرته على الاعادة ولهذا
استدل تعالى عليهم انكار الحشر بالخلق الاول ثم نبههم وهو اهون عليه
وقوله تعالى الذي انشأها اول مرة وانما خلق السموات والارض كما
قال تعالى اوليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق
مثلهم بلى وهو الخالق والكساي ايذا ضللنا اينا الاول بالاستفهام
والثاني بالخبر والباقون بالاستفهام فيهما وبذهب قالون وابو عمرو
في الاستفهام بتسهيل الثانية وادخال الف بينهما وبين همزة الاستفهام
وورش وابن كثير بتسهيل الثانية من غير ادخال وهشام بتسهيل الثانية
بخلف عنه مع الادخال والباقون بتحقيقهما من غير ادخال وقوله تعالى
بل هم بلقاء ربهم كافرون اي جاحدون اضراب عن الاول اي ليس
انكارهم لمجرد الخلق ثانيا بل يكفرون بجميع احوال الآخرة حتى لو صدقوا
بالخلق الثاني لما اعترفوا بالعذاب والثواب او يكون المعنى لم ينكروا
البعث لانفسه بل لكفرهم بلقاء الله فانهم كرهوه فانكروه والمغفى اليه
ثم بين لهم ما يكون من الموت الى العذاب بقوله تعالى قل اي يا افضل
الخلق لهم يتوفاكم اي يقبض ارواحكم ملك الموت الذي وكل بكم
اي بقبض ارواحكم وهو عزرائيل عليه السلام والتوفي استيفاء

العدد معناه انه يقبض ارواحهم حتى لا يبقي احد من العدد الذي كتب عليه
الموت وروي ان ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة كفه يأخذ منها ما
احب من غير مشقة فهو يقبض انفس الخلق من مشارق الارض ومغاربها
وله اعوان من ملائكة الرحمة واعوان من ملائكة العذاب وقال ابن
عباس خلق ملك الموت ما بين المشرق والمغرب وقال مجاهد جعلت
الارض مثل الطست بين يديه وفي بعض الاخبار ان ملك
على معراج بين السماء والارض فتنزع اعوانه روح الانسان فاذا
بلغ نقرة نحره تلقفه ملك الموت وعن معاذ بن جبل ان لملك الموت
هربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهو يتصفح وجوه الناس فيما من
اهل بيت الا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين فاذا راى انسانا
قد انقضى اجله ضرب براسه بتلك الحربة وقال الان يزار بكم عن
الوتين فيصير ميتا لا روح فيه لا يدري من اين يخلد بسببه فاذا كان
هذا فعل عبد من عبيده تعالى صرف في ذلك فقام به مما ترونه
مع ان مفارقة الروح للبدن اشد من مفارقة تراب البدن للبقية
التراب لانه ربما يستدل ببعض ذلك على بعض ذلك بنوع دليل
من شم وغيره فكيف يستبعد شيء من الاشياء على رب العالمين وبعد
الثلاثي اجمعين سئل الله تعالى ان يقبضنا على التوحيد وان
يستعملنا في طاعته مع احبابنا وينيل ذلك باهلنا واحبابنا
ولما قام بهذا البرهان القطعي على قدرته التامة علم ان تقدير
ثم يعيدكم خلقا جديدا كما كنتم اول مرة لم يحذفه كما هو عادة القرآن
في حذف كل ما دل عليه السياق ولم يدع داع الى ذكره عطف عليه
قوله تعالى ثم الي ربكم اي الذي ابتدا خلقكم وربيكم ثم يميتكم واحسن
اليكم غاية الاحسان ترجعون اي تصيرون اليه احيا فيجزيكم باعمالكم

ولما

ولما تقرر دليل البعث بما لا خفاء فيه ولا لبس ولا مرية في بعض احواله بقوله
تعالى ولو ترى اي يا من يتصور اذ المجرمون اي الكافرون ناكسوا رؤسهم اي مطاطو
هـا
هي ذلا وخجلا وحزنا وذلا عند ربهم المحسن اليهم المتوحد بتدبيرهم
قال ابن عباس بنكاية الذل والرقة ربنا ايها المحسن الينا ابصرنا اي ما كنا
نكذب به وسمعنا منك تصديق الرسل فيما كذبناهم به فارجعنا يا مالكنا
من هذه الصفة المقتضية للاحسان الى الدنيا دار العمل نعمل صالحا
فيها انا موقنون اي ثابت لنا الآن الايقان بجميع ما اخبرنا به عنك
فلا يفهم ذلك ولا يرجعون وجواب لو محذوف تقديره لرايتا امرا
فظيعا والمخاطب يحتمل ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم او كل من يصح
فانهم كانوا يودون ويتمنون التكذيب ويحتمل ان يكون عاما واذ على بابها من
المضي لانها تقصر المضارع للمضي واما اجيء هنا ما حيا للمحقق وقوعه
كما ان امر الله وحمله اتى لما تحقق وقوعه اذ هو صنع اذا ولا حاجة اليه
وقوله تعالى ولو شئنا اتينا كل نفس اي مكلفة
لان الكلام فيها هداها فتهتدي بالايمان والطاعة باختيارها فحاق جواب
عن قولهم ربنا ابصرنا وسمعنا وذلك ان الله تعالى قال ايلو رجعتم
الي الايمان لهديتكم في الدنيا ولما لم اهدكم تبين اني لم اردت ولا شيئت
ايمانكم فلا اردكم وهذا صريح في الدلالة على صحة مذهب اهل السنة
خلافا للمعتزلة في ان الله تعالى ما اراد الايمان من الكافر ولا شاء منه الا الكفر
ولكن لم اشأ ذلك لانه حق القول مني وانا ممن لا يخلف الميعاد لان
الاخلاف اما للعجز او لنسيان او حاجة ولا شيء من ذلك يليق بجنابي
ولا يجل بساحتي واكد لاجل انكارهم فقال فتقسما لاملان جهنم
اي التي هي محل المخالفين من الجنة اي الجن طائفة ابليس وكانه تعالى
انما خص تحقير امرهم عند من سعظهم امرهم ربوبيتهم لاستعظامهم لهم

ولامهم الذين اضلوهم والناس اجمعين حيث قلت لابليس لاملان جهنم
منك وممن تبعك منهم اجمعين فلذلك ثبت كفر الكافر وعصيان
العاصي بعد ان جعلت لهم اختيارا وعنيت العاقبة عنهم فصار
الكسب ينسب اليهم ظاهرا والخلق في الحقيقة والمشيئة لي ولما
تنسب عن هذا القول الصارف انه لا يحيص بهم عن عذابهم قال لهم اكرتة
اذا دخلوا جهنم فذوقوا العذاب بما اي بسبب ما نسيتم لقاء يومكم و
حقق وبين ذلهم بقوله تعالى هذا اي بترككم الايمان به انا نسيناكم اي
عاملناكم معاملة الناس المنعمة ولكم من اكتفا لة معاملة الناس لكم
فتركناكم في العذاب وذوقوا عذاب الخلد اي المختص بانه لا آخر له
بما اي بسبب ما كنتم تعملون اي من الكفر والتكذيب والكاد البعث
ولما ذكر تعالى علامة اهل الكفر اذ ذكر علامة اهل الايمان بقوله تعالى
انما يؤمن بآياتنا اي الدالة على عظمتنا الذين اذا ذكروا اي
اي من ذكر كان في اي وقت كان خروا سجدا اي بادروا الى السجود
مبادرة من كانه سقط من غير قصد خضعا لله من شدة تواضعهم
وخشيتهم واجنابهم خضوعا ثابتا دايما وسبحوا اي اوقعوا التسبيح به
عن كل شايبة نقص ملتبسين بحمد ربهم اي قالوا سبحان الله وبحمده
وقيل صلوا بامر ربهم ولما تضمن هذا تواضعهم صرح به في قوله تعالى
وهم لا يستكبرون اي عن الايمان والطاعة كما يفعل من يغير مستكبرا
وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرا السورة التي فيها السجدة
يسجد ويسجد حتى ما يجد احدنا مكانا لموضع جبهته في غير وقت
الصلاة وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا قرا ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلي
امر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فابيت

فله

فله من عذابهم سجود القرآن فتسن للقاري والمستمع والسامع ولما
كانت المواضع ربما ينسب الى الكسل منعي عنهم ذلك مبينا لما تضمنته
الاية السالفة من حوفهم بقوله تعالى تتجافى اي ترتفع وتنبو جنوبهم
عن المضاجع عبر به عن ترك النوم قال ابن رواحة بني تجافى جنبه عن
فراشه اذا استثقلت بالمشركين المضاجع والمضاجع جمع مضجع
وهو الموضع الذي يضطجع عليه يعني الفراش وهم المجتهدون بالليل
الذين يقيمون الصلاة قال انس نزلت فينا معاشر الانصار كنا نصلي
المغرب فلا نرجع الى رحالنا حتى نصلي العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم
وعن انس ايضا قال نزلت في الناس من اصحاب النبي صلى الله عليه
وسلم كانوا يصلون صلاة المغرب الى صلاة العشاء قال عطاء الذين
لا ينامون حتى يصلوا العشاء الاخرة والعتمة جماعة وعنه صلى الله
عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة كان كقيام نصف ليلة ومن صلى
الصبح في جماعة كان كقيام ليلة وعن انس كنا نجتنب الفرش قبل صلاة
العشاء وعنه ايضا قال ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم راقدا
قط قبل العشاء ولا متحدثا بعدها فانه هذه نزلت في ذلك وعن ابن
عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال هم الذين لا ينامون قبل
العشاء فاثنى عليهم فلما ذكر ذلك جعل الرجل يتزل من الليل مخافة
ان تغلبه عينه نومه قبل ان ينام الصغير ويكسل الكبير وعن مالك
ابن دينار قال سالت انسا عن هذه الاية فقال كان قوم من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الاولين يصلون
المغرب ويصلون ما بعدها الى العشاء الاخرة نزلت هذه الاية فيهم
وعن ابن ابي حازم قال ما بين المغرب والعشا صلاة الاوابين
وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى

تتجافى جنوبهم عن المضاجع قال قيام العبد من الليل وعن معاذ بن جبل
قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فاصبحت يوما
قريبا منه ونحن منى فقلت يا رسول الله اخبرني بعمل يدخلني الجنة
ويباعدني من النار قال لقد سالت عن عظيم وانه ليسير على من
يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيا وتقيم الصلاة وتوتي
الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال الا ادلك على ابواب الخير
الصوم جنة والصدقة تطفي الخطيئة وصلاة الرجل من جوف الليل
ثم قرا تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون ثم قال الا اخبرك
براس الامر وعموده وذروة سنامه كله ثم قال الا اخبرك بملاك
ذلك كله قلت بلى يا نبي الله فاخذ بلسانه ثم قال كف عنك هذا
فقلت يا رسول الله وانا لمواخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك امك
يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم الا حصائد السنتهم
وعن كعب قال اذا حشر الناس نادى مناد هذا يوم الفصل اين
الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع اين الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر
الله وتقودا وعلى جنوبهم ثم يخرج عنق من نار فيقول امرت بثلاثة
ممن حمل مع الله الها اخر وبكل جبار عنيد وبكل معتد لا انا اعرف
بالرجل من الوالد بولده والمولود بوالده ويوم يفتقر المسلمون
الى الجنة فيحبسون فيقولون نحبسونا ما كان لنا اموال وما كنا
امرا وعن ابي امامة الباهلي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وقربة الى ربكم
وتكفير السيئات ومنهاة عن الاثام ومطردة الداء وعن ابن مسعود
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عجب ربنا من رجلين رجل ثار
من وطايه ولحافه بين حبه والهه الى صلاته رغبة فيما عندي

وشفقا

وشفقا مما عندي ورجل غزا في سبيل الله فانهزم مع اصحابه فعلم
ما عليه من الانهزام وما له في الرجوع فرجع حتى هريق دمه
وعن عايشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل
حتى ينتفخ قدماه فقلت لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك
ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا وعن علي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها
من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها الله لمن الان الكلام
واطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام واخرج
البيهقي في شعب الايمان عن ربيعة الجرشي قال يجمع الله الخلايق
يوم القيمة في صعيد واحد فيكونون ما شاء الله ان يكونوا ثم ينادي
مناد سيعلم اهل الجمع لمن يكون الفضل اليوم والكرم ليقم الذين تتجافى
جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا فيقومون وقليل منهم
قلة ثم يلبث ما شاء الله ان يلبث ثم يعود فينادي ليعلم اهل الجمع
لمن الفضل اليوم والكرم ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر
الله فيقومون وهم اكثر من الاولين واخرج ابن جرير عن ابن عباس
تتجافى جنوبهم عن المضاجع يقول تتجافى لذكر الله اما في الصلاة
واما في قيام او تقود او على جنوبهم لا يزالون ذاكرون الله وكما كان
عبد الله المضجع قد يكون لغير العبادة بين الله لهما بقوله تعالى حببنا لهم
يدعون اي داعين ربهم اي الذي عودهم باحسانه ثم علله بقوله
تعالى خوفا اي من سخطه وعقابه فان اسباب الخوف من نعاتهم
كثيرة سواء عرفن اسبابا يوجب الخوف فامرا لانهم لا يامنون مكر الله
لانه يفعل ما شاء او طمعا في رضاه الموجب للثواب وقال ابن عباس
خوفا من الناس وطمعا في الجنة دعا ربه دون الرجا اشارة الى انهم

لشدة مسرتهم بنعايهم لا يعدون اعمالهم شيأ بل يطلبون فضله بغير
سبب واذ كانوا مجتهدين في طاعته ولما كانت العبادة تقطع غالبا
عن التوسع في الدنيا رغبت نفس العابد الى التمسك بما في يده خوفا
من نقص العبادة عند الحاجة وصمنهم الله تعالى بقوله تعالى ومما رزقناهم
اي بعظمتنا لا يقول منهم ولا قوة ينفقون من غير اسراف ولا تقتير في
جميع وجوه القرب التي سرعنا هالهم فلا يبخلون بما عندهم اعتمادا على
الخلاق الرازق الذي ضمن الخلق بهم بما ضمن لهم او نفقهم بما عندهم
ولما ذكر تعالى جزا المستكبرين ذكر جزا المتواضعين بقوله تعالى فلا
تعلم نفس اي من جميع النفوس مقربة ولا غيرها ما اخفي اي خبي
لهم اي لهولا المذكورين من مفاتيح الغيوب وخزائنها كما كانوا
يخفون اعمالهم في الصلاة في جوف الليل وبالصدقة ويغيرذلك
وقرا حمزة وحفص الياء والباقون بالفتح ولما كانت العين لا تقر فتمتع
الا عند الامن والسرور قال تعالى من قرة اعين اي من شيء
تقيس تقر به اعينهم لاجل ما اقلقوها عن قرارها بالنوم ثم صرح
بما افهمته فا السبب بقوله تعالى جزا اي اخفاها لهم لجزايهم بما اي
بسبب ما كانوا يعملون اي من الطاعات في دار الدنيا روى البخاري
في التفسير عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قال الله تعالى اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر قال ابو هريرة اقرؤا ان شئتم فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم الاية وعن ابن مسعود قال انه لمكتوب في
التوراة لقد اعد الله تعالى للذين يتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم
ترعين ولم تسمع اذن ولا خطر على قلب بشر وعن ابن عمر قال ان
الرجل من اهل الجنة ليتجلى فتشرق عليه الشمس فيقلن يا فلان بن فلان

ما انت

ما انت بخير حرجت من عندها بادي بكسا فيقول هذا انقى فيقلن نحب
منك الذي قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما
كانوا يعملون وعن عامر بن عبيد الى احد قال بلغني ان الرجل من اهل
الجنة يمكث في مكانه سبعين سنة ثم يلتفت فاذا هو بامراة احسن
مما كان فيه فتقول وذات لك ان يكون لنا منك نصيب فيقول من انت
فتقول انا ممن قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة
اعين وعن سعيد بن جبير قال لهم خلوف على ما هم عليه ساعة من
ايام الدنيا ملائكة مرات معهم التحف من الله من حيث ما ات عن يمينه
في مياتهم وذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
وعن كعب قال لما صعف لكم عز وجل رجل من اهل الجنة كان يطلب
حلالا في يا كل حلالا حتى يعتي الله على ذلك فانه يعطى يوم القيمة
قصرا من لولوة واحدة ليس فيها صدع ولا وصل فيها سبعون الف
غرفة واسفل القصر سبعون الف بيت في كل بيت سفقه صفائح
الذهب والفضة ليس بموصول ولولا ان الله تعالى يحول النظر لذهب
بصر من نزل غلظ الحائط اثنا عشر ميلا وطوله في السما سبعون
ميلا في كل بيت سبعون الف باب يدخل عليه في كل بيت من كل باب
سبعون الف خادم لا يراهم من في هذا البيت ولا يراهم من في هذا
البيت فاذا خرج من قصره نشر في ملكه مثل عمر الدنيا يسير في
ملكه عن يمينه وعن شماله ومن ورايه وازواجه معه وليس معه
ذكر غيره ومن بين يديه ملائكة قد سخر لهم بين ازواجه ستر
وبين يديه ستر وصفان وصايفة لهم ما يشتهي وما
يشتهي ازواجه ولا يموت هو ولا ازواجه ولا خادمه ابدا نعيمهم هم
يزداد كل يوم من غير ان يبلى الاول وقرة عين لا تنقطع ابدا الا

يدخل عليه فيه روعة ابدا وعن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لا لموذنا الولكبة احدكم ادم فمن
دونه توضع طعاما وشرابا حتى يخرجوا من عنده لا يفقده ذلك شيئا
مما اعطاه وعن سهل بن سعد قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يصف الجنة حتى انتهى ثم قال فيها حالا لا عين رات ولا
اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال تتجافى جنوبهم عن المضاجع
الاية قال المترجم يعني انهم احتجوا عملا واحتفى لهم بل اما فقد سواء على
الله فقرت تلك الاعين وعن ابي اليمان قال الجنة مائة درجة
او لها درجة فضة وارضها فضة ومساكنها فضة وابنيتها فضة وتراب
المسك والثانية ذهب وارضها ذهب ومساكنها ذهب وابنيتها
ذهب وتراب المسك والثانية لولو وارضها لولو ومساكنها لولو
وابنيتها لولو وتراب المسك وسبع وسبعون بعد ذلك ما لا عين
رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وتلا هذه الاية فلا تعلم
نفس ما اخفي لهم من قرة اعين الاية وعن المغيرة بن شعبة
يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم ان موسى عليه السلام
سال ربه فقال اي رب اي اهل الجنة ادنى منزلة فقال رجل يجي
بعد ما ادخل اهل الجنة الجنة فيقال له ادخل فيقول كيف ادخل
وقد نزل الناس منازلهم واخذوا اخذاتهم فيقال له ارضي ان يكون
لك مثل ملك ملك من ملوك الدنيا فيقول نعم اي رب قد رضيت
فيقال له فان لك مع هذا ما اشتهت نفسك ولذت عينك فقال
موسى اي رب فاي اهل الجنة ادفع منزلة قال اياها اردت وحرتك
عنهم اني قد غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال ومصداق ذلك من كتاب

الله

الله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين ونزل في علي بن ابي طالب
رضي الله عنه والوليد بن عقبة لعلي اسكت فانك صبي وانا شيخ وانا
والله ابسط منك لسانا واحد منك سنانا واشجع جنانا واملا سكا
حشوا في الكتيبة فقال له علي اسكت فانك فاسق افمن كان مؤمنا
اي راسخا في التصديق بجميع ما اخبرت به الرسل كمن كان فاسقا اي
راسخا في الفسق خارجا عن دايرة الاذعان وقال تعالى لا يستوون
ولم يقل تعالى لا يستويا فدل بذلك على ان كل مؤمن واحد ولا فاسق واحد
بل اراد جميع المؤمنين وجميع الفاسقين فلا يستوي جمع من هؤلاء
بجمع من اولئك ولا فرد بعد فرد فقاده لا يستوون لا في الدنيا
ولا عند الموت ولا في الاخرة ولما نفى استواءهما اتبعه حال كل
على سبيل التفصيل وبدا بحال المؤمن بقوله تعالى اما الذين امنوا
وعملوا اي بعد تيقنا لايمانهم الصالحات اي الطاعات فلهم جنات المأوى
اي التي يأوي اليها المؤمنون فانها المأوى الحقيقي والدنيا منزل
ممر يحتل عنها لا محالة وهي نوع من الجنات قال الله تعالى ولقد راه
نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى سميت بذلك
لما روي عن ابن عباس قال تأوي اليها ارواح الشهداء وقيل لانها عن
يمين العرش نزلا اي عدادا لهم او له تقدوسهم قال البقاعي كما تهدى
الضيف على ما لاح اي عند قدومه بما اي بسبب ما كانوا يعملون
من الطاعات فان اعمالهم من رحمة ربهم واذا كانت هذه الجنات
نزلا فما ظنك بما بعد ذلك هو لعمري ما اشار اليه قوله صلى الله
عليه وسلم ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
وهم كل لحظة في زيادة لان قدرة الله تعالى لا نهاية لها واياكم ان
تخادع او يغرنكم ملحد ممن ينحاز الكافر من بقوله تعالى واما الذين

فستقوا ايجزجوا عن دايرة الايات الذي هو صدف التواضع واهل المعاجة
والملازمة فما دامهم النار اي التي لا خلاصة فيها للبوابوجم من الوجوه
سلجا ودهم ومن لهم اي فالنار لهم مكان جنة المحو لما وي للموسنين كلما
اراد وا اي وهم مجتهدون فكيف اذا اراد بعضهم ان يجزجوا منها بان يحمل
اليهم ما يطيقون به القدرة على الخروج منها كما كانوا يجزجون بغوسهم
من محيط الادلة ومن دايرة الطاعات الي حيث انعماهي والزلات
فيها لجون اخروج فاذا ظنوا انه تيسر لهم ودهم بعيد في عمر انعما اعيدوا
فيها فهو عبارة عن حلولهم فيها وقيل لهم اي من اي قايل وكلهم ذوقوا
عذاب النار اهانة لهم وزيادة في تعذيبهم وقوله تعالى الذي كنتم به
تكذبون صفة لعذاب وجوز ابو البقا ان تكون صفة للنار قال
وذكر على معنى الجحيم والحريق ولما كان الموصوف الاول يتمنون
اصابتهم بشيء من الهموات قاله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى
اي عذاب الدنيا قاله الحسن هو مصايب الدنيا واسقامها وقال
عكرمة الجوع بمكة سبع سنين اكلوا فيها الجيف والعظام والكلاب
وقال ابن مسعود هو القتل بالسيف يوم بدر دون العذاب
الاكبر وهو عذاب الاخرة فان عذاب الدنيا لا نسبة له الى عذاب
الاخرة فان قيل ما الحكمة في مقابلة الادنى بالاكبر والادنى
انما هو في مقابلة الادنى والاكبر انما هو في مقابلة الادنى
اجيب بانه حصل في عذاب الدنيا امران احدهما انه قريب والاخر
انه قليل صغير وحصل في عذاب الاخرة ايضا امران احدهما
انه بعيد والاخر انه عظيم كبير لكن الترف في عذاب الدنيا هو
انه الذي يجعل بصلح للتحزيب كان العذاب الاجل واذا كان
قليلا فلا يجترئ عنه بعض الناس اكثر مما يجترئ من العذاب الشديد

اذا

اذا كان آجلا وكذا الثواب العاجل فقد يرغب فيه بعض الناس ويستعد
الثواب العظيم الاجل واما في عذاب الاخرة فالذي يصلح للمحق بعينه به
هو العظيم والكثير لا البعيد كما ذكر تعالى في عذاب الدنيا العذاب به
الادنى فيحترز العاقل ولو قال تعالى ولنذيقنهم من العذاب الاصغر
ما كان يجترئ عنه لصغره وعدم فهم كونه عاجلا وقال في عذاب
الاخرة الاكبر لذلك المعنى ولو قال من العذاب الابعد الاقصى لما
حصل التحزيب به مثل ما يحصل بوصفه من الكبر لعلهم يرجعون الى
الايمان اي من بقي فيهم بعد بدر فان قيل ما الحكمة في ذكر الترجي هنا
على اسم تعالى محاله اجيب بوجهين احدهما معناه لكي يقتهم الاذاقة
الراجين كقوله تعالى انا نسينا كم يعني تركناكم كما يترك الناس حيث
لا يلتفت اليهم اهلا كذلك هنا والثاني لنذيقنهم العذاب اذاقة
مقول القايل لعلهم يرجعون بسببه ومن اي لا احد اظلم ممن ذكر
بايات ربه اي القرآن ثم اعرض عنها فلم يتفكر فيها وهم لا يستعد
للاعراض عنها مع فرط وضوحها وارشادها الى اسباب السعادة
بعد التذكير بها عقلا كما في بيت الحماسية وصلكيشف الما الا بين رجم
يري غمرات الموت ثم يزورها اي لا يكشف الامر العظيم الا رجل كريم
موصوف بما ذكر والما بتشديد الميم حالمد عم في سرقة فتحام اكثر
والشاهد في قوله ثم يزورها اذ المعنى انه استعد الذين وزغمرات
الموت بعد ان رآها واستعفيها ما طلع على شدتها انا من المجرمين
اي الكافرين منتقمون وعبر بصيغة العظمة تنبيها على ان الذي يحصل
لهم من العذاب لا يدخل تحت الوصف على مجرد العدل في الظالمين
فكيف اذا كانوا اظلم الظالمين والجملة الاسمية تدل على دوام
ذلك عليهم في الدنيا اما باطنا بالاستدراج بالنعم وما ظاهرا

باجلال النعم وفي الاخرة بدوام العذاب على مر الايام ولما ترد الاصول
الثلاثة عاد الى الاصل الذي بدا به وهو الرسالة المذكورة في قوله
تعالى لتتذرق ما اما انا ايم من انذر من انه ليس ببدع من الرسل
بقوله تعالى ولقد اتينا موسى الكتاب اي الجامع للاحكام وهو التوراة
فكان قد ذكر رسل ملك وذكر موسى عليه السلام لقربه من النبي
صلى الله عليه وسلم وهو اول من انزل عليه كتابا من انبياء بني
اسرائيل بعد فترة كثير من الانبياء بينه وبين يوسف عليهما السلام
ولم يجر عيسى عليه السلام للذكر والاستدلال لان اليهود يا
كانوا يوافقونه على نبوته واما النصارى فكانوا يعترفون ببنوة موسى
عليه السلام فذكرا ليجمع عليه فلا تكن في مرية واختلف في الضمير
في قوله تعالى من لقائه على اقوال احدها انها عائدة على موسى
والمصدر مضاف لمفعوله اي من لقائك موسى ليلة الاسراء وامتحن
المبرد الزجاج في هذه المسئلة فاجاب بما ذكر قال ابن عباس
وغيره المعنى فلا تكن في شك من لقائك موسى فانك سترله وتلقاه
وروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رايت
ليلة اسري بي موسى رجلا ادم طوالا جعدا كانه من رجال
شنوءة ورايت عيسى رجلا مربوعا الى الحمرة والبياض
سبط الراس ورايت مالكا خازن النار والدجال في ايات
اراهن الله اليه وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اتيت على موسى ليلة اسري بي عند الكثيب الاحمر وهو
يصلي في قبره فان قيل قد صح في حديث المعراج انه راه في السما
السادسة وراجعته في امر الصلاة كيف الجمع بين هذين اجيب
باجوبة يحتمل ان تكون رويت في قبره عند الكثيب الاحمر قبل

صعوده الى السماء ذلك في طريقه الى بيت المقدس ثم صعد الى السماء
السادسة وجده هناك قد سبقه لما يريده الله تعالى وهو على كرسي
قدير فان قيل كيف تصح منه الصلاة في قبره وهو ميت وقد سقط
عنه التكليف وهو في الدار الاخرة وهي ليست دار عمل وكذلك ارى
النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الانبياء وهم يجيبون اجيب عن ذلك
باجوبة الاول ان الانبياء افضل من الشهداء والشهداء احياء عند
ربهم فلا يبعد ان يجوز ان يصلوا كما صح في الحديث وان يتقربوا الى الله
تعالى بما استطاعوا الا انهم وان كانوا قد توفوا لكنهم بمنزلة الاحياء
في بعض الدار التي هي دار العمل الى ان تفنى ويفضوا الى دار
الجزاء التي هي الحقيقة الجواب الثاني ان الله صلى الله عليه وسلم راى حالهم
التي كانوا عليها في حياتهم وسئلوا كيف كانوا وكيف كان مجيء صلاتهم
الجواب الثالث ان التكليف وان ارتفع عنهم في الاخرة لكن التذكر
والشكر والدعا لا يرتفع قال الله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم
وبحمدك قال صلى الله عليه وسلم يلهمون التسبيح كما تلهمون النفس
فالعبد يعبد ربه في الجنة اكثر مما كان يعبده في الدنيا وكيف لا يكون
ذلك وقد صار مثل حال الملائكة الذين قال الله تعالى في حقهم
يسبحون الليل والنهار لا يفترون وذكر غاية ما في الباب ان العبادة
ليست عليهم بتكليف بدني مقتض للطبع ثانيها ان الضمير يعود الى
الكتاب وح يجوز ان تكون الاضافة للفاعل اي من لقاء الكتاب
موسى او المفعول اي من لقاء موسى الكتاب او لاقاهم نسبته
اليهما معا لانه من لقيتك فحققه لقيته قال السدي المعنى فلا تكن
في مرية من لقايه اي من تلقي موسى كتاب الله تعالى بالرضاء
والقبول ثالثها انه يعود على الكتاب على حذف مضاف اي من

لقد اشتمل كتاب توكي رابعها الله عايد علي ملكه الموت لتقدم ذكره خاصها
عوده علي الرجوع المفهوم من قوله الي ربكم ترجعون اي لاتكه في حيرة
من لقا الرجوع ساد سمها الله يعود علي ما يفهم من سياق الكلام
مما ابتلي به موكي من الابتلاء والامتحان قاله الحسن اي لابد ان
تلقي ما لقي توكي من قومه فاختار موكي عليه السلام الحكمة وبين
ان احدا من الانبيا لم يوذه من عدوه الا الذين لم يومنوا واما الذين
امنوا به فلم يخالفوه عن توم موكي عليه السلام فان من لا امن به
اذاه العنا بالمخالفة فطلبا شيا من ربه اعظم جهرة وكفتوكهم اذهب
انت وربك فقاتلا واظهر هذه الاقوال الغير اما الموكي واما
للكتاب واختلفت في الضمير العنا في قوله تعالى وجعلناه علي قولين
احدهما يرجع الي موكي اي وجعلنا موكي هدي اي هاديا لبني اسرايل
كما جعلناكه هاديا لامتك والثاني انه يرجع الي الكتاب اي وجعلنا
كتاب موكي هاديا كما جعلنا كتابك كذلك وجعلنا منهم اي انبيايهم
واحبارهم ايمة يهدون اي يوقعون البيان ويعملون علي حسبه
بامرنا اي بما انزلنا فيه من الاوامر كذلك جعلنا من امتك صحابة
يهدون كما قال صلي الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم
اهتديتم وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وبتسهيل الهمزة وقبل الميم
وليهم العنا ابدالها يا وحقتها الياوقون ومد هشام بين الهمزتين
بخلاف عنه وقوله تعالى لما صبروا قرا حمزة والكسايي بكسر اللام
وتخفيف الميم اي بسبب صبرهم علي اذيتهم وعلي البلا من عدوهم
ولا خلو وقرا الباقون بفتح اللام وتشديد الميم اي حين صبرهم علي
ذلك وان كان الصبر العنا انما هو بتوفيق الله تعالى وكانوا بايانا
الدالة علي قدرتنا ووحدانيتنا لما لهما من العظمة يوقنون اي لايرتابو

في شيء منها ولا يعملون فضل اشتراك عنها بالاعراض ولما افهم قوله تعالى منهم
انه كان منهم من يضل عن امر الله قال الله تعالى ان ربك اي المحسن اليك
بارسالك ليعظم ثوابك هو اي وحده يفصل بينهم اي بين المهديين والمهديين
والضالين والمضلين يوم القيمة بالقضا الحق فيما كانوا فيه يختلفون اي
من امر الدين لا يخفى عليه شيء منه واما غير ما اختلفوا فيه فالحكم
فيه لهم او عليهم وما اختلفوا فيه لا علي وجه القصد فيقع في محل العفو
ولما اعاد ذكر الرسالة اعاد ذكر التوحيد بقوله تعالى اولم يهد اي يبين
كما رواه البخاري عن ابن عباس لهم كم اهلكنا اي كثرة من القرون كسا
من قبلهم من القرون الماضين من المعرضين عن الايات ونجينا من
آمن بها وقوله تعالى يمشون قال من ضمير لهم في مساكنهم اي في اسفارهم
الي الشام وغيرها كما كنتم عاد وثمود وقوم لوط فيعتبروا الذي في ذلك اي
الامر العظيم لايات اي دلالات علي قدرتنا افلا يسمعون سماع تدبر
واتعاظ فيستظهروا بها اولم اي اينكروا في انكار البعث ايذا ضللنا
في الارض ولم يروا انا بما لنا من العظمة نسوق اي من السما والارض
الماء الي الارض الجرز اي التي جرز نباتها اي قطع بالبيبس والتهشم
وبابديي الناس فصارت ملسا لا نبت فيها وفي البخاري عن ابن
عباس انها لا تمطر مطرا الا يغني عنها شيئا والايات التي لا تنبت كالسبا
جرز ويدل عليه قوله تعالى فنخرج به من اعماق الارض نبت لكنا نازرعا
اي نباتا لا ساق له باختلاط الماء بالتراب وقيل الجرز اسم موضع
باليمن تاكل منه انعامهم اي من خبه وورقه وبنته وحشيشه ادم
وانفسهم اي من الحبوب والفواكه وقديم الاطعام لوقوع الامتنان
بها لانها قوام حياتهم في معايشهم وابدانهم ولان الزرع عند الدواب
لابد منه واما عند الي لاستغنا فقد يصلح للحيوان فكان كغيره ان يذكر الزرع

ثم الانسان باكل من الحيوان قال قيل في سورة عبس ما للانسان الا ما سعى
الكلمة اجيب بان السياق في الطعام الانسان الذي هو غاية الترتيب حيث
قال فلينظر الانسان الى طعامه ثم قال فانبتنا فيها حبا وذكر من
طعامه من العنب وغيره مما لا يصلح للانعام فقدمه وهذا السياق
لمطلق احتياج الترتيب وادلة حلاله انما هو لاكل الانعام ولا يصلح
للانسان ولو كانت هذه الاية مبصرة قال افلا يبصرون هذا
فيحملون انا نقدر على اعادتهم بخلاف الاية الماضية فانها كانت
مسموعة فقال افلا يسمعون ثم لما بين الرسالة والتوحيد بين الحشر
بقوله تعالى ويقولون اي مع هذا البيان الذي ليس معه استهزاء متى هذا
الفتح اي يوم القيمة وهو يوم الفصل بين الرسل واعدائهم ويوم نصرهم
عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن فتح يوم فتح مكة ان
كنتم صادقين اي عن يقين في الصدق بالاخبار بانه لابد من وقوعه
حتى لو من اذا اخبرنا به قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل اي
لهؤلاء الجهلة يوم الفتح اي الذي تستعجلون به وهو يوم القيمة لا ينفع
الذين كفروا اي غطوا ايات ربهم التي لاحت لهم مما سواتي ذكره انتهم
وغيرهم ممن اتصف بهذا الوصف ايمانهم لانه ليس ايمانا بالغيب
ولا هم ينظرون اي يمهلون في اتباع العذاب بهم لحظة ما من منتظر
ما فات قيل قد سألوا عن وقت الفتح فكيف يقيط بوقته هذا الكلام
جوابا على سؤالهم اجيب بانه كان عن ظن منهم في السؤال عن وقت
الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء اجيبوا على
حسب ما علم من ظنهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا العذاب ولا
تستعجلوا العذاب ولا تستهزئوا استهزاء فكانكم وقد حصلتم في ذلك
اليوم وانتم فلم ينفعكم الايمان واستظرتم في ادراك العذاب

فلم

فلم تنظروا فانه قيل فمن نفسر بيوم الفتح او بيوم بدر كيف يستقيم على
تفسيره اذ لا ينفعهم الايمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناس يوم
بدر اجيب بان المراد ان المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل
كما لم ينفع فرعون ايمانه حال ادراك الغرق وقوله تعالى فاعرض عنهم اي
ولا تبال باستكذابهم وانتظر بهم انزال العذاب بهم انهم منتظرون بك
حادث موتك او قتل فيستريح موتك كان ذلك قبل الامر بقتالهم
وقتل انتظار عذابهم بتعذيبك اياهم منتظرون بك بلطفهم استهزاء كما قالوا
فاتنا بما تعدنا وعن ابي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقرا في الفجر يوم الجمعة الم تنزيل اي في الركعة الاولى
وهل اتى على الانسان اي في الركعة الثانية وعن جابر قال كان
النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرا تبارك والم تنزيل
ويقول انهما يفضلان على كل سورة في القرآن بسبعين حسنة ومن
قرأهما كتب له سبعون حسنة ورفع له سبعون درجة وعن ابي بن
كعب ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرا سورة الم اعطي من
الاجر كمن اعطي ليلة القدر وقال البيضاوي بن المنكدر عن جابر
صلى الله عليه وسلم من قرا الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان
بيته ثلاثة ايام قال الشيخ شمس ابن الجزري اجده بسورة الاحزاب
مدنية وهي ثلاث وسبعون اية ومائتان وعما وون كلمة وخمسة
الاف وتسعمائة وتسعون حرفا وعن زر قال قال ابي بن كعب كم
تعدون سورة الاحزاب قال ثلاثا وسبعين اية والذي يحلف به
ابي بن كعب ان كانت لتعدل سورة البقرة او اطول ولقد قرانا فيها
اية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله
عزيز حكيم اراد ابي ان ذلك من جملة ما نسخ من القرآن واما

ما حكيت تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة فاكلتها الداجن
فمن تا للغيبات الجلالة والرفعة بسم الله الذي مهما اراد اراد كان
الرحمن الذي شملت رحمته كل موجود بالكرم والجود الرحيم لمن توكل
عليه بالعطف عليه وقال ابي سفيان وعكرمة بن ابي جهل
وابي الاعور عمرو بن سفيان السلمي لما قدموا المدينة ونزلوا على
عبد الله بن ابي راس المنافقين بعد قتال احد وقد اعطاهم النبي
صلى الله عليه وسلم الامان على ان يكفوا فقام معهم عبد الله بن
سعد بن ابي سرح وطعمة بن ابيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
وعنده عمر بن الخطاب ارفض ذكر الهتنا اللات والعزى ومناة
وقل انها لشفاعة لمن عبدها وندعك وربك فشق على النبي
صلى الله عليه وسلم قولهم فقال لعمر يا رسول الله ايذن لي في قتلهم
فقال اني قد اعطيتهم الامان فقال لعمر اخرجوا عني لعنة الله وغضبه
وامر النبي صلى الله عليه وسلم ان يخرجهم من المدينة يا ايها النبي اتق الله
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان اهل مكة منهم الوليد بن المغيرة
وشيبة بن ربيعة دعوا النبي صلى الله عليه وسلم ان يرجع عن
قوله على ان يعطوه شطر اموالهم وخوفوه انما تفوت من اليهود
بالمدينة ان لم يرجع فقتلوه فانزل الله تعالى يا ايها النبي اتق الله اي
دم على التقوى كما يقول الرجل لغيره وهو قايم قم قايما اي اثبت
قايما فستقله بذلك فما يقال الامر بالشيء لا يكون الا عند اشتغال المامور
بغير المامور به اذ لا يصح ان يقال للمن اجلس وللساكت اسكت
والنبي صلى الله عليه وسلم كان مشتغلا لذا بالمامور به بالمداومة يصح في
ذلك ان يقال للجالس اجلس هنا حتى اتيك ويقال للساكت قد
احسنت فاسكت فسلم ايدوم على ما انت عليه والهيا عن حجة العقد

ان

ان الملك يبتغي منه عادة على ثلاثة اوجه بعضهم يخاف من عقابه ان لم يفعل
يخاف من قطع نوابه وثالث يخاف من احتجابه فالنبي صلى الله عليه
وسلم لم يؤمر بالتقوى بالاول ولا بالثاني واما الثالث فانه يخاطب به
لانه ما دام في الدنيا فليس والامور البدنية شاغلة فالادمي
في الدنيا حالة مع الله وللاخرى مقبل على ما لا بد منه وان كان
معه الله ولهذا اشار بقوله عليه الصلاة والسلام انما انا بشر
مثلكم يوحى الي يعني برفع الحجاب عني وقت الوحي فلعلكم اعود
اليكم كاني منكم فامر بالتقوى يوجب دوامة الحضور وقال الضحاك
معناه اتق الله ولا تشفق الذي بينك وبينهم وقيل الخطاب مع النبي
صلى الله عليه وسلم والمراد الامة تنبيه جعل الله تعالى ندائه صلى
الله عليه وسلم بالنبي والرسول في قوله تعالى يا ايها النبي اتق الله يا ايها
النبي لم تحرم يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وترك ندائه
باسمه كما قال تعالى يا ادم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة وتشريفا
وتنويها بفضله فان قيل انه لم يوقع اسمه بالخطاب في النداء فقد اوقعه في
الاخبار في قوله تعالى محمد رسول الله وما محمد الا رسول قد خلت
يا ان ذلك لتعليم الناس انه رسول الله وتلقين لهم ان يحوم بذلك
ويدعوه به خلا تقاوت بين النداء والاخبار الا ترى الى ما لم يقصد
به التعليم والتلقين من الاخبار كيف ذكره بخلاف ما ذكر في النداء لقد
جاءكم رسول من انفسكم وقال الرسول يا رب لقد كان لكم في رسول
الله اسوة حسنة والله ورسوله احق ان يرضوه النبي اولى بالمومنين
من انفسهم ولو كانوا يومنون بالله والنبي اذا الله وملايكته يصلون
على النبي وقرانا فتح النبي بالميم والباقون بالياء والواجب اليه
صلى الله عليه وسلم الامر بخشية الولي الودود اتبعه النهي عن

الالتفات لتهجين المعدود بسوء بقوله تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين
في شيء من الاشياء لم يتقدم اليك من مخالفتهم امر وان لاح لك خوف
اذى فرفقا بحالهم واحترس منهم فانهم اعداء الله تعالى واعدا المؤمنين
لا يريدون الا المضارة والمعاندة قال ابو حيان سبب نزولها ما يروي
انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كان يجب السلام المحمود
متابعة ناس على النفاق وكان يلين لهم جانبه وكانوا يظهرون
الفجايع من طريق المخادعة فنزلت تحذيرا لهم منهم وتنبيها على عداوة
الدين بعد استطلاع ما مثل لم خص الكافر والمنافق بالذكر ولا ذكر
غيرهما لا حاجة اليه لانه لا يكون عنده الا مطاعا ولان كلا من طلب
من النبي صلى الله عليه وسلم طاعته ممن كان ارتد منافق لان من
يامر النبي صلى الله عليه وسلم بامر ايجاب مستعقدا انه لم يفعل
بما تبعه حرى ان يكون كافرا وقرا ابو عمرو والدوري وردس عن الكسا
الكافرين بالاضافة محضة وردس بين بين والباقون بالفتح لم تحذف
تعالى الامر والنهي بما بين لك الهموم ويوجب الاقبال عليهما والتردد
بقوله تعالى ان الله اي بتعظيم كما له كان ان لا زال ولا يزال عليما اي شامل العلم
حكيما بالغ الحكمة فمن تعالى لم يامرك بامر الا وقد علم ما يترتب عليه
واحكم اصلاح المحال فيه ولما كان ذلك مهما لخطاه لعظمه تكلم
بعد عوايته كان فكان الكافر ربما دعا الى بعض من مكارم الاخلاق
قيده بقوله تعالى واتبع اي بغاية جهدك ما يوحى اي يلقى اليك
خفيا كما يفعل المحب مع حبيبه اليك من ربك اي المحسن اليك
بعلاج جميع امرك وايثر موضع الضمير بظاهر ليدل على الاحسان
في التربية لتقوى على امتثال ما امرت به الاية السالفة ولما
امره باتباع الوحي رغبه فيه بالتعليل بادغم من التعليل الاول

في ان

في ان مكرهم خفي بقوله تعالى من كرا بالاسم الاعظم بجميع ما يدل عليه من
الاسماء الحسنى زيادة في التنويه على الاعتناء بوكد اني للمتوعب
ان الله اي بعظمته وكماله كان ان لا زال ولا يزال بما تعملون اي العزيزان من
الكايد والدقة خبيرا فلا تهتم بشانهم فانه سبحانه كافيك وان تعاظم
وقرا ابو عمرو بما يعملون خبيرا وبما يعملون بصيرا بالياء على الغيبة
على ان الواو صفي الكفرة والمنافقين والباقون بالتاء على الخطاب
فيهما ولما كان الادمي هو صفع الحاجة قال تعالى وتوكل اي دع الاعتماد
على التدبير في امورك واعتمد فيها على الله اي المحيط علما وقدرة
فانه يكفيك في جميع امورك وكفى بالله اي الذي له الامر كله على
الاطلاق وكيلا اي موكولا اليه الامور كلها ولا تلتفت في شيء من امرك
الى غيره لانه ليس لك قلبان تقسم كل واحد منهما الى واحد كما قال تعالى
ما جعل الله اي الذي له الحكمة البالغة والعظمة الباهرة لرجل اي لاحد
من بني آدم ولا غيره وعبر بالرجل لانه اقوى حسا وفيهما فيهم غيره من باب
اولى واشار الى التاكيد بقوله تعالى من قلبين واكد الحقيقة وقررها
وحلاها وصورها بقوله تعالى في جوفه اي ما جمع الله تعالى قلبين
في جوفه لان تقليب احدهن الروح الحيواني المتعلق النفس الانساني
اولا ويتبع القوى باسرها ومدبر البدن باذن الله تعالى وذلك يمنع
التعدد وما جعل ازواجكم اللاء اباح لكم التمتع بهن يظهرون
منهن كما يقول الانسان للواحدة منهن انت علي كظهر امي امهاتكم
بما حرم عليكم من الاستمتاع بهن حتى يجعلوا ذلك على التابيد
ويترتبوا على ذلك احكام الامهات كلها وما جعل ادعياءكم جمع دعي
وهو من يدعي لغير ابيه ابناءكم حقيقة ليحل لهم ازواجهم ويحرم عليهم
حلائلهم وغير ذلك من احكام الابناء الحقيقي اذ الله سبحانه وتعالى

كلام يدري لعل حكمته ان يجعل للانسان قلبين لانه لا يخلو ان ينعل باحدهما
مثل ما ينعل بالاخر من افعال القلوب فاحدهما فضلة غير محتاج اليهما
واما ان ينعل بهما غير ما ينعل بذاك فذاك يودي الى الفساد الجملة
بكونه مريدا كارها عالما ظانا ماونا شاكا في حالة واحدة ولم يبق
الا ان تكون المراة الواحدة اما لرجل وجال لان الام محذورة
تحتوي على لهما الجناح والمراة مستخدمة مستقرة فيهما بالاستفراش
وغيره كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان ولم يبق الا ان يكون الرجل
الواحد دعيا لرجل وابنا له لان البنوة اصالة في النسب وعراقة
فيه والدعوة الصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشيء
الواحد ان يكون اصلا غير اصل وهذا مثل ضربه الله تعالى في زيد
ابن حارثة وهو رجل من كلب بي صغيرا وكانت العرب في جاهليتها
يتبادرون ويتسابون فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة
فلما تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وهبته له وطلبه ابوه وعمه
فخيره فاختار النبي صلى الله عليه وسلم فقال له ابوه وعمه يا بازيد
تختار العبودية على الربوبية قال ما انا بمفارق هذا الرجل
فلما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم حرصه عليه اعتقه وتبناه
قبل الوحي واخا بينه وبين حمزة بن عبد المطلب فلما تزوج رسول
الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن
حارثة قالت المنافقون تزوج امراة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك
فانزل الله تعالى هذه الاية فيه وقوله تعالى وما كان محمد ابا احد من
رجالكم وردي ان رجلا كان يسمى ابا معمر حميد بن معمر الفهري
وكان رجلا لبيبا حافظا لما يسمع فقالت قريش ما حفظ ابا معمر
هذه الا لان له قلبان وكان يقول لي قلبان اعقل بكل واحد

منهما

منهما افضل من عقل محمد فلما هزم الله تعالى المشركين يوم بدر اذا منهزم
ابو معمر فيهم فالقيه ابو سفيان وهو معلق احدي نعليه بيده والاخرى
في رجله فقال له ما فعل الناس فقال له بين مقتول وضارب فقال له
فما بال احدي نعليك في رجلك والاخرى في يدك فقال ما ظننت
الا انهما في رجلي فاكذب الله تعالى قوله وقولهم وضربه مثلا في الظهار
والتبني وعن ابن عباس كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فاكذبهم
الله تعالى وقيل سمي في صلاة ذات الشقاق فقالت اليهود له قلبان قلب مع
اصحابه وقلب معكم وعجب الحسن نزلت في ان الواحد يقول لي
نفسان نفس تامرني ونفس تنهاني فاذا قيل ما وجه نقد بة
الظهار واخواته بمن اجيب بان الظهار كان طلاقا في الجاهلية
فكانوا يتجنبون المراة التي ظاهر منها كما يتجنبون المطلقة فكان ذلك
ثلاثة امور منها تباعد منها جملة الظهار فلما نقمنه معنى التباعد منها
عدي بمن فان قيل ما معنى قولهم انت علي كظهر امي جوابه انهم
اريد ان يقولوا انت علي حرام كبطن امي فكنوا عن البطن بالظهر
ليلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج لانه محل الخروج
البطن ومنه حديث عمر ان ابتان وظهرها الى السماء كان محرما عليهم
محظورا وكان اهل المدينة يقولون اذا اتيت المراة ووجهها الى الارض
فالولد احول فالقصد المطلق منه الى التغليظ بتحريم امراته عليه
بشبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله كظهر امه وهو منكر وزور
فيه كفارة كما سياتي ان شاء الله تعالى في سورة المجادلة وقرا ابن
عامر والكوفيون اللاء بالهمزة المكسورة واليا بعدها في الوصل
وسهل الياء كالهمزة ورش والزيي وابو عمرو ابدلها ياء ساكنة
مع المد لا غير وقالون وقنبل بالهمز ولا يا بعدها وقرا الظهرون

عاصم بضم التا وتخفيف الظا والذي بعدها وكسر الميم مخففة وقرا حمزة والكسا
بفتح التا والظا مخففتين والذي بعد الظا وفتح الميم مخففة وابن عامر
كذلك الا انه يشدد الظا والباقون بفتح الياي والظا والميم والذي مع
تشديد الظا والميم ولا الذي بعد الظا وقوله تعالى لكم اشارة الي كل
ما ذكره الي الاخ فقوله لكم بافواهكم اي مجرد قول لسان من غير حقيقة
كما لمنه يا فوه اي المحيط علما وقدرة وله صفات جميع الكمال يقول الحق
اي ماله حقيقة الثابت الذي يوافق ظاهره باطنه فلا دلالة لاحد
علي نقصه فاذا جرعن كي فمو كما قال وهو اي وحده يهدي السبيل
اي يرشد الي سبيل الحق ولما كان كانه قيل كما يقول اهدنا الي سبيل
الحق قال تعالى ادعوهم اي الادعيا لابائهم اي الذين ولدوهم ان
عملوا ولذلك قال زيد بن حارثة ما كنا ندعو الا زيد بن محمد حتي نزل القرآن ادعوهم
الي عن ابيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام اخرجه الشيخان عن سعد
ابن ابي وقاص ثم علل تعالى ذلك بقوله تعالى هو اي لفظ الدعا
اقسط اي اقرب اي العدل من النفي وان كان اعما هو كمن يسد
الشعثة علي النفي والاحسان اليه عند الله اي الجامع لصفات
الكمال وعن ابن عمر ان زيد بن حارثة مولي رسول الله صلي الله عليه
وسلم ما كنا ندعو الا زيد بن محمد حتي نزل القرآن ادعوهم لابائهم
الاية وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا اعجبته جلد الرجل وظن
به علمه الي نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من اولاده من ميراثه
وكان ينسب اليه فيقال فلان بن فلان اما اذا جهلوا ابوهم ماذكر
بقوله تعالى فان لم تعلموا اباءهم لجهلهم اصلي او طارئ فاخوانكم اي
فهم اخوانكم في الدين ان كانوا دخلوا في دينكم اي قولوا لهم اخوتنا
ومواليكم اي كانوا احرارا دينا اي قولوا موالي فلان وعن مقاتل ان

لم تعلموا

لم تعلموا لهم اباء فانسبوهم اخوانكم في الدين اي فقولوا عبد الله وعبد الرحمن
وعبد الله واشباهم من الاسماء وان يدعي الي اسم مولاه وقيل هو السلم
اولياءكم في الدين ولما كان ربما توهم ان ما سبق لكونه خطا وسأثم
عليه وجه بعدم ما بعد النفي اليها بقوله تعالى وليس عليكم جناح اي اثم
وميل واعوجاج وعبر بالظرف ليفيد ان الخطا لا اثم فيه بوجه ولو عبر
بالباء الظن ان فيه اثما ولكن يعفى عنه فقال تعالى فيما اخطاتم به اي
من الدعا بالبنوة والمظاهرة او في شيء قبل النهي او بعده ودل بقوله تعالى
ولكن ما اي الاثم فيما تعمدت قلوبكم عليه ذوالة الحرج اليها فيما وقع
بعد النهي علي سبيل النسيان او سبق اللسان وبه تاثيم الفعل
علي انه لا يشمد بعد البيان الشافي الا قلب فيه رخافة الا ترة وقد
جمع الكشاف علي عموم الاثم ان لم يسه المتعمد تنبيه يجزي في ماهله وتحتمل
احد امرين ان تكون مجرورة المحل عطفا علي ما المجرورة قبلها بفي في
التقدير ولكن الجناح فيما تعمدت كما مرت الاشارة اليه والثاني
انها مرفوعة المحل بالابتدا والخبر محذوف تقديره مؤاخذون به
او عليكم فيه جناح فيه ولما كان هذا الكرم خاصا بما تقدم عممه
سبحانه وتعالى بقوله وكان الله اي لا زال ولا يزال اغفورا اي من صفته
الستر البليغ علي المذنب التائب رحيما به ولما نهي تعالى عن التبني
وكان النبي صلي الله عليه وسلم قد تبني زيد بن حارثة مولاه لما
اخاه علي ابيه وعمه كما مر علل تعالى النهي فيه بالخصوص بقوله
تعالى والاعلي ان الامر اعظم من ذلك النبي الذي يشبه الله
تعالى بيده فانية الاحوال في بدايع الافعال ويرفعه دائما في
مراقي الكمال ولا يريد ان يشغله شيء ولا مال اولي بالمؤمنين
اي الراسخين في الايمان فهو اولي في كل شيء من امور الدين

والدنيا لما حازته من الحرمة الربانية **من انفسهم** فضلا من ابائهم في نفوذ حكمه
فيهم ووجوب طاعته عليهم روى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ما من مومن الا وانا اولى الناس به في الدنيا والاخرة
اقرءوا ان شئتم النبي اولى بالمومنين من انفسهم فاي مومن ترك مالا
فليرثه عصبته من كانوا فان ترك دينا او ضياعا فلياتني فانا مولاه وعن
جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول انا اولى بكل مومن من نفسه فمن
مات وترك دينا فالي ومن ترك مالا فلورثته وعن ابي هريرة قال
كان المومن اذا توفي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسال هل
عليه دين فان قالوا نعم قال هل ترك في الدين فان قالوا ثم صلى
عليه وان قالوا لا قال صلوا على صاحبكم فاعالم يصل عليه صلى
الله عليه وسلم اولا فيما اذا لم يترك وفاء ان شفاعته صلى الله عليه
وسلم لا ترد وقد ورد ان نفس المومن محبوسة عن مقامها الكريم حتى
يوفى دينه وهو محمول على من قصر في وفائه في حال حياته اما من لم
يقصر لعذر مثلا فلا كما اوضحت ذلك في شرح المنهاج في باب الرهن وانما
كان صلى الله عليه وسلم اولى بهم من انفسهم لانه لا يدعوهم الا الى الفضل
والحكمة ولا يامرهم الا بما ينجيهم وانفسهم انما تدعوهم الى الهوى و
الفتنة فشتان ما بين ما يريدهم به وما يريدون فهم لقرب الاب بابا عظم بهذا
السبب الرباني فاي حاجة الى السبب الجسماني **وازواجه امهاتهم**
ام المومنين اي مشابهتهن في تحريم نكاحهن ووجوب احترامهن وطاعتهن
اكراما له صلى الله عليه وسلم لا في حكم الخلوة والنظر والظهار والمسافرة
والنفقة والميراث وهو صلى الله عليه وسلم اب للرجال والنساء
واما قوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم فمعناه ليس احد من
رجالكم ولد صلبه وسياتي ذلك ويحرم سؤالهن الا من وراء حجاب

وما يتعلق

وما يتعلق بذلك ان شاء الله تعالى في محله وروي ان عمر بن الخطاب مر
بغلام وهو يقرا في المصحف النبي اولى بالمومنين من انفسهم وازواجه
امهاتهم وهو اب لهم فقال يا غلام حكتها فقال هذا مصحف ابي فذهب
اليه فساله فقال انه كان للسبي الغراء وتمسكه الضنة بالاصوات
ومعنى ذلك ان هذا كان يقرا اولا ونسخ لما روي عكرمة انه قال كان
في القرن الاول النبي اولى بالمومنين من انفسهم وهو اب لهم وعن
الحسن قال في القراءة الاولى النبي اولى بالمومنين من انفسهم وهو
اب لهم وهو قوله تعالى **واولوا الارحام** اي القرابات بانواع النسب
من البنوة وغيرها **بعضهم اولى** بحق القراءة **ببعض** اي في التوارث
نسخ لما كان في صدر الاسلام فانهم كانوا اذا هاجر توارثوا بالحلف
والنصرة فيقول ذمتي ذمتك ترثني وارثك ثم نسخ بالاسلام والهجرة
ثم نسخ بآية المواريث وبالآية التي في آخر الانفال واعادها تاكيدا
فان آية المواريث متقدمة ترتيبا ونزولا على آية الانفال وآية
الانفال على هذه كذلك وقوله تعالى **في كتاب الله** يحتمل ان ذلك
في اللوح المحفوظ او ما انزل وهو هذه الآيات المذكورة وفيها فرض
الله ولما بين انهم اولى بسبب القرابة بين الفضل عليه بقوله تعالى
من ابي بعضهم اولى بسبب القرابة **من المومنين** للانصار ومن غير قرابة **و**
المهاجرين اي ومن المومنين المهاجرين من غير قرابة كذلك وقوله
تعالى **الا ان تفعلوا** استثنا منقطع كما جرى عليه الجلال المحلي اي
لكن ان تفعلوا **الى اوليائكم معروفا** بوصية فجايز ويجوز ان يكون
استثنا من اعم العام كما قاله الزمخشري في معنى النفع والاحسان
كما تقول القريب اولى من الاجنبي الا في الوصية تريد انه احق
منه في كل نفع من ميراث وهبة ولدينة وصدقة وغير ذلك الا في

الوصية والمراد بفعل المعروف التوصية لانه لا وصية لوارث وعدي
تفعلوا بالي لانه في معنى تشدوا والمراد بالاولياء المومنون والمهاجرون
للولاية في الدين كان ذلك اي ما ذكر من ايتي ادعوهم والنبي اولى
وقيل اولى ما تشبح الارث بالايمان والهجرة ثابتا في الكتاب اي اللوح
المحفوظ او القرآن مسطورا قال الاصبهاني وقيل في التوراة
قال النخعي لان في التوراة اذا ان لرجل بإهل دينه فليسلمهم
الا يكرهوه ويواسوه ويعينوه لاذي قرابته فالاية من الاحتباك
وصف الايمان اولا دليلا على حذفه ثانيا ووصف الهجرة ثانيا
دليلا على حذف الغيرة اولا واذ اي واذكر حين اخذنا بعظمتنا
من النبيين ميثاقهم اي عهودهم في تبليغ الرسالة والدعاء الى الدين
القيم في المنشط والمكره وفي تصديق بعضهم لبعض وفي اتباعه
فيما اخبر ناكد به في قوله لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول
مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه وقوله اقررنا ولما ذكر ما
اخذ على جميع الانبياء من العهد في ابلاغ ما يوحى اليهم والعمل
بمقتضاه ذكر ما اخذ عليهم من العهد في التبليغ بقوله تعالى ومنك
اي في قولنا في هذه السورة اتق الله واتبع ما يوحى اليك وفي
الما ئدة يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل
فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس فلا تهتم بمراعاة
عدو ولا تخليل حتى ولا تجليل ولما تم المراد اجماعا وعموما
خصه صلى الله عليه وسلم كنت اول النبيين في الخلق واخرهم
في البعث بيانا للتشريف ولان المقصود بالذات اتباعه بقية
اولي العزم الذين هم اصحاب الكتب ومشاهير ارباب الشرائع
ورتبهم على ترتيبهم في الزمان لانه لم يقصد المفاضلة بينهم

بالتاسية

بالمناسبة بالمتقدمين والمتاخرين قال ومن نوح اول الرسل المخالفين
وابراهيم ابي الانبياء وموسى اولاد اصحاب الكتب من بني اسرايل وعيسى
ابن مريم خاتم انبياء بني اسرايل ونسبه الى امه مناداة على من ضل
فيه بدعوى الالوهية وما لائق بمنصبه والتعجيل من الغضب تنبيه
ذكر هذه الخمسة من عطف الخاص على العام كما علم مما تقرر وقوله
تعالى واخذنا اي بعظمتنا في ذلك منهم ميثاقا غليظا اي شديدا او
بالوفاء بما حملوه وهو الميثاق الاول وانما كرر لزيادة وصفه بالغلظ
وهو استعارة من وصف الاجرام والمراد عظم الميثاق وجلالة شانه
وقيل بايمانهم وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفاء بما حملوا ثم اخذ
الميثاق ليسال اي الله تعالى يوم القيمة الصادقين اي الانبياء الذين
صدقوا عهدهم عن صدقهم عما قالوه لقولهم تبكيتا للكافرين بهم
وقيل ليسال المصدقين للانبياء عن تصديقهم لان من قال للصادق
صدقت كان صادقا في قوله وقيل ليسال الانبياء الذي اجابتهم
بامهم وقيل ليسال الصادقين بافواههم عن صدقهم بقلوبهم
وقوله تعالى واعد للكافرين عذابا اليما اي مولما معطوف على
اخذنا من النبيين لان المعنى ان الله تعالى اكد على الانبياء الدعوة
الى دينه لاجل اثابة المومنين واعد للكافرين عذابا اليما ويجوز
ان يعطف على ما دل عليه ليسال الصادقين كانه قال اثاب
المومنين واعد للكافرين وقيل ان قد حذف من الثاني ما اثبت
مقابله في الاول ومن الاول ما اثبت مقابله في الثاني والتقدير
ليسال الصادقين عن صدقهم فاثابهم وليسال الكافرين عما اجابوا
به رسلهم واعد لهم عذابا اليما ثم حقق الله تعالى ما سبق لهم من
الامر بتقوى الله تعالى بحيث لا يبقى معه الخوف من احد بقوله

تعالي **يا ايها الذين امنوا اذكروا** وعبهم في الشكر بذكر الاحسان والتعريج
بالاسم الاعظم بقوله تعالي **نعمة الله** اي الملك الاعلي الذي لا كفوله
عليكم اي لتشكروه عليها بالتنفيذ لامره وعبر بالنعمة لانها المقصودة
بالذات والمراد انعامه يوم الاحزاب وهو يوم الخندق فلم يذكرها
وقت تذكر النعمة زيادة في تقريرها لتذكرهم ما كان فيه منها بقوله
تعالي **اذ** اي حين **جاءتكم جنود** اي الاحزاب وهم قريش وغطفان
وعيون وقريظة والنضير وبنو فزارة فيما ذكره ابن كثير وابن اسحاق وعاصم بن
بالاظهار لدنو الياء من الادغام **فارسلنا** اي تسبب عن ذلك
انا ما رأينا عجزكم عن مقاتلتهم ومقاومتهم ارسلنا **عليهم ريحا**
وهي ريح الصبا قال عكرمة قالت اليهود للشمال انطلقي ليلة الاحزاب
لنصر رسول الله صلي الله عليه وسلم فقالت الشمال ان الحرة لا تسري
بالليل فكانت الريح التي ارسلت عليهم الصبا الماروي ابن عباس انه
صلي الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور الاذ
الصبا دخل فيها روح فاهبت علي محزون الا ازال حزنه **وجنودا** اي
وارسلنا جنودا من الملائكة **لم تروها** وكانوا الفا ولم يقاتل
يومئذ فبعث الله تعالي عليهم تلك الليلة ريحا باردة فقلعت الاثافي
وقطعت اطناب الفساطيط واطفأت النيران واكفأت القدور
وجالت الخيل بعضها علي بعض وكبر تكبيرا الملائكة في جوانب عسكرهم
حتي كاد يسمع كل حي يقول يا بني فلان هلم الي وانهزموا عند
قال البيضاوي فانهزموا من غير قتال لما بث الله تعالي عليهم من
الرعب **وكان الله** الذي له جميع صفات الجلال والجمال **بما تعملون**
اي الاحزاب من التحزب والتجمع والمكر وغير ذلك **بصيرا** اي بالغ
الابصار والعلم تقبيه قال البخاري قال موسي بن عقبة كانت غزوة

الخندق

الخندق وهي الاحزاب في شوال سنة اربع ردي محمد بن اسحاق عن مشايخه
قال دخل حديث بعضهم في بعضهم ان نفرا من اليهود منهم سلام بن ابي
الحقيق وحيي بن اخطب وكنانة بن الربيع بن ابي الحقيق وهودة
ابن قيس وابو عمار الحابلي في نفر من بني النضير ونفر من بني وايل
وهم الذين حزبوا الاحزاب علي رسول الله صلي الله عليه وسلم
حين جاءوا حتي قدموا علي قريش بمكة فدعوهم الي حرب رسول الله صلي
الله عليه وسلم وقالوا انا سنكون معكم عليه حتي نستاصله فقالت
لهم قريش يا معشر يهود انكم اهل الكتاب الاول والعلم بما اصبحنا
نختلف فيه نحن ومحمد فديننا خير ام دينه فقالوا بل دينكم خير من دينه
وانتم اولي بالحق منه فقال فيهم الذين قال الله تعالي فيهم الم تر الي
الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت الي
قوله تعالي ونكفي فجمعهم سعيرا فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ما قالوا
واعجلهم ان قد اجمعوا معهم علي ذلك ثم خرج اولئك النفر من اليهود حتي جاءوا غطفان
فدعوهم الي ذلك فاجابهم انهم سيكونون معهم عليه واذ قريشا
قد مايدوهم علي ذلك فاجابوهم فخرجت قريش وقايدهم ابو سفيان
ابن حرب وخرجت غطفان وقايدهم عيينة بن حصين فلما سمع
بهم رسول الله صلي الله عليه وسلم وبما جمعوا له من الامر ضرب الخندق
علي المدينة وكان الذي اشار به علي النبي صلي الله عليه وسلم
سلمان الفارسي وكان اول مشهد شهده سلمان مع النبي صلي الله
عليه وسلم وهو يومئذ حر فقال يا رسول الله انا كنا بفارس
اذا حوصرنا خندقنا علينا فعمل فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم
والمسلمون معه فاعجبهم قال ليس حزم رسول الله صلي الله عليه وسلم

الى الخندق فاذا المهاجرون والانصار في عذاة بارد ولم يكن عبيد يعملون ذلك فلما رأى ما بهم من النصب والجزع قال اللهم ان العيش عيش الاخرة فاغفر للانصار والمهاجرة فقالوا مجيبين له نحن الذين بايعوا محمدا على الجهاد ما بقينا ابدا قال البراء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل التراب يوم الخندق حتى اغبر بطنه وهو يقول والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا فانزلن سكينة علينا وثبت الاقدام ان لاقينا ان الاولى قد بغوا علينا اذا ارادوا فتنة ابينا ورفع بها صوته ابينا ابينا فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق اقبلت قريش في عشرة الاف من الاحابيش وبني كنانة واهل تهامة وقائدهم ابو سفيان حتى نزلت بمجمع الاسال من رومة من اكرى والقائد عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وصاتهم اليهود من قريظة والنضير حتى نزلوا الى جانب احد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم الى سلع في ثلاثة الاف من المسلمين فضرب هناك عسكره واخذ قريشا وبين القوم وامر بالذراري والنساء فرفعوا في الاطام وهي على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل وانما لقوا كانت بنو عطفان من اعلى الوادي من قبل المشرق وقريش من اسفل الوادي من قبل المغرب كما قال تعالى اذ جاءوكم وهو بدل من اذ جاءتكم من فوقكم اي من اعلا الوادي ومن اسفل منكم اي من اسفل الوادي واذ اي واذكر حين زاغت الابصار اي مالت عن سداد القصد فقد الوالة الجزع بما حصل من الغفلة اي الحاصلة من الرعب وقوله تعالى وبلغت القلوب الحناجر جمع حنجرة وهي منتهى الحلقوم كناية

عن

عن شدة الرعب والخفقان قال التيمي ويجوز ان يكون ذلك حقيقة بجذب الطحال والرئة لهما عند ذلك بانتفاخهما الى اعلا الصدر ولهذا يقال للجبان انتفخ سحره اي رئته فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن والى الحارث بن عمرو وهما قائدا غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا بمن معهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن والى الحارث بن عمرو وهما قائدا غطفان فاعطاهما ثلث ثمار المدينة على ان يرجعا بمن معهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فجرى بينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة واستشارهما فقالا يا رسول الله اشيء انزل الله به لا بد لنا من عمله ام امر تحبه فنصنعه ام شيء تصنعه لنا قال لا والله بل لكم والله ما اصنع ذلك الا اني رايت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فاردت ان اكسر عليكم شوكتهم فقال له سعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شركهم بالله وعبادة الاوثان لا نعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون ان ياكلوا منا ثمرة الا قرى او بيعا افحين اكرمنا الله تعالى بالاسلام واعزنا الله تعالى بك نعطيهم اموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى يحكم الله تعالى بيننا وبينهم فقال له صلى الله عليه وسلم انت وذاك فتناول سعد رضي الله تعالى عنه الصحيفة فمحى ما فيها من الكتابة ثم قال ليجهدوا علينا فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال الا فذ ارسوى من حتى على عمرو بن عبد ود هو ابن عم مرداس لوى وعكرمة ابن ابي جهل وهبيرة

ابن ابي وهب المخزومي وعبيدان ونوفل بن عبد الله ومعمر بن الخطاب ومرداس
اخو محارب بن عمر فقالوا لبسوا للقتال وخرجوا علي خيلهم ومروا علي بني
كنانة فقالوا لا تميلوا للحرب بايدي كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان
ثم اقبلوا نحو الخندق حتي وقفوا عليه فلما راوه قالوا والله ان هذه
لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم يمموا مكانا من الخندق ضيقا
فضربوا جيادهم فاقتحمت فيه فحالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع
وخرج علي رضي الله تعالي عنه في نفر من المسلمين حتي اخذوا علي
الثغرة التي اقتحموا منها خيلهم واقبلهم اقبلت الفرسان تتبرق
كخرهم وكان عمرو بن ود قاتل يوم بدر حتي اثبتته الجراحة فلم
يشهد احدا فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليري مكانه فلما وقف
هو وخيله قال له علي يا عمرو اذ كنت تعاهد الله تعالي لا يدعوك
رجل من قريش الي خلتين الا اخذت منه احداهما قال اجل
قال له علي فاني ادعوك الي الله تعالي والي رسوله صلي الله عليه
وسلم والي الاسلام قال لا حاجة لي بذلك قال فاني ادعوك
الي البراز قال ولم يا ابن اخي فوالله ما احب ان اقتلك قال علي
ولكني والله احب ان اقتلك فحمي عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه
فعقره او ضربه وجعد ثم اقبل علي علي فتنازلا واجتلا فقتله
علي وحزت خيله منهزمة فمن مستحي اقتحمت من الخندق
هاربة وقتل مع عمرو رجلان منبه بن عثمان اصابه سهم فمات
بمكة ونوفل بن عبد الله المخزومي وكان اقتحم الخندق فتورط
فيه فرموه بالحجارة فناداه يا معشر العرب قتلة احسن من هذه
فنزل عليه علي فقتله فغلب المسلمون علي جسده فسألوا رسول
الله صلي الله عليه وسلم ان يبيعهم جسده فقال رسول الله صلي

الله

الله عليه وسلم لا حاجة لنا في جسده وعشرة فشانكم به فخلي بينهم وبينه
ولما نشأ عن هذا تقلب القلوب وتجدد ذهاب الافكار كل مذهب
عبر بالمضارع الدال علي دوام التجدد بقوله تعالي **وتظنون بالله**
الذي له صفات الكمال **الظنونا** اي انواع الظن وظن المخلصون
انه تعالي ينجز وعده في اعلاء دينه وممتحنهم فخافوا
الزلل وروي ان المسلمين قالوا لما بلغت القلوب الحناجر يعني من شدة
الخوف فقال صلي الله عليه وسلم قولوا اللهم استر عورتنا وامن
روعاتنا وانا لصحاف القلوب والمنافقون فما كلي الله عنهم كما سيأتي
وقال نافع بن عامر الظنونا هنا والرسولا والسبيلا في آخر
السورة باثبات الالف في الثلاثة وقفا ووصلا وابو عمرو وحمزة
بحذف الالف وقفا ووصلا قال الزمخشري وهو القياس والباقون
بالالف في الوقف دون الوصل زادوها في الفاصلة كما زادوها
في القافية قال اقلي اللوم عاذل والعتابا وسيأتي الثلاثة بالالف
ولما كانت الشدة في الحقيقة انما هي للثابت لانه ما عنده الا
الهلاك او النصرة قال تعالي **هنالك** اي في ذلك الوقت العظيم
البعيد الرتبة **ابتلي المؤمنون** اختبروا فظهر المخلص من المنافق
والثابت من المتزلزل **وزلزلوا** اي حركوا وزعجوا بما يرون من
الاهوال بتظافر الاعداء مع الكثرة وتطاير الارجيف **زلزالا شديدا**
فثبتوا بتثبيت الله تعالي لهم علي عدوهم عن صفية قالت مر بنا
رجل من يهود فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة
وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلي الله عليه وسلم وليس بيننا
وبينهم من يدفع عنا ورسول الله صلي الله عليه وسلم واصحابه في
نحور عدوهم لا يستطيعون ان ينصرفوا الينا عنهم اذا اتانا اتي قلت

فقلت يا حسان ان هذا اليهودي يلوذ بنا كما ترى يا لحصن واني والله ما
امنه ان يدل علي عوراتنا من وراءنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله
صلي الله عليه وسلم واصحابه فانزل اليه فاقتله فقال فغير الله سلبك
يا ابنة عبد المطلب والله لقد عرفت ما انا بصاحب هذا قالت فلما قال
ذلك ولم ار عنده سلاحا حسرت عني درعي ثم اخذت عمودا ثم نزلت من الحصن اليه
فضربته بالعمود حتي قتلته فلما فرغت منه رجعت الي الحصن فقلت
يا حسان انزل اليه فاسلبه فانه لم يمنعني من سلبه الا انه رجل
قال ما لي بسلبه من حاجة يا ابنة عبد المطلب وقام رسول الله صلي
الله عليه وسلم واصحابه فيما وصف الله من الكرب والشدة لتظاهر
عدوهم اتاهم من فوقهم ومن اسفل منهم ثم ان نعيم بن مسعود
ابن عامر بن عطفان اتي رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال يا رسول
الله اني قد اسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني بما شئت
فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم انما انت فينا رجل واحد
فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود
حتي اتي بني قريظة وكان لهم في الجاهلية فقال لهم يا بني قريظة قد
عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا
بمتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان ليسوا كانفسكم البلد
بلدكم به اموالكم واولادكم ونساؤكم ولا تقدرون علي ان تحولوا
منه الي غيره وان قريشا وغطفان اموالهم وابناؤهم ونساؤهم بغير
ذراريهم ونعمة وغنيمة اصابوها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم
وخلوا بينكم وبين الرجل وليس بيلدكم لا طاقة لكم به ان خلي
بكم فلا تقاتلوا معهم حتي تاخذوا منهم رهنا من اشرافهم يكونون
بايديكم ثقة لكم علي ان يقاتلوا معكم محمدا حتي تناجزوه قالوا

لقد

لقد اشرت برأي واضح ثم خرج حتي اتي قريشا فقال لابي سفيان بن
حرب ومن معه من رجال قريش فقال قد عرفتم ودي اياكم وفراقي محمدا
وقد بلغني امر قد رايت ان حقا علي ان ابلغكموه نصحا لكم فاكتموا علي قالوا
نفعل قال تعلمون ان معشر يهود قد ندموا علي ما صنعوا بينهم وبين محمد
وقد ارسلوا اليه انا قد ندمنا علي ما فعلنا فهل يرضيك عنا ان ناخذ
من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من اشرافهم فنعطيكهم
فتضرب اعناقهم ثم نكون معك علي من بقي منهم فارسل اليهم
انا نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا
اليهم رجلا واحدا ثم خرج حتي اتي غطفان فقال يا معشر غطفان
انتم اهلي وعشيرتي واحب الناس الي ولا اراكم تتهمونني قالوا
صدقت قال فاكتموا علي قالوا نفعل ثم قال لهم مثل ما قال لقريش
وحذرهم مثل ما حذرهم فلما كانت ليلة السبت في شوال سنة خمس
وكان مما صنع الله لرسوله صلي الله عليه وسلم ان ارسل ابو سفيان
ورؤس غطفان الي بني قريظة عكرمة بن ابي جهل الي نفر من قريش
وغطفان فقالوا انا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا
للقتال حتي نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فارسلوا اليهم ان اليوم
السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيأ وقد كان احدث فيه بعضنا حدثا فاصابه
ما لم يخف عليكم ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم حتي تعطونا رهنا
من رجالكم يكونون بايدينا ثقة لنا حتي نناجز محمدا فانا نخشي ان
ضرستكم الحرب واشتدت عليكم ان تشمروا الي بلادكم وتتركونا
والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا بذلك منه فلما رجعت اليهم الرسل
بالذي قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان نعم والله الذي
حدثكم به نعيم بن مسعود فحق فارسلوا الي بني قريظة انا والله

لا اذهب اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا
نقاتلوا فقال بنو قريظة حتى نبعث الرسل اليهم يعتذرون الذي ذكرت
لكم نعيم ابن مسعود نحق ما تريد القوم الا ان يقاتلوا فان وجدوا الفرصة
انتهزوها وان يكن غير ذلك اسمتروا الي بلادهم وخلوا بينكم وبين
الرجل في بلادكم فارسلوا الي قريش وغطفان انا والله لا نقاتل
معكم حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم وخذل الله تعالي بينهم وبعث الله
تعالي عليهم الريح في ليال شاتية شديدة البرد فجعلت تكفؤ
قدورهم وتطرح انيتهم فلما انتهى الي رسول الله صلي الله عليه
وسلم ما اختلف من امرهم قال من يقوم فيذهب الي هؤلاء
القوم فيأتينا بخبرهم ادخله الله تعالي الجنة قال حذيفة فما قام
منا رجل ثم صلي رسول الله صلي الله عليه وسلم هويا من الليل
ثم التفت الينا فقال ما من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم علي
ان يكون رفيقي في الجنة فما قام رجل من شدة الجوع والشدة
البرد فلما لم يقم احد دعاني رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال
يا حذيفة فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقلت لبيك يا رسول
الله وقمت حتي اتيته وانا حسي لمصطر فمسح وجهي وترحم
راسي ووجهي ثم قال ايت هؤلاء القوم حتي تاتيني بخبرهم ولا تحدث
شيا حتي ترجع الي ثم قال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه
وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فما خلقت سمعي دون
علي السلاح ثم انطلقت امشي كانما امشي في حمام فاتيتهم وهذه
قد خلت في القوم وقد ارسل الله تعالي عليهم ريحا وجنودا لله تعالي
تفعل بهم ما تفعل وابو سفيان قاعد يصطلي فاخذت سهما
من صفتي في كبد قوسي فاردت ان ارميه وقلت لاصيبه

فذكرت

فذكرت قول النبي صلي الله عليه وسلم لا تحدث شيا حتي ترجع فرددت
سهمي في كنانتي فلما راي ابو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله تعالي
بهم لا تقر لهم قدر ولا نار ولا بناء قام فقال يا معشر قريش ليأخذ
كل منكم بيد جليسه فلينظر من هو فاخذت بيد جليسي فقلت من انت
قال سبحان الله اما تعرفني انا فلان فانا رجل من هوازن فقال ابو
سفيان يا معشر قريش انكم والله ما اصبحتم بدار مقام لقد هلك
الكراع والخف واخلفنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نكره وبلغنا
عنهم الذي نكره وبلغنا من هذه الريح ما ترون فارتحلوا فاني مرتحل
ثم قام الي جمله وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به علي ثلاث
فما اطلق عقاله الا وهو قايم ولو لا ان الله تعالي قضي علي ابي سفيان
ان يسير راجعا الي بلاده ما فعل فرجعت الي رسول الله صلي الله
عليه وسلم كانما امشي في حمام فاتيته وهو قايم يصلي فلما اجزته
اخبر صاحبك حتي بدت انيابه في سواد الليل قال فلما اجزته وقر في
ذرعي وذهب عني الدفا فاقبلت الي النبي صلي الله عليه وسلم فاماني
عند رجليه والتأم علي طرف ثوبه واحتضن صدري ببطن قدميه
فلم ازل نايما حتي اصبحت قال قم يا نومان ثم ان الله تعالي بين حال
عبد الثابتين بقوله تعالي واذ يقول المنافقون معتب بن قشير وقيل
عبد الله بن ابي واصحابه والذين في قلوبهم مرض اي ضعف اعتقاد
ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا اي باطلا استدرجنا به الي
الاستسلام عما كنا عليه من دين ابائنا والي الثبات علي محاربتنا
عليه بعد ذلك الاستسلام بما وعدنا به من ظهور هذا الدين كله
والتمكين في البلاد حتي بقي عمر الخندق فانه قال الله البصر بما برق
له من ضوء لمعة سلمان مدينة صنعا من اليمن وتعور كسري

من الحيرة من ارض فارس وقصور الشام من ارض الروم وان يتابعه
ليظهره الله على ذلك كله وقد عدد الله وعده في جميع ذلك حتى في
لبس سراقة بن مالك بن جعشم سواري كسرى بن هرمز كما هو مذكور
في دلايل البيهقي للبيهقي وكذبوا في شكهم فقال المعذرون وخاب
الذين هم في ريبهم يترددون واذ قالت طايفة منهم اي من المنافقين
وهم اوس بن قيظي واصحابه يا اهل يثرب اي المدينة وقال ابو
عبيدة يثرب اسم ارض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم في
ناحية منها وفي بعض الاخبار ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى ان
تسمي المدينة يثرب وقال هي طابة كانه كره تلك اللفظة فعدلوا
عن هذا الاسم الذي رسمها به النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسم
الذي كانت تدعى به قديما مع نهيه عنه واهتمال فتحه باستثقاله من
السرب الذي هو اللوم والتعنيف وقال اهل اللغة يثرب اسم المدينة
وقيل اسم البقعة التي فيها المدينة وامتناع صرفها اما للعلمية
والوزن او العلمية والتانيث واما سرمانا المتناة وفتح الراء
فموضع آخر باليمن قال الشاعر وعزلك كان الخلف منك سجية
مواعيد عرقوب اخاه بيثرب وقال اخر وقد وعونك موعد الوقت
موعد عرقوب اخا يثرب وقرا الاعمش بضم الميم اي لا اقامة لكم
في مكان القتال ومصارعة الابطال والباقون بفتحها اي لا مكان
لكم تثبتون وتقيمون فيه فارجعوا الى منازلكم عن اتباع محمد صلى
الله عليه وسلم وقيل عن القتال الى منازلكم عن اتباع محمد صلى الله عليه
وسلم وقيل عن القتال الى منازلكم وكما بي تعالى عن هؤلاء الذين
هتكوا الستر تمسكا باذيال النفاق خوفا من اهوال الشقاق بقوله
تعالى ويستاذن اي يجدد كل وقت طلب الاذن لاجل الرجوع الى

البيوت

البيوت والكون مع النساء ان يريدون منهم اي طايفة منهاما الفرقة الباقية في
الرجوع وقد راى ما حواه من علو المقدار بما له من حسن الاخلاق والخلق
وما له من جلالة الشمايل وكرم الخصايل وهم بنو حارثة وبنو سلمة
يقولون اي بني كل قليل موكدين لعلمهم بكذبهم وتكذيب المومنين قولهم
ان بيوتنا اي بجمع الكثرة اشارة الى كثرة اعدادهم من المنافقين
عورة اي غير حصينة بما خلل كبير يمكن كل من اراد من الاحزاب ان
يدخلها بيد فلهم منه ونيل فقيرة الجدران فاذا ذهبنا اليها احفظنا ها
منهم وكفينا من باقي البنا منعه معسكرهم حماية الدين رد نبا عن
الاهلين وقرا ورش وابو عمرو وحفص بضم الباء والباقون بالكسر
ثم اكذبهم الله تعالى بقوله تعالى وما اي والحال انما هي بعورة
في ذلك الوقت الذي قالوا هذا قيه ولا يريدون بذلك عما هم
فحايقها ان اي ما يريدون باستيذانهم الا فرارا من القتال وكما
كانت عنايتهم شديدة لملازمة ثغورهم فاظهروا اشتداد الغيرة
عما هنالك وراى بني تعالى ذلك بقوله تعالى ولو دخلت اي بيوتهم
او المدينة وانث الفعل نظرا على المراد او اشارة الى ان ما ينسب
اليهم جدير بالضعف واتى بادوات الاستعلاء بقوله تعالى عليهم اشارة الى
انه دخول غلبة من اقطارها اي جوانبها كلها بحيث لا يكون لهم
مكان للهرب وحذف الفاعل للايذان بان دخول هولاء الاقوام
حزاب ودخول غيرهم من العساكر سيانتي اقتضا احكام المرتبة عليه
ثم سيلوا من اي سايل كان الفتنة اي الشرك ومقاتلة المسلمين
وقرا الاخوان ناقع وابن كثير بقصر الهمزة لغاوسها وفتحها والباقون
بالمد اي لاعطوها اجابة لسوال من سالهم وما تلبثوا بها اي
ما احتبسوا عن الفتنة الا يسيرا اي لاسرعوا الى الاجابة

للشرك خطيبة بها نفوسهم فعلم بذلك انهم لا يقصدون الا الفرار للحفظ
البيوت من العدو وهذا قول اكثر المفسرين وقال الحسن المراد بالفتنة
الخروج من البيوت سمي بذلك لان الانسان لا يخرجه الا الموت او ما هو
بنا ربه فكانه فتنة وعلى هذا يكون الضمير في بها راجع للبيوت اي
المدينة اي ما تلبثوا بالبيوت او بالمدينة بعد اعطاء الكفر الابسيرا
حتى هلكوا ولقد كانوا اي هؤلاء الذين اسرعوا الاجابة الى الفرار
عاهدوا الله الذي لا اجل منه من قبل اي من قتل عزة الخندق
لا يولون الادبار اي لا يهزمون وقال يزيد بن رومان هم بنو حارثة
هموا يوم احد ان يسلموا مع بني سلمة فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله
تعالى ان لا يعودوا لمثلها وقال قتادة هم اناس كانوا قد غابوا عن
وقعة بدر فلما اعطى الله تعالى اهل بدر من الكرامة والفضيلة
قالوا لئن شهدنا الله قتالا لنقاتلن فساق الله تعالى اليهم ذلك وقال
مقاتل والكلبي هم سبعون رجلا ما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليلة العقبة وقالوا اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال صلى
الله عليه وسلم لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط
لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم واولادكم
قالوا واذا فعلنا ذلك فما لنا يا رسول الله قال لكم الجنة في الدنيا
والجنة في الاخرة قالوا قد فعلنا فذلك عهدهم قال البغوي
وهذا القول ليس بمرضي لان الذين بايعوا ليلة العقبة كانوا
سبعين نفرا ليس فيهم منافق ولا من يتوهم مثل هذا القول وانما
الاية في قوم عاهدوا الله تعالى ان يقاتلوا ولا يفروا فنقضوا العهد
ولما كان الانسان قد يتهاون بالعهد للاعراض المعاهد عنه قال
تعالى وكان عهد الله المحيط بصفات الكمال مسئولا اي عن الوفا

به ثم امر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى قل اي لهم واكد
لظنهم نفع الفرار لن ينفعكم الفرار في تاخير اجالكم في وقت من الاوقات
الذي ما كان استيذانكم الا بسببه ان فررتم من الموت او القتل اي
الذي كتب لكم لان الاجل اذا كان قد حضر لم يتاخر بالفرار واللائم يتصور
الثبات كما كان علي رضي الله تعالى عنه يقول ولهم الامر وتوقد الجمر
واشتد من الحرب اكراكر اي مومي من الموت ان يوم لا تقدر او يوم قد
وذلك ان اجل الانسان الذي جعل محيطا بالانسان لا يقدر ان يتعداه
اصلا واذا اي اذا فررتم لا تمتعون في الدنيا بعد فراركم الا قليلا اي
مدة اجالكم وهي قليل فما لعاقل لا يرضى بشيء قليل يفوت عليه شيئا
كثيرا ولما كان ربما يقولون بل ينفعنا لانا طالما رأينا من هرب تسلم
ومن ثبت فاصطلم امره الله تعالى بالجواب عن هذا بقوله تعالى قل
اي لهم منكرا عليهم من ذا الذي يعصمكم اي يجيركم ويمنعكم من الله
المحيط بكل شيء قدرة وعلما في حال الفرار وقبله وبعده ان اراد بكم
سوءا اي هلاكا او هزيمة فيرد ذلك عنكم او يصيبكم بسوء ان اراد بكم
رحمة اي خيرا سماه بما لازمها والمعنى هل احتراز كم في جميع احوالكم
عن سوء اراده ينفعكم الاحتراز اذا جرد عين في منعكم رحمة منه
فتم له امره او وقع الله بكم شيئا من ذلك فقد راجع بذ الجهد علكم كنتم
بدون اذنه ويمكن ان يكون الاية من الاحتباك ذكر السوء اولا
دليلا على حذف ضده ثانيا وذكر الرحمة ثانيا دليلا على حذف
ضدها اولا وهذا بيان لقوله تعالى لن ينفعكم الفرار وقوله
تعالى ولا يجدون لهم اي في وقت من الاوقات من دون الله اي غير
وليا اي يواليهم فينفعهم بجلب نفع ولا نصيرا اي ينصرهم من امره
فيرد ما اراده بهم من السوء عنهم تقرير لقوله تعالى من ذا الذ

بعصمكم من الله الاية ولما اخبرهم تعالى بما علم مما اوقعوه من اسرارهم وامره
صلى الله عليه وسلم بوعظهم حذرهم بيد وام عليه من كونه منهم بقوله
تعالى **وقد يعلم الله** الذي له احاطة الجلال والجمال **المعوقين منكم** اي
المبطيين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم المنافقون **والقائلين**
لاخوانهم بيساكين المدينة **هلم** اي ايتوا واقبلوا **الينا** وهي ان ياهم
مما يقام فيه القتال ويواظب فيه على صالح الاعمال قال قتادة عوذ
ناس من المنافقين كانوا يثبطون انصار رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويقولون لاخوانهم يا محمد واصحابه دعوا الرجل فانه هالك وقال
مقاتل نزلت في المنافقين وذلك ان اليهود ارسلت الى المنافقين
وقالوا لهم الذي يحملكم على قتل انفسكم بيد ابي سفيان ومن
معه فانهم ان قدروا عليكم في هذه المرة لم يستبقوا منكم احدا
فانا نشفق عليكم انتم اخواننا وجيراننا فهلم الينا فقبل عبد الله
ابن ابي واصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بابي سفيان
ومن معه وقالوا ما نرجو من محمد ما عنده خير مما هو الا ان يقتلنا
هنا فظلوا ينادون الى اخوانهم يعني اليهود فلم يزدد الموحنون بقول
المنافقين الا ايمانا واحتسابا بتنبيه **هلم** اسم صوت به فعل متعد
بمعنى احضر وتزيد واهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد والجماعة
ويلغتهم نزل القرآن العزيز واما بنو تميم فتقول هلم يا رجل هلما
يا رجلان هلموا يا رجال **ولا** اي ولا يكاد اتيانهم لما **يأتون البأس** اي
الحرب او مكانها **الا قليلا** اي للرياء والسمعة بقدر ما يراهم المخلصون
فاذا استقتلوا بالمحاربة وليقي كل منهم ما اليه يتسللون عنه لواذا اوعاذا
بمن لا يفتهم من الخلق عياذا **اشحة** اي يبخلون ما تقدم من الحال اذ لا
منهم **عليكم** اي بجعول نفع منهم اوفر غيرهم نفس او مال تنبيه

(اشحة

اشحة جمع شحيح وهو جمع لا قياس اذ قياس تفضيل الوصف الذي عينه
ولامه من واد واحدا ياجمع على افعلاء نحو خليل واخلاء مبين وانما
وقد سمع اشحى وهو القياس وانشح البخل وصفهم الله تعالى بالبخل
مع بالجبن بقوله تعالى **فاذا جاء الخوف** اي لجبن اسبابه من الحرب
ومقدماتها **رايتهم** اي ايها المخاطب وقوله تعالى **ينظرون** في محل
حاله من مفعول رايتهم لان الرؤية بصرية وبين بقدهم حسا ومعنى
بحرف الغاية بقوله تعالى **اليك** اي حال كونهم **تدور** تهي اما حال ثانية
واما حال من ينظرون في يمينا وشمالا لاضطراب الطرف **اعينهم** اي
زائغة وعبارتهم تشبيهي في سرعة تقلبها بغير فقد صحيح بقوله تعالى
كالذي اي كدوران اعين الذي **يغشى عليه** مبتدا من الموت
اي من معالجة سكراته خوفا ولواذا لك وذلك لان قرب الموت
وغشية اسبابه تذهب عقله وتشخص بصره فلا يطرف **فاذا**
ذهب الخوف وحيزة الغنايم **سلقوكم** اي بنا ولوكم بنا وللصعبا
بانواع الاذا نسيني ما وقع منهم عن قرب من الخطاء والجور واصل
السلق البسط بقهر اليد واللسان ومنه سلق امراته اي
بسطها وجامعها قال القائل امي لنا المفضح فان شئت سلقتاكم
وان شئت علي اربع والسليقة الطبيعة المباينة والسلق المخلخل
من الارض **بالسنة حداد** ذربة قاطعة فصيحة بعد ان كانت
عند الخوف في غاية اللجلجة لاقتدار علي الحركة من قلة الريق وبس
الشفاة وهذا الطلب العرض الفاني من الغنيمة وغيرها يقال
للخطيب الذرب باللسان الفصيح سلق وقال ابن عباس سلقوكم
اي عضوكم قد بنا ولوكم بالنقص والغيبة وقال قتادة بسطوا
السنتهم فيكم وقد قسمة الغنيمة ويقولون اعطونا فانا شهدنا

معكم القتال ولستم باحق من الغنيمة منا ثم بين المراد بقوله تعالى اشحة
اي شحا مستقليا على الخير اي المال الذي عندهم وفي اعتقادهم انه لا يخرج
غيره لا يريدون ان يحصل شيء منه اليكم ولا يؤثرتم بشيء منه فهم عند
الغنيمة اسلح قوم وعند البأس اجبن قوم ولما وصفهم تعالى بهذه
الصفات الدنيئة اخبر تعالى ان اساسها الذي تنشأ عنه عدم
الوثوق بالله تعالى لعدم الايمان فقال اولئك اي البعداء البغضاء
لم يؤمنوا اي لم يوجد منهم ايمان بقلوبهم وان اقرت به السنتهم
فاحبط الله اي بجلاله وتفرده في تكبريائه وكماله اعمالهم التي
كانوا يأتونها مع المسلمين اي فاظهر بطلانها اذ لم تثبت لهم الاعمال
فتبطل وقال قتادة ابطل الله تعالى جهادهم وكان ذلك اي الاحباط
على الله بما له من صفات العظمة يسيرا اي هينا لتعلق الارادة به
وعدم ما يمنعه عنه وقوله تعالى يحسبون الاحزاب لم يذهبوا
يجوز ان يكون مستانفا اي هم من الجبن بحيث انهم لا لعدم توان ان
الاحزاب قد ذهبوا عنهم ويجوز ان يكون حالا من احد الضمائر
المتقدمة اذا صح المعنى بذلك ولو بعد العامل قاله ابو البقاء والمعنى
ان هؤلاء المنافقين يحسبون الاحزاب يعني قريشا وغطفان واليهود
ولم ينصرفوا عن قتالهم من غاية الجبن عند ذهابهم كانهم غائبون
حيث لا يقاتلون كقوله تعالى ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا وقرأ
ابن عامر وعاصم وحمزة بفتح السين والباقون بالكسر وان ياتي
الاحزاب بعد ما ذهبوا كرة اخرى يودوا اي يتمنوا لو انهم بادون
في الاعراب اي كائنون في البادية بين الاعراب بالذين هم عندهم
في محل نقص وممن تكره مخالطته ثم ذكر حال قاعدا بادون بقوله
تعالى يسالون كل وقت عن انبائكم اي اخباركم العظيمة مع الكفاف

وما آل

وما آل اليه امركم جزعا على ما هم عليه من الفخاف لستوائهم عندكم وجهلهم
كونهم مهتمين بكم يظهر من ذلك حرصا على غنيمتهم من هذه الحرب ولو
اي والحال انهم لو كانوا هؤلاء المنافقون فيكم هذه الكرة ولم يرجعوا الى المدينة
وكان قتال ما قاتلوا معكم الا قليلا رياء كما فعلوا قبل هذه ذهاب الاحزاب
من حضوركم معكم تارة واستيذانهم في الرجوع الى منازلهم اخرى
ولما اخبر تعالى عنهم بهذه الاحوال الذي هي غاية في الدين اقبل عليهم
مبينا لهم على تناهي الغضب بقوله تعالى مؤكدا لاجل الانكار
لقد كان لكم ايها الناس كافة الذين المنافقون في عمايتهم في رسول
الله الذي جلالته من جلاله وكماله من كماله اسوة اي قدوة حسنة
اي صالحة وهو الموسى به اي المعتد به كما تقول في البيضة عشرون
مناحديدا اي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد او ان فيه خصلة
حسنة من حقها ان يوسى بها كالثبات في الحرب ومقاساة الشدائد
اذ كسرت رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه واوذي بضروب الاذى
فواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا انتم كذلك واستنوا بسنته
وتنبيه الاسوة اسم وضع موضع المصدر وهو الائتساء يقال ائتسى فلان
ائتساء كالقدوة من الاقتداء وايتسى فلان بفلان اي اقتدى
به وقرأ عاصم بضم الهمزة والباقون بكسرها وهما لغتان كالعدوة
والعدوة والقدوة والقدوة وقوله تعالى لمن كان اي كونا كائنا
حبلة له يرجو الله اي في جبلته انه يجدد الرجاء مستمرا للذي لا يعلم
في الحقيقة سواه فيؤمل اسعاده ويخشى ابعاده تحصيلا لهذا
التعميم للمؤمنين اي ان الاسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم
لمن كان يرجو الله قال ابن عباس يرجو ثواب الله وقال مقاتل يخشى
الله واليوم الاخر اي يخشى يوم البعث الذي فيه جزاء الاعمال

وذكر الله اي الذي له صفات الكمال وتقدم بقوله تعالى كثيرا تحقيقا
لما ذكر معنى الرجاء الذي به الفلاح وان المراد به الدايم في
حال العسر والضر او لما بين حال المنافقين ذكر حال المومنين
عند لقاء العدو الاحزاب بقوله تعالى ولما راى المومنون اي
الكاملون في الايمان الاحزاب اي الذين ادهشت وبهم القلوب
قالوا اي مع ما حصل لهم من الزلزال وتعاظم الاهوال هذا اي
الذي نراه من الهول هذا ما وعدنا الله اي الذي له الامر كله من قديم
دعوانا الايمان بالبلاء والامتحان ورسوله المبلغ بحق قوله تعالى
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم
ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم
الناس ان يتركوا وامثال ذلك ثم قالوا في مقابلة قول المنافقين
ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا وصدق الله اي الذي له صفات
الكمال ورسوله اي الذي كماله اي ظهر صدقهما في عالم
الشهادة في كل ما وعدا به من النصر او الفرار كما اتياه وهما
صادقان فيما غاب عنا مما وعدا به من نصره وعزه واظهاره
الاسمين للتعظيم والتيمن بذكرهما قال بعض المفسرين ولو
اعيد ضميرين لجمع البارئ تعالى واسم رسوله صلى الله عليه
وسلم لكان يقال وصدقا وقد ورد صلى الله عليه وسلم على من
جمعهما بقوله من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد
غوى وانكر عليه بقوله بيس خطيب القوم انت قل ومن يعص
الله ورسوله قصد الى تعظيم الله تعالى وكما ان احدا قبلا غار
عليه لانه وقف على بعضهما الاول بقوله حتى يكون الله
ورسوله احب اليه مما سواهما فقد جمع بينهما في ضمير واحد

واجيب

واجيب بانه صلى الله عليه وسلم اعرف بقدر الله منا فليس لنا ان
نقول كما يقول وقد يقال اذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ذلك فالله جل وعلا اولى وحق فالجواب بانه انما رد عليه
لانه وقف على بعضهما الاولى ولما كان هذا قولا يمكن ان يكون لسانا
فقط كقول المنافقين اكده لهن المنافقين ذلك بقوله تعالى
شاهدا لهم وما زادهم اي ما زاده من امرهم او الرعب الا ايمانا
بالله ورسوله وتسليما بجميع جوارحهم في جميع القضاء والقدر
ثم وصف الله تعالى بعض المومنين بقوله تعالى من المومنين اي
المذكورين سابقا وغيرهم رجال اي في غاية العظمة عندنا
ثم وصفهم بقوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله بمحيط علما وقدرة عليه
اي اقاموا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به فمنهم من قضى نحبه اي
نذره بان قاتل حتى استشهد كحمزة ومصعب بن عمير وانس بن
النضر والنحب النذر واستعير للموت لانه كنذر لازم في رقبة
كل حيوان وقيل النحب الموت ايضا قال قتادة قضى نحبه يعني اجله
وقيل قضى نحبه اي بذل جهده في الوفاء بالعهد من قول العرب
نحب فلان في سيره يومه وليلته اي اجتهد وقيل قضى نحبه
قتل يوم بدر او يوم احد روي ان انسا قال غاب عمي انس بن
النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن اول قتال
قاتلت المشركين لين الله تعالى في شهد في الله تعالى فقال المشركين
ليرين الله ما اصنع فلما كان يوم احد وانكشف المسلمون قال
اللهم اني اعتذر اليك مما صنع هولاء يعني اصحابه وابرا اليك
مما صنع هولاء يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن
معاذ فقال يا ابا عمرو الى اين فقال واها لريح الجنة اجدها

دون احد فقاتل حتي قتل قال انس بن مالك فوجدنا في جسده
بضعا وثمانين ضربة بالسيف او طعنة برمح او رمية بسهم فوجدناه
قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه احد الا اخته ببنانه
قال انس كنا نري او نظن ان هذه الاية نزلت فيه وفي اشباهه
ومنهم اي الصادقين من ينتظر اي السعادة كعثمان وطلحة وما
بدلوا اي العهد ولا غيروه تبديلا اي شيأ من التبديل روي ان
ممن لم يقاتل في عهد النبي صلي الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله
احد العشرة المشهود لهم بالجنة ثبت مع رسول الله صلي الله عليه
وسلم يوم احد وفعل ما لم يفعله غيره لزم النبي صلي الله عليه
وسلم فلم يفارقه وذب عنه ورقاه بيده حتي شلت اصبعه قال
اسماعيل بن قيس رايت يد طلحة مشلاء وقي بها رسول الله صلي
الله عليه وسلم يوم احد وعن معاوية سمعت النبي صلي الله
عليه وسلم يقول طلحة ممن قضي نحبه وعن طلحة لما رجع النبي صلي
الله عليه وسلم من احد صعد المنبر فحمد الله واثني عليه ثم
قرا رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه الاية كلها فقام اليه
رجل فقال يا رسول الله من هؤلاء فقال ابو بكر السايل هذا منهم
وعنه ايضا انا اصحاب النبي صلي الله عليه وسلم قالوا لاعرابي
جاهل سله عمن قضي نحبه من هو وكانوا لا يجترؤن علي مسالته
ليها بونه ويوقرونه فساله الاعرابي فاعرض عنه لما اني طلعت
من باب المسجد فقال اين السايل عمن قضي نحبه وهذا يقوي
القول بان المراد بالنحب بذل الجهد في الوفا بالعهد وعن خباب
ابن الارت قال هاجرنا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم في سبيل
الله نبتغي وجه الله فوجب اجرنا علي الله فمنا من مضي لم ياكل من

اجره

اجره شيأ منهم مصعب بن عمير قتل يوم احد فلم يوجد له شيء يكفن فيه
الا نمرة فكنا اذا وضعناها علي راسه خرجت رجلاه منها واذا
وضعناها علي رجليه خرج راسه منها فقال صلي الله عليه وسلم
ضعوها مما يلي راسه واجعلوا علي رجليه من الاذخر قال ومنا
من اينعت له ثمرته فهو يهدبها اينعت اي ادركت ونضجت لم يرمها
يهدبها اي يجنيها وهذا كناية عما فتح الله تعالي لهم من الدنيا وعن
زيد بن ثابت قال لما نسخنا المصحف من المصاحف فقدت اية من
سورة الاحزاب كنت اسمع رسول الله صلي الله عليه وسلم يقرؤها
لم اجدها مع احد الا مع خزيمة بن ثابت الانصاري الذي جعل
رسول الله صلي الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين من المؤمنين
رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فالحقتها في سورتها في المصحف
ليجزي الله اي الذي يريد اظهار جميع صفاته يوم البعث للخواص
والعام ظهورا تاما الصادقين اي في الوفا بالعهد وادعا انهم امنوا
به بصدقهم اي فيعلي امرهم وينعمهم في الاخرة فالصدق سبب
وان كان فضلا منه لانه الموفق له ولتبيين في لام ليجزي وجهان
احدهما انها لام العلة والثاني انها لام الصيرورة وقد وقع فيما يتعلق به
اوجه احدها ما بعد قوا واما باز ادوهم واما بابدلوا وعلي
هذا اجاز المنافقون كانهم قصدوا عاقبة السوء واراد وها بتبديلهم
كما قصد الصادقون عاقبة الصدق بوفايهم لان كلا الفريقين سترقي
الي عاقبة من الثواب والعقاب فكانهما ستويا في طلبهما والسعي
لتحصيلهما ويعذب المنافقين اي الذين اخفوا الكفر واظهروا
الاسلام من الدارين بان يميتهم علي نفاقهم او يتوب عليهم

ان شاء بان يعديهم الي التوبة فيتوبوا فالكل باراده تنبيه جواب ان شاء مقدر وكذا مفعول شاء اي ان شاء تعذيبهم عذبهم وتراقا لون والبزي وابو عمرو باسقاط الهمزة الاولي مع المد والقصر وسهل ورش وقنبل الثانية وابدالها الفا حرف مد وحققها الباقون وفي الابدال الثانية الجميع بالتحقيق ولما كانت توبة المنافقين مستبعدة لما يرون من صلابتهم في الجزاع وحبث سرايرهم قال معللا وذلك كله علي وجه التاكيد انه الله اي بالغ من الكمال والجمال كان ان لاول ابدا غفورا عن تاب رحيما بهم ثم بين تعالي بعض ما جازاهم الله تعالي لاجله تهم بقوله تعالي ورد الله اي بالغ من صفات الكمال الذين كفروا وهم من تحزب من العرب وعينهم علي رسول الله صلي الله عليه وسلم الي بلادهم عن المدينة ومضايقته الوحيني حال كونهم بغيظهم اي متغيظين لم يشفه صدورهم بنيل ما اراد وا بل ترقوا عن غيظهم حال كونهم لم ينالوا خيرا لامن الدين ولا من الدنيا بل ذاد ذامة ممنوحا لانية او حال من الحال الاولي فهي متداخلة وكفي الله اي الذي له العزة والكبرياء المؤمنين القتال بما ابتي في قلوبهم من الداعية للانحراف بالريح وبجنود من الملائكة وغيرهم منهم نعيم بن مسعود كما تقدم من الحيلة التي فعلها قال سعيد بن المسيب لما كان يوم الاحزاب حصر النبي صلي الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة حتي خلص الي كل امرء منهم الكرب وحتي قال النبي صلي الله عليه وسلم اللهم اني انشدك عهدك ووعدك اللهم انك ان تشا لا تعبد فبينما هم علي ذلك اذ جا نعيم بن مسعود الاشجعي وكان يا منه الغزيان جميعا فجذل يبني الناس فانطلق الثامن منهم من الاحزاب من غير قتال ذلك

قوله تعالي وكان الله اي الذي له صفات الكمال ان لاول ابدا قويا علي احداث ما يريده عزيزا غالبا علي كل شئ ولما تم الله تعالي حال الاحزاب اتبعه حال من عاونهم بقوله تعالي وانزل الذين ظاهروهم اي عاونوا الاحزاب من اهل الكتاب وهم بنو قريظة ومن دخل معهم في حصنهم من بني النضير من صياصيهم اي حصونهم متعلق بانزل ومن لابتدا الغاية والصياصي جمع صيصية وهي اكصون والقلاع والمعاقل ويقال لكل ما يمتنع به وتتحصن صيصية ومنه قيل لقرن الوزر والظبي ولشوكة الديك صيصية عن سعيد بن جبير قال كان يوم الخندق بالمدينة فجا ابو سفيان بن حرب ومن تبعه من قريش ومن تبعه من كنانة وعيينة ابن حصن ومن تبعه من غطفان وطلحة ومن تبعه من بني اسد وبنو الاعور ومن تبعه من بني سليم وقريظة كان بينهم وبين رسول الله صلي الله عليه وسلم عهد فنقضوا ذلك وظاهروا المشركين فانزل الله تعالي فيهم وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب من صياصيهم وكانت عزوة بني قريظة في آخر ذي القعدة سنة خمس من الهجرة وعن موسي بن عقبة انها في سنة اربع قال العلما بالسير ان رسول الله صلي الله عليه وسلم لما اصبح في الليلة التي انصرف الاحزاب راجعين الي بلادهم انصرف رسول الله صلي الله عليه وسلم والمسلمون عنا الخندق الي المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر اتي جبريل عليه السلام الي رسول الله صلي الله عليه وسلم علي فرسه الحيزوم والغبار علي وجه الفرس والسرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش فحمل رسول الله صلي الله عليه وسلم السلاح عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع

السلام اذ الله تعالي يامرك بالسير الي بني قريظة وانا عامد اليهم
فاذ الله تعالي ذ فهم ذ الرعب علي الحصن وانهم كد طمة فاذ ذ في
الناس من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر الا في بني قريظة وقدم
رسول الله صلي الله عليه وسلم علي بن ابي طالب براية اليهم وابتد
الناس فسار علي حتي اذا دني من الحصون سمع منهم مقالة قبيحة
لرسول الله صلي الله عليه وسلم فرجع حتي لقي رسول الله صلي الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله لا عليك ان تدنوا منهم لالاحباء
قال اظنك سمعت لي منهم اذي قال نعم يا رسول الله قال لو قد
راوني لم يقولوا من ذلك شيا فلما دنا رسول الله صلي الله عليه
وسلم من حصنهم قال يا اخوان القرود هل اجزاكم الله وانزل
بكم نقمة قالوا يا ابا القاسم ما كنت جهولا ومر رسول الله صلي
الله عليه وسلم علي اصحابه كتبل ذ يصل الي بني قريظة قال هل
مر بكم احد قالوا مر بنا دحية بن خليفة علي بغلة شهبا عليها
قطيفة من ديباج قال صلي الله عليه وسلم ذاك جبريل بعث
الي بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذ في قلوبهم الرعب ولما
اتي رسول الله صلي الله عليه وسلم بني قريظة تن ل علي بئر من
ابارها فتلاحق به الناس فاتاه رجال من بعد صلاة العشا
الاخرة ولم يصلوا العصر فنزل رسول الله صلي الله عليه وسلم
لا يصلي احد العصر الا في بني قريظة فصلوا العصر بعد
العشا الاخرة فما عابهم الله تعالي بذلك ولا عنفهم رسول
الله صلي الله عليه وسلم وكان حيي بن اخطب دخل علي بني
قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاكهة
بن اسد بما كان عاهده عليه فلما ايقنوا ان رسول الله صلي

الله

الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتي يناجزهم قال كعب بن اسد يا معشر
يهود انه قد نزل بكم من الامر ما ترون وانني عارض عليكم خلالا
ثلاثا فخذوا ايها شيتم قالوا وما هي قال نبايع هذا الرجل ونصدق
فوالله لقد تبين لكم انه نبي مرسل وانه الذي تجدونه في كتابكم
فتامنوا علي دمائكم وابنائكم ونسائكم واموالكم قالوا لا نفارق
حكم التوراة ابدا ولا نستبدل به غيره قال فاذا ابيتم هذه
فلنقتل ابنائنا ونسائنا ثم نخرج الي محمد رجالا مصلتين بالسيوف
ولم نترك وراءنا ثقلا يهمنا حتي يحكم الله بيننا وبين محمد واصحابه فان
نهلك نهلك ولم نترك وراءنا احدا ولا شيا نخشي عليه وان نظهر
فلعمري لنجدن النساء والابنا قالوا نقتل هؤلا المساكين فما خير
العيش بعدهم قال فان ابيتم هذه فان الليلة ليلة السبت وعسي
ان يكون محمد واصحابه قد امنوا فانزلوا لعلنا ان نصيب فيهم غرة
قالوا نفسد صفقتنا ونحدث فيه ما لم يكن احدث من كان قبلنا
فتكهم قال علي السبي وحاصرهم رسول الله صلي الله عليه وسلم
خمسا وعشرين ليلة حتي جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلي
الله عليه وسلم تنزلون علي حكمي فابوا وكانوا قد طلبوا اباتبا
من عبد المنذر اخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفا الاوس
يستشيرونه في امرهم فارسله رسول الله صلي الله عليه وسلم
اليهم فلما راوه قام اليه الرجال والنسا والصبيان يبكون في وجهه
فرق لهم فقالوا يا ابا لبابة اترى ان ننزل علي حكم محمد قال
نعم واشار بيده الي حلقه يعني انه الذبح فقال ابو لبابة فوالله
ما زالت قدماي حتي عرفت اني خنت الله ورسوله ثم انطلق
ابو لبابة علي وجهه ولم يات رسول الله صلي الله عليه وسلم حتي

اربتط في المسجد الى عمود من عمده وقال لا ابرح من مكاني حتى يتوب
الله تعالى علي مما صنعت وعاهد الله تعالى لا يجاوبني وتربط الدا
ولا يراني الله تعالى في بلد حنث فيه الله تعا ورسوله فلما بلغ
رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره واجابه عليه قال اما لو جاني
لاستغفرت له فاما اذ افعل فما انا بالذي يطلقه من مكانه حتى
يتوب الله عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون
على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان
تقتل مقاتلهم وتسبي ذراريهم ونساءهم فكبر النبي صلى الله
عليه وسلم وقال لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة ارقعة
ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب
اعناقهم وهم من ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كانوا سبعمائة فقاتل
وسبعمائة اسير **وقذف** اي الله تعالى **في قلوبهم الرعب** حتى
سلموا انفسهم للقتل واولادهم ونساءهم للسبي كما قاله الله تعا
فريقا تقتلون وهم الرجال يقال كانوا سبعمائة **وتاسرون**
فريقا وهم النساء والذراري يقال كانوا سبعمائة وخمسين
ويقال تسعمائة فان قيل ما فائدة تقديم المفعول في الاول
وتاخيره في الثاني حيث قال
وتاسرون فريقا اجيب بان الرازي قال ما من شيء من القرآن
الا وله فائدة منها ما يظهر ومنها ما لا يظهر والذي يظهر من هذا
والله اعلم ان القاتل يبدا بالاهم فالاهم والاقرب فالاقرب
والرجال كانوا مشهورين وكان القتل وارد اعليهم وكان الاسر
هم النساء والذراري فلم يكونوا مشهورين والسبي والاسر
اظهر من القتل لانه يبقى فيظهر لكل احد انه اسير فقدم في المحل

ما اشتهر

ما اشتهر على الفعل القايم به ومن الفعليين ما هو اشهر قدم على المحل
الكثير الثاني وقرا ابن عامر والكسائي الرعب بضم العين والباقون
بسكونها ولما ذكر الناطق بقسميه ذكر الصامت بقوله تعالى **واورثكم**
ارضهم من الحدائق والمزارع **وديارهم** اي حصونهم اي يجاني عليهم
ما لا يجاني على غيرها **واموالهم** من النقد والماشية والاثاث
وغيرها فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم للفارس ثلاثة
اسهم للفرس سهمان وللفارس سهم كما للراجل ممن ليس له فرس
سهم واخرج منها الخمس وكانت الخيل ستة وللذي فرسا وكان
هذا اولي من وضع فيه السهمان وجرى على سننه في المغازي
واصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبايا بني ريحانة
بنت عمرو بن قريظة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض
عليها ان يتزوجها ويضرب عليها بالحجاب فقالت يا رسول الله
بل تتركني في ملكك فهو اخف علي وعليك فتركها وكانت حتى
سالمت كرهت الاسلام وابت الا اليهودية فغار لها رسول الله
صلى الله عليه وسلم ووجد في نفسه من امرها فبينما هو مع
اصحابه اذ سمع رفع نعلين خلفه فقال ان هذا الثعلبة بن
سعنة بشرني باسلام ريحانة فجاء فقال يا رسول الله قد
اسلمت ريحانة فسره ذلك روي ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في
ذلك فقال انكم في مساكنكم وقال عمر انا تخمس كما خمست يوم
بدر قال لا انما جعلت هذه طعمة لي دون الناس قال رضينا
بما صنع الله ورسوله وانزل الله تعالى توبة ابي لبابة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت ام سلمة فسمعت

رسول الله صلي الله عليه وسلم يضحك فقالت ثم ضحكت يا رسول
الله اضحك الله سنك فقال ثيب علي بابي لبابة فقالت الا ابشرك
بذلك يا رسول الله قال بلي ان شئت فقامت علي باب حجرتها وذلك
قبل ان يضرب علينا الحجاب فقالت يا ابا لبابة ابشر فقد تاب الله
تعالي عليك فثار الناس اليه ليطلقه فقال لا والله حتي يكون
رسول الله صلي الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده فلما مر
عليه غاديا الي الصبح اطلقه وجاء سعد بن معاذ بعد انقضاء
غزوة بني قريظة فقالت عائشة تحفزه رسول الله صلي الله عليه
وسلم وابو بكر وعمر فقال الذي نفس محمد بيده اني لا اعرف بكاء عمر
من بكاء ابي بكر واني لفي حجرتي فقالت وكانوا كما قال الله تعالي رحماء
بينهم واختلفوا في نفسير قوله تعالي وارضا اي وارثكم ارضا
لم تطؤوها فمن قائل انها خيبر وعليه اكثر الحبشيين ومن قائل
فارس والروم وعن قتادة كنا نحدث انها مكة وعن عكرمة
كل ارض تفتح الي يوم القيمة ومن بديع التفسير انه اراد بشارهم
التي ولما كان ذلك امرا ما سهلا بقوله تعالي وكان الله اي
ازلا وابدا بما له من صفات الكمال علي كل شيء هذا وعن
قديرا اي شامل القدرة روي ابو هريرة ان رسول الله صلي
الله عليه وسلم كان يقول لا اله الا الله وحده اعز جنده ونصر
عبده وغلب الاحزاب وحده فلا شيء بعده ولما ارشد الله
تعالي نبيه صلي الله عليه وسلم الي جانب ما يتعلق بجانب التعظيم
لله تعالي ثنية صلي الله عليه وسلم بقوله تعالي يا ايها النبي اتق
الله ذكر ما يتعلق بجانب الشفقة وبدا بالزوجات فقال يا ايها
اولي الناس بالشفقة ولهذا قدم من في الشفقة فقال يا ايها

النبي

النبي قل لازواجك اي نسائك ان كنتن اي كونا راسخا تردن اي
اختيار الحياة وصفها بما يزهد فيها ذوي الهمم فيذكر منه عقل
بالاخرة بقوله تعالي الدنيا اي ما فيها من السعة والترفاهية والنعمة
وزينتها اي المنافية لما امرين به ربهن من الاعراض عنه واحتقاره
من امرها لانها البغيضة الي الله لانها قاطعة عنه فتعالين اصله ان
الآمر يكون اعلي من المامور فيدعوه الي ان يرفع نفسه اليه ثم كثر حتي
صار معناه اقبل وهو هنا كناية عن الاخبار والارادة بعلاقة
ان المخير يدعو الي من يخيره امتعكن اي بما احسن به اليكن من متعة
الطلاق وهي واجبة لزوجة لم يجب لها نصف مهر فقط بان وجب
لها جميع المهر او كانت مفوضة لم توطا ولم يفرض لها شيء صحيح اما
في الاولي فلان المهر في مقابلة بضعها وقد استوفاها الزوج
فتجب لها متعة واما في الثانية فلان المفوضة لم تحصل لها شيء
فيجب لها متعة للاجماش بخلاف من وجب لها النصف فلا متعة
لها لانه لم يبق في متعة لبضعها فيكفي نصف مهر لها للاجماش
هذا اذا كان الفراق لا بسببها ويسن ان لا تنقص عن ثلاثين درهما
او ما قيمته ذلك وان لا تبلغ نصف المهر فان تراضيا بشيء وذلك
والا قدرها قاض باجتهاده بقدر حالهما من يساره واعساره ويشهد
وصفاتهما قال تعالي وعلي الموسع قدره وعلي المقتر قدره
واسرحكن اي من حبالة عصمتي سراحا جميلا اي طلاقا من غير ضرار
ولا نوع عقته ولا مقاهرة وان كنتن اي بما لكن من الحبلة تردن الله
اي الامر بالاعراض عن الدنيا ورسوله اي المومر بما امره به من
الاستسلاح عنها المبلغ للعباد جميع ما ارسله به من امر الدنيا
والدين لا يدع شيئا مما له عليكن وعلي سايي الناس من الحق بما

يبلغهم عن الله تعالى والدار الاخرة اي ما يجب الحياة بما لها من البقاء والعلو
والارتقاء فان الله اي بما له من جميع صفات الكمال اعد اي في الدنيا
والاخرة للمحسنات منكن اي اللاتي يفعلن ذلك اجرا عظيما تستحقر
دونه الدنيا وزينتها ومن للتبعيض لان كلهن محسنات قال المفسرون
سبب نزول هذه الاية ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم سألنه من
عرض الدنيا وطلبن منه زيادة في النفقة واذينه بعضهن
على بعض فتجرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اذ لا يتزيين
سنة اشهر ولم يخرج الى اصحابه فقالوا ما شانه وكانوا لم يقولوا طلق
رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقال عمر لاعلمن لكم شانه
فقال فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول
الله اطلقتهن قال لا فقلت يا رسول الله اني دخلت المسجد
والمسلمون يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه
افانزل فاخبرهم انك لم تطلقهن قال نعم ان شئت فقمت على
باب المسجد فناديت باعلا صوتي لم يطلق رسول الله صلى الله
عليه وسلم نساءه ونزل قوله تعالى واذا جاءهم امر من الامن او الخوف
اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين
يستنبطونه منهم فكنت الذي استنبط ذلك الامر وانزل الله
تعالى اية التخيير وكان تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع نسوة
خمس من قريش عائشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر وام حبيبة
بنت ابي سفيان وام سلمة بنت ابي امية وسودة بنت زمعة واربع
من غير القريشات زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت
الحارث الهلالية وصفية بنت حيي بن اخطب الخيبرية وجويرية
بنت المصطلقية فلما نزلت اية التخيير اعرض عليهن رضي الله تعالى

عنهن

عنهن ذلك وبدا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة راس المحسنات
اذ ذاك وكانت احب اليه فخيرها وقرا عليها القرآن فاختارت الله
ورسوله والدار الاخرة فراي الفرح في وجه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتابعتها على ذلك قال قتادة فلما اخترن الله ورسوله
شكر الله على ذلك وقضى عليهن فقال تعالى لا تحل لك النسا
من بعد وعن جابر بن عبد الله قال دخل ابو بكر يستاذن على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا ببابه لم يوذن لاحد منهم
فاذن لابي بكر فدخل ثم اقبل عمر فاستاذن فاذن له فوجد النبي صلى
الله عليه وسلم جالسا حوله نساؤه واجما ساكتا قال فقال لاقولن
شيا اضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لو رايت
بنت خارجة سالتني النفقة فقام ابو بكر الى عائشة يجا عنقها
وقام عمر الى حفصة يجا عنقها كلاهما تقول تسالون رسول الله صلى
الله عليه وسلم شيا ليس عنده فقلن لهن والله لا نسالن
وعشرين يوما ثم انزلت هذه الاية يا ايها النبي قل لازواجك حتى
بلغ المحسنات منكن اجرا عظيما قال فبدا بعائشة فقال يا عائشة
اني اعرض عليك امرا لا احب ان تعجلي فيه حتى تستشيري
ابويك قالت وما هو يا رسول الله فتلى عليها الاية قالت افمك
يا رسول الله استشير ابوي بل اختار الله ورسوله والدار الاخرة
واسالك ان لا تخبر امراة من نسايك بالذي قلت قال لا تسالني
امراة منهن الا اخبرتها ان الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا ولكن
بعثني معلما ميسرا قوله واجما اي داخلا فمها والواجم الذي اسكت
الهم وعلته الكابة وقيل انكرت قوله نواجات عنقها اي دققته قوله
لم يبعثني معنتا العنت المشقة والعصوبة وروى الزهري ان

النبي صلى الله عليه وسلم اقسم ان لا يدخل على ازواجه شهرا قال الزهري
فاخبرني عروة عن عائشة قالت فلما مضى تسع وعشرين اغدو لرقبال
اذا تسع وعشرون فقيه اختلف العلماء في هذا التخيار هل كان
ذلك تفويض الطلاق اليهن وانما خيرهن على ايمن اذا اخترن الدنيا
فارقهن كقوله تعالى فتعالين امتعكن واسرحكن ودليل على انه لم
يكن جوابهن على الفور فانه قال لعايشة لا تعجلي حتى تستشيري ابويك
وفي تفويض الطلاق يكون جوابه على الفور وذهب آخرون الى
انه كان تفويض طلاق ولو اخترن كان طلاقا واختلف العلماء
في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس اذا خير الرجل امرأته
فاختارت زوجها لا يقع شيء ولو اختارت نفسها وقع طلقة واحدة
وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن ابي ليلى والشافعي
واصحاب الراي الا ان عند اصحاب الراي انه يقع طلقة بائنة اذا
اختارت نفسها وعند الآخرين رجعية وقال زيد بن ثابت اذا
اختارت نفسها فطلقة بائنة واكثر العلماء على انها اذا اختارت
زوجها لا يقع شيء وعن مسروق قال ما ابالي خيرت امرأتي واحدة
ومائة والفا بعد ان تختارني قاله الرازي وههنا مسايل منها هل
كان هذا التخيير واجبا على النبي صلى الله عليه وسلم او لا والواجب
ان التخيير كان قولا واجبا من غير شك لانه ابلاغ للرسالة لان
الله تعالى لما قال لنقل لمن قابل صادر من الرسالة واما التخيير
مبني على ان الامر للوجوب ام لا والظاهر انه للوجوب ومن خير
ان واحدة ممن لو اختارت نفسها وقلنا انها لا تبين الا بالثلاث
النبي صلى الله عليه وسلم فهل كان يجب على النبي صلى الله عليه
وسلم الطلاق او لا الظاهر نظرا الى منصب النبي صلى الله عليه

وسلم

وسلم انه كان يجب لان الخلف في الوعد من النبي غير جايز بخلاف احدنا
فانه لا يلزمه شرعا الوفا بما وعد ومنها ان المخايرة بعد البيعونة هل
كانت محرمة على غيره او لا الظاهر انها كانت نظرا الى منصب الرسول
صلى الله عليه وسلم لا يباشره اصلا لا بمعنى انه لو اتى به لعوقب
او عوتب اتى ولما خيرهن واخترن الله ورسوله هذا من الله
للتوقي عما تسبو النبي صلى الله عليه وسلم واوعدهن بتضعيف
العذاب بقوله تعالى يا نساء النبي اي المخايرات له بينه وبين الله
تعالى بما يظهر شرفه من يات منكن بفاحشة اي سيية من قولا او
فعل كالنشوز وسوء الخلق واختيار الحياة الدنيا وزينتها على
الله تعالى ورسوله وآله صلى الله عليه وسلم او قال غير ذلك
قاله ابن عباس المراد هنا بالفاحشة النشوز وسوء الخلق وقيل
هو كقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك وقرا ابن كثير وشعبة مبينة
بفتح الياء التحتية اي ظاهر فحشها والباقون بكسرها اي واضحة
ظاهرة في نفسها يضاعف لها العذاب اي بسبب ذلك ضعفين
اي ضعفي عذاب غيرهن اي مثليه واما ضوعف عذابهن لان
ما قبح من سايرالنساء كان اقبح منهن لان زيادة فضل المعصية
تتبع زيادة الفضل والمرتبة ولذلك كان ذم العقلاء لمن هو اعلم
العالم اشد منه للعاصي الجاهل ولان المعصية من العالم اقبح
ولذلك جعل حد الحر ضعفي حد العبد وعوتبة الانبياء عليهم السلام
غيرهم وقرا نافع وعاصم وحمزة والكسائي بالياء التحتية والف
بعد الضاد وتخفيف العين مفتوحة العذاب بالرفع وابن
كثير وابن عامر بالنون والف بعد الضاد وتشديد العين
مكسورة العين بالنصب وابو عمرو بالياء وتشديد العين مفتوحة

العذاب بالرفع وقوله تعالى وكان ذلك على الله يسيرا فعينه ابان بان كونهن نساء النبي صلى الله عليه وسلم ليس بمغن عنهن شيئا وكيف يغني عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب فكان داعيا الى تشديد الامر عليهن عن صارف عنه ولما بين تعالى زيادة عقابهن اتبعه زيادة ثوابهن بقوله تعالى ومن يقنت اي يطع منكن لله الذي هو اهل ليلا يلتفت الى غيره ورسوله الذي لا ينطق عن الهوى فلا تختار الا ما امر به ولا تختار عليه عيشه وتعمل اي بقلبك ذلك بجوارحها صالحا اي في جميع ما امر به سبحانه اذ ربما عن فلا يقتصر على عمل القلب نؤتها اجرها مرتين اي مثلي ثواب غيرهن من النساء قال مقاتل كان لكل حسنة عشرين حسنة فهي على الطاعة ومثلها على رضاها من رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة تنبيه قوله تعالى نؤتها اجرها مرتين في مقابلة قوله تعالى يضاعف لها العذاب ضعفين فيه لطيفة وهي ان عند اتيان الاجر ذكر المولى وهو الله تعالى وعند العذاب لم يصرح بالمعذب فقال تعالى يضاعف وهذا اشارة الى كمال الرحمة والكرم وقرأ حمزة والكسائي بالياء التحتية في يعمل وبين تارة حملا على لفظ من وهو الاصل والباقون بالتاء الفوقية على معنى معنى من والتذكير في نؤتها على ان فيه ضمير اسم الله تعالى واعتدنا له اي اعددنا لها من العظمة اي بسبب قنوتها مع النبي صلى الله عليه وسلم الكريم للتحلي من الدنيا التي يبغضها الله تعالى مع تأتي ذلك من غيرها في الآخرة رزقا كريما اي في الدنيا والآخرة زيادة على اجرها اما في الدنيا فلانه ما يرزقن منه يوفقن لصرفه على وجه يكون فيه اعظم الثواب ولا يخفى ما في جعله نوعا عذاب واما في الآخرة فلا يوصف ولا يحد ولا نكد فيه اصلا ولا كد وهذا ما جرى

عليه

عليه البقاعي وهو اولى مما جرى عليه كثير من المفسرين من الاقتصار على رزق الجنة وعلله الرازي بقوله وصف رزقا بقوله كريما مع ان الكل كريم لان كون رضا الله للرزق وذلك الطارق الى ان الرزق في الدنيا قد يرد على يدي الناس التاجر يسترزق من السوقة والعاملون والصناع من المستعملين والملوك من الرعية والرعية منهم فالرزق في الدنيا لا ينافي بنفسه انما هو سبب للغير يكسبه ويرسله الى الانبياء ذرا في الآخرة فلا يكون الله مرسل ومسبب في الظاهر فهو الذي يأتي بنفسه فلا جرم هذا لا يوصف في الدنيا بالكريم الا الرازق وفي الآخرة يوصف بالكريم بنفس الرزق اه ولما ذكر تعالى ان عذابهن ضعف عذاب غيرهن واجرهن مثل اجر غيرهن صرف الكلام ايضا الى النساء فقال تعالى يا نساء النبي لستن كاحد قال البغوي ولم تقل كواحدة لان الاحد عام يصلح للواحد وللاثنين والجمع والمذكر والمؤنث والمعنى لستن كما عد واحد من جماعات النساء اذا انضمت جماعة النساء واحدة واحدة لم يوجد من بين جماعة واحدة نساء يكن في الفضل والسابقة وهو قوله تعالى والذين امنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين احد منهم يريد بين جماعة واحدة لم يوجد من بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم بأنهم على اتقى قلب رجل وقوله تعالى لا نفرق بين احد من رسله وقوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين واكمل على الانفراد بان يقال ليست كل واحدة منكن كواحدة من آحاد الدنيا صحيح بل اولى لان يلزم تفضيل الجماعة بخلاف اكمل على الجمع وعن ابن عباس معنى لستن كاحد من النساء يريد ليس قدركن عند الله مثل قدر غيركن من النساء الصالحات انتن اكرم على الله واعظم لدي ولما كان المعنى بل انتن اعلا النساء ذكر شرط ذلك بقوله تعالى ان اتقيتن الله تعالى اي جنس تقين بينكن وبين عقاب الله تعالى

وعظب رسوله صلى الله عليه وسلم وقاية ثم سبب عن هذا النهي
قوله تعالى فلا تخضعن اذا تكلمتن بحضرة اجنبي بالقول اي بان يكون فيه
عذوبة وترخيم والخضوع التطامن والتواضع والليين ثم سبب عن هذا النهي
قوله تعالى فيطمع اي فتي بخيانة الذي في قلبه مرض اي نفاق
وريبة من فسق وفجور ونحو ذلك وعن زيد بن علي قال المرض مرضان
مرض زنا ومرض نفاق وعن ابن عباس ان نافع بن الازرق
قال له اخبرني عن قوله تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض قال المجون
والزنا قال نعم اما سمعت الاعشى يقول
حافظ للعورة راضي بالتقى ليس ممن قلبه فيه مرض والتعبير
بالطمع للاشارة على ان امنيته لا سبب لها في الحقيقة لان اللين
في كلام النساء ليس لهن بد تكلف فيه واريد من نسائه
النبي صلى الله عليه وسلم التكلف للانتباه بهذه المراة عن ذوبة
في الغلظة في المقالة اذا خاطبت الاجانب لتطمع الاطماع ولما
نهاهن عن الاسترسال مع سجية النساء في رخاوة الصوت امرهن
بضده بقوله تعالى وقلن قولا معروفا اي بتعرف انه بعيد عن محل
الطمع من ذكر ريبة وما يجتنب اليه من الكلام مما يوجب الدين
والاسلام بتعريج بيان من غير خضوع ولما امرهن بالقول وقدم
لوجوه اتبعه الفعل بقوله تعالى وقرن اي اسكن واسكنن اي دائما
في بيوتكن فمن كسر القاف وهم غير نافع وعاصم فمن وعنه قرر
يكسرها وهما لغتان ومن فتح القاف فمن حمزة الراء ومن كسرها فرقة
الزاء عن محمد بن سيرين قال بلغ انه قيل لسودة زوج النبي صلى
الله عليه وسلم مالك لا تحجين ولا تعتمرين كما تفعل اخواتك فقالت
قد حججت واعتمرت وامرني الله ان اقر في بيتي فوالله لا اخرج من بيتي

حتى اموت قال فوالله ما خرجت من باب حجرتها حتى اخرجت جنازتها
واختلفوا في معنى التبرج في قوله تعالى ولا تبرجن فقال مجاهد
وقتادة هو التكسر والتغنج وقال ابن جريج هو التبختر وقيل هو
ابراز الزينة وابراز المحاسن للرجال وقرا البزي بتشديد التاء في
الوصل والباقون بالتخفيف واختلف العلماء في معنى قوله تعالى تبرج
الجاهلية الاولى فقال الشعبي بين ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه
وسلم وقال ابو العالية هي زمن داود وسليمان عليهما السلام كانت
المراة تتخذ قميصا من الدرع غير محيط بجانبين تبدي خلقها فيه
وقال الكلبي كان ذلك الوقت في زمن عزوبة الجبابرة كانت المراة تتخذ
الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتمشي وسط الطريق ليس عليها شيء غيره
وتمر على نفسها على الرجال وروى عكرمة عن ابن عباس انه قال
الجاهلية الاولى فيما بين نوح وادريس عليهما السلام وكانت الف
سنة وانما بطنين من ولد آدم كان احدهما يسكن السهل والاخر
يسكن الجبل وكان رجال الجبل صباحا وفي النساء دمامة وكان
نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة وان ابليس اتى رجلا من
اهل السهل واخبر نفسه منه فكان يخدمه واتخذ شيئا مثل الذي
يزمر به الرعاة فبعث الله لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حوله
فاتوه وهم يستجيبون اليه ويتخذونه عيدا يجتمعون اليه في السنة
فيتزوج النساء الرجال ويتزين الرجال للنساء واتى رجلا من اهل
الجبل فعلم على عيدهم ذلك فراى النساء وصباحتهن فاتى اصحابه
فاخبرهم بذلك وذكر لهم ما رآى فتزينوا لهم وظهرت الفاحشة بينهم
فذلك قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وقال قتادة
ما بين ادم الى نوح كانت الجاهلية الاولى وما عليه الكفر قبل الاسلام

وبجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق في الاسلام يفيده قوله صلى
الله عليه وسلم لابي ذر كما في الصحيحين انك امرؤ فيك جاهلية كفرا و
اسلام وقول البيضاوي وقولها كما قاله ابن عجرة لم اجده عن ابي
الدرداء وقيل قد تذكر الاولى ولم يكن لها اخرى كقوله تعالى لمن
اهلك على الاولى ولم يكن لها اخرى ولما امرهن بلزوم البيوت
للتخلية عن السوآيب ارشدهن الى التحلية بالرغائب بقوله
تعالى واقمن الصلاة اي تصديقا وعملا صالحا لما يمكن فيها
ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وآتين الزكاة احسانا الى
الخلائق وفي هذه سباقة بالفتوح وتوسيع الدنيا عليهن فان
العسر وقلة ذات اليد لما كانا مضنيين من الفوت مفضلا عن الزكاة
ولما امرهن بخصوص ما تقدم بهما اصل الطاعات البدنية والمالية
ومن اعتنى بهما حق الاعتناء جرته الى ما وراءهما فجمع في قوله
تعالى واطعن الله اي الذي له صفات الكمال ورسوله اي الذي
لا ينطق عن الهوى فيما امراه ونهيا عنه انما يريد الله اي
الذي هو ذو الجلال والاكرام بما امركن به ونهاكن عنه من
الامور الماضية عن الزينة وما يتبعها وللاقبال عليه ليذهب اي
لاجل ان يذهب عنكم الرجس اي الاثم الذي يعني الله تعالى بعينه
قاله مقاتل وقال ابن عباس يعني عمل الشيطان وما كيس فيه
رضا الرحمن وقال قتادة يعني الشر وقال ابو بكر الوراق الرجس الشك
وقوله تعالى اهل البيت في ناصبه اوجه احدها النداء اي يا اهل البيت
او المدح اي امدح اهل البيت او الاختصاص اي اخص اهل البيت كما قال
صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث وكل اختصاص
في المخاطب اقدم منه في المتكلم وسمع بكاء ابن زوجها الفضل

والاكرا

والاكرا انما هو في المتكلم كقولها نحن بنات طارق نمشي على النمارق
وقولهم نحن بني ضبة اصحاب الجمل انعوت اهلي عندنا من العسل
وقولهم نحن العرب اقرى الناس للضيف واختلفوا في اهل البيت
والاولى فيهم ما قاله المقاتلي انهم كل ما يكون من الزام النبي صلى
الله عليه وسلم من الرجال والنساء والازواج والاماء والاقارب
وكل ما كان الانسان منهم اقرب وبالنبي صلى الله عليه وسلم اخص
والزم كان بالارادة احق واجدر ويؤيده قول البيضاوي وتخصيص
المسلمة اهل البيت بفاطمة وعلي وابنيهما رضي الله تعالى عنهم لما
روى ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات غدوة وعليه مرط من
شعر اسود فجلس فجاءت فاطمة فادخلها فيه ثم جاء علي فادخله
فيه ثم جاء الحسن والحسين فادخلهم فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت والاحتجاج بذلك على عصمتهم وكون
اجماعهم حجة ضعيف وعن ابن عباس انهم نساء النبي صلى الله
عليه وسلم لان من في بيته وتلي قوله تعالى واذكرن ما يتلى في
بيوتكن من ايات الله وعن ام سلمة قالت في بيتي انزل انما يريد
الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت قالت فارسل رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى فاطمة وعلي والحسن والحسين فقال
هؤلاء اهل بيتي فقلت يا رسول الله اما انا من اهل البيت فقال
بلى ان شاء الله وقال زيد بن ارقم اهل بيته من حرم الصدقة بعده
آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس قال الرازي والاولى
ان يقال لهم اولاده وازواجه والحسن والحسين وعلي منهم لانه
كان من اهل بيته لما سيأتي ان بيت النبي صلى الله عليه وسلم
والملازمة له ولما استعار للمعصية الرجس استعار للطاعة

بها الطهر ترغيبا لاصحاب الطباع السليمة والعقول المستقيمة
في الطاعة وتنفيرا لهم عن المعصية بقوله تعالى ويطهركم اي يفعل
في طهوركم العصمة عن جميع المفاسد والدنيات الحسية والمعنوية فعل
المبالغ فيه وزاد ذلك عظما للصدر بقوله بعد تعالى تطهيرا وعن
ابن عباس قال سمعت انا رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة
اشهر يقول كل يوم علي باب علي بن ابيطالب عند وقت كل صلاة
فيقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته انما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا الصلاة رحمكم الله
كل يوم خمس مرات ثم يبني تعالى ما انعم به عليهن من اذ يبوتهن
بما نبط الوحي بقوله تعالى واذكرن اي في انفسكن ذكرا دائما
واذكرنه لغيركن من جملة الوعظ والتعليم ما يتلى اي يتتابع
ويوالي ذكره في بيوتكن اي بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم
الذي خيركن وقوله تعالى من ايات الله اي القرآن بيان للموصول
فيتعلق باعني ويجوز ان يكون حالا مما من الموصول او مما من
عائده المقدر فيتعلق بمحذوف والحكمة اختلف في قوله تعالى
والحكمة فقال قتادة يعني السنة وقال مقاتل احكام القرآن
ومواعظه ان الله الذي له جميع العظمة كان اي ولم يزل لطيفا
اي يوصل الى المقاصد بالطرق الاغرب خبيرا اي بجميع خلقه
يعلم ما يسرون وما يعلنون لا تخفى عليه خافية فيعلم من يصلح
بيت النبي صلى الله عليه وسلم ومن لا يصلح وما يصلح الناس
دنيا ودينا وما لا يصلحهم والطرق الموصلة لكل ما قضاه وقدره
وان كانت على غير ما يالفه الناس من القطع الى الله كفاه
الله تعالى كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع

الى الدنيا وكله الله اليها ولقد صدق الله تعالى وعده في لطفه وحفظه
لهم بورود خيبر ثم بان فتح علي نبيه صلى الله عليه وسلم خيبر
فاضاف بها علي رزقه الواسع ولما توفي نبيه صلى الله عليه وسلم
بجميع من ذهرة الحياة الدنيا فتح الفتوحات الكبار من بلاد فارس
والروم ومصر وما بقي من اليمن معهم لفتح جميع الاقطار في الشرق
والغرب والجنوب والشمال ومكن اصحاب نبيه صلى الله عليه
وسلم من كنوز تلك البلاد وذخائرها وليكة الملوك فتح صاد
الصحابة رضوان الله تعالى عليهم تكيلون الاموال كيلا وزنا الامر
حتى دون عمر رضي الله تعالى عنه الدواوين وفرض للناس عامة
ارزاقهم حتى المرضعات وكان اولا لا يفرض للمولود حتى يفطم فكانوا
يستعملون بالعطاء منادي ينادي لا تعجلوا اعلى اولادكم بالعطاء
فانا نفرض لكل مولود في الاسلام وفاوت بين الناس في العطاء
بحسب القرب من النبي صلى الله عليه وسلم والبعد منه وبحسب
السابقة في الاسلام والهجرة ونزل الناس منازلهم بحيث ارضى
جميع الناس حتى قدم عليه خالد بن عرفطة فساله عمار راه فقال
تركتهم يسالون الله تعالى ان يزيد في عمرك لما رايتهم قال عمر اغاثهم
حقهم وانا اسعد باداية الهم واياك لاغم بنصيحتي كل من طوقني
الله امره فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مات
غاشا لرعيته لم يرح رائحة الجنة فكان فرضه لازواج النبي صلى
الله عليه وسلم اثني عشر الفا لكل واحدة وهب لهن الف دينار
في كل سنة واعطى عائشة خمسة وعشرين الفا لانها كانت رسول
الله صلى الله عليه وسلم اياها فابت ان تاخذ الا ما تاخذه
صواحباتها وروي عن بريرة بنت رافع قالت لما خرج العطا

٢٢٩

ارسل عمر الي زينب بنت جحش بالذي لها فلما ادخل اليها قالت غفر الله
لعمر غيري من اخواني اترى علي قسم هذا مني قالوا هذا كله لك
قالت سبحان الله ثم قالت عبسوا واطرحوا عليه ثوبا ثم قالت لي
ادخلي يدك والتقطي منه قبضة فاذهبي بها الي بني فلان وبني
فلان من ذوي رحمها وايتامه فقسمته حتي بقيت منه بقية تحت
الثوب قالت برزة بنت رافع غفر الله لكم يا ام المؤمنين والله لقد
كان لنا في هذا المال حق قالت فلكم ما تحت الثوب قالت فوجدنا
تحته خمسماية وثمانين درهما ثم رفعت يديها الي السماء وقالت اللهم
لا يدركني عطاء لعمر بعد عامي هذا فماتت قال المقاعسي ذكر ذلك
البلاذري في كتاب فتوح البلدان ومن قاتل قاتل قالت ام
سلمة بنت ابي امية وميمونة بنت كعب الخثعمية زوجة للنبي صلي
الله عليه وسلم ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في
شئ من كتابه فخشي ان لا يكون في شئ حتي نزلت هذه الاية ان
المسلمين والمسلمات اي الداخلين في الاسلام المنقادين لحكم
الله في القول والعمل ولما كان الاسلام مع كونه اعم الاوصاف
واعلاها عكن ان يكون في الظاهر فقط اتبعه المحقق له وهو
اسلام الباطن بالتصديق التام بما يلزم الاذعان فقال عاطفا
له وما بعده من الاوصاف التي يمكن اجتماعها بالواو للدلالة علي
تمكن كل منها مما يجب ان يتصف به ولما كان الاسلام قد لا يلزم
من اتصاف به مخلصا قال والقانتين والقانتات اي المخلصين في
ايمانهم واسلامهم المداومين علي الطاعة ولما كان القنوت قد
يطلق علي الاخلاص المقتضي للمداومة وقد يطلق علي مقتضي
الطاعة قال والصادقين والصادقات اي في ذلك كله من

قول

والمؤمنين والمؤمنات

قول وعمل ولما كان الصدق وهو اخلاص القول والعمل عن شوب
يليمه او كيد يبدو منه وقد لا يكون دائما لا يكون صدقا في الواقع
والصابرين والصابرات اي علي الطاعات وعن المعاصي ولما كان
الصبر قد يكون سجية دل علي صرفه الي الله بقوله تعالي والخاشعين
والخاشعات اي المتواضعين لله بقلوبهم وجوارحهم ولما كان الخشوع
وهو الخضوع والانخفاض والسكون لا يصح مع توفير المال كانه سبب
اليه قال معلما انه اذا كان لا يكون علي حقيقته والمتصدقين
والمتصدقات عاروجب في اموالهم وبما استحب سرا وعلانية
تصديقا لحسن ظنهم ولما كان بذل المال وقد لا يكون مع الايمان اتبعه ما
يعني عليه بقوله تعالي والصائمين والصائمات اي فرضا ونفلا
للاتيان بالعبادة وغيرذلك ولما كان الصوم لكسر شهوة الفرج وقد
يقهرها قال تعالي والحافظين فروجهم والحافظات اي عما لا يحل لهم
وحذف معمول الحافظات لتقدم ما يدل عليه والتقدير والحافظاتها
بما ذكر لذكره والذاكرات وحسن الحذف رؤس الفواصل ولما
كان حفظ الفرج وسائر الاعمال لا تكاد توجد الا بالذكر وهو
الذي يكون عنده المراقبة الموصلة الي المحاضرة المحققة للمشاهدة
المجيبة بالعفاف قال تعالي والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اي
بقلوبهم والسنتهم في كل حالة ومن علامة الاكثار من الذكر
التحرج به عند الاستيقاظ من النوم وقال مجاهد لا يكون العبد
من الذاكرين الله كثيرا حتي يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا
روي ان النبي صلي الله عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا
وما المفردون قال الذاكرون الله تعالي كثيرا والذاكرات قال عطا
ابن ابي رباح من توضأ امر الي الله عز وجل فمن داخل في قوله

تعالى ان المسلمين والمسلمات ومن اقر بان الله تعالى ربه ومحمدا صلى الله
عليه وسلم رسوله ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل في قوله تعالى
والمومنين والمومنات ومن اطاع الله تعالى في الفرض والرسول صلى
الله عليه وسلم في السنة فهو داخل في قوله تعالى ان المسلمين
والمسلمات ومن اقر بان الله تعالى ربه ومحمدا صلى الله عليه وسلم
رسوله ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل في قوله تعالى والمومنين
والمومنات ومن اطاع الله تعالى في الفرض والرسول صلى الله
عليه وسلم في السنة فهو داخل في قوله تعالى والقانتين والقا نتات
ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله تعالى والصادقين
والصادقات ومن صبر على الطاعات وعن المعصية وعلى الذريبة
فهو داخل في قوله تعالى والصابرين والصابرات ومن صلى
ولم يعرف من صلى بيمينه وعن سياله فهو داخل في قوله تعالى
والخاشعين والخاشعات ومن تصدق في كل اسبوع بربع فهو
داخل في قوله تعالى والمتصدقين والمتصدقات ومن صام في كل
شهر ثلاثة ايام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر
فهو داخل في قوله تعالى والصائمين والصائمات ومن حفظ فرجه
عن المحرم فهو داخل في قوله تعالى والحافظين فروجهم والحافظات
ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله تعالى
والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله اي الذي لا يعبد راحد
اي يعبد بحق قدره مع انه لا يتيسر ظهوره شيء لهم مغفرة اي لما اقترفوه
من الصغاير لانها مكفرات بفضل الطاعات والاية عامة وفضل
الله واسع ولما ذكر تعالى الفضل بالتجاوز اتبعه الفضل بالكرم
والرحمة بقوله تعالى واجرا عظيما اي على طاعتهم والاية وعده

لمن

لمن ولا منافاة لمن بالاثابة عن الطاعة والتورع بعدم الخصال وردي
ان سبب نزول هذه الاية ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا
الله ذكر الله الرجال في القران ولم يذكر النساء بخير فما فينا خير نذكر به
انا نخاف ان لا تقبل منا طاعة فانزل الله تعالى هذه الاية روي ان
اسما بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن ابي طالب
فدخلت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شيء
من القران قلن لا فاتت النبي صلى الله عليه وسلم قالت يا رسول الله
ان النساء لفي خيبة وخسار قاله وسم ذاك قالت لانهن لا يذكرن
بخير كما تذكر الرجال فانزل الله تعالى هذه الاية وقيل لما نزل في نساء
النبي صلى الله عليه وسلم ما نزل قالت نساء المسلمين فما نزل فينا
شيء فنزلت تنبيه عطف الاناث على الذكور لاختلاف جنسهما والعطف
فيه ضروري لاختلافهما ذاتا وعطف الزوجين وهو مجموع المومنين
والمومنات على الزوجين وهو مجموع المسلمين والمسلمات لتغاير
وصفيهما وليس العطف فيه بضروري بخلاف ما مر في الاول لان اختلاف
الجنس اشد من اختلاف الصفة وثانية العطف عند تغاير الاوصاف
الدلالة على ان اعداد المعد من المغفرة والاجر العظيم اي تهيئة الملك
الجمع بين هذه الصفات فضلا ومعنى ان الجامعين لتلك المحاسن لهم
لهذه الطاعات العشر اعدالله لهم مغفرة واجرا عظيما وقوله تعالى
وما كان اي وما صح لمومن ولا مومنة اذا قضى الله ورسوله امرا
اي اذا قضى رسوله الله وذكر الله تعالى لتفخيم امره والاشعار باذ
تقدا الله تعالى نزل في زينب بنت جحش الاسدية زاجها عبد
الله بن جحش وامها امية بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم
لما خطب النبي صلى الله عليه وسلم زينب على مولاه زيد بن حارثة

سول

ي

رين

وكانت اشترت زيد في الجاهلية بعكاظ فاعتقته وتبناه فلما خطب
النبي صلى الله عليه وسلم زينب رضيت وظنت انه يخطبها لنفسه
فلما علمت انه يخطبها لزيد بن حارثة ابت وقالت انا ابنة عمتك
يا رسول الله فلا ارضاه لنفسي وكانت بيضا جميلة فيها حدة قد
وكذلك كرهها اخوها ذلك رواه الدارقطني بسند ضعيف وقال
ابن ام كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم
فزوجها من زيد ان تكون لهم الخيرة من امرهم اي اذا اختار الله
من امرهم شيأ يجب عليهم ان يجعلوا اختيارهم تبعا لاختيار الله
تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم تنبيه بخيرة مصدر من تخير
كالطيرة من تطير على غير قياس فاجمع الضمير في قوله تعالى لهم وفي
قوله تعالى من امرهم لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث انها في سياق النفي
ويجوز ان يكون الضمير في من امرهم لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه
وسلم وجمع للتعظيم كما جرى عليه البيضاوي وقرا ان يكون الكوفيون
وهشام بالياء التحتية والباقون بالفوقية ولانه صلى الله عليه
وسلم لا ينطق عن الهوى وهو عصاه فقد ضل ضلالا بعيدا كما قال تعالى
ومن يعص الله اي الذي لا امر لاحد فوقه ورسوله اي الذي معصية
الله تعالى لكونه بينه وبين خلقه في بيان ما ارسل به اليهم وقوله
تعالى فقد ضل قراة نافع وابن كثير وعاصم بالاظهار والباقون
بالادغام وزاد ذلك بقوله تعالى ضلالا مبينا اي فقد اخطا خطا
ظاهرا لا خفاء فيه فالواجب علي كل احد ان يكون مع الله
عليه وسلم في كل ما يختاره وان كان ذبحه اعظم المشقات عليه تحقيقا
لقول الشاعر وكم قد المها بي حيث انت فليس لي ٭ متاخر عنه
ولا متقدم ٭ واهنتني فاهنت نفسي عامدا ٭ ما من يهون عليك ممن يكرم

فلما

فلما نزلت هذه الاية رضيت زينب بذلك وجعلت امرها بيد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكذلك اخوها فانكحها صلى الله عليه وسلم زيدا
فدخل بها وساق اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة دنانير
وستين درهما وخمارا ودرعا وازارا وملحفة وخمسين مدا من الطعام
وثلاثين صاعا من تمر وكنت عنه حينما ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اتى زيدا ذات يوم في حاجة فابصر زينب قائمة في درع
وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من امر نساء قريش فوقعت في
نفسه واعجبه حسنها فقال سبحان الله مقلب القلوب والابصار فلما جاء
زيد ذكرت ذلك له فظن زيد انه يعني في نفسه زيد كراهتها في
الوقت فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني اريد ان
افارق صاحبتي فقال مالك ارابك منها شيء قال لا والله يا رسول
الله ما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعاظم علي لشرفها وتؤذيني
بلسانها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك
يعني زينب بنت جحش واتق الله في امرها فانزل الله تعالى واذ
تقول للذي انعم الله عليه وتوالى نبيه صلى الله عليه وسلم
اياه وقرا نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم بالاظهار والباقون
بالادغام ومعنى تعالى منزلته من النبي صلى الله عليه وسلم
بقوله تعالى وانعمت عليه اي بالعتق والتبني حيث استشارك في
فراق زوجته التي اختارك الله تعالى لك تقديرا وتستصير زوجتك
امسك عليك زوجك اي زينب واتق الله الذي له جميع العظمة
في جميع امرك وتخفي اي والحال انك تخفي ان تقول في الا تخبارا
في نفسك اي ما اخبرك الله من انها ستصير احدى زوجاتك عند
طلاق زيد ما الله مبديه اي مظهره بتمام زيد على تطليقها وان

اي الملك الذي العلاة والسلام

امرته بامساكها وتزويجك بها وامرك بالدخول عليها وهذا دليل
على انه اخفى غير ما اعلمه الله تعالى من انها تصير زوجته عند
طلاق زيد لان الله تعالى ما كان ليعتد ذلك ولو اخفى غيره لابداه
سبحانه لانه لا تبديل لكلماته وقول ابن عباس كان في قلبه حبها فاعجبه
وكذا قول قتادة واللفظ لهما لو طلقها زيد وكذا قول غيرهما كان في
قلبه لو فارقها زيد تزوجها ولما ذكر تعالى اخفاءه ذلك ذكر علته
بقوله تعالى عاطفا على تخفي وتخشى الناس اي مما ان تخبر به
اخبرك الله تعالى به فيتحدث من اليك بتزوجك الظنون لا سيما اليهود
والمنافقون وقال ابن عباس والحسن تستحييهم وقيل تخاف
لائمة الناس ان يقولوا امر رجلا بطلاق امرأته ثم نكحها والله ابدى واكمل
ان الذي لا ينبغي اعظم منه احق ان تخشاه اي وحده ولا يجمع خشية
الناس مع خشيته في ان تؤخر شيئا اخبرك به حين يأتيك فيه
امر قال عمرو ابن مسعود وعائشة ما نزلت على رسول الله
صلى الله عليه وسلم اية يبتدي الله عز وجل فيها من هذه رأيت كرد
قالت عائشة لو كتم النبي صلى الله عليه وسلم شيئا مما
اوحي اليه لكتم هذه الاية وتخفي في نفسك ما الله مبديه ويؤيده
ما مر ما روى ابو سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان
قال سألني علي بن الحسين زين العابدين ما يقول الحسن في
قوله تعالى وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله
احق ان تخشاه قال قلت يقول لما جاء زيد الى النبي صلى الله عليه
وسلم قال يا رسول الله اني اريد ان اطلقها فقال له امسك عليك
زوجك فقال علي بن الحسين ليس كذلك كان الله تعالى قد اعلمه
انها ستكون من ازواجه وانه سيطلقها فلما جاء زيد وقال

اني

اني اريد ان اطلقها قال له امسك عليك زوجك وقد اعلمتك انها
ستكون من ازواجك وهو اولى واليق بحال الانبياء وهو
مطابق للملاءمة لان الله تعالى اعلم انه يبدي ويظهر ما اخفاه ولم
يظهر غير تزويجها منه فقال تعالى فلما قضى زيد منها وطرا اي حاجة
من ازواجها والدخول بها وذلك بانقضاء عدتها منه لا ما له يعرف انه
لا حاجة له فيها وانه قد تقاصرت عنها همته والا راجها زوجناكها
اي ولم نخل جبك الي ولي من الخلق بعقد لك عليها بتشريفنا لك ولها
عالما من العظمة التي حزنا بها عوالي الخلق حتى اذعن لذلك كل
من علم به وسرت به جميع النفوس ولم يقدر منافق ولا غيره على
الكلام في ذلك بسوء مما يوهنه ويزري به فلو كان الذي
اضمره رسول الله صلى الله عليه وسلم مجتبى اي ارادة طلاقها
لكان يظهر ذلك لانه لا يجوز ان يخبر انه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره
وقد علي ان انما عوتب على اخفاء ما اعلمه الله تعالى من انها ستكون
زوجة له وانما اخفاه استحيا ان يقول لزيد ان الذي تحتك في
نكاحك ستكون امرأتي قال النيسابوري وهذا هو الاولى واليق
وان كان الاخذ بقوله انه محبتها او نكاحها لو طلقها لا يقدح في حال
الانبياء لان العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه من هذا وهو في
الله شيء ما لم يعتقد فيه المأثم لان الود وميل النفس من طبع
البشر وقوله امسك عليك زوجك واتق الله امر بالمعروف وهو
حسنة الا ترى قوله واتق الله احق ان تخشاه لم يرد به الا لم يكن
الله فيما سبق فانه عليه الصلاة والسلام قال انا اخشاكم لله واتقاكم
له ولكن المعنى الله احق ان تخشاه وحده ولا تخشى احدا معه فانت
تخشاه وتخشى الناس احيانا ولكنه لما ذكر الخشية من الناس

ذكر ان الله احق بالخشية في عموم الاحوال وفي جميع الاشياء ثم ذكر
فقال الوطر ليعلم ان زوجة المتبني تحل بعد الدخول بها اذا طلقت
وانقضت عدتها وروى مسلم في صحيحه عن انس قال لما انقضت
عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذكرها
علي قال فانطلق زيد حتى اتاها وهي تخمر عجينها قال فلما
رايتها عظمت في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها لان رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري وقلت على عقبي
فقلت يا زينب ارسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك
قالت ما انا بها فانة شيأ حتى اؤامر ربي فقامت الى مسجدها ونزل
القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير اذان
قال ولقد رايتنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اطعمنا الخبز
واللحم حتى امتد النهار وخرج الناس ويقي رجال يتحدثون في البيت
بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعته فجعل
يتتبع حجر نسايه يسلم عليهن ويقلن يا رسول الله كيف وجدت
اهلك قال فما ادري انا اخبرته ان القوم خرجوا ام اخبر لي
قال فانطلق حتى دخل البيت فذهبت ادخل معه فالقى الستر
بيني وبينه ونزل الحجاب وعن انس قال ما اولم النبي صلى الله
عليه وسلم على بشي من نسايه ما اولم على زينب قال ثابت فما
اولم قال اطعمهم خبزا ولحما حتى تركوه قال انس كانت زينب تفخر
على ازواج صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن اهاليكن وزوجني
الله من فوق سبع سموات وقال الضحى كانت زينب تقول للنبي
صلى الله عليه وسلم اني لادل عليك بثلاث ما من نسايك امراة
تدل بهن جدي وجدك واحد وانا بنت عمك وانت زوجني الله واخرج

ابن

ابن سعيد والحاكم عن محمد بن يحيى بن حبان قال جاء رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى بنت زيد بن حارثة يطلبه وكان زيد عما يقال له زيد
ابن محمد فلم يجده رسول الله صلى الله عليه وسلم الساعة فيقول
ابن زيد يجيء منزله يطلبه فلم يجده وتقوم اليه زينب بنت جحش
زوجته تفضلا فاعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقالت
ليس هو ها هنا يا رسول الله فادخل فابى ان يدخل فاجابت
رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم فولي وهو يهمهم بشي لا يكاد يفهم
منه الا سبحان العلي العظيم سبحان مصرف القلوب فجاء زيد
الى منزله فاخبرته امراته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى
منزله فقال زيد الا قلت له ان يدخل قالت وقد عرضت ذلك عليه
فابى فقال فسمعت شيأ قالت سمعته حين ولي تكلم بكلام لا افهمه
وسمعته يقول سبحان الله العظيم سبحان مقلب القلوب فجاء زيد حتى اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله بلغني انك جيت منزلي
فهلا دخلت يا رسول الله لعل زينب اعجبتك فارقها فيقول
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره فيقول امسك عليك زوجك
فارقها زيد واعتزلها وانقضت عدتها فبينما رسول الله صلى
الله عليه وسلم جالس يتحدث مع عايشة اذ اخذته غشية فسري
عنه وهو يتبسم ويقول من يذهب الى زينب يبشرها ان الله زوجنيها
من السما واذ تقول للذي الاية قالت عايشة فاخذني
ما قرب وما بعد مما يبلغنا من جمالها واخبرني هي اعظم الامور واثرتها
زوجها الله من السما وقلت بي تفتخر عليها بهذا واما ذكر تعالى التزويج
على ما له من العظمة ذكر علة بقوله تعالى لكيلا يكون على المومنين
حرج اي ضيق واثم في ازواج ادعيايهم اي الذين تبنوا بهم

واجروهم في تحريم ازواجهن مجرى امهاتهم في التحريم المطلق واجروهم في تحريم ازواج المتبنى على الحقيقة اذا قضوا منهن وطرا اي حاجة بالدخول بهن ثم الطلاق وانقضاء العدة فاباحة لا مقطوعة في الرسم من يكون تبنيه الادعياء حي ومنهم المتبنى اي زوجناك زينب وهي امراة زيد الذي تبنيته فيعلم ان زوجة المتبنى حلال للمتبنى واذا كان قد دخل بها المتبنى بخلاف امراة ابن الصلب لانحلال للاب وكان امر الله من الحكم بترتيبها واذكرهت وتركت اظهارها وما اخبرك الله تعالى به كراهية تستر بمقالة واستحيا من ذلك وكذا كل امر يليق بسجانه وتعالى مفعولا اي قضاء الله تعالى ماضيا وحكمه نافذا في كل ما اراد لا معقب لحكمه ما كان على النبي اي الذي من آلته من الله الاطلاع على ما لا يطلع عليه غيره من الخلق من حرج فيما فرض اي قدر الله له اي من صفات الكمال واوجبه له لانه لم يكن على المومنين مطلقا حرج في ذلك تكذيب لبراس المومنين وقوله تعالى سنة الله منصوب بنزع الخافض اي كسنة الله في الذين خلوا من قبل من الانبيا الله لا حرج عليهم فيما اباح لهم قال الكلبي ومقاتل اراد داود حيث جمع بينه وبين امراة اوريا وكذلك جمع بين محمد وزينب وقيل اراد بالسنة النكاح فانه من سنة الانبيا عليهم الله السلام فكان من كان من الانبيا هذا شانهم فقد كان لسليمان بن داود الف امراة وكان لداود مائة امراة وكان امر الله اي قضاء الملك الاعظم في ذلك وغيره قدرا واكده بقوله تعالى مقدورا اي لا خلف فيه ولا بد من وقوعه في حينه الذي حكم بكونه فيه وقوله تعالى الذين نعت الذين قبله يبلغون اي الى امتهم رسالات الله اي الملك الاعظم سوا كانت في نكاح او غيره

ويخشونه

ويخشونه اي فيجتنبون كل ما اخبرهم به ولا يخشون احدا قال ابو جعل الا الله فلا يخشون قالة الناس فيما احل الله لهم الحاسبه اي المحيط بجميع صفات الكمال حسيبا اي حافظا للاعمال خلقه ومحاسبهم عليها اذا دهذا كله اذا الذي تبنى ابنا وكانوا قد قالوا لما تزوج زينب كما رواه الترمذي عن عايشة تزوج حليلة ابنه قال تعالى ما كان اي يوجد من الوجوه محمد اي على كثرة تبنايه واولاده ابا احد من رجالكم لانه ما زا بالتبني ولا الحقيقة بالولادة فثبت بذلك انه يجوز عليه زوج الابن اذا لم يتبناه تعالى من بنيكم فانه لم يكن لهم في ذلك الوقت سنه عمر وما ولد ابنا ها ابن ذكر لعلي تعالى انه سيولد له ابنه ابراهيم عليه السلام مع ما كان قبله من البنين الطاهر والطيب والقاسم وانه لم يبلغ احد منهم الحلم عليهم السلام قال البيضاوي ولو بلغوا لكانوا رجاله لا رجالهم اذ ولد انما يسمى ابنا على اراد التبني قال البغوي والصحيح انه اراد به احدا من رجالكم الذين لم يلدهم انتهى ومع هذا الاولاد هم كما جرى عليه النفي عما نفى ابوته عنهم قاله ولكن كان في علم الله عنيا وشهاده رسول الله اي الملك الاعظم الذي كل من سواه عبده وخاتم النبيين اي اخرهم الذي ختمهم لانه رسالته عامة ومعها اعجاز القرآن فلا حاجة مع ذلك الى استيناف ولا ارسال وذلك معنى لانه لا يبلغ له ولد اذ لو بلغ له ولد لاقى منصبه ان يكون نسب اكرام له لانه اعلا النبيين رتبة واعظمهم شرفا وليس لاحد من الانبيا كرامة الا وله مثلها او اعظم منها ولو صار احد من ولده رجلا لكان نبيا بعد ظهور نبوته وقد قضى الله تعالى ان لا يكون بعده نبي اكراما له رواه احمد وابن ماجه عن انس وعن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم

قال في ابنه ابراهيم عليه السلام لو عاش لكان نبيا صديقا وللبخاري نحوه عن
البراء بن عازب وللبخاري من حديث ابن ابي اوفى لو قضى ان يكون بعد
محمد صلى الله عليه وسلم نبي لعاش ابنه ولكن لا نبي بعده وقال ابن
عباس يريد لو لم اختم به النبيين لحملت له اسبابا يكون من بعده نبيا
وروى عطاء عن ابن عباس لما حكم انه لا نبي بعده يكون اشفق علي
امته واعلمك لهم ان هو كالوالد لو لده ليس لهم له عين وذلك حاصل
انه لا يأتي بعده نبي مطلقا ليس بشرع جديد ولا يجدد بعده مطلقا استنبا
وهذه الاية حيثية لكونه خاتما على ابلغ وجه واعظمه وذلك امنا
في سياق الانكار بان يكون بينه وبين احد من رجالهم بنوع حقيقية
او مجازية ولو كانت بعده لاحد لم يكن ذلك الا لولد له ولذا فائدة
اثبات النبي بتمهيم شيء لم يأت به من قبله وقد حصل به صلى الله عليه
وسلم المقام فلم يبق بعد ذلك مرام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق
ولهذا تجد ديها وهي ما احدث بعض الفسقة فاعلما كافلون به لو جود
ما حض به صلى الله عليه وسلم من هذا القرآن المعجز الذي من
سمعه فكأنما سمعه من الله عز وجل لوقوع التحقق والقطع بانه لا يقدر
غيره ان يقول شيأ منه فيما حصل ذهول عن ذلك قد له من يريد
الله تعالى من العلماء ومعود الاستبشار كما روي في بعض الآثار علما
امتي كانبياء بني اسرائيل واما اتيان عيسى عليه السلام بعد محمد يد
المهدي لجميع ما وبي من اركان المكارم فلا حل فتنة الدجال بعد
طائفة يأجوج ومأجوج ونحو ذلك مما لا يستقل باعبايه غير نبي
وما احسن قول حسان بن ثابت في مرثيته لابراهيم ابن النبي صلى
الله عليه وسلم معنى لسلك محمود العواقب لم تصب بعيب ولم
يذهم بقول ولا فعل وابي انذا ان عاش سادا كهلا في العلا فاق ثر

ان

ان بتقي وحيد بلا مثل وقال العزالي في آخر كتابه الاقتصاد ان الاية
تفهم من هذا اللفظ ومن قرائن احواله صلى الله عليه وسلم انه لم
يعدم نبي بعده ابدا وعدم رسول بعده ابدا وانه ليس فيه تاويل ولا
تخصيص وقال ان من اوله نخصيصه بالنبيين ما وفى الحزم من الرسل
ونحو هذا فكلا من انواع الهذيان لا يمنع الحكم بتكفيره لانه
مكذب لهذا النص الذي اجمع الامة على انه غير مؤول ولا مخصوص
الا وقد باء بهذا الذي اتيان عيسى عليه السلام غير قادح في هذا
النص فانه من امته صلى الله عليه وسلم المقررين لشريعته ومن
ثم نبيا قبله ولم يجد له شيء لم يلبث فلم يكن ذلك قادحا في ختم
ومن ثبت لشرف نبينا صلى الله عليه وسلم انه لو لده لما وجد
وذلك انه لم يكن لنبي من الانبياء شرف الا وله صلى الله عليه وسلم
مثله او اعلا منه وقد كانت الانبياء تاتي معترفة لشريعة موسى صلى
الله عليه وسلم مجددة لها فكان المقرر لشريعة نبينا صلى الله
عليه وسلم المبتع لملته من كان تابعا لشريعة موسى عليه السلام
وذوا عاهم بفتح التاء والعين وتشديد كسرها فالفتح اسم للالة التي يتكلم
بها كالطابع والقالب لما يطبع به ويقلب فيه والكسر على انه اسم
فاعل وقادبهم هو يمشي المفتوح يعني يمشي اخر تهم لانه ختمهم
النبيين مهموز فاتمهم وكان الله اي الذي لم صفة كمال لم تزل
ولا تبدا بكل شيء من ذلك وغيره عليما فيعلم من يليق بالختم ومن يليق
بالبدا قال الاستاذ ولي الدين الملوي في كتابه خصص النفوس
في سؤال القبر واختصاصه صلى الله عليه وسلم بالاحمدية
والمحمدية علما وصفة برهانا على علي ختمه اذ الحمد مقرون بالقضا
الامور مسرد بمعناه واحمد عواقبها كذا اكمد لله رب العالمين

وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صلى وسلم
الا نبيا كمثل قصر احكم بنيانه ترك منه موضع لبنة فطاف به النظار
يتعجبون من حسن بنائه الا موضع تلك اللبنة لا يعيبون بسواها فكنت
انا موضع تلك اللبنة ختم بي البنيان وختم بي الرسل وقال عليه
الصلاة والسلام ان لي اسما انا محمد وانا احمد وانا الماحي يمحو الله
تعالى بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي
وانا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي ولما كان ما ابتدئ لنقصه
سبحانه وتعالى منه احاطة العلم مستلزما للاحاطة بأوصاف
الكمال قال تعالى يا ايها الذين امنوا اي ادعوا ذلك بما يستلزمه اذكروا
الله اي الذي هو اعظم من كل شئ فقد تقدم ان ذكره ذلك ذكرا كثيرا
قال ابن عباس لم يفرض الله تعالى على عباده فريضة الا جعل
لها حدا معلوما ثم عذر اهلها في حال العذر غير الذكر فانه لم
يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر احدا في تركه الا مغلوبا على
عقله وامرهم به في الاحوال كلها فقال تعالى فاذكروا الله ذكرا
كثيرا اي دائما بالليل والنهار والبر والبحر والصحة والسقم في السر
والعلانية وقال مجاهد الذكر الكثير ان لا ينساه ابدا فعليهم ذلك
سائر الاوقات وسائر ما هو اهله من التقديس والتهليل
والتحميد وسبحوه بكرة واصيلا اي اول النهار واخره خصوصا
وخصهما بالذكر للدلالة على فضلهما على سائر الاوقات لكونهما
مشهودين كما مر اراد التسبيح من جملة الاذكار ولانه المهمة فيها
وقال السهيلي وسبحوه اي صلوا له بكرة اي صلاة الصبح واصيلا
يعني صلاة العصر وقال الكلبي واصيلا صلاة الظهر والعصر
والعشاءين وقال مجاهد معناه قولوا سبحان الله وبحمده ولا اله

الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله وقيل بالتسبيح عند اوائله وقيل
المراد من قوله تعالى ذكرا كثيرا هذه الكلمات تقول لها الطاهر داكيب
والحدث وعن ابن عباس انس لما نزل قوله تعالى ان الله وملائكته
يصلون على النبي قال ابو بكر يا رسول الله ما انزل الله تعالى عليك
خيرا الا اشركنا فيه فانزل الله تعالى هو الذي يصلي عليكم اي يرحمكم
وملائكته اي يستغفرون لكم فالصلاة من الله تعالى رحمة ومن
الملائكة استغفار للمؤمنين فذكر صلاته تعريضا للمؤمنين على الذكر
والتسبيح قال السعدي قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام اتصلي ربنا
فكبر لذلك الكلام على موسى فاوحى الله تعالى اليه قل لهم اني اصلي وان
صلاتي رحمتي وقد وسعت رحمتي كل شئ وقيل الصلاة من الله هي
اشاعة الذكر الجميل له في عباده وقيل الثناء عليه واستغفار الملا
ودعاؤهم للمؤمنين ترحم عليهم وهو سبب الرحمة من حيث انهم يجابون
الدعوة فقد اشتركت الصلاتان واللفظ المشترك يجوز استعماله
في معنييه معا وكذلك الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ جائز قال
المرزوقي وينسب هذا القول للشافعي رحمه الله تعالى وهو عين بعيد
وذلك لان الرحمة والاستغفار مشتركان في العناية بحال المرحوم
والمستغفر له والمراد هو القدر المشترك فتكون الدلالة تضمنية
ولما كان فعل الملائكة منسوبا اليه قال تعالى ليخرجكم اي ليديم اخراجكم
دائما كما يدل عليه من الظلمات اي الكفر والمعصية الى النور اي الى الايمان
والطاعة اي ليخرجكم من الجهل الموجب للضلال الى العلم المستمر للهداية
وكان اي ازلا وابدا بالمؤمنين اي الذين صارا لايمان دائم وصفا
رحيما اي بليغ الرحمة بتوفيقهم جميع اعتنى بصلاح امرهم واستعمل
في ذلك ملائكته المقربين تحملهم ذلك على الاخلاص في الطاعات

فرفع لهم الدرجات في رد عادات تحيتهم اي المؤمنين يوم يلقونه اي
يرونه ذا سلام اي يسلم الله تعالى عليهم ويسلمهم من جميع الافات
وروي عن البراء بن عازب قال تحيتهم يوم يلقونه سلام يعني يلقون
ملك الموت لا يقبض روح مؤمن الا يسلم عليه وعن ابن مسعود
قال اذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال ربك يقرئك السلام
وقيل تسلم عليهم الملائكة وتبشرهم حين يخرجون من قبورهم واعد اي
وهيأ الله اعد لهم اي بعد السلامة الدائمة اجرا كريما هو الجنة وقد
ذكر الكريم في الرزق فان قيل الاعداد انما يكون ممن لا يقدر لحتى
عدد ٢ حاجة التي الى شيء والله تعالى غني محتاج ولا عاجز تحيث
يلتقا اجيبه ما يرضيه به وزيادة فما معنى الاعداد من قبله اجيب
بان الاعداد للاكرام لا للحاجة قاله البيضاوي والحق اختلاف المقام
بحسب تفاوت العوائد والمبالغة فيما هو لهم يا ايها النبي اي الذي نخبره
بما لا يطلع عليه غيره انا ارسلناك اي بعظمتنا الى سائر خلقنا شاهدا
اي عليهم بقصدتهم وتكذيبهم وطاعتهم وعصيانهم وعدالتهم او شاهدا
للرسل بالتبليغ وهو حال مقدرة او مقارنة لقرب الزمان ومبشرا
اي لمن آمن بالجنة ونذيرا اي لمن كذب بالنار وداعيا الى الله اي
الى توحيده وطاعته وتوفير ثقافي باذنه حال اي ملتبسا بتيسيره
ولا يريد حقيقة الاذن فانه مستفاد من ارسلناك وسراجا
اي مثله في الاهتداء به بعد العباد من ظلمات الجهل والغي
لمواقع الزلل كما يهتدي النور المحسي بنور الابصار منيرا اي بيرا على من
اتبعه فيصير في اعلى علين ومن تخلف عنه كان في اسفل سافلين وهي
به رد على التيمي حيث اشار الى ان السراج لا ينور الا بما يستضيء
لا يوخذ منه شيء والسراج يوخذ منه النور كثيرة اذ الاظهر الاول

بقية الذي اخذ منه وكذلك اذا غاب النبي صلى الله عليه وسلم كان كل
صحابي سراجا يوخذ منه نور الهداية كما قال صلى الله عليه وسلم اصحابي
كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم قال ابن عادل وفي هذا الخبر لطيفة
وهي ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يجعل اصحابه كالسرج وجعلهم
كالنجوم ولذا لم يوخذ منه نور بل لكل في نفسه نور اذا غرب
لا يستفيد نور وسيستفاد منه فكذلك الصحابي اذا مات فالتابعي
يستنير بنور النبي صلى الله عليه وسلم فلا يا خذ الا قول النبي صلى
الله عليه وسلم وفعله فاذا اجتهدوا نظروا كلهم من النبي صلى الله
عليه وسلم ولو جعلهم كالسرج والنبي صلى الله عليه وسلم كان سراجا
وكان للمجتهد ان يستنير بمن اراد منهم ويا خذ النور ممن احب
وليس كذلك فانهم لم ياخذوا الا من النبي صلى الله عليه وسلم لان قول
الصحابي بلا يوجد النور من النبي صلى الله عليه وسلم لا يعمل بقول
الصحابي بل يوخذ من النبي صلى الله عليه وسلم فلا يوخذ من
الصحابي بل يجعله سراجا تنبيه جوزنا الخبر ان يكون الاصل وتاليا
سراجا ومبينا بالرامي النور وعلى هذا فيكون من عطف
الصفات وهو كذات واحدة لان التالي هو المرسل وقوله تعالى
وبشر المومنين عطف على محذوف مثل فر ذات اهوالها فتلك
ولم تقل الذار الحور عين لانه لكن وقوله تعالى بانهم من
الله فضلا كبيرا كقوله تعالى اعد لهم اجرا عظيما والعظيم والكبير
متقاربان وكما ان من عند الله وبقوله تعالى باسبوناه عما يعز بقوله
تعالى ولا تطع الكافرين والمنافقين اي لا تترك ابلاغ ما امرت
الله بتبليغه من الاحكام وغيرها كراهة شيء من مقالهم وافعالهم
اخر نصيب وغيرها كانك نذير لهم وزاد على ما في اول السورة
حط الغائبة في قوله مصرحا بما اقتضاه ما قبله ودع اي اترك

على حالة حسنة لك وامر جميل بك اذا تم فلا تحسب لهم حسابا اصلا واصبر عليه فان الله دافع عنك لانك داع باذنه وتوكل على الله اي الملك الاعلى وكفى بالله اي الذي له الاحاطة الكاملة وكيلا اي حافظا قال البغوي وهذا مستوخ بآية القتال والمبادا الله تعالى تاديب النبي صلى الله عليه وسلم بذكر ما يتعلق بجانب الله تعالى بقوله تعالى يا ايها النبي اتق الله وفي ما يتعلق بجانب من هو تحت يده من ازواجه بقوله تعالى بعده يا ايها النبي قل لازواجك وثالثا بما يتعلق بذكر العامة بقوله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا وكان تعالى كما ذكر لنبيه صلى الله عليه وسلم مكارم اخلاقه وعلمه ادبا ذكر للمومنين ما ينبغي ان يكونوا عليه فلذلك بدا في ارشاد المومنين بجانب الله تعالى فقال يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا ثم ثنى بما يتعلق بجانب من تحت ايديهم بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المومنات اي عقدتم على الموصوفات بهذا الوصف الشريف المقتفي لغاية الرغبة فيهن وانتم الوصلة بينكم وبينهن ثم ثلث في حق المومنين بما يتعلق بهم فقال بعد هذا يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فان قيل اذا كان هذا ارشادا بما يتعلق بجانب من هو من فواضل المراة فلم خص المطلقات اللاتي طلقن قبل المسيس بقوله تعالى ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن اي بجامعوهن اطلق المس على الجماع لانه طريق له كما سمي الحمار لانه سببه اجيب بان هذا الارشاد الى اعلاء درجات المكرمات ليعلم ان ما سواه ومعلوم بالمبادا ان المراة اذا طلقت قبل المسيس لم يجب لها شيء تاكيد المهر ولهذا قال تعالى في حق الممسوسة وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا فاذا اراد الله تعالى

بالمتع

بالتمتع والاحسان مع من لا مودة بينه وبينها فما ظنك بمن حصلت المودة بالنسبة اليها بالاقتضاء وحصل تاكدها بحصول الولد بينهما وهذا اقوى تعالى فلا تقل لهما اف ولو قال لا تقربهما ولا تشتمهما ظن انه حرام لمعنى يختص بالضرب والشتم فاذا قال لا تقل لهما اف علم منه معان كثيرة فكذلك ههنا لما امر بالاحسان مع من لا مودة معهما علم منه الاحسان مع الممسوسة والمراد بقولهم تطلقوهن بعد وضع ولد ثلاثة اطهار والكسائي بفتح التاء والذال بعدها كم والباقون بضم التاء وكسر الذال بعدها كم ولما كانت العدة حقا للزوج فان كانت لا تشغل باستفاظهم لما في ذلك من حق الله تعالى قال تعالى فما لكم عليهن من عدة اي ايام تتربصن فيها باقرائهن تعتدونها اي تحصونها وتستوفونها بالاقراء او غيرها فتعتد وعما عطفة لعدة وتعتدونها صفة لها وعما تعلقوا اما هنا العدد واما من الاعتداد اي تحسبونها او تستوفون عددها من قولك عددت الدراهم فاعتدها اي استوفى عددها كوكلته فاكتاله وقرئ تعتدونها اي تعتدونها فان قيل ما الفائدة في الاتيان بهم وكم من طلقت على الفور بعد العقد كذلك اجيب بانه ذكر ان العادة كما قد يقع ان تراخي الطلاق ربما تمكن الاعصابة كما يدل عليه السبب قد يتراخي الحد وظاهره يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد الخلوة وتخصيص المومنات وحكم عام للتنبيه على ان شان المومنات ان لا ينكح الا مومنة بحيث لو طلقت المومن وهي في هذه الحالة دليل على ان تعليق الطلاق قبل النكاح لا يصح لانه اسرع تعالى ربقة الطلاق بكلمة ثم ذهبي للتراخي حتى لو قال للاجنبية اذا نكحتك فانت طالق او كل امراة اتزوجها فهي طالق فنكح لا يقع عليه الطلاق وهو قول علي وابن مسعود وجابر ومعاذ وعائشة

وبه قال اهل العراق منهم الشافعي واحمد وروي عن ابن مسعود انه قال
يقع الطلاق وهو قول النخعي واصحاب الراي وقال ربيعة ومالك
والاوزاعي ان عين امراة يقع وان عم فلا يقع وروي عكرمة
عن ابن عباس انه قال كذبوا علي ابن مسعود ان كان قال كما قوله
من عالم في الرجل يقول ان تزوجت فلانة فهي طالق يقول الله تعالى
اذا نكحتم المومنات ثم طلقتموهن ولم يقل اذا طلقتموهن ثم نكحتم
وروي عطاء عن جابر لا طلاق قبل النكاح وقوله تعالى فمتعوهن اي
اعطوهن ما يتمتعن به ويحملن كما قال ابن عباس اذا لم يكن سمي لهما
صداقا والا فلهما نصف الصداق ولا متعة لهما وقال قتادة هذه الاية
منسوخة بقوله تعالى فنصف ما فرضتم اي فللمتعة لهما مع وجوب
نصف الفرض واختلف في المتعة هل هي واجبة او مندوبة
وهي عندنا واجبة بشروط وقد تقدم الكلام عليها عند قوله تعالى
فتعالين امتعكن وعند بعض الائمة انما هي مندوبة وقال بعضهم
هي مندوبة عند استحقاق نصف المهر واجبة عند عدمه وذهب
بعضهم الى انها تستحق المتعة بكل حال لظاهر الاية وسرحوهن سراحا
جميلا اي خلوا بينهن وبين المعروف من غير ضرار وليس للمهر عليهن
عدة وقيل السراح الجميل ان لا يطالبها بما وهبه لها بان يخلي لها
جميع المهر وقوله تعالى يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك
اللاتي اتيت اجورهن اي مهورهن لانه اظهر اجرا علي البضع
بيانا لما اباح والا فضل له لا الترفق بحمله عليه وتبعيد احلاله
لكونها مسببة بقوله تعالى وما ملكت يمينك مما افاء الله اي الذي
رده الامر كله عليك مثل صفية بنت حيي النضرية وريحانة القرظية
وجويرية بنت الحارث المصطلقية مما كان في ايدي الكفار وتعيد

الرقاب بكين نفسن مما جرات معه في قوله تعالى وبنات عمك اي المستغنمة غنم
وبنات عماتك اي نساء قريش وكذا ابدا بالمهرة لشرفها انتهى قوله تعالى
وبنات خالك جاريا في الافراد والجمع على ذلك النحي وبنات خالاتك
من نساء بني زهرة قاله البقاعي ويمكن في ذلك اعتبار عجيب وهو
وبنات عمك وبنات اعمامك وبنات عماتك وبنات عمتك وبنات
خالك وبنات اخوالك وبنات خالاتك وبنات خالتك اه وقوله
اللاتي هاجرن معك يحتمل التقييد بكل ذلك في حقه لما عند وبه قال
ما روي الترمذي والحاكم عن ام هانئ بنت ابي طالب انها قالت
في خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرها
ثم انزل الله تعالى انا احللنا لك ازواجك الاية فلم اكن احل له
لاني لم اهاجر كنت من الطلقاء اي من الاسرا الذين اطلقوا من الاسر
وخلوا سبيلهم قال ابن عادل ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل انتهى
ثم ان الله تعالى ذكر ما خص به نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى
وامراة اي حرة مومنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد النبي اي
الذي علياقد له بما خصصناه به ان يستنكحها اي بوجه النكاح لها
بجعلها من منكوحاته فتصير له بمجرد ذلك بلا مهر ولا ولي ولا شهود
وخرج بالمومنة الكتابية فلا تحل له لانها تكره صحبته ولانه اشرف
ان يضع ماءه في رحم كافرة ولقوله تعالى وازواجه امهاتهم ولا
يجوز ان تكون المشتركة ام المومنين وتجب سالت ريب ان لها تزوج
الا من كان معي في الجنة فاعطاني رواه الحاكم وصحح اسناده ه
واما التسري بالكتابية فلا يحرم عليه قال الماوردي لانه صلى
الله عليه وسلم تسري بريحانة وكانت يهودية من بني قريظة
واستشكل بهذا قليلهم السابق بانه اشرف من ان يضع ماه ه

في رحم كافرة وقوله تعالى وازواجه امهاتهم ولا يجوز ان تكون المشركة
ام المومنين ولهم سالت زينب ان لا اتزوج الا من كان معي في الجنة
فاعطاني رقاه الحاكم وصححه واصله في الصحيحين بالكتابة ظاهر
يدل عليه قالوا ما ورد به واجيب باذ العقد بالنكاح اصالة التوالد
فاحتيط له وبانه يلزم فيه ان تكون الزوجة المشركة ام المومنين
بخلاف ملك فيهما وخرج بالحرة الرقيقة وان كانت موحدة لان
نكاحها معتبر بخوف الفتنة لعنت وهو معصوم وبفقد ان مهر حرة
ونكاحها يخشى عن العهر ابتذا وانتهاء وبرث الولد وصعبه صلى الله
عليه وسلم منه عنه تنبيه في نصب امراة وجهان احدهما انها عطف
على معفوة احللنا لي واحللنا لك امراة موصوفة بهذين
السرطين قال ابو البقاء وقد رد هذا قوم وقالوا احللنا ماض
واذا وهبت وهو صفة امراة مستقبل فاحللنا في موضع جوابه
وجواب السرط لا يكون ماضيا في معنى قال وهذا ليس بصحيح
لان معنى الاحلال هنا الاعلام بالحل اذا وقع الفعل على ذلك
كما تقول ابحت لك اذ كلم فلانا انه سلم عليك والثاني انه نصب
بمقدر بتقديره فتحال لك امراة وفي قوله تعالى ان وهبت ان
اراد اعتراض السرط على السرط والثاني هو قيد في الاول
ولذلك يعربه حالا لان الحال قيد ولهذا السرط المتقدم
الثاني على الاول في الوجود فلو قال لزوجتيه ان كلمت اول
فانت طالق فلا بد ان يتقدم الرجوع كوب على الاكل وهذا
لتحقيق الحالية والتقييد اذ لو لم يتقدم لحلى حزن من الاكل غير
مقيد بركوب ولهذا السرط تقديم الثاني ولكن يسرط ان لا يكون
ثم نية تمنع تقدم الثاني على الاول كقول امراة ان تزوجتك

ان

اذ طلقتك فعبدي حر فيتصور هنا تقدم الطلاق على التزويج
قال بعض المفسرين وقد عرض لي اشكال على ما قاله النحاة في
الاية وذلك ان السرط الثاني هنا لا يمكن تقدمه في الوجود بالنسبة
الى كلام النبي صلى الله عليه وسلم له اذ لا يمكن عقلا وذلك ان المفسرين
نسوا قوله تعالى اذ اراد بمعنى وقد تجيء لاذ بالقبول منه صلى
الله عليه وسلم بتم نكاحه وهذا لا يتصور لتقدمه على الهبة اذ القبول
متاخر فان العصمة كانت في تاخر ارادته عن هبتها وقد اجاب ابو حيان
الى هنا جعل السرط الثاني مقدما على الاول على القاعدة العامة
ولم يستشكل شيا مما ذكر قال ذلك بعض وقد عرضت هذا الاشكال
على جماعة من اعيان زماننا فاعترفوا به ولم يظهر عنه جواب الا ما
قدمته من انه ثم قرينة مانعة من ذلك كما مثلته نفاها لما كان ربما
فهم ان خيل النبي صلى الله عليه وسلم تشاركه في هذا المعنى قال
الله منبها للخصوصية خالصة لك وزاد المعنى بيانا بقوله تعالى من
دون المومنين اي من الانبياء وغيرهم تنبيهات الاول في اعراب خالصة
وفيه اوجه احدها انه منصوب على الحال من فاعل وهبت اي حال
كونها خالصة لك دون غيرك ثانيها انها نعت مصدر مقدر اي هبة
خالصة ثالثها انها حال من امراة لانها وصفت فتخصصت
وهو معنى الاول وابيه ذهب الزجاج وقيل غير ذلك والمعنى انا
احللنا لك امراة موهبة وهبت نفسها لك بغير صداق فالتنبيه
الثاني في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الامة وفيه خلاف
فقال سعيد بن المسيب والزهري ومجاهد وعطا لا ينعقد
الا بلفظ الانكاح او التزويج وبه قال مالك وربيعة والشافعي وهي
الاية ان اباحة الموهبة بالهبة وحصول التزويج بلفظها من خواصه

صلي الله عليه وسلم قاله البخاري وابو حنيفة واهل الكوفة ينعقد بلفظ
الهبة والتمليك واذ معنى الاية ان تلك المراة صارت خالصة لك
زوجة من امهات المومنين لا تحل لغيرك ابدا بالتزويج واجيب بان
هذا التخصيص بالموهبة لا فائدة فيه فان ازواج صلي الله عليه
وسلم كلهن خالصات له وما مر قلنا التخصيص فائدة التنبيه الثالث
في البيتي وهبت نفسها للنبي صلي الله عليه وسلم هل كانت عنده
امراة من قبل قال عبد الله بن عباس ومجاهد لم يكن عند النبي صلي
الله عليه وسلم امراة وهبت نفسها له ولم يكن عنده امراة الا بعقد
نكاح او ملك يمين وقوله تعالي وهبت نفسها علي طريق الشرط
والجزاء قاله غير واحد بل كانت موهوبة وهو ظاهر الاية واختلفوا فيما
فقال الشعبي هي زينب بنت خزيمة الهلالية تقال لها ام المساكين
وقال قتادة هي ميمونة بنت الحارث وقال علي بن الحسين والضحاك
وعطاء هي ام شريك بنت جابر من بني اسد وقال عروة بن الزبير
هي خولة بنت حكيم من بني سليم التنبيه الرابع في ذكر شيء من خصائصه
صلي الله عليه وسلم وقد ذكرت فيها اشياء كثيرة في شرح الهدي
في شرح الشمايل فلا اطيل بذكرها هنا ولكن اذكر منها طرفا يسيرا
تبركا ببركة صاحبها عليه افضل الصلاة والسلام فاذ ذكر هنا
مستحب قال النووي في روضته ولا يبعد القول بوجوبها ليلا
يريب اخبار بعض الخصائص في الخبر الصحيح فيعمل به باصل
التاسي فوجب بيانها لتعرف وهي اربعة انواع احدها الواجبات
وهي اشياء كثيرة منها الضحي والوتر والاضحية وفي الحديث ثلاث
هن علي الواجب ولا تضحي وقيام سواد الوتر كذلك وهي
السواك كل صلاة والمشاورة لذوي الاحلام في الامر وتخيير

نسايه

شايه مع مفارقة طلبا للدنيا واختياره طلبا للاخرة ولا يشترط جواب
له من تزوجتك او زوجتك وان كرهته طلقتها وكرهته
تزوجته الفرقة علي الطلاق وليس تزويجها اخترت نفسي بطلاق كما مر
الاشارة اليه وبه تزوجها بعد الفراق النوع الثاني وهي اشياء كثيرة
محرمات منها الزكاة الصدقة تحرم اكلها والشعر وعد العين الي شاع
الدنيا وخاينة الاعين وهو ايماء بما يظهر خلافه دون اكذبه في
الحرب وامساك من كرهت نكاحه ومنها نكاح كتابية للتسري بها
كما مر ولا يحرم عليه اكل الثوم والبخر ولا اكل متكيا النوع الثالث
التخفيف في المباحات وهي كثيرة جدا منها تزوج من شاء من النسا
لمن شاء ولو لنفسه بغير اذن من المراة وليها متوليا للطرفين
وزوجه الله تعالي وابيح له الوصال وصفي الغنم وتكلم وليتسمه
لولد ولو لنفسه وابيح له نكاح تسع وقد تزوج صلي الله عليه وسلم
بضع عشرة ومات عن تسع قال الائمة وكثرة الزوجات في حقه
صلي الله عليه وسلم للتوسعة في تبليغ الاحكام عن النواحي
كراهة ان يطلع عليه الرجال وقتل بحاسية البحر لباطنه فانه
صلي الله عليه وسلم تحمل له الظاهرة والباطنة ويحرم عليه الزيادة
عليهن ثم نسخ وسياتي ذلك ان شاء الله تعالي وينعقد نكاحه بحرف
ويلفظ الهبة ايجابا لا قبولا بل يجب لفظ النكاح او التزويج لقوله
تعالي اذ اراد النبي ان يستنكحها واللام للملك للواهبة له وان
دخل بها وكتب اجابته علي امراة رغب فيها ويجب علي زوجها طلاقها
لسيدها النوع الرابع الفضائل وهي كثيرة لا تدخل تحت الحصر منها
تحريم مذكوحاته علي غيره سواء كن موطوءات ام لا مطلقات باختيارهن
ام لا وتحريم سراريه وهي اماؤه الموطوءات بخلاف غير الموطوءات ولقدم

ان سيدات نساء المؤمنين لا المومنات بخلاف ما قاله صلى الله عليه وسلم فانه
ابو الرجال والنساء وتقدم الكلام على قوله تعالى ما كان محمد ابا احد من
رجالكم وانما نفى بهن وعنا بهن معا عنه ومنها انه يحرم سواهن
الا من ذوات الحجاب وافضلهن خديجة ثم عائشة وافضل نساء العالمين
مريم بنت عمران ان قيل بينهما ثم فاطمة بنت رسوله صلى الله
عليه وسلم ثم عائشة ثم اسية امراة فرعون واما بنو البراني
افضل نساء العالمين مريم بنت عمران ثم خديجة بنت خويلد ثم فاطمة
بنت محمد ثم اسية امراة فرعون فاقتيب عنه بان خديجة انما افضلت
فاطمة باعتبار الامومة لا باعتبار السيادة وتقدم انه صلى الله
عليه وسلم خاتم النبيين ومنها انه النبي خلقا وافضل الخلق
على الاطلاق وقف بتقدم نبوته تمكن نبيا وادم منجدل في
طينته وبتقدم اجابة المنادي عليه وانه اول من قال بلى وقت
الست بربكم وتخلق ادم وجميع المخلوقات من اجله وبكتابة اسمه
الشريف على العرش والسموات والحجبات وسائر ما في الملكوت
وبشق صدره الشريف وجعله خاتم النبوة بظهره بان قلبه
وبانه اول من تنشق عنه الارض يوم القيمة واول من يدق
باب الجنة واول شافع واول مشفع واكرم بالشفاعات الخمس
يوم القيمة واولها العظمى في الفصل بين اهل الموقف حتى يفزعون
اليه بعد الانبياء الثانية في ادخال خلق الجنة بغير حساب جبلنا
الله واحبابنا منهم الثالثة في ناس استحقوا دخول النار فلا
يدخلونها الرابعة في ناس دخلوا النار فيخرجون منها الخامسة في
رفع درجات ناس في الجنة وكلها مشتركة بالاجابة وخص منها
بالعظمى ودخول خلق من امته الجنة بغير حساب وهي الثانية

قال

قال النووي في روضته ويجوز ان يكون خص بالثالثة والخامسة الفيا
وخص بالرعب مسيرة شهر وجعلت له الارض مسجدا وترابها طهورا
واحلت له الغنايم وارسل الى الكافة ورسالته عينه خاصة واما عموم
رسالة نوح بعد الطوفان فالمراد بمن حمل الباقين ممن كان معه في السفينة
وهو اكثر الانبياء اتباعا وامته خير الامم وافضلها اصحابه وافضل الخلفا
الاربعة على ترتيبهم في الخلافة ثم باقي العشرة وهي معصومة لا تجتمع
على ضلالة وصفوفهم كصفوف الملائكة ولهما ولابا كثير على سائر
الامم منها انها اول من يدخل الجنة بعد الانبياء ومنها وضع الاصر والاغلال
القدرية عنهم ورمضان على احد قولين ونظر الله اليهم ومغفرته
لهم اول ليلة منه وطيب خلوف فم الصايم عنده تعالى واستغفار
الملائكة في ليله ونهاره وامر الله الجنة ان تتزين لهم ورد صدقاتهم
في فرايضهم والنوافل والتجميل هنا لتجميل من الزاوصفو وسلسلة
الاسناد والحفظ عن ظهر قلب واخذ العلم عن الاحداث والمشايخ
وكتابة صلى الله عليه وسلم معجزة محفوظة من التغيير والتبديل
والهم معه معجزة على الناس ومعجزات سائر الانبياء انقرضت
وبقيت معجزته باقية لغيرها من الرايم وتطوعه قايما بالقاعد
ويجهر برفع الصوت فوق صوته قال القرطبي ذكر بعضهم ان قبره
قبره صلى الله عليه وسلم ولا تبطل صلاة من خاطبه بالسلام
ويجب اجابته في الصلاة ولو بالفعل ولا تبطل ويحرم ايذاوه من
وراء الحجرات ويجرم نداوه باسمه كيا محمد لا بكنيته كيا ابا القاسم
ويجرم التكني بكنيته مطلقا وقيل يختص بزمنه وقيل بمن اسمه
محمد وكان يتبرك ويستشفى بريقه وعرقه وفضلاته النازلة على
الدهر للدري بخلاف ما خرج قبل والذي صوبه بعض المتاخرين

طهارتها وهو الصواب واولادها ينسبون اليه واعطي جوامع الكلم وكان
يوحى عن الدنيا عند تلقي الوحي ولا يسقط عنه التكليف وروية
في النوم حق ولا عمل بما فيها يتعلق بالاحكام لعدم ضبط المنام وذلك
مما اطلعه كبيرة ولا يجوز الجنون على الانبياء ولا الاحتلام ولا تناول
الارض لحمهم وفي هذا القدر كفاية ومن اراد الزيادة على ذلك
فعليه بالكتب المطولة فان العلماء قد صنفوا في ذلك تصانيف وانا
اسأله الله تعالى من فضله وكرمه ان ينفعنه فينا ويدخلنا معه
الجنة ويفعل ذلك باهلينا ومشايخنا واخواننا ومحبينا ولا يحرمنا
زيارته والروية قبل الممات ولما كان التخصيص لا ينفي ولا يتصور
الا من محيط العلم بان هذا الامر ما كان لغير المخصوص تام القدرة
يمنع غيره من ذلك قال الله تعالى قد اي اخبرناك يا محمد بان هذا امر
يخيفك عنهم لانا قد علمنا ما فرضنا اي من شرايط العقد وانهم
لا تحل لهم امراة بلفظ الهبة منا ولا بد من مهر ولا بد من ولي وشهود
وهذا حكم لجميع المؤمنين المتقدمين والمتاخرين في ازواجهم
ايمانهم من الاماء سواء كن مملوكات لهم كما كانت
جارية الجوسية والوثنية او ان تشتري بعد الوطي وقبل المراد
ان اخذا غير ذلك لا يملك رقبة بهبتها للنبي صلى الله عليه وسلم فيكون ذا حق من
سيدها وما فرغ من تعليل الخصوصية علل التخصيص لها وبشرا
ونشرا بقوله تعالى لكيلا يكون عليك حرج اي ضيق في شيء من امر
النساء حيث احللنا لك انواع المنكوحات دون ذاك الواهبة فلكيلا
متعلق بما لصقه وما بينهما اعتراض ومن دون متعلق بما لصقه كما
تقول خلص من كذا وكان الله اي المتصف لذاته بالكمال ازلا وابدا
غفورا رحيما اي بليغ الستر على عباده وكما ذكر تعالى ما فرض

في

في الازواج والاماء الشامل للعدد في عشرة كان وكان صلى الله عليه
وسلم اعدل الناس فيهما واشدهم سد خشية وكان يعدل بينهن ويعتذر
مع ذلك عما يميل القلب الذي هو خارج عن طرق البشر بقوله اللهم
هذا قسمي فيما املك فلا تلمني فيما لا املك متفق عنه سبحانه وتعالى
بقوله ترجي اي تؤخر وتترك مصاحبتها من تشاء منهن وتؤوي
اي تضم اليك من تشاء وتضاجعها وقرا نافع وحفص وحمزة والكسائي
يا ساكنة بعد الجيم من الرجي اي تؤخر ما مع اقبال تكون بها واجبة
لعطفك والباقون بهمزة مضمومة وهو مطلق الناشئ ومن ابتغيت
طلبت ممن عزلت اي من العشر فلا جناح عليك اي في وطيها وضمها
اليك تنبيه اختلفوا المشروط في معنى هذه الاية فاسقط الاولون
انها نسخ القسم بينهن وذلك ان التسوية بينهن في القسم كانت
واجبة عليه فلما انزلت هذه الاية سقط عنه وصار الاختيار اليه
فيهن وقال ابن زيد نزلت هذه الاية حين خاره بعضهن ان كن عنده
على النبي صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن زيادة في النفقة
فهجر بعض النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزلت اية التخيير فامره
الله عز وجل ان يخير بعض بين الدنيا والاخرة وان يخلي سبيل من
اختارت الدنيا ويمسك من اختارت الله ورسوله على ان الله اباح
المؤمنين وان لا يتخذن ابدا وعلى ان لا يودي اليه من نسائه ويرجى من نشا
منهن ويضاجع من نشاء لم يقسم لهن ام لم يقسم منهم لبعضهن دون بعض ام فضل بعضهن
في النفقة والقسمة فيكون الامر في ذلك اليه يفعل كيف شاء وكان
ذلك من خصائصه صلى الله عليه وسلم فرضيتن بذلك فاختارته
على هذا الشرط وذلك لان النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى
امته بمنزلة السيد المطاع والزوج وان لم يكن نبيا فالزوجة في ملك

نكاحه والنكاح عليها رق فكيف زوجاد النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة
اليه فاذهن كالمملوكات لولا يجب القسم بين المملوكات واختلفوا
هل احد زاج احدا ممن عن القسم فقال بعضهم لم يجز احدا منهن
عن القسم بل كان رسوله الله صلى الله عليه وسلم مع ما اعطاه الله
له من ذلك يسوي بينهن في القسم الا سودة فانها رضيت بتركه
حظها من القسم وجعلت يومها لعائشة وقيل اخرج بعضهن روى
جرير عن منصور عن ابي زيد قال لما نزلت اية التخيير اشفقن
ان يطلقهن فقلن يا رسول الله اجعل لنا من مالك ونفسك
ما شئت ودعنا على حالنا ففعل فانزل الله هذه الاية فارجا رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعضهن وادى اليه بعضهن فكان ممن اوى
عائشة وحفصة وزينب وام سلمة وكان يقسم بينهن سواء وارجا
منهن خمسا ام حبيبة وميمونة وسودة وصفية وجويرية فكان
لا يقسم لمن ما شا وقال مجاهد ترجي من تشا منهن اي تعتزل
من تشا منهن بغير طلاق وتؤوي اليك من تشا بعد العزل بلا
تجديد عقد وقال ابن عباس تطلق من تشا منهن وتمسك من تشا
وقال الحسن تترك نكاح من شئت من نسائك قال وكان على
الله عليه وسلم اذا اراد خطبة امراة لم يكن لغيره خطبتها حتى يترك
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل تعتزل من تشا من المومنات
اللاتي تهبن انفسهن لك فتؤوي اليك وتترك من تشا فلا
تقبلها روي هشام عن ابيه قال كانت خولة بنت حكيم من اللاتي
وهبن انفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة اما
تستحي امراة تهب نفسها للرجل فلما انزل ترجي من تشا منهن
قلت يا رسول الله ما اري ربك الا يسارع في هواك وذلك اي التفويض

اي

قالت كنت اقول له ان كان ذلك اكه اي فاني لا اريد يا رسول الله ان اذكر
عليك احدا ولما امره الله تعالى بالتخيير وخيرهن واخترن الله ورسوله
زاد الله تعالى سرورهن بقوله تعالى **لا تحل لك النساء من بعد** اي بعد
من معك من هؤلاء التسع اللاتي اخترنك شكرا من الله لهن لكونهن
لما نزلت اية التخيير اخترن الله ورسوله فحرم عليه النساء سواهن
وامره عن تطليقهن وعن الاستبدال بهن بقوله تعالى **ولا ان تبدل**
بهن اي هؤلاء التسع واخرق في النفي بقوله تعالى **من** اي شيئا من **ازواج**
اي بان تطلقهن اي هؤلاء المعينات او بعضهن وتاخذ بدلا
من غيرهن **ولو اعجبك حسنهن** اي النساء المباينات لحسنك معك
قال ابن عباس يعني اسماء بنت عميس الخثعمية امراة جعفر
ابن ابي طالب فانه استشهد اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان يتزوجها فنهي عن ذلك وقرا ابو عمرو **لا تحل لك** بالتاء الفوقية
والباقون بالياء التحتية وشدد الهمزي التاء من ان تبدل
تنبيه في الاية دليل على ان اباحة النظر الى من يريد نكاحها
لكن من غير الخلوة في العدلان فينظر الرجل من الحرة الوجه
والكفين ومن الامة ما عدا ما بين السرة والركبة واحتج لذلك
بقوله صلى الله عليه وسلم للمغيرة وقد خطب امراة انظر اليها
فانه احرى ان يديم بينكما اي بتدوم الالفة والمودة رواه الحاكم
وصححه وقوله تعالى **الا ما ملكت يمينك** استثناء من الهاء المحذوفة
من قوله لا تحل لك اي فتحل لك وقد ملك بعد عن مارية وولدت
له ابراهيم ومات واختلف هل يحل له النساء من بعد قالت
عائشة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى احل له النساء
اي فتسع لك ويحل له ان ينكح اكرا ممن باية انا احللنا لك

ازواجك

قال ابن حبيب ازواجك فان قيل هذه الاية وشرط الناسخ ان يكون متاخرا عن
المنسوخ وهذه السورة متقدمة في النزول على التلاوة وهذا هو الذي الزقا
الناس عائشة على التحريم وقال عكرمة والضحاك معنى الاية لا تحل
لك النساء من بعد التي احللنا لك بالصفة التي تقدم ذكرها وقيل
لابي بن كعب لو مات نساء النبي صلى الله عليه وسلم اكان له ان
يتزوج قال وما يمنعه من ذلك قال قوله تعالى لا تحل لك النسا
من بعد قال اما احل الله تعالى له خيرا من النساء قال يا ابي
انما احللنا لك ازواجك ثم قال لا تحل لك النساء من بعد قال ابو
صالح امر ان لا يتزوج اعرابية ولا اعجمية ويتزوج من نساء قومه
من بنات العم والعمة والخال والخالة ان نساء ثقيف وقال مجاهد
معناه لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانية بعد المسلمات ولا ان تبدل
بهن بغيرك ولا ان تبدل بالمسلمات غيرهن من اليهودي والنصارى
ابن زيد في قوله تعالى ولا ان تبدل بهن من ازواج كانت العرب
في الجاهلية يتبادلون بازواجهم يقول الرجل للرجل بادلني
بامراتك وبادلتك بامولتي تنزل لي عن امراتك وانزل لك
عن امراتي فانزل الله تعالى ولا ان تبدل بهن من ازواج يعني
تبادل بازواجك غيرك بان تطلقها وتاخذ زوجته الا ما
ملكت يمينك لا باس ان يبادل بجاريتك ما شئت وما اكثر ابي
فلا روى عطا بن يسار عن ابي هريرة قال دخل عيينة بن حصن
على النبي صلى الله عليه وسلم بغير اذن وعنده عائشة فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم يا عيينة ابن الاستيذان قال يا رسول
الله ما استاذنت على رجل من مضر منذ ادركت ثم قال من هذه
الحميراء الى جنبك فقال هذه عائشة ام المؤمنين فقال عيينة افلا

انزل لكم عن احسن الخلق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله
قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله قال هذا
اخي مطاع وانه علي ما ترين لبيد قومه ولما امر تعالى في هذه
الايات باشياء ونهى عن اشياء وحد حدودا حذر من التهاون بشيء منها
ولو بنوع تاويل بقوله تعالى وكان الله اي الذي لاشيء اعظم منه وهو
المحيط بجميع صفات الكمال علي كل شيء رقيبا اي حافظا عالما بكل شيء
قادرا عليه فتحفظوا امركم ولا تتخلوا احاد لكم ولهذا امن
ابدا الا سماء وعيدا ولما ذكر حالة النبي صلى الله عليه وسلم مع امته
في قوله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ذكر حالهم معه من
الاحترام له صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اي
ادعوا الايمان صدقوا ادعوا كم فيه بان لا تدخلوا بيوت النبي اي
الذي يأتيه الانبا من علام الغيوب بما فيه رفعته في حال من
الاحوال اصلا الا في حال اذن لكم اي من له الاذن في بيوته
صلى الله عليه وسلم فمن لم يؤذن له في الدخول بالدعا الي
اي اكله حال كونكم غير ناظرين اي منتظرين اناه اي نضجه
وهو مصدر اناى يأني وترا مثل سقام وحمزة والكسائي باناه مالة وورش
بالفتح وبين اللفظي والباقون بالفتح ولما كان هذا الدخول
بالاذن مطلقا وكان يراد تقييده قال تعالى ولكن اذا دعيتم
اي ممن له الدعوة فادخلوا اي لاجل ما دعاكم له ثم تسبب عنه
قوله تعالى فاذا طعمتم اي اكلتم طعاما او شربتم شرابا فانتشروا
اي اذهبوا حيث شئتم في الحال ولا تمكثوا بعد الاكل والشرب له
مستئنسين لحديث اي طالبين
الانس لاجله فالية قال الحسن حسبك يا ثقلا ان الله لم يتخذ

في

في امورهم وعن عائشة انها قالت حسبك يا ثقلا ان الله تعالى لم
يحتملهم ولعله تعالى ذلك مصونا الخطاب الي جميعهم معظما له
بادارة البعد ان ذلكم اي الامر الشديد وهو المكث بعد الفراغ كان
يؤذي النبي اي الذي من شانه لسماع ما انتهيتم به مما كان سببا لتركم
وعلة لكم فيما امرتم به ان تحذروا ان تشغلوه عن شيء مما يهمه بسبب
عن ذلك المانع له من نص او حيا فيستحي منكم اي يأمر بما يريد اراقته بقوله تعالى فيستحيي
منكم اي يأمر بما امركم به من الانصراف والله اي الذي له جميع الامر لا يستحيي
من الحق اي لا يفعل فعل المستحي فيؤديه ذلك الي ترك الامر به
تنبيه قال اكثر المفسرين نزلت هذه الاية في شان وليمة زينب
حين بنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لما روي ابن كثير
قال اخبرني انس بن مالك انه كان ابن عشر سنين فقدم رسول
الله صلى الله عليه المدينة فسال فكانت ام هاني توطد علي
خدمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخدمته عشر سنين وتوفي
وانا ابن عشرين سنة فكنت اعلم الناس بشان الحجاب حين
انزل وكان اول ما انزل في ابتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
بزينب بنت جحش اصبح النبي صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدعا القوم واصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي رهط منهم عند النبي
صلى الله عليه وسلم فاطالوا المكث فقام النبي صلى الله عليه وسلم
فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى النبي صلى الله عليه وسلم
ومشيت حتى جاء عتبة حجرة عائشة ثم ظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت
معه حتى اذا دخل علي زينب فاذا هم جلوس لم يخرجوا فرجع
النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت معه حتى اذا بلغ حجرة عائشة
فظن انهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فضرب

النبي صلى الله عليه وسلم وبينه الستر ونزلت اية الحجاب وقال
ابو عثمان واسمه الجعد عن انس قال فيما انزل يعني رسول الله صلى الله
عليه وسلم البيت وارخى الستر واني لفي الحجرة ويعقوب يا ايها
الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم الى قوله تعالى
والله لا يستحيي من الحق وروى عن ابن عباس ان اناسا كانوا يدخلون في
ناس من هذه المساكين كانوا يحضرون طعام رسول الله صلى الله عليه
وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام الى ان يدركهم ياكلون ولا
يخرجون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتاذى بهم فنزلت
الاية يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الاية رواه ابو يعلى
الموصلي عن انس قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم يرطب الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فوضعته بين يديه فاصاب منه ثم اخذ بيدي فخرجنا
وكان حديث عهد بعرس بنت جحش قال فجلس ناس من نسايه وعندهن
رجال يتحدثون فيمسينه وهناك الناس فقالوا اكمد الله او ينبئكم
يا رسول الله فمضى حتى اتى عايشة فاذا هو عندها رجال قال فلا ادري
ذلك وكان اذا اكره الشيء عرف في وجهه قال فاتيت ام سليم
فاخبرتها فقالت ابو طلحة لئن كان ما قال انبك لتحدثن امرا قال
فلما كان من العشي خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم هنيهة ثم
تلى هذه الاية يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الاية وزاد
البخاري وغيره عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم عروسا
بزينب فقالت لها اقيلي فخرجت الي عمر واقفا وبيني فاخبرت
حبيبة في برمتها وارسلت بها معي اليه فقال لي ضعيها ثم امرني
فقال ادع لي رجالا سماهم وادع لي من لقيت فعملت الذي امرني
فرجعت فاذا البيت غاص باهله وفي رواية الترمذي اذا الرادي

قال

قال قلت لانس كم كانوا قال زهاء ثلثمائة فرايت النبي صلى الله عليه
وسلم وضع يده على تلك الحجارة وكلما شاء الله ان يتكلم به دعوة غرفة
ياكلون منه ويقول لهم اذكروا اسم الله تعالى وليا كل كل رجل مما يليه
حتى لقد دعوا كلهم عما قال الترمذي فقال لي يا ابن ارقم ارفع فرفعت
فما ادري حين وضعت كان اكثر او حين رفعت فخرج معي من خرج
وبقي نفر يتحدثون فنزلت وان كان البيت ليطلق على المراة مع
عملا زمنها له عادة اعاد الضمير عليه مراعاة للبيت استحياء قال
الله تعالى **واذا سالتموهن** اي الازواج **متاعا** اي شيا من الات البيت
فاسالوهن اي ذلك المتاع كاينين وكائنات **من وراء حجاب** اي ستر
سيتركم عنهن وسيترهن عنكم وقرا ابن كثير والكسائي بفتح السين
والهمزة بعدها والباقون بسكون السين وهمزة مفتوحة بعد قا
ذلكم اي الامر العالي الرتبة **اطهر لقلوبكم وقلوبهن** اي من وسوسة
الشيطان والريب لان العين وزيرة القلب فاذا لم تستشرف العين لم
يبعث القلب فاما اذا راات العين فقد يبعثها القلب وقد لا يبعثها
فالقلب عند عدم الرؤية اطهر وعدم الفتنة حينيذ اظهر روى
ابن شهاب عن عروة عن عايشة ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
كنحيز جن بالليل اذا ذهبن الى المناصع يتبرزن وهو صعيد
افيح فكان عمر يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فلم
يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت
زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشاء وكانت امراة
طويلة فناداها عمر الا قد عرفناك يا سودة حرصا ان ينزل
الحجاب فانزل الله عز وجل الحجاب وعن انس قال قال عمر
وافقت ربي ثلاثة قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم

مصلي فانزل الله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقلت يا رسول
الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت امهات المومنين بالحجاب
فانزل الله تعالى اية الحجاب قال وبلغني ما اذين رسول الله صلى
الله عليه وسلم بشاه قال فدخلت عليه فيما هو يتغدى فيها وفي يده
واحدة قلت والله لتخبرن او ليبدلنه الله ازواجا خيرا منكن حتى
اتيت على زينب فقالت يا عمر اما كان في رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهن انت فقال فخرجت فانزل الله عسى
ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن الاية وعن انس قال
المومنين الادب اكفهم بما علمهم علي سلطانه نبيه صلى الله عليه
وسلم بقوله تعالى وما كان اي ما صح وما استقام لكم في حال من
الاحوال ان تؤذوا رسول الله قوله لكم من الاحسان ما يستوجب
به منكم غاية الاكرام فالاجلال فضلا عن الكف عن الاذي فلا
تؤذوه بالدخول الي شيء من بيوته بغير اذنه او المكث بعد فراغ
الحاجة ولا بغيره لذكره ولما كان قد تقرر صلى الله عليه وسلم علي
كل احد له عليه حق تقرر عن الله تعالى علي لهم بقوله تعالى ولا ان
تنكحوا اي فيما يستقبل من الزمان ازواجه من بعده اي فراقه
بموت او طلاق سواء دخل بها ام لا ابدا لزيادة شرفه واظهار المزية
ولا من امهات المومنين ولا من ازواجه في الجنة ولان المراة
في الجنة مع اخر ازواجها كما قاله ابن الشيخ روي ان هذه
الاية نزلت في رجل من اصحابه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نكحن
عايشة حتى لعقائل بن سلمان هو طلحة بن عبيد الله فاخبر الله
تعالى ان ذلك محرم وقال ان ذلكم اي الايذاء او النكاح وغيره
كان عند الله اي القادر علي كل شيء عظيما اي ذنبا عظيما فان

ينذ

قيل روي معمر عن الزهري ان العالية بنت ظبيان التي طلقها
النبي صلى الله عليه وسلم تزوجت رجلا وولدت له اجيب بان ذلك
كان قبل تحريم ازواج النبي صلى الله عليه وسلم علي الناس وقيل
لا تحرم غير الموطوءة لما روي ان اشعث بن قيس تزوج المستفيضة
في ايام عمر فهم برجمها فاخبر بانه صلى الله عليه وسلم فارقها قبل ان
يمسها فتركت من غير تكبير فاما ما وطيء صلى الله عليه وسلم فحرم من
الموطوءة عليه غيره اكراما له بخلاف غيرها من الموطوءات وقيل لا تحرم
الموطوءات ايضا ونزل فيمن اعتمد نكاح عائشة بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان تبدوا اي باستكمر وغيرها شيئا اي من
ذلك او غيره او تخفوه في صدوركم فان الله اي الذي له جميع
صفات الكمالات كان اي ان لا ولا بد انه هكذا كان في الازل وكذا اتي
بما بعده وغيره فقال بكل شيء اي من ذلك وغيره عليما فهو يعلم ما اسررتم
وما اعلنتم وان بالغتم في كتمه فيجازي عليه من ثواب وعقاب وفي هذا
التعميم بعد البرهان على المقصود من بعد تهويل وسالغة في الوعيد
من ثم لما اية الحجاب قال الاباء والابناء والاقارب وعمن ايضا لانهن محل ورد
حجاب فذكر قوله تعالى لا جناح اي لا اثم عليهن في اباءهن وهو لاء وما
من غير حجاب سواء كان الاب من النسب او من الرضاع ولا ابنائهن
اي من النسب او الرضاعة ولا اخوانهن لان عادتهن عادتهم فلا فرق
ان يكونوا من النسب او الرضاع ولا ابناء اخوانهن فانهن بمنزلة ابائهم
ولا ابناء اخواتهن فانهم بمنزلة امهاتهم وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو
بابدال الهمزة الثانية يا خالصة في الوصل وحققها الباقون وفي
الابتداء بالثانية الباقون بالتحقيق ولا نسائهن اي المسلمات التقي
منهن والبعدي بمنزلة واحدة واما الكافرات فمن بمنزلة الاجانب

من الرجال لكن يرجح النهي انه يجوز ان تنظر منها ما يبدو عند المهنة ولا
ما ملكت ايمانهن من العبيد لانهم عالمين علمهم من السادات ببعد
عنهم الريبة هيبة لهن مع مشقة الاحتجاب عنهم لتنبيه قدم تعالى
الاب ثم ان اطلاعهم على بناتهم اكثر وكيف قد راوا جميع مدت
البنات في حال صغرهم ثم الابناء الاخوة وذلك ظاهر وانما
الكلام في بني الاخوة حيث قدمهم الله تعالى على بني الاخوات لان
بني الاخوات اباؤهم ليسوا محارم فلابناء اساؤهم وبني الاخوة
اباؤهم محارم الا في بني الاخوة مفصلة ما وجه ان الابن يرى
عمتي خالته عند ابيه محرم ولذلك في بني الاخوة فان قيل لم
يذكر الله تعالى من ائمحارم الاعمام والاخوال فلم يقل ولا اعمامهن
ولا اخوالهن اجيب عن ذلك بوجهين احدهما ان ذلك معلوم
من بني الاخوة وبني الاخوات لان من علم ان بني الاخ للعم تحارم
وكذلك خال بني ابن الخال وذكر ملكة اليمين بعد هذه الكلمة لان
الخلسة في التكشف لهم ظاهرة وقوله تعالى واتقين عطف
على محذوف اي امتثلن ما امرتن به واتقين الله اي الذي لا
شيء اعظم منه فلا تقترفن شيئا مما يكرهه وانما امرهن لان الريبة
من جهة النساء اكثر لانه للرجال داعية من الانس ظن بهم الاجابة
لما يرى من تخايلهن او تخاتلهن لشكالهن وكل من كان بهذه لا يعلم الا
ممن كان حاضرا مطلقا قال ان الله اي العظيم الشان كان اي
ازلا وابدا على كل شيء من افعالكن وغيرها شهيدا اي لا يغيب
عنه شيء وان دق فهو مطلع عليكن حال الخلوة فلا يخفى عليه خافية
ولما امر الله تعالى بالاستيذان وعدم الدخول الى نسائه احتراما
له كمل بيان حرمته بقوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي

اي محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس اراد ان الله تعالى يرحم النبي
والملائكة يدعون له وعن ابن عباس ايضا يصلون يتبركون والصلاة
من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار وقال ابو العالية صلاة
الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعا بتنبيه
ببيان كمال حرمته في ذلك ان حالاته منحصرة في حالتين حالة خلوة
فذكر ما يدل على احترامه في تلك الحالة بقوله تعالى لا تدخلوا بيوت
النبي وحالة تكون في ملا اما الملا الاعلى واما الملا الادنى اما
احترامه في الملا الادنى فقوله تعالى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه اي
ادعوا له بالرحمة وسلموا تسليما اي حيوه بتحية الاسلام واظهروا ثناءه
بكل ما يقدر فذكر اليه من حسن مثابته وكثرة الثناء كحسن عليه
والانقياد لاوامره في كل ما يامر به وسنة الصلاة والسلام عليه فاستشكل
روي عبد الرحمن بن ابي ليلى لقيني كعب بن عجرة فقال الا اهدي لك
هدية سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت بلى فاهدها
لي قال قلت يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك
قالوا قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم
وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد وروي ابو حميد بن مسعود قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اولى الناس بي يوم القيمة
اكثرهم علي صلاة وروي ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من صلى عليه واحدة صلى الله عليه وسلم عشرا وروي
عبد الله بن ابي طلحة عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه وسلم بها عشرا ورويه
انا الذي البشر في وجهك فقال اتاني جبريل فقال يا محمد ان ربك
يقول اما يرضيك ان لا يصلي عليك احد من امتك الا صليت عليه

عشرا ولا يسلم عليك من احدكم احد الا سلمت عليه وعشرا وروى عامر
ابن ربيعة انه سمع النبي صلي الله عليه وسلم يقول من صلي علي صلاة
صلت عليه الملائكة ما صلي علي فليقل العبد من ذلك او ليكثر وروى
انس ان النبي صلي الله عليه وسلم قال من صلي علي صلاة واحدة
صلي الله عليه عشر صلوات وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت
له عشر درجات وروي عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلي
الله عليه وسلم ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن امتي السلام
تنبيه دلت الاية علي وجوب الصلاة علي النبي صلي الله عليه وسلم لان
الامر للوجوب قالوا وقد اجمع العلماء انها لا تجب في غير الصلاة فتعين
وجوبها فيها فالمناسب لها من الصلاة التشهد في اخرها فتجب في
التشهد اخر الصلاة ايسبعده وهو مذهب الشافعي واحد الروايتين
عن احمد فالقايلون بوجوبها في الجملة في غيرها مجوج باجماع من قبله
والحديث كيف نصلي اذا نحن صلينا عليك في صلاتنا فقال قولوا اللهم
صلي علي محمد وعلي آل محمد الخ وقيل تجب كلما ذكر واختاره
الطحاوي من الحنفية والحليمي من الشافعية لقوله جابر ان النبي صلي
الله عليه وسلم رقي المنبر فلما رقي الدرجة الاولي قال امين ثم رقي
الثانية فقال امين ثم رقي الثالثة فقال امين فقالوا اما رسول الله
سمعناك تقول امين ثلاث مرات فقال لما رقيت الدرجة الاولي
جاني جبريل فقال شقي عبد ادرك رمضان فانسلخ منه ولم
يغفر له فقلت امين ثم قال شقي عبد ادرك والديه او احدهما
فلم يدخلاه الجنة فقلت امين ثم قال شقي عبد ذكرت عنده
ولم يصل علي فقلت امين وفي رواية رقي المنبر فقال امين امين
امين فقيل يا رسول الله ما كنت تصنع هذا فقال قال لي جبريل

رغم

رغم انف رجل ادرك ابويه او احدهما لم يدخل الجنة فقلت امين
ثم قال رغم انف عبد دخل عليه رمضان لم يغفر له فقلت امين ثم قال
رغم انف امرئ ذكرت عنده فلم يصل علي فقلت امين وكذا قوله
وسلموا امر فيجب السلام ولم يجب في غير الصلاة فتجب فيها وهو قول
في التشهد سلام عليك ايها النبي وذكر في السلام المصدر للتاكيد
ولم يؤكد الصلاة لانها كانت مؤكدة بقوله تعالي ان الله وملائكته
يصلون علي النبي واقل الصلاة عليه اللهم صل علي محمد واكملها اللهم
صلي علي محمد وعلي آل محمد كما صليت علي ابراهيم وعلي آل ابراهيم
وبارك علي محمد وعلي آل محمد كما باركت علي ابراهيم وعلي آل
ابراهيم انك حميد مجيد وآل ابراهيم اسماعيل واسحاق واولادهما فالمراد
كل الانبياء من بعد ابراهيم عليه السلام من ولد اسحاق الا نبينا محمدا صلي
الله عليه وسلم فانه من نسل اسماعيل لكن من فضله بقي عن نسله
وخص ابراهيم بالذكر لان الرحمة والبركة لم يجتمعا لنبي غيره فقال
تعالي رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت فان قيل اذا صلي الله
وملائكته عليه فاي حاجة به الي صلاتنا اجيب بان الصلاة عليه
ليس لحاجة اليها والاقل حاجة الي صلاة الملائكة مع صلاة الله
عليه وانما تعرضها له وتعظيمه مما استغنى عنا لبيشبا الله
عليه ولهذا قال صلي الله عليه وسلم من صلي علي واحدة صلي
الله عليه عشرا وفي رواية وملائكته تبعيني ويجوز الصلاة
علي غيره منفردا وتكره اكثر استعماله استقلالا لانه في العرف
صار شعارا لذكر الرسل وكذلك كره ان يقال محمد عز وجل
وان كان عزيزا جليلا ولما امر الله تعالي باحترام نبيه صلي الله
عليه وسلم نهي عن ايذائه فقال ان الذين يؤذون الله ورسوله يقول الله تعالي

ان الذين يؤذون الله اي الذي لا اعظم ولا نعمة عندهم الا من فضله
ورسوله اي الذي استحق عليهم بما يخبرهم به عن الله تعالى سالا
يقدرون على القيام بشكره لعنهم الله ابعدهم في الدنيا بالجملة
على ما يوجب السخط والاخرة بادخال دار الاهانة كما قال تعالى
واعد لهم عذابا مهينا اي ذا اهانة وهو النار ومعنى يؤذون
الله يقولون فيه ما صورته الذي واذا كان تعالى لا يلحقه ضرر
ذلك حسبه وصفوه بما لا يليق بجلاله من اتخاذ الولد ونسبته
الولد والزوجة اليه قال ابن عباس منهم اليهود والنصارى والمشركون
فاما اليهود فقالوا عزير ابن الله وقالوا يد الله مغلولة وقالوا
ان الله فقير ونحن اغنياء واما النصارى فقالوا المسيح ابن
الله وثالث ثلاثة واما المشركون فقالوا الملائكة بنات الله والاصنام
شركاؤه وعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله عز وجل كذبني ابن ادم ولم يكن له ذلك وشتمني ولم
يكن له ذلك فاما تكذيبه اياي فقوله لن يعيدني كما بدأني
وليس اول الخلق باهون علي من اعادته واما شتمه اياي
فقوله اتخذ الله ولدا وانا الاحد الصمد الذي لم ألد ولم يولد
ولم يكن له كفوا احد وعن ابي هريرة ايضا عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر
وانا الدهر بيدي الامر اقلب الليل والنهار ومعنى الحديث
انه كان من عادة العرب في الجاهلية ان يسبوا الدهر ويذموه
عند النوازل لاعتقادهم ان الذي يصيبهم من افعال الدهر
فقال تعالى انا الدهر انا الذي احل بكم النوازل وانا فاعل
لذلك الذي تنسبونه للدهر في زعمكم وقيل معنى يؤذون الله

يلحدون

يلحدون في اسمائه وصفاته وقيل هم اصحاب التصاوير وعن ابي
هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز
وجل ومن اظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة وليخلقوا حبة
او شعيرة ويحتمل ان لا يكون في ذلك على حذف مضاف اي اولياء الله كقوله
تعالى واسأل القرية قال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى من عاد
لي وليا فقد اذنته بالحرب وقال من اهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة
ومعنى الاذى هو مخالفة امر الله وارتكاب معاصيه ذكره
على ما يتعارفه الناس بينهم والله عز وجل منزه عن ان يلحقه اذا
من احد وقال بعضهم اتى بالجلالة تعظيما والمراد يؤذون رسول الله
كقوله تعالى انما يبايعون الله وما ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم
فقال ابن عباس انه يشتم في وجهه ويكسر رباعيته وقيل ساحر شاعر
مجنون ولما كان من اعظم اذاه اذى امته من تدبيره وكان الاتباع لكونهم
عبيده محمومين سخروا ذيودوا بالحق قال تعالى معيدا الكلام
والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات اي المراسخين في صفة الايمان
بغير ما اكتسبوا اي بغير شيء وادوه متعمدين له حتى اباح اذاهم فقد
احتملوا بكلفوا انفسهم اذ حملوا بهتانا اي كذبا ومجونا ناديا على
اكثر موجبا للجزاء في الدنيا والاخرة واثما مبينا اي ذنبا ظاهرا جدا
موجبا للعقاب في الاخرة تنبيه اختلفوا في سبب نزول هذه الاية
فقال مقاتل نزلت في علي بن ابي طالب كانوا يؤذونه ويسمعونه
وقيل نزلت في شان عائشة وقال الضحاك هو ما تكلموا نزلت في الزناة
الذين كانوا يمشون في طريق المدينة يتعرضون للنساء اذا برزن
بالليل لمقضاء حوائجهن وينزعجن المراة فان سكتت اتبعوها وان
زجرتهم انتهوا عنها ولم يكونوا يطلبون الا الاماء ولكن لا يعرفون

اكثرة من الامة لان اي الكل كان واحدا يحرجن في ورع وخمار اكثرة
والامة وتشكون ذلك الي ازواجهن فذكروا ذلك لنبي لرسول
الله صلي الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية والذين يؤذون المؤمنين
والمؤمنات الاية ثم عني اهل ايران بيشبهن بالاماء بقوله تعالي يايها
النبي ذكره بالوصف الذي هو مبلغ المعرفة والحكمة قل لازواجك
بدا بهن لما لهن بعد الوصلة بالنكاح وبناتك ثني بهن لما لهن
به الوصلة ولهن في انفسهن من الشرف واخصهن عن الازواج
لان ازواجه يكونون اصهارهن ونساء المؤمنين يدنين اي يقربن عليهن
اي علي وجوههن وجميع ابدانهن فلا يكد عن شيء منها سكونا من
جلابيبهن ولا يشبهن بالاماء في لباسهن اذا خرجن لحاجتهن
بكشف العورة لشعور وغيرها فلما اذا ذلك ادني ان يعرفن اي
واكملها به الممتهن وثوب واسع دون الملحفة تلبسه المرأة والملحفة
ما يستر اللباس اذا كان كل ما غطى الراس وقال البغوي الجلباب
الملاءة التي تشتمل بها المرأة فوق الدرع والخمار وقال حمزة الكرماني
قال الخليل كل ما يستر به من دثار وشعار وكساهن جلابيبهن والكل
يصح ارادته هنا فان كان المراد الممتهن فادناؤه اصباغه
حتي يغطي يديها ورجليها وان كان هاهنا يغطي الراس فادناؤه ستر
وجهها وعنقها وان كان المراد ما يغطي الثياب فادناؤه تطويله
وتوسيعه بحيث يستر جميع بدنها ويثنيها وان كان ما ذكرت
الملحفة فالمراد ستر الوجه واليدين وقال ابن عباس وعبيدة
امر نساء المؤمنين اذا خرجن من بيوتهن في حاجة ان يغطين رؤسهن ووجوههن بالجلابيب
الا عينا واحدة ليعلم انهن حرائر والمراد من امر تعالي بذلك علله بقوله
تعالي ذلك اي الستر ادني اي اقرب من تركه في ان يعرفن انهن

حرائر

حرائر بما يميزهن عن الاماء فلا اي فتتسبب عن معرفتهن انهن لا يؤذين
ممن يغتر عن الاماء فلا يشتغل قلبك عن تلقي ما يرد عليك من الانباء
الالهية قال ابن عادل ويمكن ان يقال المراد بمعرفتهن انهن لا يزنين
لانهن مستورات وجرت عادة الاماء بخلافه اي في الصلاة لا يطلع فيها انها
تكشف عورتها فيغتر عن انهن مستورات لا يمكن طلب الزنا منهن
الله وما زال الله تعالي لهذا الامر خفف عاقبة ما كان فيه من التشبيه
بالاماء فاخبر هنا تعالي بوسع كرمه وجوده بقوله تعالي وكان الله
اي الذي له الكمال المطلق ان الاوابد غفورا اي لما سلف منهن من
ترك الستر فمنوا محا للذنوب عنهن وانزل رحيما بهن اي ومن يمتثل
اوامره ويجتنب مناهيه قال المغوي قال انس مرت بعمر جارية
مقنعة فعلاها بالدرة وقال يا لكاع التشبهين بالحرائر القي
القناع وانظهر اذ عمر انما فعل ذلك حوفا من ان يلتبس الاماء
بالحرائر فلا تقرن الحرائر فيعود الامر كما كان وكما كانوا عليه فيما
مضي وغيره اهل النفاق ومن دانا هم حذرهم بقوله تعالي موكدا
لئن لم ينته عن ذلك المنافقون اي الذين يبطنون الكفر
ويظهرون الاسلام والذين في قلوبهم مرض اي غل يقرب من
النفاق حاملا علي المعاصي والمرجفون في المدينة اي المؤمنين
اي بالكذب وذلك ان ناسا منهم كانوا اذا خرجت سرايا رسول
الله صلي الله عليه وسلم يوقعون في الناس انهم قد قتلوا او هزموا
ويقولون قد اتاكم العدو ونحو ذلك واصل الرجفة التحريك
من الرجفة وهي الزلزلة سمي به الاخبار الكاذبة لكونها
مثل الزلزلة غيرنا بتة لنغرينك بهم اي لنسلطنك عليهم بالقتل
والجلاء وعبر بالمضارع لهم الي طلب الجلاء بقوله تعالي ثم لا يجاورونك

اي لا يساكنونك فيها اي المدينة عطف علي لنفرينك وهو للدلالة علي ان
اكثر لابيب ومفارقة رسول الله صلي الله عليه وسلم اعظم ما يصيبهم الا
قليلا اي زمانا او جوارا قليلا ثم يجزجون منها وقيل تسلط عليهم
فيقتلهم وتخلي منهم المدينة وقوله تعالي ملعونين اي مبعودين من
رحمة الرحمة منصوبة حال من فاعل يجاورونك قال ابن عطية والزمخشري
وابو البقاء اينما ثقفوا اي وجدوا اخذوا وقتلوا ثم اكده بالمصدر
بعضا لهم وارهابا لهم بقوله تعالي تقتيلا اي الحكم فيهم هذا علي وجه
الامر به وقوله تعالي سنة الله اي المحيط بجميع العظمة مصدر
مؤكد اي سن الله ذلك في الذين خلوا من قبل اي في الامم الماضية
وهو ان تقتل الذين ناقضوا الانبياء وسعوا في وهنهم بالارجاف
وكفروا اينما ثقفوا ولن تجد لسنة الله اي طريقة الملك الاعظم
تبديلا اي ليست هذه السنة مثل الحكم الذي يتبدل وينسخ
فان النسخ يكون في الاقوال اما الافعال اذا وقعت والاحبار لا تنسخ
وكما بين تعالي مالهم في الدنيا انهم ملعونون وجزاؤهم ان يعملوا
اراد ان يبين مالهم في الاخرة فذكرهم بالقيمة وذكر ما يكون
لهم فيها بقوله يسألك يا اشرف الخلق الناس اي المشركون
استهزاء منهم وتعنتا وامتحانا عن الساعة اي متي تكون تعني اي
وقت قل انما علمها لهم في جوابهم انما علمها عند الله اي الذي احاط
علما بجميع الاشياء وما يدريك اي اي شيء يعلمك امر الساعة
ومتي يكون فيا ايها المخاطب لا تشغل نفسك بالبحث عنها
فان الحكمة في اخفائها لها من العجائب تكون اي توجد وتحدث
علي وجه مهول عجيب قريبا اي في زمن قريب قال البقاعي
ويجوز ان يكون ذلك لتذكر الاجل الوقت لان السؤال عنها انما هو

عن

عن تعيين وقتها قال في الجامع الصحيح اذا وصفت صفة الموت
قلت تربية واذا جعلته ظرفا ويد لا لم ترد الصفة نزعت الها
من الموت وكذلك لفظها في الاثنين والجمع للذكر والانثى ثم استأنف
الاخبار بحال السائلين عنها بقوله تعالي انما علمها اي اختصاصه الاعلا
لعنف اي البعد اعادا عظيما من رحمة الكافرين اي الساترين لما من
شأنه ان يظهر بما دلت عليه العقول السليمة من امرها واعد اي اوجد
وهيأ لهم من الان سعيرا اي نارا شديدة الاضطرام والتوقد
لتكذيبهم بما وصفها مما دوضح لهما دلته خالدين اي مقدرا خلودهم
فيها اي السعير واعاد عليها الضمير مؤنثا لانها مؤنثة ولانها في
معني جهنم وقوله تعالي ابدا بيان لان الارادة الحقيقية ليلا تتوهم بالخلود
المكث الطويل لا يجدون وليا اي يتولي امرا ما يصيبهم بشفاعته
او غيرها ولا نصيرا ينصرهم وهو قوله تعالي يوم معمول لخالدين اي معذبا
خلودهم فيها علي تلك الحال يوم تقلب اي تقليبا كثيرا وجوههم في
النار اي ظهرا لبطن كما اللحم يشوي بالنار حالة كونهم يقولون وهم في
محل الجزاء قد فات محل العمل ممنين بقولهم يا ليتنا اطعنا اي في
الدنيا الله اي الذي لا امر لاحد معه فلا يقدر كون تلاقيه لانهم
لا يجدون ما يقدرون ان يذكروه عليهم من ولي ولا نفير ولا يغني عنهم
سوي هذا التمني وانما كان هذا المقام للمبالغة في الانعان والخضوع
اعاد في العامل بقولهم واطعنا الرسولا اي الذي بلغنا عنه حتي
لا نبتلي بهذا العذاب تنبيه تقدم الكلام عليه في القراءة في الرسولا
والسبيلا اول السورة عند الفاصلة وقالوا اي الاتباع منهم لما لهم
يشفعهم في مبتدين بالدعاء علي من اضلهم هما لا يبرئ عليلا ولا
يشفي عليلا ربنا اي ايها المحسن الينا واسقط اداة النداء علي

عادة اهل الخصوص بالحصوص زيادة في التوفيق باظهار انه لا واسطة
لهم الا الهيم والكسارهم انا اطعنا سادتنا وكبرانا يعنون قادتهم
الذين لعنوهم الكفر وقرا ابن عامر بالف بعد الدال وكسر التاء
على جمع الجمع للدلالة على الكثرة والباقون بغير الف بعد الدال
وفتح التاء على انه جمع تكسير عنى بجمع بالواو والتاء فاضلونا اي
فتسبب عن ذلك انهم اضلونا بما كان لهم من نفوذ الكلمة
اي طريق الهدى فاجابوا ذلك على عزهم كما هي عادة المخطئ في
الاحالة على غيره مما لا ينفعه ممن كانه قيل فما تريدون لهم قالوا
مبالغين في الرقة للاستعطاف باعادة الرب ربنا اي المحسن
الينا اتهم ضعفين من العذاب اي يتلى عذابنا لانهم ضلوا واضلوا
والعنهم لعنا كثيرا اي اطردهم عن محال الرحمة طردا متتاهيا
وقرا عاصم بالباء الموحدة اي احشهم الله اللعن واعظمه والباقون
بالثاء المثلثة اي كثيرا العدد ولما بين تعالى ان من يؤذي الله
ورسوله ملعون وتهدد بان عذابهم مضعف اتبع ذلك ان من يؤذي المؤمنين
بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اي صدقوا بما يتلى عليهم لا تكونوا
بايدائكم الرسول صلى الله عليه وسلم بامر زينب وغيره كونا هو
كالطبع لكم كالذين اذوا موسى من كوهه بني اسرائيل اذى
بانواع الاذى كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم حين قسم قسما
فتكلم فيه بعضهم فقال لقد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر
واختلفوا فيما اوذي به موسى فروى ابو هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان موسى كان رجلا حييا مستتر الا يرى
من جلده شيء استحياء منه فاذاه من اذاه من بني اسرائيل
فقال ما استتر هذا التستر الا من عيب بجلده اما من برص واما ادرة واما افة وان الله تعالى يريد به

جلده يعني تشنجيا اما من برص واما ادرة واما افة وان الله تعالى يريد به
مما قالوا كما قال تعالى فبراه اي فتسبب عن اذاهم ان براه الله اي الذي
له صفات الجلال والكمال مما قالوا فخلى يوما وحده ليغتسل فوضع
ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ اقبل الى ثيابه ليأخذها
فذهب الحجر بثوبه فجمع موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبي يا حجر
حتى انتهى الى ملا من بني اسرائيل فرأوه عريانا احسن ما خلق
الله وابرأه مما يقولون وقام الحجر فاخذ ثوبه واستتر به وطفق
بالحجر يضربه بعصاه فوالله ان بالحجر لندبا من اثر ضربه ثلاثا او اربعا
او خمسا او اكثر فهذا معنى الاذى عظم الخصية لتضخمها فيها وقوله فجمح اي اسرع
وقوله ندبا هو بفتح النون والدال وباصله الاثر الجرح اذا لم يرتفع عن
الجلد فشبه به الضرب بالحجر وقد قوم ايذاؤهم اياه كما مات
هارون في التيه ادعوا على موسى انه قتله فامر الله الملائكة حتى
مروا به على بني اسرائيل ميتا فعرفوه انهم لم يقتلوه فبراه الله مما قالوا
وقد ابوا له العالية هو اذ قارون استأجر هو سم اي زانية لتقذف
موسى بنفسها على رؤس الملا ففعلت بقارون ومن معه وقال عبد
الله بن مسعود كما كانوا يوما حين قسم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ناسا في القسمة فاعطى الاقرع بن حابس مئة من الابل
واعطى فلانا كذا فامن العرب وانزلهم في القسمة فقال رجل
والله ما عدل فيها وما اريد بها وجه الله فقلت والله لاخبرن بها
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فاتيته فاخبرته بما قال فتغير
وجهه حتى كان كالصرف ثم قال فمن يعدل اذا لم يعدل الله ورسوله
ثم قال يرحم الله موسى قد اوذي باكثر من هذا فصبر الصبر بكسر

العباد صنع احرز يصنع به الاديم ولما كان تقدمهم بهذا الذكر استعظم
وجاهة قال تعالى وكان اي موسى عليه السلام كونا راسخا عند الله
اي الذي لا يزل من والى وجيها اي معظما رفيع القدر ذا وجاهة
يقال لوجه الرجل وجه فهو وجيه اذا كان ذا جاه وقدر قال ابن
عباس كان عظيما عند الله تعالى لا يسأل شيئا الا اعطاه وقال الحسن
كان مستجاب الدعوة وقيل كان بحيث مقبول الشفاعة لما منعهم عن الاذى
امرهم بالنفع ليصيروا ذوي وجاهة عنده حكمة للنداء استعطافا
واظهارا للاهتمام بقوله تعالى يا ايها الذين امنوا ايادا على ذلك اتقوا
الله اي صدقوا ذواعوا كم بحيث لا تبدلوا له جميع الخطيئة فاعملوا لكم
وقاية من سخطه بان تبذلوا له جميع ما ورد عنكم من الاوامر
وقولوا في حق النبي صلى الله عليه وسلم في امر زينب وغيرها وفي
حق بناته ونسائه وفي حق المؤمنين ونسائهم وغير ذلك قولا
سديدا قال ابن عباس صوابا وقال قتادة عدلا وقال الحسن
صدقا وقال عكرمة يوفق له لا اله الا الله وقيل مستقيما يصلح لكم
اعمالكم قال ابن عباس يتقبل حسناتكم وقال مقاتل يزكي اعمالكم
ويغفر لكم ذنوبكم اي بحملها عنيا واثرا فلا يعاقب عليها ولا يعاتب
ومن يطع الله اي الذي لا اعظم منه ورسوله اي الذي عظمته من
عظمته في الاوامر والنواهي فقد فاز اكد ذلك بقوله تعالى فوزا
عظيما اي ظفر بجميع مراداته بعيش في الدنيا حميدا وفي الاخرة
سعيدا ولما ارشد الله تعالى المؤمنين الى مكارم الاخلاق وادب
النبي صلى الله عليه وسلم باحسن الاداب بين ان التكليف الذي
وجهه الله تعالى الى الانسان امر عظيم بقوله تعالى انا عرضنا
الامانة واختلف في هذه الامانة المعروضة فقال ابن عباس

اراد

اراد بالامانة الطاعة من الفرايض التي فرضها الله تعالى على عباده
عرضها على السموات والارض والجبال على انهم اذا ادوها لهم
واذ ضيعوها عذبهم وقال ابن مسعود الامانة اداء الصلوات
واتيان الزكوات وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وتقضا
الدين والعدل في المكيال والميزان واشد من هذا الكل الودايع وقال
مجاهد الامانة الغسل من الجنابة وحدود الدين وقال ابو العالية ما امروا
به ونهوا عنه وقال زيد بن اسلم هو الصوم والغسل من الجنابة ولا
يخفى من الشرايع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص اول ما خلق
الله تعالى من الانسان فرجه وقال لهم اني قد خلقتكم فاحفظوا فرجه
امانة والعين امانة واليد امانة والرجل امانة ولا ايمان لمن
لا امانة له وقال بعضهم هي امانات الناس والوفاء بالعهود وفي
حق كل مؤمن ان لا يخشى منه ولا منها هو اني شيء قليل ولا كثير
وفي رواية الضحاك عن ابن عباس وجماعة من التابعين ذكر
السلف ان الله تعالى عرض هذه الامانة على السموات والارض
والجبال فقال لهن اتحملن هذه الامانة بما فيها قلن وما فيها
قال ان احسنتن جوزيتن وان عصيتن عوقبتن فابين من عظم
عظم اجرامها وفرط عقابها وسعة ارجائها ان يحملنها وقلن
يا رب عن مستحقات لامرك لا نريد ثوابا ولا عقابا واشفقن
منها اي وقلن ذلك من فاقة وخشية وتعظيما لله تعالى وانذارا ان لا يقوموا
بها للمعصية ومخالفة وكانت العرض على من يعتبر الالزام
ولو الزمن لم يمتنعن من حملها فابين اباء ذلك فاضافة الله عز
وجل طبيعة ساجية له كما قال تعالى للسموات والارض ايتيا طوعا
اوكرها قالتا اتينا طايعين وقال في بحيرا لقوا ذا من الما يهبطن

خشية الله وقال تعالى الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن
في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال الاية وقال بعض
اهل العلم ركب الله فيهن العقل والفهم حتى عرض عليهن
الامانة حتى عقلن الخطاب واجبن عاجبن وقال بعضهم المراد
بالعرض على السموات والارض هو العرض على اهل السموات
والارض فعرضها على من فيهما من الملائكة كقوله تعالى واسأل
القرية اي اهلها وقيل المراد المقابلة اي فاملنا الامانة
مع السموات والارض والجبال فرجحت الامانة قال النيسابوري
والاول اصح وهو قول اكثر العلماء لتنبيه قوله تعالى فابين
التي بتذكير هذه كضمير الاناث لان جمع التكسير عين العاقل
يجوز فيه ذلك وانما ذكر ذلك ليبين لهم انه قد غلب الوقت
وهو السموات على المذكر وهو الجبال فان قيل ما الفرق بين ابايمن
وابا الليس في قوله تعالى ابا ان يكون مع الساجدين اجيب
بان الا ها هنا استكبار لان السجود كان فرضا وهاهنا
استفهام لان الامانة كانت عرضا وانما استفهن خوفا كما
قال تعالى واشفقن منها اي خفن من الامانة ان لا يودينها
فلم يخن الا عقاب وحملها الانسان ابو آدم قال تعالى للادم
اني عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم تطقنها
فهل انت اخذها بما فيها قال يا رب وما فيها قال ان احسنت
جوزيت وان اسأت عوقبت فحملها آدم عليه السلام وقال
بين اذني وعاتقي فقال تعالى اما اذا تحملت مني عنك احمل
لبعرك حملا فاذا خشيت ان تنظر اليها لا تحمل فادخ عليه حملا به
واجعل للسانك لحيين وعلقا فاذا خشيت فاغلق واجعل لفرجك

ستر

ستر فان اخشيت فلا تكشفه علي ما حرمت عليك قال مجاهد فيما
كان بين ان حملها وبين ان اخرج من الجنة الا مقدار ما بين الظهر
والعصر وحكى الثعلبي باسناده عن ابن مسعود انه قال عرضت
الامانة بعجزة ملقاة وعرضت السموات والارض والجبال الهما فلم
يقبلوها وقالوا لا نطيق حملها وقال آدم من غير ان يدعي وركب
العجزة وقال لو امرت بحملها لحملتها فقلن احمل فحملها الى ركبته
ثم وضعها وقال لو اردت ان ازداد لازددت فقلن له احمل فحملها
الى حقويه وقال والله لو اردت ان ازداد لازددت فقلن له احمل
فحملها حتى وضعها على عاتقه حرفا راد ان يضعها قال الله له
مكانك فانها في عنقك وعنق ذريتك الى يوم القيمة انه كان ظلوما
جهولا قال ابن عباس ظلوما لنفسه جهولا بامر الله تعالى
وما احمل من الامانة وقال الكلبي ظلوما حين عرض ربه جهولا
لا يدري ما العقاب في ترك الامانة وقال قتادة ظلوما للنفس
جهولا لعقابه ما تحمل وذكر الزجاج وغيره من اهل المعاني في قوله
تعالى وحملها الانسان قولا آخر فقال لما اخذ الله تعالى ذرية آدم
واولاده على كما هيئة السموات والارض والجبال على بني
آدم الامانة في حق بني آدم ما ذكرنا من الطاعة والعقاب بالثواب
والامانة في حق السموات والارض وجميع الحيوان هي الخضوع والطاعة
لما خلقت له وقوله تعالى فابين ان يحملنها اي ابين الامانة بقابل
فلما ان حمل الامانة اي اشفقن منها الخيانة قال تعالى وليحمل الظالم
انه كان ظلوما جهولا حكي عن الحسن على هذا التاويل انه
قال وحملها الانسان يعني الكافر والمنافق حمله الامانة اي
فابا والاول قول السلف وهو الاولى وقيل المراد بالامانة

هامش لس

العقل والتكليف وبعرضها عليهن اعتبارها بالاضافة الى استعداد
هن
وايا بين الاباء الطبيعي الذي هو عدم اللياقة والاستعداد وعدم
الاستئناف قابليته واستعدادها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه
من القوة الغضبية والشهوية وعلى هذا يحسن ان يكون علة للحمل
عليه فان من شان العقل ان يكون مهيمنا على القوتين حافظا
لهما عن التعدي بمجاوزة الحد ومعظم مقصود التكليف تهذيبهما
وكسر سورتهما وعن ابي هريرة قال دخلت بعض بيوت رسول الله صلى الله
عليه وسلم في مجلس يحدث القوم فجاء اعرابي فقال متى الساعة فمضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال
فكره ما قال وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال اين
السائل قال ها انا يا رسول الله قال اذا ضيعت الامانة فانتظر
الساعة الحديث وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اعظم الامانة عند الله يوم القيمة الرجل يفضي الى امرأته وتفضي
اليه ثم ينشر سرها وقوله تعالى ليعذب الله اي الملك الاعظم متعلق
بعرضنا المرتب عليه حمل الانسان المنافقين والمنافقات والمشركين
والمشركات اي الصنفين الامانة بتبعته لم يعبد الله تعالى فلم
يخل ويعذب الله المشركين واعادته في قوله تعالى ويتوب الله اي
بما له من العظمة على المؤمنين والمؤمنات اي الموفين الامانة
ولو قال تعالى ويتوب على المؤمنين على المنافق فحمل الكلام
المستانف فكما ذكر تعالى في الانسان وصفين الظلوم والجهول
ذكر من اوصافه تعالى وصفين بقوله تعالى وكان الله اي على ما له
من الكبرياء والعظمة غفورا للمؤمنين حيث عفى عن فرطاتهم رحيما
بهم حيث اثابهم بالتوفيق على طاعتهم حكم ما لهم بانواع الكرم

وما رواه